الشعر والشعراء في جازان
خلال ثمانية قرون

من القرن الخامس إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري



حجاب بن يحيى الحازمي

الطبعة الثالثة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الشعر والشعراء في جازان

خلال ثمانية قرون

من القرن الخامس إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري

حجاب بن يحيى الحازمي

الطبعة الثالثة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

حجاب بن يحيى الحازمي ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحازمي ، حجاب بن يحيى
الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون من القرن الخامس إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري./ حجاب بن يحيى الحازمي- ط ٣ - الرياض ، ١٤٣٩هـ
٤٨٠ صفحة ؛ ٢٤x١٧ سم
ردمك: ٩٧٨/٦٠٣/٠٢/٧٥٢٥/٠
١- جازان (السعودية) - تراجم ٢- الشعراء السعوديون - تراجم
أ. العنوان
ب. ديوي ٨١١/٩٥٣١٥٧٠٠٩ ١٤٣٩/٩٧١٤
رقم الإيداع : ١٤٣٩/٩٧١٤
ردمك: ٩٧٨/٦٠٣/٠٢/٧٥٢٥/٠

"لوحة الغلاف للفنان طالع عقدي"

دار النابغة للنشر والتوزيع
طنطا - سبرباي - أمام مجمع كليات جامعة طنطا
ت : ٠٠٢٠١٠٦٤١٠٤٥٦١ - ٠٠٢٠٤٠٣٤٥١٣٥١
darelnapegha@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والدتي الغالية، وإلى روح والدي الغالي اللذين ورثت عنهما حب العمل الجاد من أجل الدين والوطن. وإلى زوجتي الوفية: أم حسن التي وقفت وتقف خلف وأمام سائر إنجازاتي منذ عهد البكارات.

حجاب الحازمي

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا ورسولنا ونبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ثم أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابي: (الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون) أبادر بها بعد أن نفدت الطبعة الأولى استجابة لطلبات الراغبين من الباحثين والمحبين والمهتمين مع أنني لم أكن حريصاً على إعادة طبعه في هذا الوقت لولا ما وجدته من تشجيعهم وتحفيزهم ومتابعاتهم، وأخص بالذكر منهم الباحثين المهتمين بدراسة تراث المنطقة وآدابها ممن حال دون حصول بعضهم على نسخة من هذا الكتاب نفاد طبعته الأولى، وأمام حرارة الطلب وتكراره لم أستطع إلا تلبيته على مضض؛ ذلك لأن الطبعة الأولى لم تمض عليها ثلاث سنوات بعد وأنا ما زلت أنتظر المزيد من التصويبات والملاحظات التي لم يصلني منها حتى الآن إلا القليل جداً، وبرغم انشغالي بإعداد الجزء الخاص بشعراء القرن الثالث عشر، وبرغم انشغالي كذلك بدراسات أدبية أخرى بعضها في مراحل إعدادها الأخيرة، برغم ذلك كله وبرغم غيره من المشاغل الدنيوية والالتزامات الأخرى بادرت بهذه الطبعة تحقيقاً لتلك الرغبات وحتى قبل أن أتمكن من استكمال مراجعتي لطبعته الأولى، وتبعاً لهذا الاستعجال فقد اكتفيت باختيار بعض التصويبات المطبعية أو الإملائية التي رصدتها أثناء نظراتي السريعة في تلك الطبعة وكذلك اختيار شيء مما رصده بعض الخلص من الأصدقاء والباحثين وفي مقدمتهم الصديق الصدوق الباحث اللغوي الأديب الأستاذ/ الدكتور محمود شاكر سعيد الذي تفضل مشكوراً ومقدراً برصد ملحوظات مهمة تخدم الكتاب وقارئيه، مع اعترافي المسبق بعدم شمولية هذه التصويبات السريعة أو استقصائها، راجياً أن أتمكن من استكمال بقية التصويبات وما يجد من ملحوظات في الطبعة القادمة - إن شاء الله -

وبعد: فهاهي الطبعة الثانية لهذه الدراسة، أضعها بين يدي القارئين والدارسين راجياً من الله المثوبة والأجر، طامعاً في استكمال آراء الناصحين من الباحثين الجادين والله حسبنا ونعم الوكيل.

حجاب بن يحيى الحازمي
ضمد - ١٤٣٢هـ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، نبينا محمد بن عبد الله القائل:(أدبني ربي فأحسن تأديبي) والمكرِّم للشعر والشعراء: (قل يا حسان ورح القدس يؤيّدك)، والمكافئ عليه ببردتــه الطــاهرة حين أنشده كعب بن زهير(بائيته المشهورة) صلى الله عليه وعلى آله وصــحابته والتابعين من أئمة الهدى وأساطين البيان.

أما بعد: فهذه ورقات حاولت فيها أن أتتبع مسيرة الشعر والشعراء في المخــلاف السليماني (جازان) خلال ثمانية قرون،وأردت منها أن تكون إجابة على الــسؤال المتكرر طرحه في أغلب المناسبات الثقافية: (ألا يوجد مرجع يتحدث عن تاريخ الشعر والشعراء في جازان؟؟) هذا السؤال الذي ظل يواجهني في مناسبات كثيرة باعتباري أحد المحسوبين على الشأن الثقافي، وظللت أجيب ســائلي بالإيجــاب: (بلى)، محيلا إلى بعض مؤلفات الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي الذي أصدر عــددا من الكتب تحدث فيها عن الأدب والأدباء في منطقة جازان وتناول فيهــا كــذلك الشعر والشعراء، كما أحلت إلى بعض مؤلفات الدكتور عبد الله أبو داهش، الــذي أصدر كذلك عددا من الكتب، تحدث فيها عن الأدب والأدباء في المنطقة، ولم يغفل شعراء المنطقة في تلك الكتب، وربما أحلت إلى بعض كتبي القليلة في هذا الشأن إلا أنني كنت أواجه ردودا من بعض المثقفين: بأن تلك الكتب - مع تقديرنا الجم لمؤلفيها وما بذلوه فيها من جهود علمية مضنية- لم تحصر همها فــي الــشعر وحده، ولم تفرد الشعر والشعراء بجهود استثنائية خاصة، وإنما ظل الشعر فــي تلك الكتب واحداً من الفنون الأدبية الأخرى التي تناولتها تلك المؤلفات يضاف إلى ذلك ظهور بعض المصادر التراثية التي تحدثت عن بعض شعراء المنطقــة فــي حقب تاريخية ماضية، ربما يجد المهتمون بشأن الشعر فيها أسماء لم تحوها تلك المؤلفات التي سبقت ظهور هذه المصادر، مما يجعل سؤال الشعر مشروعا ينتظر إجابة من الباحثين يضيفون من خلالها جهودا مثمرة تضاف إلى جهود السابقين،

وهكذا كانت ردود بعض المهتمين على إحالاتي السابقة حافزا يضاف إلى حوافز أخرى شجعتني على خوض هذه التجربة التي أرجو لها أن تسدّ بعض الثغرات، وأن تكون في بعض جوانبها إجابة ولو جزئية على السؤال المطروح، وكنت قد حرصت على أن أصدّر عنوان ورقاتي هذه: بـ(اللمحات) حتى يصدق عليها وعلى محتوياتها مدلول الاسم وما يعتريه من نقص وقصور كأي عمل إنساني يسعى صاحبه جاهدا نحو الكمال المأمول.فتنأى به بشريته عن إدراكه، كنت قد رغبت في إطلاق هذه التسمية على هذه الأوراق لولا أن بعض من تابع خطواتي فيها قد أكد على بقاء عنوانها الحالي الذي رآه يدل على الرصد والمتابعة لمسيرة الشعر في جازان خلال تلك العصور حتى وإن لم يصل إلى مرتبة الاستقصاء.

ولعلي في الإشارات التي تلي هذه المقدمة أوضح خطة عملي في هذه الورقات والمنهج الذي اخترته لتنفيذها، مستمدا من الله التوفيق والسداد.

ولئن كان المتوفر من المصادر لا يحقق كل الطموحات فلقد حرصت أن أسعى جاهدا في البحث والتنقيب عن أي مصدر يمكن من خلاله العثور على عَلَمٍ أو أكثر من أعلام شعراء المنطقة وعلى نماذج من شعرهم حتى وإن كانت قليلة، أو دون المستوى الشعري بمعايير عصرنا، محاولاً استعراض جل من عثرت على شيء من شعره في تلك المصادر خلال الحقب التاريخية، جاعلا القرن الخامس الهجري بداية انطلاق هذه الأوراق، وأحمد الله الذي يسر لي من خلال هذا البحث الاهتداء إلى أعلام من شعراء المنطقة لم يسبق أن نالتهم عناية أحد من الباحثين بدراسة أو عرضوا لشيء من شعرهم، وهؤلاء الأعلام نعتبرهم فاكهة هذا الجهد المتواضع الذي يسعده أن يضع بين يدي القارئ نماذج جديدة من شعرهم قد يصافحه لأول مرة، آملاً أن أجد فسحة من العمر، يهيئ الله لي خلالها الحصول على مصادر أخرى تمدني بأعلام آخرين ينتمون إلى القرون التي سبقت القرن الخامس من شعراء هذه المنطقة الولاّدة التي ظلت منبعا للإبداع والمبدعين على مر التأريخ.

..وبعد: فهذه صفحات عن (الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال ثمانية قرون) أرجو الله أن ينفع بها، وأن يجعل عملي فيها خالصاً لوجهه الكريم، وأن يهيئ لها القارئ الحصيف الذي يسد كل خلل فيها ويكمل النقص الذي يعتورها، فالكمال لله وحده، وكل عمل بشري مظنة الخلل والنقص، آملاً لها أن تسد ثغرة ثقافية أو تضيف لبنة في صرحنا الثقافي العملاق، وأن تحقق أهم الأهداف المرجوة منها بإذن الله تعالى، فهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبت بمدينة ضمد

بتاريخ ٢/٣/١٤٢٩هـ

الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون

إشارات لا بد منها :

حظي الشعر في المخلاف السليماني [1] (جازان) بشيء من الاهتمام في عصرنا

---

(1) المخلاف السليماني: مصطلح المخلاف كان يطلق في جنوب الجزيرة العربية على ما نسميه اليوم (مقاطعة، أو منطقة)، وفي جهة العراق وما حولها يسمونه (كورة)، أما إضافة هذا المخلاف أو نسبته إلى: (السليماني) فذلك لأن مؤسسه ومُوَحِّد مخلافيه: (حَكَمْ، وعَثَّرْ) هو: سليمان بن طَرَف الحكمي، فنسب إليه، ويرى بعض المؤرخين أن المخلاف السليماني إنما نسب إلى الأشراف السليمانيين الذين حكموا هذا المخلاف منذ أواخر القرن الرابع الهجري. ولأن مصطلح (المخلاف السليماني) سيتكرر في هذه الأوراق فلا بد من تعريفه وبيان حدوده التأريخية بإيجاز، فهو: مسمى تاريخي للإقليم الذي يعرف اليوم باسم منطقة جازان، وهو الإقليم الممتد جنوباً إلى ما بعد بلدة (الشَّرْجَة) المندثرة الباقية بعض آثارها في الجنوب الغربي من بلدة (المُوَسَّم) المحادة حالياً لليمن، ويمتد شمالاً إلى (حَلْي ابن يعقوب)، وغرباً إلى البحر الأحمر، وشرقاً إلى جبال عسير وجبال ظهران الجنوب وجبال اليمن، فهو إقليم واسع يشمل السهول الخضراء التي تخترقها وديان كثيرة وكبيرة ويشمل الشواطئ الطويلة والجزر الكثيرة والجبال العالية والمتوسطة وبه مدن كثيرة وقرى وهِجَرْ يسكنها عدد من القبائل ومن أهم مدنه قديماً وحديثاً: (صامطة) و(أبو عريش) و (ضَمَدْ) و (صَبْيَاء) و (بَيْش) و (درب بني شُعْبَة) و (والشُّقَيق) و (القحمة) و (ذهبان) إلى جانب عدد من المدن والقرى الأخرى الواقعة في الجبال، ومن أهم وديان هذا المخلاف: (وادي تَعْشَر) و (وادي خُلَبْ) و (وادي جازان) و (وادي ضَمَدْ) و (وادي صَبْيَاء) و (وادي بَيْش) و (وادي عِتْوَدْ) و (وادي رِيَم) و (وادي عَرْمَرَم) و (وادي لجب) ، ومن أشهر جزره: (جزر فَرَسَان) وهي كثيرة والمأهول منها أكثر من عشر جزر وفي مقدمتها: جزيرة (فَرَسَان) و (جزيرة قُمَاح) و (جزيرة صَيِّرْ) و (جزيرة زَفَافْ) ... الخ، ومن أشهر جبالها: (جبال العَبَادِلْ) و (جبال قَيس) و (جبال فَيْفَاء) و (جبال بني مالك) و (جبال بَلْغَازِي) و (جبال الحَشْر) و (جبال الرَّيُوعة) و (جبال هَرُوب) و (جبال مُنَجِد، والجبل الأخضر) و (جبال الرَّيْث) ... الخ.

وتجمع المصادر التأريخية الإقليمية والمحلية على أقدمية المخلاف السليماني (إنساناً، وعمراناً، ومدنية، وحضارة) وتكاد تجمع على سبب تسميته بهذا الاسم وأنه نسب إلى موحد مخلافيه كما أشرنا، وتجمع كذلك على حدوده التأريخية التي سبقت الإشارة إليها، انظر على سبيل المثال: صفة جزيرة العرب للحسن ابن أحمد الهمداني (٢٨٠-٣٣٤هـ) ص٥٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٢٥٩، وانظر: كتاب البلدان لأحمد اليعقوبي (... – ٢٨٤هـ) ص٢٤ وما بعدها وانظر: كتاب: صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل الذي بدأ تأليف كتابه في عام ٣٣١هـ ص١٠، ٣١-٣٣، وانظر: كتاب المفيد في أخبار زبيد لعمارة الحكمي (٥١٥-٥٦٩هـ) ص٦٣ وما بعدها، وكتابه النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ص٣٣ وما بعدها، وانظر: كتاب: (غربال الزمان في وفايات الأعيان) ليحيى بن أبي بكر العامري (٨١٦-٨٩٣هـ) وفي كتاب: العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي (... – ٨١٢هـ)، وفي كتاب: (الضوء اللامع في أهل القرن التاسع) لمحمد عبد الرحمن السخاوي–

الحالي، وتناولته أقلام بعض الباحثين في دراسات لم تخصص لفن أدبي بعينه، وإن منحت الشعر بعض اهتمام يستحقه، غير أن الشعر في منطقة جازان مورد عذب المناهل، بإرثه الجميل، ومجده الأثيل، وتأريخه الحافل بروائع الشدو الأصيل.. فهو بذلك يمثل أهرامات من التراكمات والإبداعات الفنية الكثيرة التي تشتهر بها جازان الإبداع مما يُصعّب مهمات الباحثين والدارسين ويثقل كواهلهم، وربما كان ذلك من أسباب إحجام كثير منهم عن إفراد الشعر بدراسات خاصة تتناول مراحله المختلفة وجوانبه المتنوعة وتعرف ببعض أعلامه ؛ لذلك ولغيره من الأسباب فإن الباحث _أيّ باحث_ تتلبسه هيبة كبيرة حين يفكر في مقاربة جانب من جوانب الإبداع الشعري فيها، أو هرم من أهراماتها، لكنني أمام إغراءات العنوان وجاذبية جمالياته قررت أن أخوض التجربة معتمدا على الله، مختارا للمنهج التاريخي، مع شيء من الانتقاء الذي لا يحرم ذوي الحقوق حقوقهم، وبعد بذل كل ما أستطيع من جهد في التحري والاستقصاء الذي يوفر للمبرزين منهم بعض ثمار فكرهم، مفيدا من بعض المحاولات السابقة لبعض الباحثين، والتي تناولت بعض الجوانب الأدبية في منطقة جازان دون أن تغفل الشعر كليا في تلك المحاولات، منقبا في المصادر والمظان التي أفاد منها أصحاب تلك المحاولات، وفي غيرها من المصادر التي حفظت لنا بعض كنوزنا الشعرية سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة، باذلا جهدي في التوثيق ما استطعت إلى ذلك.

-(٨٣١-٩٠٢هـ) وفي كتاب: (الفضل المزيد في أخبار زبيد) لعبد الرحمن الديبع (... - ٩٤٤هـ) وكتابه: (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون)، وانظر: في كتابي: (النور السافر بأخبار القرن العاشر، و السناء الباهر) لمحمد بن أبي بكر الشلي، (١٠٣٠-١٠٩٣هـ)، وفي كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢هـ)، وفي بعض مخطوطات تواريخ المنطقة مثل: العقيق اليماني في ذكر وفيات المخلاف السليماني (مخطوط) لعبد الله النعمان الضمدي (.... - ١٠٧٨هـ)، ومخطوطة الجواهر اللطاف لمحمد حيدر القبي (....-١٣٥١هـ)، وفي كتاب عقود الدرر وكتاب الديباج الخسرواني في تاريخ المخلاف السليماني للحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ)، وفي أغلب كتب الموسوعات والمعاجم وكتب التراجم العربية والإقليمية والمحلية ومنها: معجم البلدان ، معجم المؤلفين ، خلاصة الأثر ، البدر الطالع ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وفي نشر الثناء الحسن، وفي اللطائف السنية وغيرها.

سبيلا، آملا أن أقدم في هذا العمل شيئا يضيء بعض جوانب المشهد الشعري في هذه المنطقة الشاعرة.

وقبل البدء في كتابة هذه الأوراق التي يراد منها أن تُلِمّ بموضوع كبير المحتوى واسع الصوى كُتبت في بعض جوانبه محاولات متعددة ، وأُلفت بعض الكتب التي تناولت الشعر مع فنون أدبية أخرى ومع ذلك فلا تزال أبوابه مشرعة لكل ذي جهد مخلص، وما يزال محيطه واسعاً يحتاج إلى مزيد من الإضاءات .

قبل البدء في كتابة هذه الورقات التي سأخصصها عن الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون لا بد من تسجيل بعض الإشارات التي ربما منحت هذه السطور شيئاً من مبررات قصورها عن إشباع نهم القارئ المتعطش للمعرفة، وعجزها عن تقديم كل ما يتطلع إليه، وربما أوضحت شيئا من خطط سير هذا العمل ومن أهم هذه الإشارات ما يلي:

أولاً: أود الإشارة إلى أنني في عملي هذا قد اخترت المنهج التاريخي من أجل أن أتتبع من خلاله مسيرة الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون مع أنني لم أقتف طرق الباحثين المتبعة حسبما يقتضيه المنهج التاريخي بحذافيره وحسبما درج عليه أغلب الباحثين؛ فلم أقسم هذا العمل إلى أبواب وفصول تنتهي بخاتمة استعراضية كالمتبع، وإنما دخلت في موضوعي بعد هذه الإشارات مباشرة، بادئا بشعراء القرن الخامس، حيث جعلت له عنوانا في صفحة مستقلة، وخصصت الصفحة التي تلي العنوان للتوطئة التي تهيئ القارئ لمعرفة بعض الظروف المحيطة بأعلام هذا القرن، ثم أفردت بعدها صفحات لكل علم من شعراء هذا القرن، حيث حاولت أن أستقصي فيها جل من أمدتني بهم المصادر المتوفرة من شعراء هذا القرن، تاركا الحكم النقدي العام على شعرهم ومستوياته الفنية للقارئ المتذوق الذي لا يحتاج إلى تذكير بأن لكل عصر أدبي معاييره الفنية، وضوابطه النقدية، وظروفه المحيطة به، وأن العصور التي تناولتها هذه الأوراق وتحدثت عن شعرائها وما وجد من شعرهم عصور موغلة في التقليدية، وجل

شعرائها من العلماء الذين لا يمنحون الشعر غاية اهتماماتهم، ولا يسعى كثير منهم إلى تجويده وتجديده.

كما حاولت أن أدون في تلك الصفحات التي خصصتها لشعراء هذا القرن جل ما سجلته المصادر عنهم، ذاكراً نماذج من شعرهم تمثل أكثر ما أوردته تلك المصادر من شعر كل علم من أعلام شعراء هذا القرن مرتباً للشعراء في كل قرن ترتيباً هجائياً، واضعاً لهم أرقاما تسلسلية، وفعلت مثل هذا الصنيع في بقية القرون السبعة التي تلت القرن الخامس، محاولا توثيق مصادري قدر المستطاع، معرفا في الهوامش أحيانا ببعض الأعلام الذين تقتضي الضرورة التعريف بهم، مراعيا للاختصار ما أمكن .

ثانيا: لا بد من التذكير و التأكيد على أن هذه الصفحات تمثل رصداً تاريخياً توثيقياً موجزاً لبعض مسارات الشعر في جازان خلال فترة تاريخية طويلة تمتد إلى ثمانية قرون، بدأتها من القرن الخامس الهجري وختمتها عند نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وهي فترة زمنية طويلة قامت فيها دول وحضارات وتوالت أحداث جسام تأثر بها الشعر صعوداً وهبوطاً واضطراباً واستقراراً، وتعاقبت أجيال الشعراء على الإرث الشعري فكان حال تلك الأجيال كحال مجتمعها وتقلبات عصوره لذلك تفاوتت حالات الشعراء بين هذه العصور حضوراً وغياباً وتفاوتت مستويات شعرهم تبعا لتلك الظروف والأحوال صعوداً وهبوطا، مما تطلّب مني جهداً مضاعفاً في البحث والتنقيب والفرز الذي لا يرقى إلى مرتبة الدراسات النقدية المتأنية أو التحليلات الأدبية الدقيقة التي قد ينتظرها بعض الدارسين من مثل هذه الأوراق التي حصرت همها في الرصد والتوثيق اللذين لا يرقيان إلى درجة الاستقصاء.

ثالثاً: ربما كان من المناسب أن أتناول بين يدي هذا العمل شيئاً عن الحياة العلمية والثقافية في المخلاف السليماني (جازان) خلال تلك العصور وهو جانب خصب ومهم وجدير بالدراسات، خاصة وأن أغلب الشعراء الذين ترجمت لهم من

العلماء الموسوعيين؛ لذلك تراني أقول أمام أسماء كثير منهم: (العلامة الشاعر) ولكنني خشيت إن أنا تحدثت عن (الحياة الثقافية) في تلك العصور أن يأخذني البحث إلى مسارات علمية متشعبة تشتت مسار موضوعي فتتوسع جوانبه وتتعدد موضوعاته ويثقل الأمر على القارئ في عصر يفضل قراؤه الإيجاز والاختصار، وربما كان من المناسب كذلك أن أتحدث ولو بإيجاز عن الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية اللتين لونتا تلك العصور بألوانها وكان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر في حياة الناس بعامة وفي حياة وشعر شعراء تلك العصور كان هذا من المناسب لولا حرصي على عدم تشتيت ذهن القارئ بموضوعات تأخذه بعيدا عن الشعر والشعراء في تلك العصور كل ذلك يأتي انطلاقا من رغبتي الأكيدة في الاختصار لبعض المسارات والموضوعات التي قد تساعد في فهم الظروف المحيطة إلا أنها ربما أربكت ذهن القارئ خاصة وأنني أستعرض شعر أكثر من ثمانية قرون لكل قرن منها حياته الاجتماعية وظروفه السياسية المضطربة مما قد يضاعف مسؤوليات القارئ حيال متابعة تلك المسارات والأحداث والتقلبات.

ومع ذلك فإنني أعتذر إلى القارئ الكريم من كثرة نقولاتي أثناء تراجم بعض هؤلاء الأعلام وما ذلك إلا حرصاً مني على تعويض القارئ المتعطش للمعرفة عن نقص المعلومات التي تعطي الصورة الجيدة عن أولئك الأعلام وظرفهم المكاني والزماني فتراني أوالي تلك النقولات المعزُوَة إلى مصادرها لعلي أظفر بتحقيق جزءٍ من هذه الغاية أو تلك.

رابعاً: أسجل اعتذاري لقارئ هذه التراجم إن هي لم تستطع إشباع نهمه المعرفي وتقديم كل ما يتطلع إليه وذلك لأسباب كثيرة من أهمها:

١- شح المصادر التي تتناول الفترات السابقة للقرن العاشر الهجري وصعوبة الحصول على بعض الموجود منها مما صعّب مهمتي وقلّل فرص حصولي على رصد عدد وفيرٍ من شعر وشعراء تلك العصور حتى اضطررت لحشر بعض الأسماء التي أمدتني بها بعض كتب التراجم من

غير المشهورين بل ربما من أصحاب التجارب الإبداعية المحدودة حرصاً على إشباع نهم القارئ، ومحاولة لملء فراغ الفترة الزمنية التي يمثلونها.

٢- أن بعض شعراء تلك العصور قد فُقد كل شعرهم أو جله وبعض من وُجد شيء من شعرهم قد لا تتحقق في كثير منه بعض الشروط الفنية للشعر، ليس فقط لأن كثيرا منهم من العلماء الشعراء الذين لا يمثل الشعر لديهم مركز الاهتمام، ولكن لأسباب أخرى قد يكون من بينها ضياع بعض نصوصهم الشعرية أو تصحيفها؛ لذلك فإنني ألتمس من القارئ الكريم أن يغض الطرف عن أهم متطلبات مصطلح الشعرية بمعناه المعاصر لأنه سيجد في اختياراتنا كثيرا من النصوص التي لا يتحقق فيها ذلك إلا بمقياس عصرها، بل ربما كان بعضها مغلولاً بسلاسل التقليدية واقعاً في ضعف التراكيب ومحدودية الصور ومع ذلك فقد رصدنا شيئاً من هذا وذاك محاولين التمحيص في الاختيارات - قدر الإمكان - فكان الانتقاء والاختصار أمراً لا مناص منه.

خامساً: لابد من الإشارة إلى أنني قد حاولت أثناء مرحلة الانتقاء من شعر شعراء القرون الضاربة في القدم، أن أتوسع في نقل أغلب ما أجده من شعرهم مهما كان مستواه الفني، وحاولت أن أتوسع كذلك في نقل تراجم الشعراء الذين تمدني بهم المصادر في تلك العصور المتقدمة حتى وإن كان في بعضها تكراراً؛ وذلك لأكوّن صورة ولو مصغرة لعصورهم الأدبية التي عاشوا فيها، وفي المقابل فإنني حين تتضاعف أعداد أسماء الشعراء في القرون التي تضافرت فيها جهود المؤرخين وكتّاب التراجم على رصد شعر وشعراء تلك الفترات سعيت إلى الاختيار والاختصار أثناء الحديث عن أعلام شعراء كل قرن من هذه القرون ممن أجدهم أغزر إنتاجاً وأنضج تجربةً وأجمل لغةً، متساهلاً في الشروط الفنية بعض الشيء؛ ذلك لأن أكثر شعراء تلك العصور هم علماء أولاً، وشعر العلماء قد لا

تتحقق فيه سائر الشروط الفنية، يعلل ذلك صاحب كتاب: (سلك الدرر نقلاً عن المحبي) فيقول: (ذلك لأنهم يشغلون أفكارهم بما يعني معنى، وشتان بين من تعاطاه في الشهر مرة، وبين من أنفق في تعاطيه عمره،[1]) وإن كان العلامة (مصطفى الحموي) يرى (بأن من شعر العلماء ما يستحق أن يُتَلقى بالقبول) [2].

وسيكون الشعراء الذين ستقع عليهم هذه الاختيارات مرتبين حسب حروف الهجاء بغض النظر عن سني الولادة أو الوفاة لأيٍ منهم ، وبغض النظر كذلك عن شهرة أيٍ منهم أو غزارة الموجود مما اخترناه من نتاجه الشعري أو الأدبي ولا يفوتني أن أنوه إلى أن القرن الثاني عشر الهجري قد شهد حركة علمية وأدبية كبيرة إلا أن الشعراء الذين تم رصدهم ورصد شعرهم فيه قلة قليلة لا تتجاوز أعدادهم أصابع اليد الواحدة مما يجعل السؤال يتجدد عن شعر وشعراء هذا القرن :أين هم؟ وما الذي غيبهم وغيب إبداعاتهم؟؟.

سادساً: هذه الإشارات تأتي للتأكيد على أن هذه الصفحات تمثل تلخيصاً واختزالاً مخلاً وربما إضافة بسيطة متواضعة لجهود عدد من الباحثين والدارسين الذين حاولوا في بحوث ودراسات متفرقة رصد شيء عن مسيرة الأدب في المنطقة بعامة والشعر على وجه الخصوص وإن لم يفرد الشعر فيها بدراسات خاصة ترصده رصداً دقيقاً وتتعمق في سبر أغواره، ومع ذلك فجهودهم تذكر فتشكر.

---

[1] سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل المرادي (١١٧٣-١٢٠٦ هـ) ج١ ص٢٦١، تحقيق أكرم حسن الحلبي، طبع دار صادر ببيروت ١٤٢٢هـ.

[2] فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر (مخطوط) للعلامة مصطفى بن فتح الله الحموي ثم المكي، ج٣ الورقة٨٢، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة لدى الباحث الدكتور عايض الردادي مأخوذة عن النسخة الأصلية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩٣، وتاريخ نسخها في عام ١١٢٩هـ

وأولهم: الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي: الذي أصدر عدداً من الكتب والدراسات والأبحاث؛ رصد من خلالها مسيرة الأدب في المنطقة قديمه وحديثه دون أن يُغفِل ذكر الشعر والشعراء فيها ومن تلك المؤلفات:

١- موسوعته الشهيرة: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان) الذي صدر في ثلاثة مجلدات.

٢- كتابه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) .

٣- كتابه: (دراسات في الأدب) .

٤- تحقيقه لبعض شعر عدد من شعراء المنطقة وإخراج شيء من شعرهم كابن هتيمل والجراح بن شاجر الذروي وأمثالهما .

٥- دراساته وكتبه الأخرى التي تناول العقيلي من خلالها أدب المنطقة وشعرها مثل كتابه: (من أدب جنوب الجزيرة) وغيره.

ثانيهم: الدكتور: عبد الله بن محمد أبو داهش: الذي أصدر عدداً من الكتب والدراسات عن الأدب وفنونه في منطقة الجنوب بعامة، وكان نصيب الشعر والشعراء في منطقة جازان كبيراً ومنها:

١- كتابه: (الحياة الأدبية والفكرية في جنوبي البلاد السعودية)

٢- كتابه: (أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي المملكة)

٣- كتابه: (نشأة الأدب السعودي في جنوبي البلاد السعودية)

٤- كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما في القرون الإسلامية الوسيطة)

٥- أبحاثه ودراساته وتحقيقاته التي يحفل بها كتابه السنوي: (حوليات سوق حباشة) الذي صدر منه حتى الآن حوالي عشرة أعداد.

وثالثهم: كاتب هذه السطور: وله بعض الجهود المتواضعة المتمثلة في:

١- كتابه: (لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي)

٢- كتابه: (الحركة الأدبية والثقافية في منطقة جازان خلال عهد الملك فهد)

٣- كتابه: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره)

٤- بعض الدراسات التي نشرها في عدد من الدوريات كالفيصل والمنهل ومجلة المعرفة، والمجلة العربية وغيرها .. إلى جانب عدد من الأبحاث التي حاضر بها في بعض النوادي الأدبية والرياضية وكذلك بعض الدراسات التي يحتفظ بها.

إلى غير ذلك من البحوث والدراسات المتفرقة لعدد من الباحثين في شعر وشعراء المملكة العربية السعودية وشعر وشعراء هذه المنطقة الشاعرة ومع كل هذه الجهود لهؤلاء الباحثين وغيرهم لا بد من الاعتراف بأن الأدب في منطقة جازان عامة والشعر - خاصة - لا يزال في مسيس الحاجة للدراسات التي تُجلِّي قديمه وحديثه وتؤكد تفوق وازدهار مدارسه على مرّ التأريخ على أنني لا أدعي لهذه الورقات بأنها ستقوم بهذا الدور وإن كنت أزعم أن القارئ سيجد فيها شيئاً من الإضافات إلى جهود أولئك الباحثين والدارسين لعلها تقدم المزيد من الإضاءات؛ فلقد وقر في وعينا الأدبي ووعي الكثيرين - نتيجة لما لقنتنا به كتب تأريخ الأدب العربي التي ظلمت أدباء وشعراء جنوب الجزيرة العربية عامة وأدباء وشعراء منطقة جازان على وجه الخصوص - وقر في وعينا الأدبي بأن عصور انحطاط الأدب تبدأ منذ أن طغت الصناعة اللفظية بتأثير مدرسة البديع التي أصلّها :(القاضي الفاضل) [1] في القرن السادس الهجري فاعتنى الشعراء

---

[1] القاضي الفاضل: (٥٢٩-٥٩٦هـ) هو: عبد الرحيم بن علي السعيد اللخمي الشهير بالقاضي الفاضل ولد في عسقلان بفلسطين كان وزيراً في دولة صلاح الدين الأيوبي ورافقه في رحلاته إلى مصر وسورية، وقد تولى لديه إدارة الدواوين والقاضي الفاضل يعد من أئمة الكتّاب كان سريع الخاطر في الإنشاء ، كثير الرسائل ، حتى قيل: لو جمعت رسائله لما قصرت عن مائة مجلد، ومن رسائله: (تَرَسُّلْ القاضي الفاضل) وغيرها، وله ديوان شعر.-

والكتاب ببهارج الزينة اللفظية وأهملوا الجوانب الفنية الأخرى التي تكسب الأدب خلوده وتفوقه مما أدى إلى ضعف الأدب وركوده ....

- ورسَّخت كتب تأريخ الأدب في وعينا بأن هذا التراجع وذلك الانحطاط قد استمر رانناً على أدب العرب - عامة - دون أن يستثني أحداً ولا إقليماً إلى أن ظهـرت بواكير النهضة الأدبية التي أيقظت غافي الفكر على أيـدي رواد الأدب الحـديث أمثال: البارودي، وشوقي، وحافظ إبراهيم، والرصافي، وخليل مطران، وأمثـال: المنفلوطي، والرافعي، والطهطاوي، وطه حسين، والمازني، والعقاد، ومدارسـهم الأدبية والفنية، وفاتهم أن هناك استثناءات لبعض الأقاليم العربية التي ظل الفكـر فيها متوهجاً والأدب في ربوعها حياً لا يعرف الركود في كثير من جوانبه؛ ومن تلك الأقاليم الإقليم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة العرب الذي كـان يعرف قديماً بـاسم :(المخلاف السليماني) [*] والمعروف حالياً باسم (منطقـة جازان) إحدى مناطق المملكة العربيـة السـعودية الممتـدة - حـسب حـدودها التاريخية - من شمال مدينتي حرض وميدي اليمنيتين إلى حلـي ابـن يعقـوب شمالاً ومن البحر الأحمر غرباً حتى جبال اليمن وجبال ظهران الجنـوب وبعـض جبال عسير شرقاً. فلقد ظلت حركة الأدب في هذا الإقليم المتنوع التضاريس قوية وتألقت فيه لآلئ الفكر فأضاءت ثنيّات التأريخ إبان الفترة أو الفترات التي تواضع مؤرخو الأدب على تسميتها بعصور الانحطاط، فأشرقت في هذه المنطقة شموس الثقافة وأنوار الفكر التي أضاءت بعض منعطفات التأريخ الأدبي العربـي أثنـاء إغفاءته التي ظل يعاني منها في أقاليم عربية أخرى [١].

-انظر ترجمته في: الأعلام ج٤ ص٣٤٦، وفي خريدة القصر ج١ ص٣٥، وفي النجـوم الزاهـرة ج٦ ص١٥٦، وفي تاريخ اليمن (طبق الحلوى) لعبد الله بن علي بن الوزير ص٢٥٨ وغيرها.

[*] سبق التعريف بمدلول مصطلح المخلاف السليماني وحدوده التاريخية وأهم مدنه في ص ١١ من هذه الإشارات.

[١] بتصرف عن مقدمة كتابنا: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي - حياته من شعره) من منشورات نادي مكـة الثقافي ١٤١٤هـ

وفي الصفحات التالية سأشير بعض إشارات أحاول خلالها أن أتتبّع مسيرة الشعر في جازان الشاعرة خلال ثمانية قرون مبتدئاً من القرن الخامس الهجري الذي شهدت فيه المنطقة أحداثا جساما وتقلبات خطيرة لا تقل عما شهدته في بقية القرون على قلة في الراصدين لتلك الأحداث وما صاحبها من تأثيرات فكرية وأدبية واجتماعية، معترفاً بعجز هذه السطور عن الوفاء بحق هذا الموضوع الذي ربما عجزت عن الوفاء بحقه الكتب ذات المجلدات، والدراسات الكثيرة؛ وذلك بسبب شح المصادر أولاً، ولأن ميدانه واسع، وبحره لا ساحل له والركض فيه متعة يعيشها عشاقه لكنهم لا يحيطون بمساحاته، إنه الشعر الذي عُرفت به (جازان)، وعُرف بها. جازان التي يتوهم بعض أبنائها بأنها توأم الشعر فترى نفراً من المهتمين بجوانب الإبداع يطلقون عليها: (جازان الشعر) وما ذلك إلا لأن الشعر في جازان إرث باذخ تناقلته الأجيال على مرّ التاريخ الأدبي . على أن هناك أسراً علمية وأدبية كان لها القدح المعلى في عالم الفكر والشعر في بعض تلك العصور أمثال أسرة آل النعمي [١]، وأسرة آل النعمان [٢]، وأسرة آل

---

[١] أسرة آل النعمي: من الأسر الهاشمية العلمية العريقة بل من مشهوري عشائر المخلاف السليماني الهاشميين ومن البيوتات العلمية المعروفة فهي أسرة العلم والعلماء وأسرة الأدب والأدباء والشعر والشعراء وأسرة الفضل والسيادة والسؤدد قال عنهم المحبي في خلاصة الأثر: (وهؤلاء السادة آل النعمي سادة أشراف حسنيون وهم بيت علم وفضل وأدب)، وقال عنهم الحبشي في مقدمته لحوليات النعمي ص١٤-١٥: (آل النعمي من أشراف المخلاف السليماني في تهامة وأكثر تجمعهم في الدهناء والعالية والملحاء وصبيا وضمد وغيرها، وينحدرون إلى نعمة الله بن علي بن داود بن سليمان ومنهم علماء فضلاء مشهورون) انظر عن هذه الأسرة في كتابنا نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير ص ٧٢-٧٤، وفي كتاب نفح العود للبهكلي ص٨٢، وفي الأعلام ج٢ ص٢٦٠، وفي الديباج الخسرواني ص٧ تحقيق: البشري، وفي نيل الحسنيين ص١٢٥، ونيل الوطر لمحمد محمد زباره وغيرها.

[٢] أسرة آل النعمان: تعتبر أسرة آل النعمان من الأسر العلمية التي عرفت بحضورها العلمي والأدبي المبكر بالمخلاف السليماني، وقد برز منها علماء أعلام كالعلامة المؤرخ: عبد الله بن علي النعمان الضمدي (....-١٠٧٨هـ) صاحب موسوعة (العقيق اليماني) المخطوط، وشقيقه العلامة (المطهر بن علي) (١٠٠٤-١٠٤٨هـ) صاحب (الفرات النمير) في التفسير وغيره من المؤلفات، وقد أسهم علماء هذه الأسرة في خدمة الفكر وظلت بعض مؤلفاتهم مرجعاً للباحثين وما زالت. انظر عن هذه الأسرة على سبيل المثال: (مطلع البدور لابن أبي الرجال)و (خلاصة الأثر، ونفحة الريحانة للمحبي) و (هجر العلم للأكوع) و (التاريخ الأدبي للعقيلي)-

البهكلي (١)، وأسرة آل ابن عمـر (٢)، وأسـرة آل الأسـدي (٣)، وأسـرة آل

ـر (نبذة تاريخية عن التعليم للباحث) و (أهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش) و (والـروض الأغـن لآل حميد الدين) و (البدر الطالع للشوكاني) وغيرها.

(١) أسرة آل البهكلي: تعتبر أسرة البهاكلة من أشهر الأسر العلمية في المخلا ف السليماني، برز منها علماء كبـار وقضاة مشاهير ومؤرخون ثقات وأدباء وشعراء أعلام وحفظت لنا المكتبة العربية تراثاً حياً من مؤلفاتهم التاريخية والأدبية والعلمية مخطوطاً ومطبوعاً منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري ومـن أشـهر علمـائهم وشـعرائهم: العلامة أحمد بن مهدي البهكلي (.... – ١٠٣٨هـ) والعلامة علـي بـن عبـد الـرحمن البهكلـي (١٠٧٣–١١١٤هـ) والعلامة الحسن بن علي البهكلي (١٠٩٩ – ١١٥٥هـ) والعلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلـي (١١٤٨ – ١٢٢٤هـ) وغيرهم من العلماء والمؤرخين والشعراء الأعلام المبثوثة سيرهم في جل كتب التـراجم أمثال: (معجم المؤلفين لياقوت الحموي) و (مطلع البدور لابن أبي الرجال) و (البـدر الطـالع للـشوكاني) و (الأعلام للزركلي) و (نشر العرف لزباره) و (العقيق اليماني "مخطوط" للنعمان الضمدي) و (أضـواء علـى الأدب والأدباء، وكتاب التاريخ الأدبي للعقيلي) و (نبذة تاريخية عن التعليم للباحث) و (أهل تهامـة المخـلاف السليماني لأبي داهش) و (نشر الثناء الحسن للوشلي) وغيرها من المصادر.

(٢) أسرة آل ابن عمر: أسرة علمية عريقة أنجبت أعداداً وفيرة من العلماء الأعلام يمثلون كما يقول أحد الباحثين: خلية نشطة في العلم والأدب ويكفيها شرفاً أنها أنجبت من وصف بأنه إمام المحققين في عصره: علامتها وعلامـة المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري: محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣–٩٩٠هـ) كمـا أنجبـت علامة القرن الثاني عشر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدي (....–١٢٢١هـ)وأنجبت علامة وشاعر ومؤرخ القرن الثالث عشر الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١– ١٢٩٠هـ) وبين عصري هذين العلمين نبـغ فـي هـذه الأسرة العلمية عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤلفين والشعراء. انظر شيئاً عن هذه الأسرة العلمية في: (مطلع البدور لابن أبي الرجال) و (البدر الطالع للشوكاني) و(معجم المؤلفين للحمـوي) و (الأعـلام للزركلـي) و (مصادر الفكر للحبشي) و (والعقيق اليماني للنعمان) و (حدائق الزهر، وعقود الدرر لعاكش) و(تحفة القارئ والسامع للعمودي) و (ونيل الوطر، وشذى العرف لزبارة) و (كواكب يمنيـة لعبـد الله بعكـر) و (اللطـائف السنية للكبسي) و (ومن رجال العلم في ضمد لعلي أبو زيد الحازمي) و (التاريخ الأدبي، وأضواء علـى الأدب للعقيلي) و (أهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش) و (نبذة تاريخية عن التعليم للباحث) وغيرها.

(٣) أسرة آل الأسدي: من أشهر الأسر العلمية بالمخلاف السليماني، وينتمون إلى أسد بـن عـامر أحـد الفقهـاء العامريين، وهم بيتُ علمٍ وخيرٍ وصلاح، ومساكنهم في أبي عريش ونواحيها، ونقل مصطفى الحموي فـي كتابـه المخطوط: (فوائد الارتحال ونتائج السفر – ج١ الورقة ١٠٧) بأن آل الأسدي ينتهسون إلـى آل خالـد وسـكناهم بنواحي جازان بقرية يقال لها المنارة غربي قرية الريّان من نواحي جازان. أسهم علماء هـذه الأسـرة وقـضاتها وأدباؤها وشعراؤها في إثراء الحياة العلمية في المنطقة، وبرز منهم عدد لا بأس به في هذه المجـالات وغيرهـا ومنهم: العلامة الشيخ: أبو محمد عبد الله بن علي الأسدي المعروف بـ(البلاع) (...–٦٠٠هـ)، والعلامة: أحمـد بن المقبول الأسدي (...–٩٦٢هـ)، والعلامة الشاعر: محمد بن أحمد الأسدي (....–١٠٦٠هـ)، وغيرهم من علماء هذه الأسرة الأعلام. انظر شيئاً عنهم في: (خلاصة الأثر للمحبي) و (العقيق اليماني "مخطوط" للنعمـان)–

الحكمي [1].... إلى جانب أسر أخرى في المنطقة لم نشر إليها هنا مع أنه قد برز في بعضها شاعر وأكثر وربما كان بعض شعراء تلك الأسر ممن هم أبعد صيتاً وأغزر إنتاجاً كابن هتيمل الضمدي (...-٦٩٦هـ) الذي ينتمي إلى خزاعة المنقرضة من المنطقة وكالقاسم بن علي الذروي (...-٦٧٠هـ) أمير المخلاف السليماني في القرن السابع الهجري، وقريبه الشاعر الجراح بن شاجر الذروي (...-٩٢٥هـ) المنتمين إلى أسرة (الذروات) الشهيرة.

ولئن أجفل ذلك التأريخ الأدبي عن ذكر مسيرة منطقة (المخلاف السليماني – جازان –) الأدبية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، أو حُجِبت عنا المصادر التي تضيء لنا تلك الفترات المنسيّة من تأريخ المنطقة بعامة والشعر والأدب فيها على وجه الخصوص، فلعل في ما أسعفتني به بعض المصادر من إضاءات لجوانب من فترات لاحقة لعل فيها تعويضاً ولو يسيراً لبعض ما فات، آملاً أن يجد فيها عشاق الشعر ما يروي بعض عطشهم حتى وإن ظلّت كتب تأريخ الأدب ضنينة علينا بذكر شيء ذي بال عن تأريخ المخلاف السليماني الأدبي والفكري خلال بعض تلك العصور التي ما زالت في ذمة التأريخ، فإلى هذه اللمحات التي لا أدعي لها الكمال ولكنني أرجو لها أن تحقق بعض تطلعات المهتمين بهذه الجوانب الفكرية والحيوية في مسيرة أمتنا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

= (تحفة القارئ والسامع للعمودي) و (مطلع البدور لابن أبي الرجال) و (التاريخ الأدبي للعقيلي) و (أهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش) وفي كتابنا (نبذة تاريخية عن التعليم) وغيرها.

[1] أسرة آل الحكمي: تعد أسرة آل الحكمي من الأسر العلمية المشهورة بالمخلاف السليماني فهي أسرة عريقة ذات علم وسيادة أنجبت علماء فطاحل اشتهروا بالعلم والفضل والصلاح وأسهموا في الحياة العلمية والأدبية والثقافية منذ وقت مبكر ويكفي أن نعلم أن أحد زعماء المخلاف السليماني هو سليمان بن طَرف الحكمي (...-٣٩٢هـ) وإلى جانب ابن طرف فقد برز من هذه الأسرة علماء أعلام أمثال: العلامة: عماره الحكمي (٥١٥-٥٥٩هـ) والعلامة: حافظ بن أحمد الحكمي (....-١٣٧٧هـ) وغيرهما تحدث عن هذه الأسرة ومكانتها العلمية وترجم لعدد من أعلامها كثير من كتّاب السير والتراجم والتواريخ أمثال: (معجم المؤلفين للحموي) و (الضوء اللامع للسخاوي) و (الأعلام للزركلي) و (خلاصة الأثر للمحبي) و (نشر العرف، ونيل الوطر لزبارة) و (العقيق اليماني " مخطوط " للنعمان) و (أضواء على الأدب والأدباء للعقيلي) وغيرها وغيرها.

شعراء المخلاف السليماني

في القرن الخامس الهجري:

توطئة:

لئن ضنت علينا كتب تاريخ الأدب فحجبت عنا صفحات مضيئة من صفحات تاريخ الشعر والشعراء لأبناء المخلاف السليماني (جازان) خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى فإنني على يقين من أن شعراء هذه المنطقة الولود الذين برزوا في القرن الخامس الهجري وفي مقدمتهم: الشاعر أحمد بن علي التهامي والشاعر: الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسني، وآخرون، وشعراؤها الذين برزوا في القرن السادس الهجري وفي طليعتهم الشاعر: عماره ابن علي بن زيدان الحكمي، والشاعر: أبو القاسم بن حسين بن شبيب التهامي، وغيرهما، وشعراؤها في القرن السابع الهجري الذين دوّى صيتهم في الآفاق وعلى رأسهم الشاعر الكبير: القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، ورصيفه ومواطنه الشاعر الكبير: منصور بن سحبان .... وآخرون وآخرون من شعرائها الذين تعاقبوا على عرش الشعر وهزوا أركانه خلال العصور الأدبية اللاحقة .. هؤلاء الشعراء الكبار لم يأتوا من فراغ وإنما كانوا يمتحون من إرث ثقافي باذخ عميق الجذور ربما كانت منابعه تمتد إلى حقب سابقة للقرون الهجرية الأربعة المحجوب عنا خبرها ومع ذلك ظل معينه يتفجر في أعماق الشعراء أنهاراً من العطاء حتى إذا ما بزغت شمس القرن الخامس الهجري تواصلت مسيرة العطاء فأمدتنا ذاكرة التأريخ الأدبي بأسماء – قد لا تكون هي كل الأسماء – ولكنها هي الأبرز أو هي التي استطاعت أن تثقب ذاكرة النسيان الدفّانة فتعبر إلى بؤرة الضوء ومن هؤلاء الأعلام:

١- الشاعر: أحمد بن علي التهامي (... - ...):

الشاعر الذي خفي علينا تأريخ ولادته، وخفي علينا كل شيءٍ عن نشأته الأولى، وأظهرته الأحداث فجأةً شاعراً مكتمل البنية الشعرية تستحق شاعريته أن يصفه الديبع: (بالشاعر المفلق) [١]، ويستقبل في بلدته(الساعد) أحد ملوك اليمن في عصره، وينشد أمامه من شعره، وما ذلك إلا لأنه شاعر مُجيد يؤهله شعره الجيد للوقوف ممثلاً للمنطقة أمام ملك كبير هو الملك الصليحي [٢] الذي وصل إلى المنطقة متعقباً لخصومه النجاحيين [٣] بعد أن انهزموا من زبيد كما يقول العقيلي: (ولما وصل الصليحي إلى هجر ضمد وبلغه أن جياشاً قد توجه إلى الهند قفل راجعاً إلى زبيد فلما وصل إلى بلدة الساعد (المندثرة) بلدة الشاعر أحمد بن علي التهامي مدحه الشاعر التهامي)![٤].

أما الدكتور حسن سليمان محمود فقد ذكر في ترجمته لكتاب: (تاريخ اليمن) الذي حققه المستشرق (كاي) المنشور عام ١٨٩٢م والذي جمع فيه

---

(١) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن الديبع ص٢٢٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع من منشورات مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٧هـ.

(٢) هو المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي (٠٠٠ - ٤٨٤) ابن رأس الدولة الصليحية وممدوح النجاحيين، تولى الإمارة بعد مقتل أبيه سنة ٤٢٩ هـ ، وكان ضخما عظيم الخلقة وكان شجاعا مقداما . انظر قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن الديبع ص ٢٢٠ ، الأعلام ج١ ص١٧٢ .

(٣) النجاحيون : نسبة الى جدهم (نجاح) مؤسس الدولة النجاحية في اليمن عام ٤١٢هـ التي قامت على انقاض الدوله الزيادية في اليمن فقد كان (نجاح) هذا عبداً مملوكا لعبد حبشي اسمه مرجان من عبيد أحد الزياديين أيام دولتهم باليمن واستطاع بذكائه وعصاميته أن يستقل الأحداث والفتن التي عصفت بدولة الزياديين لصالحه لأنه كان داهية فاستطاع ان يؤسس لنفسه ولأسرته دولة على أنقاض دولة بني زياد عرفت بدولة النجاحيين وذلك سنة ٤١٢هـ (بتصرف عن كتاب الاعلام ج٨ ص ٩.

(٤) يروي عبد الرحمن الديبع لقصيدة أحمد بن علي التهامي هذه التي مدح بها المكرم الصليحي مناسبة ذات صلة بصراع الصليحي مع النجاحيين وإن اختلفت قليلاً عن رواية العقيلي حيث يقول الديبع: (ولما وصل المكرم الصليحي بوالدته الملكة (أسماء) بعد أن خلصها من أسر النجاحيين هنأه الشعراء بأبدع القصائد وغررها من ذلك للشاعر المفلق أحمد بن علي التهامي جاء في أولها:

نفضت غبار العار عن ثوب يعربِ   وقد سحبت أعطافه كل مسحب

ثم جاء بعد هذا البيت بأربعة أبيات فقط انظر قرة العيون ص٢٢٢.

تاريخ عماره وتاريخ الجندي ومقتطفات من تاريخ ابن خلدون فقد ذكر بأن (المكرم حين ترك زبيد بعد أن ثأر لأبيه وخلص أمه من الأسر توجه إلى الهجر ووصلها في ٢٨ شوال من عام ٤٦١هـ ثم تركها ووصل إلى (الساعد) وفيها وصلته التشريفات المستنصرية من بغداد فقرأها على الناس كما جاءته الشعراء مهنئين بالنصر ومنهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذي قال قصيدة مطلعها):

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب   وقد سحبت أعطافه كل مسحب[١]

ولا شك بأن شاعراً بهذه المثابة لا تكفينا عنه هذه الومضة السريعة الخاطفة، شاعر يمثل بلاده أمام ملك كبير لابد أن يكون له شأن في الشعر كبير فهل تمدنا ذاكرة التاريخ بشيء عن حياة هذا الشاعر وشعره؟ لعل وعسى. أما الأستاذ العقيلي فقد انفرد بهذه الرواية لكنه رحمه الله لم يذكر مصدرها ولم يشفعها بشيء عن الشاعر، أو عن أسرته، أو عن شعره سوى كلام في الهامش عن انتماء الشاعر لآل التهامي واكتفى بالقول: (شارك بقصيدة غراء في مَدْحِ الملك الصليحي حينما مرَّ الصليحي ببلدة الشاعر[٢] (بلدة السَّاعِدْ المندثرة) فقال التهامي يمدح الصليحي:

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب   وقد سحبت أعطافه كل مسحب
بشعواء من صنعاء قرع طبولها   وريعاتها بالعرق دون المحصب
أدرْتَ على درب الحصيب مع الضحى   رحىً ذات قطب حاشديّ ولولب
فأضحوا على الأبواب صرعى كأنهم   قبائل عاد في الصباح العصبصب

إلى أن قال:

فإن ذُكرت بالفخر يوم نسابها   قريش كعمرو أو كعيسى ومصعب
وإخوتنا الأزْد اليمانون إن أتوا   بغُرِّ بني الأيام آل المهلب

---

[١] تاريخ اليمن لعماره الحكمي ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون، ثم أخبار القرامطة للجندي، جمع وتحقيق المستشرق (كاي)، ترجمة د. حسن سليمان محمود ص٣٨٦، مكتبة الإرشاد صنعاء ١٤٢٥هـ.
[٢] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٩ من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤١١هـ.

أتينـــا بـــذي الـــسيفين أحمـــد إنــــه   يفوق على الحيّين: أدٌ، ويعرب [1]

ويلاحظ بأن أبا داهش الذي نقل شيئاً عن هذا الشاعر من كتاب: العقيلي لم يشر إلى تأريخ ولادة الشاعر أو وفاته واكتفى بالقول: (بأن موضوع انتمائه للشاعر علي بن محمد التهامي يحتاج إلى توثيق وتمحيص ودراسة)[2].. كما أن الأستاذ العقيلي نفسه لم يضف جديداً يفيدنا لا في كتابه:(التأريخ الأدبي لمنطقة جازان) ولا في كتابه: (تأريخ المخلاف السليماني) الذي أورد فيه قصيدة التهامي التي شارك بها حين مَرَّ الملك الصليحي ببلدة الشاعر في عام(٤٦١)[3] كما أن هذه المصادر وغيرها ضَنّتْ بذكر أيّ شيء عن شعر هذا الشاعر المجيد وعن مضانّه .. ومع ذلك فلا يستطيع قارئ هذا النص أن يشك في شاعرية صاحب هذا النص برغم قصره ولا يستطيع أن يشك في مخلافية صاحبه أحمد بن علي التهامي وإن راوده الشك في انتسابه إلى الشاعر المشهور: علـي بـن محمد التهامي [4] صاحب الديوان المطبوع المشتمل على قصيدته في رثـاء ابنـه ذات المطلع:

---

(1) تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص١٦٧ ط٣ شركة العقيلي وشركاه ١٤١٠هـ.

(2) أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما في القرون الإسلامية الوسيطة لعبد الله أبو داهش ص٢٤٠- مطبعة العبيكان ١٤٢٠هـ.

(3) المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص١٦٧.

(4) علي بن محمد التهامي: هو الشاعر الكبير أبو الحسن علي بن محمد بن نهد التهامي (٠٠٠ - ٤١٦ هـ) شاعر، فحل، مشهور، من شعراء تهامة تنقل بين البلدان فرحل إلى العراق والشام وولي خطابة غزة في فلسطين ومات مقتولاً في سجنه بمصر، له ديوان شعر مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الربيع وأصدره بعنوان (علي بن محمد التهامي حياته وشعره). يضم قصيدته التي ذكرنا مطلعها والتي ربما كانت من أسباب شهرته؛ لأنها من عيون شعر الرثاء، وأمام تعدد آراء الدارسين في انتمائه إلى إحدى التهائم ترتقي مرتبة الشك عندي في انتسابه لتهامة المخلاف السليماني إلى درجة قريبة من اليقين حتى وإن رأى بعض الدارسين عدم مكية شعره بحجة أنه ترك مكة في صباه كما يقول الدكتور عائض الردادي في كتابه (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر ج١ ص٥٦) ومما يقوي جانب الشك عندي في مخلافيته أنه ليس في شعره شيء من ملامح البيئة في المنطقة مع أنه شاعر كبير يستحق أن تدعيه كل التهائم. انظر ترجمته في عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص١٣٠ وما بعدها، ومصادر الفكر العربي والإسلامي للحبشي ص٣١٤، والأعلام ج٤ ص٣٢٧ وغيرها.

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

حيث يؤكد بعض الباحثين أن الشاعر علي بن محمد التهامي مكي، ومن هؤلاء الباحثين الدكتور شوقي ضيف الذي يقول: (الشاعر علي بن محمد التهامي: تهامي نسبة إلى مكة المكرمة، لذلك يقال عن الرسول ﷺ بأنه تهامي لأنه من مكة ، ونسبة الشاعر علي بن محمد التهامي إنما هي إلى مكة فهو ينسب نفسه في بعض شعره إليها حيث يقول :

وهذا التهامي من مكة برجليه يسعى إلى حتفه) [1]

ولعل انتماء (أحمد بن علي التهامي) للمخلاف السليماني ثابت من خلال تمثيله للمنطقة في تلك المناسبة المهمة، وفيما أكّده الأستاذ العقيلي من وجود قبيلة من قبائل منطقة جازان حتى الآن تنتمي لآل التهامي [2]. غير أنني لا أستطيع دفع الشك بأن طاحونة الإهمال قد أتت على شعره وشعر عدد غير قليل من معاصريه وسابقيه من شعراء المخلاف السليماني، فلعل الأيام القادمة تكشف عن بعض تلك الكنوز الثمينة .

[1] عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص١٣٠ ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

[2] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ هامش ص٣٩ .

٢ – الشاعر: علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس السليماني الحسني (... – ٥٠٦هـ):

أحد الشعراء الذين سجلوا حضورهم الفاعل بالمخلاف السليماني في القرن الخامس الهجري، ثم حملوا جذوة الشعر إلى مرابعه الأولى في الحجاز (حتى وإن ظل حنينهم لأول منزل)، ترك المخلاف السليماني بعد مقتل أبيه فقد كان والده (عيسى بن حمزة) أميرا للمخلاف السليماني قتله أخوه (يحيى بن حمزة) ففر (علمنا) علي بن عيسى إلى مكة وبقي فيها حتى وفاته.

يؤكد هذه الحادثة المؤرخ السنجاري فيقول: (قتل يحيى بن حمزة أخوه عيسى بن حمزة على ولاية المخلاف السليماني ففر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس إلى مكة وأقام بها وكان عالماً فاضلاً) [1]

وعلي بن عيسى بن حمزة : عالم يكرم العلماء ويقربهم، وشاعر من الشعراء البارزين، يتسم شعره بالقوة، وألفاظه بالجزالة، وتراكيبه بالمتانة، ترك بعض أهله في المخلاف السليماني وانتقل إلى بعض أهله في مكة المكرمة واتخذها دار مُقام، ولمَ لا؟ وفيها إلى جانب قداستها ومقدساتها بقية أهله وذويه، وابن وهاس قبل أن يكون عالما وشاعرا فهو ينتمي إلى أسرة ذات سؤدد وسيادة، وشرف وقيادة؛ والده:(عيسى بن حمزة) أحد أمراء المخلاف السليماني في القرن الخامس الهجري -كما أشرنا سابقا-، وعمه: (يحيى بن حمزة بن وهاس) أحد أمراء المخلاف السليماني أيضا في زمن أبيه، وإن تنافسا على السلطة وقتل أحدهما الآخر في قصة مأساوية رواها مع بعض تفاصيلها العلامة المؤرخ عمارة الحكمي (في مفيده) كما رواها ابن أبي الرجال في (مطلع

---

[1] منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم لعلي السنجاري (١٠٥٧-١١٢٥هـ) ج٢ ص٢٣٢، تحقيق د. جميل عبد الله محمد المصري، من منشورات مركز البحوث بجامعة أم القرى في مكة ١٤١٩هـ

البدور)[1] نقلا عن عماره، وهي قصة تشبه كثيرا مثلها من القصص التي وقعت وتقع في بعض فترات التاريخ بين أمراء الأشراف في مكة المكرمة وفي المخلاف السليماني وغيرهما .

وبالجملة (فقد آل حكم المخلاف السليماني بعد وفاة الأمير حمزة بن وهاس إلى ولديه: (عيسى والد علمنا وأخيه يحيى) ولي عيسى الإمارة في (عثَّر) وأعمالها وولي الثاني (حرض) ومخلاف (حكَمْ) [2].

- ترجم لعلمنا (علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس) عدد من كتاب التراجم وفي مقدمتهم العلامة الشاعر المؤرخ عماره الحكمي (٥١٥-٥٦٩) حيث قال: (ومن أشراف مكة السيد الشريف العالم الشاعر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس، وهو الذي رثا المأربي والده عيسى بن حمزة صاحب عثّر) [3].

- وترجم له العماد الاصفهاني(...- ٥٩٧هـ) في (خريدة القصر) فقال: (الشريف على بن عيسى المعروف بابن وهاس من أهل مكة وأمرائها وشرفائها، قرأ على الزمخشري[4]، وله تصانيف مفيدة وشعر في المدح والرثاء والتغرب)[5]

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٣ ، ص٢٩٣-٢٩٩ ، تحقيق عبد الرقيب مطهر محمد حجر ، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية باليمن ، صعدة ١٤٢٥هـ .

[2] الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان في العصور الإسلامية الوسيطة لأحمد الزيلعي ص٤٦،٤٧ مطابع الفرزدق بالرياض ١٤١٣هـ. وانظر الورقة (٤) من مخطوطة: (السلاف للنمازي).

[3] المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة الحكمي ، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ص٢١٧-٢٢٢ ، طبع ونشر المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع بصنعاء ١٤٠٥هـ .

[4] الزمخشري : هو الشيخ العلامة جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الحنفي الزمخشري ، ولد بزمخشر إحدى قرى خوارزم ، سنة (٤٦٧- ٥٣٨ هـ)، وهو أحد علماء التفسير الكبار وأحد علماء اللغة المشهورين، صاحب (الكشاف) وهو كذلك صاحب كتاب (أساس البلاغة)، إلى جانب مؤلفات أخرى كثيرة . انظر ترجمته في الأعلام ج٨ ص٥٥، العقد الثمين ج٦ ص٢١٨، خلاصة العسجد ص١٠١، ١٠٢ .

[5] خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (...- ٥٩٧) تحقيق: آذر تاش آذر نوش تنقيح محمد العروسي المطوي محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر ١٩٧٤م ج ٣ ، ص ٣٢ وما بعدها .

- وترجم له تقي الدين الفاسي (٧٧٥-٨٣٢ هـ) فقال: (العلامة الشاعر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب الشريف السليماني الحسني، أبو الحسن المكي المعروف بابن وهاس)، ثم نقل عن العماد الأصفهاني بقية تعريفه فقال: (من أهل مكة وشرفائها وأمرائها من بني سليمان بن حسن، كان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة، قرأ على الزمخشري بمكة المكرمة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم بمكة إليه، توفي سنة ٥٠٦هـ) [1].

- كما ترجم له العلامة أحمد بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢) ترجمة فضفاضة توسع فيها وذكر له شعرا لم يذكره غيره ومما قاله عن علمنا: (السيد الكبير، الأمير الخطير، مفخرة الحرمين الشريفين، وواسطة عقد الشريفين المنيفين علي ابن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب ......، كان عالما فاضلا، شاعرا جوادا ....، والده عيسى بن حمزة كان أميرا للمخلاف السليماني قتله أخوه يحيى بن حمزة؛ وذلك أن الغز أخذت يحيى بن حمزة أسيرا إلى العراق، وبقي أخوه عيسى _ والد علمنا_ يكاتب ويبذل الأموال لاستخلاص أخيه يحيى من العراق ففك أساره وعاد إلى عثَّر _عاصمة المخلاف السليماني آنذاك _ فأدار يحيى بن حمزة رحى مكره على أخيه عيسى فقتله، وبئسما فعل) [2]

ويلاحظ أن جل من ترجم لعلمنا (ابن وهاس) قد ذكروا له نماذج من شعره وإن كان ابن أبي الرجال من أكثرهم اختيارا ، وسنذكر بعض تلك النصوص التي أوردوها من شعر ابن وهاس في مكانها من هذه الأوراق .

كما يلاحظ كذلك أن كلا من عماره الحكمي والعماد الاصفهاني والفاسي وابن أبي الرجال قد أشاروا إلى الرواية التي تذكر أن اسم ابن وهاس كان ينطق (عُلَي)

[1] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ، تحقيق فؤاد سيد ، ج٦ ص٢١٨ ومابعدها ، ط٢ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال، تحقيق عبد الرقيب مطهر محمد حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات بصعده ١٤٢٥هـ، ج٣ ص٢٩٣-٢٩٩ .

بضم العين وفتح اللام وتشديد الياء على هيئة التصغير غير أن تقي الدين الفاسي في العقد الثمين بعد أن روى هذه الرواية عن صاحب (القـاموس المحـيط) قـد استبعد صحتها حيث قال: (وبلغني عن شيخنا مجد الدين الشيرازي[1] المعروف بـ(الفيروز أبادي) صاحب القاموس المحيط أن ابن وهاس هذا اسمه: (عُلَـيّ) بضم العين وفتح اللام وتشديد الياء تصغير (علي) وهذا بعيد أن يقع من الأشراف لفرط حبهم في الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فلا يصغرون اسمه ولـم أر ذلك في شيء من الكتب المؤلفة لهذا الشأن مثل : (المؤتلف خطأً والمختلـف لفظاً وقد ذكر فيه من هو دون ابن وهاس) [2].

وأيد (شوقي ضيف) ما ذهب إليه تقيَ الدين الفاسي فقد تحدث عن علمنا وضـبط اسمه بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء ووصفه بأنه رجل عزيز النفس صاحب مروءة وأنه صاحب شاعرية خصبة يملك زمام اللغة ويعرف أسـاليبها الـسوية المؤتلقة) [3].

قلت: ونطق اسمه على غير هيئة التصغير أقرب إلى الواقع فقد كان ابن وهـاس يكنى بأبي الحسن وفي الحجاز كما في بعض البلدان الأخرى يكنون مـن اسـمه (علي) بأبي الحسن ، ولاشك أن ابن وهاس حسني وابن حسني وجل من ينتمـي للحسنيين لا تخلو أسماء أبنائهم من اسم (علي أو الحسن أو الحسين) كيـف لا

---

(1) مجد الدين الشيرازي: (٧٢٩ــ ٨١٧) هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمـر الفيـروز أبادي القرشي الشيرازي ولد بكزرون من اعمال شيراز، انتقل الى العراق، ورحل الى مصر والـشام ودخـل بـلاد الروم والهند، ثم رحل الى اليمن وقدم على الملك الاشرف اسماعيل الرسولي (٧٦١ــ٨٠٣) الذي كان محبا للعلـم وأهله، فأكرمه وقلده ولاية القضاء العام باليمن، وكان كل ما رغب مجد الدين في الرحلة عن الـيمن حـال ملـك البلاد بينه وبين رغبته فبقي باليمن حتى وافته منيته بزبيد سنة ٨١٧هـ، له مؤلفات كثيرة من أهمها: (القاموس المحيط) و(منح الباري في شرح البخاري)و(الإشارات إلى ما كتب في الفقه مـن ألا سـماء والأمـاكن واللغـات) و(التحفة العنبرية في ولد خير البرية) وغيرها من المؤلفات .انظر ترجمته فـي : البـدر الطـالع ج٢ ص٢٨٠ و الأعلام ج٨ ص١٩٨ والضوء اللامع ج١٠ ص٧٩ ومصادر الفكر ص٣٧٧ و طبقات صـلحاء الـيمن للبريهـي ص٢٩٤ ــ٢٩٨ وغيرها .

(2) العقد الثمين للفاسي ج ٦ ص ٢٢٠ .

(3) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف، ص١٠٢.

والجميع يعتز بالانتماء إلى هذه الأسرة المباركة وعلى رأسها جدهم الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

تتلمذ علمنا (ابن وهاس) في مكة على العلامة الزمخشري الذي كان من أبرز علمائها آنذاك ، فصار تلميذه ابن وهاس من أبرز تلاميذ حلقته حتى (صرفت أعنة الطلبة إليه) كما قال بعض من ترجم له، وتبادل الشيخ وتلميذه الحب والتقدير فأحب الشيخ تلميذه وأكرم التلميذ شيخه وقربه .

قال صاحب العقد الثمين:(ولأجل ابن وهاس صنف الزمخشري كتابه: الكشاف)[١]، وقال أحمد بن أبي الرجال : (كان علي بن عيسى بن حمزة عالما فاضلا شاعرا جوادا ، ورد الزمخشري رحمه الله مكة في أيامه وصنف بعنايته (الكشاف) [٢] .

ونقل الزركلي عن (دحلان) مؤرخ مكة (بأن علي بن عيسى بن حمزة كان عالماً فاضلاً وكان صديقاً للزمخشري وصنف الكشاف باسمه) [٣].

وأشار السخاوي[٤] أثناء ترجمته لـ(علي بن الحسن الخزرجي)[٥] المتوفى سنة٨١٢هـ إلى أن ابن وهاس هو جد الخزرجي حيث قال: (ويقال إن

---

(١) العقد الثمين للفاسي ج٦ ص٢٢٠، وأعاد الفاسي مثل هذا الكلام في المجلد السابع من كتابه هذا هامش ص١٤٤ فقال: (من أجل الشريف علي بن عيسى بن حمزة صنف الزمخشري تفسيره (الكشاف).

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال، ، ج٣ ص٢٩٦.

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين ببيروت، ١٩٨٠م ج٤ ص٣١٨.

(٤) السخاوي: هو العلامة المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان القاهري الشافعي السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ): عالم كبير ومؤرخ شهير تلقى العلم على شيوخ عصره وأخذ عن جماعة لا يحصون وبرع في جميع الفنون وبخاصة في الفقه، والعربية، جاب البلاد وترجم لأغلب أعلام القرن التاسع في كتابه الشهير: (الضوء اللامع بأهل القرن التاسع) ومن تصانيفه أيضاً: (فتح المغيث بشرح الفقه والحديث) و (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) توفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ ودفن بمقبرة البقيع، انظر عنه: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٦ ص٢٠٨، والنور السافر ص١٦-٢٢.

(٥) علي بن الحسن الخزرجي (... ـ ٨١٢) هو العلامة الأديب المؤرخ علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي (موفق الدين)، من كبار مؤرخي اليمن فهو بحاثة ونسابة، قرأ الأدب، ونظم الشعر، ذكر(الحبشي) بأنه: كان يتعاطى مهنة البناء ثم قربه إليه الملك الأشرف الرسولي فوضع باسمه عدة مصنفات، وذكر(البريهي):أن الخزرجي كان يعمل في زخرفة المدارس والدور الملوكية. وللخزرجي مؤلفات كثيرة من أهمها: (طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن)و(العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) و(المحصول في انتساب-

جده هو الذي عناه الزمخشري بالبيت السابق[*]) أي أن الشاعر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس جدّ للخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية [١]. حتى أن المؤرخ الخزرجي هذا: (كان يلقب في عصره بابن وهاس) [٢].

وقد أحب ابن وهاس شيخه الزمخشري حبا شديدا ومدحه بغرر القصائد ومن مدائحه فيه قوله:

جميع قُرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوّأها داراً فداء زمخشرا
وحسبك أن تزهو زمخشرَ بامرئٍ ... إذا عُدّ من أسد الشرى زمخ الشرى
فلولاه ما طَنّ البلاد بذكرها فليس ... ولاطار فيها منجدا ومغوّرا
ثناها في العراق وأهله ... بأعرف منه في الحجاز وأشهرا[٣]

وله أيضا في مديح شيخه الزمخشري أبيات من قصيدة أخرى يقول فيها:

حليف التقى، علامة العصر، من له ... فضائل أدناهن:مرو،ومغدق
أتى حرم الله العظيم مجاورا ... فلله ما أدنت جِمَالُ،وأنيُقُ
فأحيا به ميتا من العلم طامسا ... ورم به ما جلده متمزّقُ
مُفتِّق أبكار المعاني وجامع ... شواردها اللاتى أبت أن تلفّقُ
فمن حوضه عبّتْ ضماء ذوي النهى ... فآبتْ رواءً، وهي ملأى وتفهق
صليب قناة الدين في الله جاهداً ... إذا خان عزم أو تخلل موثق[٤]

=بني رسول) وغيرها من المؤلفات،وله ديوان شعر.انظر ترجمته في : الأعلام ج٤ ص٢٧٤ ،والروض الأغن ج٢ص١١١، ١١٢ومصادر الفكرص٤١٧ ،والضوء اللامع ج٥ص٢١، وطبقات صلحاء اليمن للبريهي ص٢٩١، القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي لزين الدين عمر الحلبي ج١ ص٤٩٢ ، وغيرها.

(*) الضوء اللامع بأهل القرن التاسع للعلامة محمد عبد الرحمن السخاوي ج٣ ص٢١٠، من منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، دون ذكر لسنة النشر والبيت هو: ولولا ابن وهاس وسابق فضله رعيت هشيماً واستقيت مسردا

(٢) تاريخ اليمن لعماره الحكمي تحقيق: المستشرق (كاي) ترجمة: د. حسن سليمان محمود ص٢٩.

(٣) العقد الثمين ج٧ ص١٤٤، ١٤٥.

(٤) مطلع البدور ج٣ ص٢٩٦ .

وكان العلامة: الزمخشري يحب تلميذه ويبادله التقدير حتى لقد قال في مدحه :

خليليّ من أعلى تهامة أنجدا ... أخاً كان غوريَّ الهوى، ثم أنجدا

إلى أن قال:

ولا كابن وهاس، فتىً ضمَّ برده ... حساماً، وضرغاماً، وأخضر مزبدا

فتىً، هو حاوٍ للمعاني بأسرها ... وقد جلبت منه المعالي بأوحدا[1]

وقال في مدح ابن وهاس أيضاً:

ولم يتزَيَد قط في قيله، وإن ... تُذُوكر أقوال الهداة، تَزَيُّدا[2]

ولولا ابن وهاسٍ، وسابق فضله ... رعيتُ هشيماً، واستقيتُ مُصَرَّدا[3]

(ولما عزم الشيخ العلامة الزمخشري على الرجوع إلى خوارزم وأراد وداع محبيه ومنهم تلميذه الشاعر الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس أنشد ابن وهاس في وداعه قصيدة قال في بعض أبياتها:

لقد شجني في أم رأسي عزمه ... فأصبحت من عزم الإمام أميما

فديت امرءاً يحشو الفؤاد فراقه ... كلوماً.ولقياه حشته علوما[4]

ومنها أيضا قوله:

رأينا من العلامة البحر طافحا ... ينظم دُرًّا في العقود نظيما

كأين رأينا من أولي العلم والتقى ... رجالاً أناخوا بالحجاز قروما

فمحمود أستاذ الزمان، ضياؤهم ... وكان وكانوا، شارقاً، ونجوما[5]

---

(١) منائح الكرم للسنجاري ج٢ ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) مطلع البدور ج٣ ص٢٩٤.

(٣) العقد الثمين ج٦ ص٢٢٠ .

(٤) خلاصة العسجد في حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد لعبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي (١١٨٢-١٢٤٨هـ) تحقيق: ميشيل توشيرير وعدنان درويش ص١٠١ ، ١٠٢، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء / دمشق ٢٠٠٠م.

(٥) مطلع البدور ج٣ ص ٢٩٦-٢٩٧.

ويلاحظ في هذه الأبيات من شعر علي بن عيسى بن حمزة شدة ولعه باستخدام المحسنات البديعية: (إمام ، أميم)، (فراقه، لقياه)، (كلوما، علوما)، (ينظم، نظيما) ...إلخ.

وشعر ابن وهاس يمكن أن يصنف في مدرسة الوسط من شعراء أواخر العصر العباسي، فهو إلى جانب اهتمامه بالمحسنات البديعية كما أشرنا سابقا يميل إلى اختيار اللفظة ذات الجرس الموسيقي، ويهتم بالعبارة الموحية والمعبره.

قال أبو داهش عن علمنا (ابن وهاس): (كان هذا الشاعر معدودا من كبار الشعراء في عصره)[1].

ووصف ابن أبي الرجال شعر (ابن وهاس) بأنه: (عذب الألفاظ، رقيق المعاني) [2].

كما وصفه شوقي ضيف بأنه صاحب شاعرية خصبة يملك زمام اللغة ويعرف أساليبها السوية. [3]

ولعلنا في الصفحات الآتية نشير إلى بعض نماذج من شعر علي بن عيسى بن حمزة نقلا عن تلك المصادر التي سبق أن أشرنا إلى بعضها:
فقد ذكر المؤرخ عمارة الحكمي في أثناء حديثه عن علمنا (ابن وهاس) بعض أبيات من قصيدة وجهها إلى قريبه أمير مكة في أيامه: الشريف هاشم بن فليتة بن قاسم[4] مستشفعاً لديه في قوم من حجاج اليمن سجنوا ظلماً فوهبهم له، وأمر بإطلاق سراحهم وإخراجهم إليه، ومنها:

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٢٣٥.

[2] مطلع البدور ج٣ ص٢٩٧ .

[3] عصر الدول والإمارات ص١٠٢ .

[4] الشريف هاشم بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم الحسني المكي المعروف بأبي هاشم(...-٥٤٩) ولي إمارة مكة وكانت له صلات قوية بالشاعر علي بن عيسى بن حمزة توفي بمكة المكرمة سنة ٥٤٩هـ انظر ترجمته في: الأعلام ج٥ ص ١٨٦، والمفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة الحكمي هامش ص٢٢٢ ، والعقد الثمين ج٧ ص٣٦١ .

أبا هاشم شكوى امرئٍ لك نـصحه تفكـر فيهـا خُطَّـةً فتحيـرا
على أيّما أمـرٍ تسـاق عصـابـة إلى السجن وَآلَوْا جَـدَّك المتخيـرا
ولم يعدلوا خلقـا بكـم آل أحمـد ولا أنكروا ،إذ أنكر الناس حيـدرا
أتاك بهم ما طن في مسمع الورى وسارت به الركبان عدلاً ومفخـرا
يجرون أطراف الوشيج علىالوغى مناقلة بـين الهـواجر والسـرى
لك الله جأراً من قليـب تطـايرت حشاه ومن دمـع جـرى فتحـدرا
و من كـل أواهٍ وأشعث مخبت إذا صُدَّ عن قصد البـنيّة كبّـرا[1]

كما ذكر الفاسي لشاعرنا نماذج أخرى من شعره ومنها قوله :

وسائلةٍ عني: أهَـلْ هـو كالـذي عهدنا صروم الحبل ممن يجاذبـه
أم ارتجعت منـه الليـالي وربمـا تُفَلَّلُ من حَـدّ اليمـاني مـضاربه
فقلـت لهـا إنـي لتـرّاك منـزل إليَّ حبيب حين يزورُ جانبـه[2]

كما نقل أبو داهش عن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي قوله متشوقاً لأهلـه وذويه في المخلاف السليماني:

ورُبَّ أخٍ كريم المجـد محـضٍ يُراع لدعوتي كالـسيف صَـلْتِ
أقول لنفـسيَ المـشفاق مهـلاً أليس على الرزيّة ما صـبرتِ
لئـن فارقتِ خير عـرىً لأهـلٍ فخير بني أبيك بـه نَزلـتِ [3]

والبيت الأخير يؤكد حنينه لأهله وذويه في المخلاف السليماني حتى وإن كان يقيم في أقدس البقاع وينزل عند بني أبيه أيضا.

لذلك نسمعه يقول لإحدى قريباته وقد أرسلت إليه تعاتبه قائلة: (إلى كم هذا البعد عنا والتغرب؟) فأجابها بقوله:

---

[1] المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعماره الحكمي ص٢٢٢.
[2] العقد الثمين ج٦ ص٢١٩.
[3] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٢٣٧.

ومهدية عندي علـى نـأي دارهـا رسائل مـشتاق، كـريم وسـائله
تقول: إلى كم يا ابن عيسى تجنبـا وبعداً؟ وكم ذا عنك ركبـاً نُـسائله
فيوشك أن تودي وما مـن حفيّـة عليك ولا بال بمـا أنـت فاعلـه
فقلت لها في العيس والبعد راحـة لذي الهم إن أعيت عليـه مقاتلـه
وفي كاهل الليل الخُـداريّ مركـبٌ وكم مرة نجّى من الـضيم كاهلـه
إذا لـم تعادلـك الليـالي بـصاحب ولا سمحت بالنجح عفـواً مقاتلـه
فما الخير في أن تَرْأَمَ الضَّيمَ ثَاويـاً وغيضاً على طول الليالي تماطلـه
دعيني فلي نفسٌ أبـت لا أبيرهـا عصابٌ، وقلب يشرب اليأس حاملُه
إذا سيم وردا بعد خمـس تـشمرت عن الماء خوف المقذعات دلائله[1]

والقارئ لهذه الأبيات وأبيات النماذج السابقة من شعر ابن وهاس يلمس البون الشاسع في صياغتها وأسلوبها بل وحتى في تخير ألفاظها وبـين الأبيـات التي وجهها للشريف هاشم بن فليته مستشفعاً، ولعل شاعرنا قد أعطى لكل موقف ما يستحقه، فلكل مقام مقال .

ولستُ في حاجة للتذكير بأن هذا الشعر في سبكه وتدفقه وعذوبته وثيق الصلة بعصر ابن وهاس الذي كان عصر ازدهار اللغة والأدب،فهو وثيق الصلة بمدارس الشعر في عاصمة الخلافة العباسية: (بغداد) آنذاك، على أن لهذا الشاعر الفحـل شعراً شمل أغلب الأغراض، غير أننا لم نعثر حتى الآن إلا على هذا النزر اليسير من شعره، وإن كان ابن أبي الرجال قد أشار إلى مصدر آخر يحتوي على أشعار لعلمنا وصفها بأنها عذبة الألفاظ رقيقة المعاني حيث قال : (وأنشد له السلفي في معجم الشعراء أبياتا عذبة الألفاظ رقيقة المعاني)[2].

---

(1) المصدر السابق ص٢٣٧، وانظر البيت الأخير في: مطلع البدور ج٣ ص٢٩٥.
(2) مطلع البدور ج٣ ص٢٩٧.

كما أشار الدكتور شوقي ضيف إلى أن لشاعرنا علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس شعرا كثيرا و(أبيات فخر كثيرة تصور عزة نفسه وإباءه الضيم ومروءته ومن ذلك قوله:

غاض النمير العذب يا واردا وحال عن عهدك ذاك الزلال) [1]

توفي علمنا الشاعر: علي بن عيسى بن حمزة ابن وهاس السليماني رحمه الله سنة ٥٠٦هـ [2]،كما ذكر ذلك بعض من ترجم له وبسببه اعتبرناه من أعلام شعراء القرن الخامس الهجري،حتى وان جاء تاريخ وفاته لدا بعض من ترجم له في منتصف القرن السادس إذ أن عمارة الحكمي اقرب إلى عصر الشاعر وموطنه.

رحم الله علمنا الشاعر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس رحمة واسعة.

---

(١) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص١٠٢.

(٢) المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد لعماره الحكمي هامش ص٢٢٢، وانظر هامش ص١٠١ من كتاب خلاصة العسجد للبهكلي.

٣- الشاعر: مُدَبِّر الحكمي (... - ...):

ورد اسم هذا الشاعر في عدد من المصادر الأدبية دون ذكر لسيرته الشعرية أو كلام عن أسرته أو عن نشأته أو وفاته وإنما هي لقطة وردت عند الشاعر المؤرخ عماره الحكمي؛ فقد نقل الدكتور عبد الله أبو داهش في كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما) عن العقيلي ما ذكره عن هذا الشاعر نقلاً عن كتاب (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية) لعمارة الحكمي الذي قال فيه: (بأن الشاعر: مُدَبِّر الحكمي قد مدح والد عماره: (علي بن زيدان الحكمي، وخاله محمد بن المثيب) بقوله:

أبواكما رَدًّا على ابن حبابة	ملكاً تبدد شمله تبديدا
كفل (المثيب) عن الحسام بعودة	مذ صال (زيدان) به فأعيدا
وبنيتما ما شيدا من سؤدد	قِدَماً فأشبه والد مولودا [(١)]

واكتفى عبد الله أبو داهش بهذا النقل عن كتابي:(التأريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي)،و (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعمارة الحكمي) ولم يضف لنا شيئاً عن تأريخ ولادة الشاعر ولا عن وفاته ولا عن تفاصيل أخرى من حياته وشعره وظلت هذه الشذرة التي نقلت إلينا عن عمارة الحكمي هي كل ما أسعفتنا به المصادر عن هذا الشاعر.فهل تسعفنا الأيام القادمة بشيء عنه وعن شعره؟ نتطلع لذلك.

---

(١) أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٢٤٠ وانظر ص١٠ من كتاب: النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعماره الحكمي ط٢ مطبعة مدبولي بالقاهرة ١٤١١هـ

شعراء المخلاف السليماني

في القرن السادس الهجري:

توطئة:

لعل القرن السادس الهجري كان أكثر حضوراً من القرن السابق له فقد حظي باهتمام مؤرخه وشاعره: عمارة الحكمي الذي كتب في (مفيده) بعض شيء عن وطنه وأسرته كما بسط القول أيضاً عن أسرته في كتابه: (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية) فلم نعدم الفائدة في الاستدلال على بعض الأحوال الاجتماعية في المخلاف السليماني لكنني لم أعثر على كبير أثر عن الشعر والشعراء في المنطقة خلال تلك الفترة وان ظفرت بشئ من شعر عمارة الحكمي الذي قاله في أثناء إقامته في مصر، إلا أن بعض كتّاب التراجم وفي مقدمتهم صاحب كتاب مطلع البدور ومجمع البحور العلامة: أحمد بن أبي الرجال قد أسعفنا بذكر بعض الأعلام الذين سأتحدث عنهم إلى جانب الشاعر عماره الحكمي ومع ذلك فإنني أعتقد بأن شعراً وشعراء في المنطقة آخرين قد طواهم النسيان خلال القرن السادس كما فعل بسابقيهم الذين ربما كانوا أقوى شاعرية ممن سوف أتحدث عنهم من أعلام القرن السادس الهجري الذين أسعفتني المصادر بشيء عنهم ومن أولئك الأعلام:

١- العلامة الشاعر: أبو القاسم بن حسين بن شبيب الضمدي (...-٦١٤هـ) [1]:

سليل أسرة علمية عريقة توارثت العلم والأدب كابرا عن كابر، فأبوه الحسين بن حسن بن شبيب كان عالما كبيرا وصفه ابن أبي الرجال بالفقيه العلامة واعتبره إماما في علم الكلام، وجده (شبيب): جد للفقهاء الأعلام أسرة آل النعمان [2]، الذين توارثوا العلم وبرز منهم علماء فطاحل تجاوزت شهرتهم حدود المخلاف السليماني وامتلأت بسيرهم العطرة أمهات كتب التراجم ، لذلك فلا نستغرب أن يكون ابن شبيب عالماً كبيراً وشاعراً مجيداً وناثراً بليغاً يحسن الارتجال ويقترب نثره من شعره قوة وبلاغة،وجودة سبك، وسلاسة عبارة ، ولأنه كذلك فقد تحدث عنه عدد من كتاب التراجم ومؤرخي الأدب .

- ترجم له صاحب كتاب: (الروض الأغن ....) فقال: (العلامة الأديب أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي لم يتبين تحديد زمن ولادته ولا

[1] مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي، مركز الدراسات اليمنية صنعاء دون ذكر سنة النشر ص١٠٣.

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٢ ص١٦٧، ١٦٨، وقد ترجم ابن أبي الرجال لوالد (علمنا) ابن شبيب في هاتين الصفحتين من هذا الجزء وقال عن آل شبيب: (وهؤلاء بنو شبيب يسكنون ضمد ويقال: إن شبيب جد آل النعمان. وفي الورقة (٣٥٠) من مخطوطة العقيق اليماني تأكيد لانتساب آل النعمان إلى شبيب حيث ذكر عبد الله النعمان بأنه في سنة ١٠١٦هـ توفي العلامة نور الدين علي بن محمد بن علي بن حسن النعمان حتى وصل بنسبه إلى أبي القاسم حسين بن شبيب.

زمن وفاته من تلامذة العلامة الحسن بن محمد الرصاص [1] عاصر الإمام المنصور المتوفى سنة ٦١٤هـ[2].

وله مؤلفات منها: ١- الإكليل على كتاب الكيفية والتحصيل شرح لكتاب شيخه الحسن الرصاص).

٢- (الكاشفة بالبرهان الصحيح والبيان الصريح)،

٣- (التنقيح في التحسين والتنقيح)، ٤- (الثعبان المتلقف لإفك البهتان) رد به على الأشعرية..[3]

- ترجم له أحمد محمد الشامي فقال: (عالم وأديب وشاعر وخطيب وفارس، وينتقي في شعره غرائب الألفاظ دون تكلف مما يدل على تبحره اللغوي ومهارته البيانية وصفاء موهبته الشعرية، وإن الباحث ليأسف أن تكون بعض آثار ابن شبيب من نثر وشعر قد ضاعت) [4]، ويقول الشامي في مقام آخر: (تحدث عن الشاعر ابن شبيب العلامة (يحيى بن الحسين)[5] في كتابه:

---

[1] الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق الرصاص، ولد سنة ٥٤٦هـ عالم ومدرس ومؤلف، تجاوزت مؤلفاته العشرين، منها: (التفصيل لمجمل التحصيل) و (الأخذ باليمين من تمويه المموهين) و (الانتصار لمذاكرة العترة الأطهار)، توفي سنة ٥٨٤هـ. أهم المراجع التي تحدثت عنه (هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع، ج٢ ص٩٥٩) و (مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، ج٢ ص ٥٣) و (تاريخ اليمن الفكري، لأحمد الشامي، ج٣ ص٢٩٠) و (مصادر الفكر للحبشي ص٣١٧).

[2] الإمام المنصور هو عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم، ولد سنة ٥٦١هـ إمام علامة وسياسي ومؤلف كبير، بلغت مؤلفاته ما يقارب خمسة عشر كتابا، منها: (الأجوبة الرافعة للإشكال، الفاتحة للأقفال) و (الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية) و (الاختيارات المنصورية) توفي رحمه الله سنة ٦١٤هـ. أهم المراجع التي تحدثت عنه: (الأعلام، للزركلي، ج٤ ص٩١) و (الموسوعة اليمنية، ج٢ ص٦١٨هـ) و (تاريخ المخلاف السليماني، للعقيلي، ج١ ص٢٠٧).

[3] الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن/ لعبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين ج٢ ص١٥٧ مطابع الحارثي بالطائف ١٤١٥هـ.

[4] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٣٧-٤١ من منشورات العصر الحديث طبع وتوزيع دار النفائس ببيروت ١٤٠٧هـ.

[5] يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، ولد سنة ١٠٣٥هـ عالم ومحدث ومتعدد المواهب، كان مجتهدا متحررا عميق النظر كثير التآليف، حيث بلغت مؤلفاته تسعة وثلاثين مؤلفا ، منها: (أنباء أبناء الزمن في تاريخ-

المستطاب فقال: (ولابن شبيب كتاب رد به على الأشعرية موسوم بـ (الثعبان المتلقف لإفك البيان)[1]، كما ترجم له مؤرخ القرن الحادي عشر الهجري: أحمد بن أبي الرجال ترجمة فضفاضة امتدت على تسع صفحات من صفحات المجلد الرابع في كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور) واشتملت على نماذج من شعره ونثره مشفوعة بعبارات الثناء والتقدير ومما قاله عنه: (أبو القاسم بن حسين بن شبيب أحد الأعلام وأوحدهم و مقدم الفضلاء وسيدهم صاحب اللسان والسنان والعلم والبيان فهو صاحب البلاغة والفصاحة، والعلم الواسع، وهو الإمام البارع والأصولي المنطيق فقد كان صاحب حدس وذكاء ودرس وهمة وأسلوب فريد في النظم والنثر) ثم تحدث عن قدرته على الخطابة وشبه بلاغته ببلاغة قس بن ساعدة الإيادي فقال: (وهذا الفقيه من آيات الله الباهرة، وحسبه ارتجالُه لخطبة يقصر عنها القاضي الفاضل ويسحب عندها ذيل العجز سحبان وائل [2]) ثم أورد شيئاً من إحدى خطبه المرتجلة التي ختمها بأبيات شعرية تقوي حجته،ومنها قوله: (يا أمير المؤمنين لتطب نفسك، وليكثر أنسك، ولينشرح صدرك، ولا يلتبس عليك أمرك ، فإن من بايعك من سلاطين العرب وبني عمك هم أهل الهمم العالية، والعزائم الماضية، والليوث الهُصَّر، والأبطال الجُسَّر، والمصاليت

-اليمن) و (بهجة الزمن في حوادث اليمن) و (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني) ومن أهم مؤلفاته كتابه: (طبقات الزيدية الصغرى) المسمى: (المستطاب) ، حيث ترجم فيه لأكثر من خمسة آلاف عالم من أعلام الزيدية، توفي رحمه الله سنة ١٠٩٩هـ، أهم المراجع التي تحدثت عنه: (البدر الطالع، للشوكاني ،ج٢ ص٥٣٣) و (الأعلام ، للزركلي، ج٨ ص١٤٣) و (المؤرخون في اليمن، لحسين العمري، ص٣٠-٣٦) و (مصادر الفكر للحبشي ص١٦٤).

[1] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي للشامي ج٤، ص٤١ .

[2] سحبان وائل: (..-٥٤هـ) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي كان أحد خطباء العرب المشهورين بلا منازع كما يقول الحصري في زهر الآداب، وكان يضرب به المثل في البيان فيقال: (أخطب من سحبان)، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم في زمن النبي ﷺ كان إذا خطب لا يتوقف ولا يعيد كلمة ولا يتلعثم، له شعر قليل، انظر ترجمته في: زهر الآداب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، ج٤ ص٩٥٤، تحقيق الدكتور: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٤. وانظر ترجمته في الأعلام ج٣ ص٧٩.

البُتَّر، والمساعير الصبُر، أعلى الناس مقاما، وأثبتهم أقداما، وأكثرهم إقداما، وأقلهم في الحرب إحجاما ....) وهكذا استمر في خطبته البليغة مستخدما لتلك المفردات القوية الجزلة والعبارات والجمل المنغمة والسجعات المتقنة إلى أن ختمها بقوله : (وفي ذلك أقول):

كيف فرار المرء عن إمامه	والعار والإذلال في إحجامه
والعز والإجلال في إقدامه	والفوز بالجنات في صدامه
يا حبذا من كان عن حسامه	يأخذ ما يهواه من مرامه[1]

قال ابن أبي الرجال معلقاً على تلك الخطبة: (انتهت هذه الكلمات الغر والجواهر التي تصغر عندها كبار الدر)[2] ، ثم أورد له ابن أبي الرجال نموذجين من خطبتين أخريين لا تقلان روعة وجمالا عن هذه الخطبة مما يؤكد بأن خطبه في مجملها تمثل لونا أدبيا راقيا، فهي قوية السبك، شديدة الحبك، تشبه في لغتها لغة الشعر فجرْسها يقرع الآذان، ومفرداتها تأخذ بمجامع الألباب، لنستمع إليه في إحداها وهو يقول فيها: (يا معشر القبائل، ويا أسود الجحافل، ويا خطباء المحافل، ويا معشر المسلمين خاصة، دون الناس عامة، إني قائل فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا؛ اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه، والنور الذي كنتم تتوقعونه، وتعدون له الليالي والأيام، والشهور والأعوام، هاهو في عِتْرَة نبيكم قد لمع، وضياؤه قد سطع، وقائمهم للفضائل قد جمع، وفي العلم قد برع وقام لله راغبا، ولأعدائه مناصبا، ولصلْت جبينيه ناصبا؛ حين بُدِّلت الأحكام، وعُطِّلت الشرائع، وارتُكِبت الآثام، واستُغْنِيَ عن الحلال بالحرام، وكثر الفساد بالبلاد، واستطالت أيدي أهل العناد......) ومضى في سجعاته المنغمة وعباراته القوية إلى آخر تلك الخطبة الطويلة التي ذيلها بهذين البيتين:

---

[1] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي للشامي ج٤ ص٣٨-٤١ .

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٤ ص٧٥.

ولو لم أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبُ
أغوص به للضرب في كل غمرة فأثني به عن تلك وهو خضيبُ[1]

وهكذا رأينا نثر ابن شبيب يأتي ممتزجا بشعره الذي قد لا يختلف كثيرا في لغته وجرسه، اللهم إلا في التزام علمنا (ابن شبيب) بعمود الشعر، وموسيقى الشعر، وإعطاء كل مقام ما يناسبه.

أما شعره: فسامي البيان، قوي البنيان، يحرك الوجدان، ويطرب الأسماع، ويخلب الألباب، فيجمع بين المتعة والإطراب، لنستمع إليه في النص الذي اختاره له ابن أبي الرجال وهو يعرض لنا لغته الشعرية الراقية التي سلها دون تكلف، فأظهرت لنا ثقافته العالية، وحذقه بمصطلحات الفروسية في صور محلقة، وتدفق شعري جميل ، حيث يقول :

يا حبذا الجرد تطفو في أعنتها إذا دعا لقراع المقنب الداعي
على مناسجها أسد جحاجحة من كل بدر بأفق الحرب طلاّع
يرى الغنيمة في ثجّاج عارضها والعين إن آنت يوماً بإقلاع
فأسمعاهُ صليل البِيض لا نغم الـ ـأوتار إني له سمّاع أسماع
وأورداه حياض الموت مترعة بين الخميسين لا أدنان نقّاع
يا قاتل الله من يُضحي بعيشته قرير عين، أخا لهو وتهجاع
ولم يكن برفيق العرب مرتقياً نوائب العز والعليا بإزماع
على صُهى شَظَم عَبْلَ الشَّوى بَرِقٍ قيد الأوابد إذ يعدو بإرجاع
أرساغه ركبت في جندل شظف يُفَلِّقُ الصخر فَي عدو وإسراع
بالأعوجيات قد نيطت معارفه فهو الجواد على إحسانها راعي
فمن يكن عادلا يوما بصهوته حسبته بين أسجاف وأوصاع
فقد دنت عن بروج المجد همته وإنني لعلاه نادبٌ ، ناعي

إلى أن قال:

أنا ابن من أسمع الواعين حجته والسيف أسمعها من ليس بالواعي

---

[1] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي للشامي ج٤ ، ص٧٦-٧٧ .

فـــلا وربـــك لا أنفـــك منـــصلتاً حتـــى يعزبـــه دينـــي وأشـــياعي
ويصبح الحق عالي الكعــب مبتهجــاً وفيه يكثــر أشــياعي وأتبــاعي [1]

وهي قصيدة طويلة اخترت منها ما يؤكد جزالة لغة هذا الشاعر وعمــق معانيه ومبلغ حذقه بالفروسية ومصطلحاتها ذلك لأنه كما يقول الــشامي: (هــو نفسه كان فارساً شجاعاً).

رحم الله ابن شبيب الذي كان قويا في شعره ونثره ، فارسا فــي انتقــاء مفردته _ كما كان فارسا في ميادين الوغى وفي ميادين العلم والأدب ، ولا شــك في أن كل قارئ لهذه القصيدة يشاطر المؤرخ الأدبي: أحمد محمد الشامي ألمــه على ضياع إبداعات هذا الشاعر الفذ ومع أن تاريخ وفاة ابن شبيب غير معروف إلا أن الشامي حاول أن يفترض تاريخا لوفاته حيث قدّر بأن تكون وفاته قبيل عام ٦١٤هـــ، استنتاجاً من تأريخ وفاة ممدوحه الإمــام المنــصور المتــوفى ســنة ٦١٤هــ.

[1] المصدر السابق، ج٤ ص٧٣ ، ٧٤

٢- العلامة الشاعر: عمارة بن أبي الحسن بن علي بن زيدان الحكمي (٥١٥ - ٥٦٩هـ):

هو صاحب المواهب والاهتمامات الكثيرة، والإبداعات الوفيرة، ورجل السفارات الخطيرة، الأديب الأريب الشاعر العلامة المؤرخ عمارة الحكمي صاحب المؤلفات المتنوعة وأحد شعراء العربية الكبار، دوّى صيته في الآفاق، وشرّق شعره وغرّب، وكانت له صلات أدبية وسياسية واجتماعية بأعلام وأمراء المخلاف السليماني وأمراء وعلماء وشعراء اليمن والحجاز ومصر عرف مؤرخاً وسياسياً وأديباً وشاعراً مفلقاً.

- ولد عمارة بن أبي الحسن بن علي بن زيدان الحكمي ببلدة الزرائب القريبة من العكوتين الواقعتين شرق مدينة صبيا بالمخلاف السليماني سنة ٥١٥ هـ وتوفي مقتولاً بمصر سنة ٥٦٩هـ [١].

- وقد استأثر عمارة الحكمي باهتمامات الباحثين والمؤرخين لأنه من أصحاب المؤلفات الشهيرة والإبداعات الوفيرة، لذلك فقد كتب عنه الكاتبون الكثيرون، وترجم له المترجمون، أمثال: العماد الأصفهاني، وابن كثير، وياقوت الحموي،

---

[١] انظر التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٨٩ وما بعدها وانظر: أهل تهامة المخلاف السليماني ..... لأبي داهش ص٢٤٢ وما بعدها، وانظر تحفة القارئ والسامع للعمودي بتحقيق عبد الله أبو داهش ج١ ص١٣٩، وانظر ص٧ من النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعمارة الحكمي ، وانظر ص٣٣ من مقدمة كتاب: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعماره الحكمي، وانظر الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ،ج٢ ص١٤٣ لعبد الملك بن أحمد حميد الدين، وانظر: مصادر الفكر العربي والإسلامي للحبشي ص٣١٦، ٣١٧. ومع أن هذه المصادر وغيرها تؤكد على مخلافية عمارة وأنه وأسرته ينتميان إلى تهامة المخلاف السليماني التي تعرف اليوم باسم منطقة جازان إلا أن باحثين معاصرين أكاديميين هما: الأكاديمي السعودي الدكتور/ عائض الزهراني والأكاديمي المؤرخ المصري الدكتور/ جمال بدوي يصران على نسبته إلى جبال اليمن، بل إن أحدهما ينسب هذه المعلومة لكتاب (الأعلام) للزركلي الذي حين عدنا إليه لم نجده قال بذلك انظر الأعلام ج٥ ص٣٧ وانظر بحثاً للدكتور عائض الزهراني بعنوان: (عمارة اليمني سفيراً ومؤرخاً) نشر في دورية كليات المعلمين بالمملكة المجلد الأول العدد الأول ص ١٩١-٢٧١ صفر ١٤٢٨هـ، وانظر كتاب الفاطمية دولة التفاريح والتباريح للدكتور جمال بدوي ص١٢٩ وما بعدها. طبعة دار الشروق الثانية، القاهرة مدينة نصر، ٢٠٠٨م.

وابن خلكان، والمقريزي، والجندي، والخزرجي، والسيوطي وعلي بن عبد الرحمن البهكلي، وغيرهم من المتقدمين.

- وترجم له من المتأخرين: محمد حيدر القبي النعمي في كتابه المخطوط: (الجواهر اللطاف)، ومحمد بن أحمد العقيلي في عدد من كتبه، وأحمد محمد الشامي [1]، وحسين الدجيلي، ومحمد بن علي الأكوع، وعبد الله أبو داهش، وحسين صديق الحكمي، وحجاب الحازمي، وآخرون.

وما دمت أتحدث عن عمارة الشاعر فلنتأمل بعض ما قاله المتأخرون في هذا الشأن: (يقول العلامة محمد بن علي الأكوع: محقق كتاب عمارة: (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)): (عمارة الحكمي: أحد الشعراء المجيدين وأحد الكتاب المنشئين المترسلين، وأحد نوابغ الشعر؛ فلا غرابة إذا سجلت أقلام الكتبة والمؤرخين على صحائفهم شخصية عمارة، وخلدوه بين فطاحلة الشعراء والنوابغ والأدباء النوادر)[2].

- أما العلامة عبد الرحمن بن يحيى الأرياني[3] محقق (ديوان عمارة) بالتعاون

---

[1] انظر ص٣١٠ وما بعدها من كتاب: (من الأدب اليمني) لأحمد الشامي طبع دار الشروق ببيروت دون ذكر سنة النشر، وانظر: (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) ج٤ ص١٧٦ وما بعده لاحمد الشامي .

[2] تاريخ اليمن المسمى: (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) للعلامة عماره الحكمي ص٣١.

[3] عبد الرحمن الأرياني: عالم أديب وسياسي وشاعر ومحقق، ولد في بلدة إريان في محافظة إب سنة ١٣٢٨هـ، ونشأ في أسرة علمية شهيرة، فأبوه كان عالما وكان قاضيا بمحكمة الاستئناف بصنعاء، وهو كأبيه ولي القضاء ببلدة النادرة في محافظة إب، وعُيّن حاكما ببلدة العدين، أحد مؤسسي جمعية الإصلاح، رُشّح في حكومة الدستور التي أطاحت بالإمام يحيى، في منصب أمين سر مجلس الشورى، واعتقل بعد سقوط حكومة الدستور، وبعد أن خرج من الاعتقال قام ببيعة ولاية العهد للإمام البدر فعُين نائبا لرئيس الهيئة الشرعية بتعز، وشغل منصب مستشار للإمام أحمد حميد الدين ، ثم وزيرا للدولة ، وحين قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ولي فيها منصب وزير العدل، ثم عُين عضوا في مجلس رئاسة الجمهورية ثم رئيساً لمجلس الوزراء، وفي عام ١٣٨٧هـ تولى رئاسة الجمهورية وظل رئيساً لليمن حتى حصل الانقلاب الأبيض فرحل إلى سوريا وظل مقيماً بها حتى سنة ١٤١٦هـ حيث سمح له الرئيس الحالي بالعودة إلى وطنه ومنحه وسام الجمهورية لكنه ما لبث أن عاد إلى دمشق وأقام بها حتى توفي سنة ١٤١٨هـ له مؤلفات كثيرة منها: (الشريعة المتوكلية والقضاء في اليمن) و(ملحمة من سجون حجة) و من تحقيقاته(ترجيع الأطيار في مرقص الأشعار) للعلامة الآنسي و-

مع أحمد عبد الرحمن المعلمي[1] فهو وإن كان يعتبر عمارة: (رائـد المـؤرخين سياسياً وأدبياً) فهو عنده كذلك: (الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، والكاتـب المترسل، والحافظ الراوية، والمـؤرخ العـالم، والـسفير المتجـول والمحـدث البارع)[2].

- ويقول العلامة عبد الله بن علي العمودي[3]: (كان عمارة الحكمي قد ولد لبضع عشرة وخمسمائة تقريباً بوادي وُسَاع بمدينـة مرطـان .... فـي المخـلاف

-ديوان عمارة الحكمي بالاشتراك مع الأستاذ أحمد المعلمي انظر: ترجمته في الحكومات اليمنية خلال أربعين عاماً والموسوعة اليمنية ونزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر لزبارة ورياح التغيير في اليمن لأحمد الشامي وفي هجر العلم ومعاقله للأكوع ج١ ص٩٥. وغيرها.

[1] أحمد عبد الرحمن المعلمي: عالم، وأديب، وسياسي، ومؤلف، ومحقق، بلغت مؤلفاته ودواوينه وتحقيقاتـه مـا يقارب تسعة وعشرين كتاباً ولد في نمار بقرية (عُتمه) سنة ١٩١٧م، تلقى علومه الأولى في قريته عُتمه وحفظ كثيراً من المتون اللغوية والفقهية ثم انتقل إلى إريان في محافظة إب واتصل بجماعة من علماء آل الإرياني فـي إب فدرس عليهم ثم انتقل إلى مدينة صنعاء، زامل القاضي عبد الرحمن الإرياني تعين سفيراً لليمن في مصر فـي حكومة الثورة ثم نقل سفيراً إلى دولة أثيوبيا، من دواوينه الشعرية: ديوان (المعلمي) و ديوان: (الأسد الكرتون) مجموعة شعرية، ومجموعة شعرية أخرى بعنوان: (صدى الحنين) في مجلدين، وحقق (ديوان عماره الحكمي) مع القاضي عبد الرحمن الإرياني، ومن مؤلفاته: (القضاء في اليمن) و (القات في الأدب اليمني) وغيرها مـن الدواوين الشعرية والمؤلفات. توفي سنة ٢٠٠٤م بمدينة صنعاء، انظر ترجمته في (هجر العلـم ومعاقلـة فـي اليمن) للأكوع ج٣ ص١٢٦٨، و (رحلة في الـشعر اليمنـي) لعبـد الله البردونـي ص٩٧ – ١٠٠، وانظـر (موسوعة أعلام اليمن) موقع للدكتور عبد الولي الشميري على الإنترنت .

[2] مقدمة ديوان عماره الحكمي ص٥٦ شرح وتحقيق: عبد الرحمن الارياني وأحمد عبد الرحمن المعلمـي ط١ دار عكرمة بدمشق ٢٠٠٠م.

[3] عبد الله العمودي: هو عبد الله بن علي بن عبدالله باسند العمودي البكري الصديقي عالم واديب وشاعر ومؤرخ ولد في أبي عريش بمنطقة جازان سنة ١٢٧٨هـ (في بعض الاقوال) وتلقى العلم على عدد من المشائخ في بلده ثم ارتحل الى اليمن فدرس في عدد من هجره العلمية ومدنه ثم عاد الى وطنـه ليـسهم فـي التعلـيم والقـضاء والتاليف، فقد تتلمذ على يديه عدد من طلاب العلم الذين أفادوا من علمه وفـضله، وولـي القـضاء فـي العهـد الادريسي كما ولي القضاء في العهد السعودي، له مولفات كثيرة منها (اللامـع اليمـاني فـي تـاريخ المخـلاف السليماني) واختصره في كتاب سماه: (تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع وقد حققه عبد الله أبـو داهـش ونشره في جزءين)، توفي العمودي – رحمه الله – سنة ١٣٩٨هـ. انظر شيئاً عنه في مقدمة كتابه تحفة القارئ والسامع، وفي كتاب نشر الثناء الحسن للوشلي ج٣ ص٢٦ وغيرها.

السليماني...... إلى أن يقول: (كان فقيهاً نبيهاً فرضياً نحوياً لغوياً شاعراً فصيحاً بليغاً) [1].

- أما عبد الله أبو داهش فقد نقل عن العقيلي وعن الشامي والدجيلي، وياقوت الحموي بعض ما قالوه عن مسيرة عمارة الحكمي الأدبية كما أشار إلى بعض ما قالوه عن شعره وشاعريته، ومما نقله بإشارة غير مباشرة عن الدجيلي قوله: ويصدق حكم أحد الدارسين المحدثين على شعر عمارة إذ قال: (يمتاز أسلوبه الشعري بالجودة والجمال وجزالة الألفاظ والتراكيب والبعد عن التعقيد اللفظي .. طرق في شعره أكثر الفنون المألوفة في ذلك العصر؛ كالمديح، والرثاء، والوصف، وبرزت شاعريته على أشدها في المدح) وبعد أن انتهى من نقل هذه الأحكام النقدية قال في تأييد مطلق لما نقل: (وإنه لكذلك لما انطوى عليه معظم شعره من المعاني الشعرية والقدرة اللفظية في اختيار الدلالة اللغوية وتوظيفها)[2]

- وترجمه الزركلي ترجمة مطولة نجتزئ منها قوله: (مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، ولد في تهامة ورحل إلى زبيد، وقدم إلى مصر برسالة من القاسم بن هاشم أمير مكة، له تصانيف كثيرة منها: النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، وفيه كثير من أخباره التي تحدث بها عن نفسه إلى جانب مختارات من شعره ونثره، وله: المفيد في أخبار زبيد، وله ديوان شعر، قتل سنة ٥٦٩هـ[3].

- ويرى الدكتور جمال بدوي بأن: (عمارة الحكمي شاعر لكل العهود)، بل يجزم (بأن عمارة أكبر شاعر عرفته مصر في الحقبة الأخيرة من العصر الفاطمي)[4]

- أما محمد بن أحمد العقيلي فقد ترجم لعمارة ترجمة فضفاضة جمع فيها فأوعى وبدأها بما كتبه عمارة نفسه عن مشوار حياته منذ أن ترك بلدته: (الزرائب)

---

[1] تحفة القارئ والسامع لعبد الله العمودي تحقيق عبد الله أبو داهش ج١ ص١٣٩- مطابع الجنوب بأبها ١٤٢١هـ

[2] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش - ص٢٤٨.

[3] الأعلام ج٥ ص٣٧.

[4] الفاطمية دولة التفاريح والتباريح للدكتور جمال بدوي ص١٢٩، ط٢ ، مطابع دار الشروق بالقاهرة ٢٠٠٨م.

القريبة من جبل عكوة الواقع شرق مدينة صبيا بالمخلاف السليماني مهاجراً لطلب العلم في زبيد إلى أن غادر زبيد إلى عدن ثم هجرته إلى مكة المكرمة ثم رحيله إلى مصر في سفارة و نقل بعض ما قاله عنه كُتّاب التراجم والمؤرخون واستغرق ذلك صفحات طوال من صفحات وهوامش كتابه: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان)، ولعلي أكتفي بما نقله العقيلي عن العماد الأصفهاني وابن الأثير[1] مما كتباه عن عمارة وعن شعره ونثره فقد نقل عن العماد الأصفهاني [2] قوله: (عمارة: ذو قدرة على النظم الحسن وبلاغة في اللهجة واللسن، وإن شعره كثير وعلمه غزير، وإنه في سماء الشعر والنثر نثرتها)[3]، ونقل عن ابن الأثير قوله: عن عمارة: (عمارة: مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب)[4]، أما المؤرخ أحمد ابن خلكان[5] فيقول عنه: (كان عمارة الحكمي شافعي المذهب شديد التعصب للسنة

---

[1] ابن الأثير: هو أبو الحسن عز الدين بن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الإمام المؤرخ وهو من علماء الأنساب والأدب، ولد سنة ٥٥٥هـ ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، تجول في البلدان ثم عاد إلى الموصل وتوفي بها، من مؤلفاته (الكامل) في التاريخ اثنا عشر مجلداً مرتباً على السنين بلغ فيه حتى سنة ٦٢٩هـ، وله كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) خمسة مجلدات، مرتب على الحروف وله كتاب (اللباب) اختصر به كتاب (الأنساب) للسمعاني وله كتاب (الجامع الكبير) و كتاب (تاريخ الدولة الأتابكية) وغيرها من المؤلفات، توفي سنة ٦٣٠هـ انظر ترجمته في الأعلام ج٤ ص٣٣١، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ ص٣٤٧.

[2] العماد الأصفهاني (٥١٩-٥٩٧هـ): هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله..... الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهاني، كان فقيهاً شافعياً، ولد بأصبهان سنة ٥١٩هـ وقدم بغداد وتفقه على بعض علمائها ثم تولى النظر بالبصرة ثم بواسط ثم انتقل إلى دمشق سنة ٥٦٢هـ أيام حكم العادل نور الدين أبو القاسم محمود الأتابكي ثم توثقت صلاته بصلاح الدين الأيوبي، له مؤلفات كثيرة منها: (خريدة القصر وجريدة العصر) و (البرق الشامي) و كتاب (السيل على الذيل) توفي في مستهل رمضان سنة ٥٩٧هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ ص٢٣٣-٢٣٨، وانظر هامش ص٣٤٦ من كتاب تاريخ اليمن لعماره وآخرين، تحقيق المستشرق (كاي).

[3] التأريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ هامش ص١٠٦

[4] المصدر والصفحة السابقين

[5] أحمد بن خلكان (١٢١١-١٢٨٢هـ): هو أحمد البرمكي الإربلي ولد سنة ١٢١١هـ في إربيل وتلقى العلم في حلب، ودمشق، والقاهرة، وتقلد منصب قاضي القضاة من سنة ١٢٦٠هـ إلى ١٢٧٧هـ، مؤلف موسوعي من مؤلفاته: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) في مجلدات وهو من أشهر كتب التراجم. توفي سنة ١٢٨٢هـ، انظر ترجمته في الأعلام ج١، ص٢٢٠، وفي (طبق الحلوى) ص١١١ وغيرها.

أديباً ماهراً مجيداً، محدثاً ممتعاً)[1]. أما المؤرخ الجَنَدِي وموقفه من سنية عمارة، فقد ظهر في كتابه [2]: (السلوك في طبقات العلماء والملوك) وكأنه

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت ١٩٦٩م، جـ٣ ص١٠٩، وإذا كان ابن خلكان قد وصف عماره بأنه سني المذهب فقد صنفه شوقي ضيف من شعراء الدعوة الإسماعلية وبرر ذلك بأن (عماره) ربما كان سني المذهب في بداية حياته العلمية والعملية أما بعد أن اتصل بأمير مكة الزيدي وبآل زريع الإسماعيليين فالأمر قد اختلف (انظر عصر الدول والإمارات ص١٥٥. ولكن ربما لم يتح لشوقي ضيف الاطلاع على قول عماره نفسه وهو يتحدث عن اختلاف مذهبه عن مذهب الفاطميين وهو يمدحهم فيقول:

مذاهبهم في الجود مذهب سنة وإن خالفوني في اعتقاد التشيع

أو الاطلاع على قول عماره أيضاً وهو يجيب على سؤال الملك طلائع بن رزيك الذي سأل عماره قائلاً: (سألتك بالله ما الذي تعتقده في أبي بكرٍ وعمر؟) فأجابه عماره قائلاً: أعتقد أنه لولاهما لم يبق الإسلام عليكم ولا علينا، وأنه ما من مسلم إلا ومحبتهما واجبة عليه. انظر الصفحات ٤٣-٤٥ من كتاب عماره (النكت العصرية)، وواضح من قول عماره الأخير: (عليكم وعلينا) مخالفته للفاطميين في مذهبهم وأنه ظل محافظاً على سنية مذهبه، وهذا السؤال الذي وجهه الملك طلائع بن رزيك للشاعر عماره حصل في مجلس الملك طلائع نفسه وقد رواه عماره في كتابه النكت العصرية فقال: (كانت تجري بحضرة الوزير مسائل ومذاكرات ويأمرني بالخوض مع الجماعة فيها وأنا بمعزل عن ذلك لا أنطق بحرف واحد حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين في مجلس السمر من ذكر السلف ما اعتمدت عند ذكره وسماعه قول الله عز وجل: (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) ونهضت فخرجت وأدركني الغلمان فقلت حصاة يعتادني وجعها، فتركوني وانقطعت في منزلي ثلاثة أيام ورسوله كل يوم والطبيب معه، ثم ركبت بالنهار فوجدته في البستان المعروف بالمختص في خلوة من الجلساء فاستوحش من غيبتي وقال: خيراً؟ فقلت إني لم يكن بي وجع وإنما كرهت ما جرى في حق السلف وأنا حاضر فإن أمر السلطان بقطع ذلك حضرت، وإلا، فلا، وكان لي في الأرض سعة، وفي الملوك كثرة فعجب من هذا وقال سألتك بالله ما الذي تعتقده في أبي بكر وعمر؟ ......) إلى آخر بقية السؤال والجواب بين عمارة والملك طلائع. انظر كتاب الفاطمية دولة التفاريح والتباريح ص١٢٩ وما بعدها.

[2] الجَنَدي (...-٧٣٢هـ): هو أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي نسبة إلى بلدة (الجَنَد) أو إلى قبيلة الجند، وهم بطن من بني معافر إحدى القبائل اليمنية، والجَنَدي أحد علماء اليمن ومؤرخيها في القرن الثامن الهجري، وله مؤلفات كثيرة من أهمها كتابه الموسوعي: (السلوك في طبقات العلماء والملوك) وهو من المصادر التاريخية المهمة في تاريخ اليمن ويشتمل على سلسلة من تراجم وسير العلماء والفقهاء والحكام توفي الجَنَدي سنة ٧٣٢هـ. انظر مقدمة كتاب: (مجموع): (تاريخ اليمن) لعمارة وابن خلدون والجَنَدي، تحقيق المستشرق هنري كاسل(كاي) ترجمة الدكتور حسن سليمان محمود ص٢٧

متردّ في الحكم على عمارة؛ مع أنه قد نقل كلام ابن خلكان السابق، ولكنه ظل يسائل عنه وعن سنيته من عدمها [1].

- أما المستشرق البريطاني هنري كاسل (كاي)-محقق كتاب تاريخ اليمن فيقول عن عمارة: (يعرف عمارة عند أهل بلده بالحدق، وعند أهل مصر باليمني، وعند أهل اليمن وأهل عدن والجبال بالفقيه، وعند أهل زبيد بالفرضي) وقال (كاي) عن علاقته بالفاطميين: (ظل عمارة الحكمي على ولائه للفاطميين حتى بعد زوال دولتهم، فلما ملك صلاح الدين الأيوبي الديار المصرية مدحه عماره كما مدح جماعة من أهل بيته، وديوانه يتضمن هذه القصائد) [2]، وهذا القول الذي تؤيده مدائح عمارة في صلاح الدين وأسرته قد تداوله أكثر المنصفين ممن تناولوا سيرة عمارة وفيه ما يبعد عن عماره تهمتي: الزندقة، والتآمر حتى وإن لفق له خصومه ومنافسوه ما لفقوا مع أن بعض من ترجم له قد همس تارة وصرح أخرى بتآمر عمارة مع آخرين على صلاح الدين ومنهم: صاحب كتاب: (المصلوبون في العصور العربية) الذي ترجم لعمارة ترجمة جيدة أشار فيها إلى علاقته المتينة بالفاطميين؛ وأنهم كانوا يبالغون في إكرامه، وأنه مدحهم كثيراً وظل موالياً لهم حتى دالت دولتهم إلى أن قال مصرحاً بالتهمة: (واتفق عمارة مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة وعمارة من جملتهم) وحتى يؤكد ما ذهب إليه، نقل قول المؤرخ المقريزي: (إن أبياتاً نظمها عمارة كانت السبب المباشر في غضب صلاح الدين عليه والفتك به مع من تآمر معهم ضده) [3]. قلت: وهذا وذاك لم يجد عمارة شيئاً؛ فقد قتله صلاح الدين الأيوبي أياً كانت الأسباب وإن كنت أميل إلى الرأي الذي يشكك في صحة هذه الرواية؛ ذلك لأن عمارة غريب الدار وليس من أصحاب العصبيات ولا من قواد الحملات الذين عرفوا بالصولات والجولات وإنما

---

[1] السلوك في طبقات العلماء والملوك، للجندي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط1 وزارة الثقافة والإعلام اليمنية صنعاء ١٩٨٩م، ج1 ص١٦٠ ، ١٦١.

[2] تاريخ اليمن (لعماره وابن خلدون والجَنَدي) تحقيق المستشرق (كاي) ص١١.

[3] المصلوبون في العصور العربية لخازن عبود، ص١٢٦، دار الحرف العربي، بيروت ط1، ٢٠٠٤م.

هو شاعر فحسب. وربما كان مؤرخ القرن التاسع في المنطقة العلامة :يحيى بن أبي بكر العامري[1] خير من وصف باختصار مشاوير عمارة العلمية والسياسية والأدبية حين قال عنه:(عمارة الحكمي: نزيل مصر،وشاعر العصر،اشتغل بالفقه في زبيد، وحج فسيّره صاحب مكة قاسم بن هاشم إلى صاحب مصر فمدحه بقصيدة ميمية حسنة، فأجزل عطيته،فرجع إلى مكة، ثم إلى زبيد، ثم حج ثانية فسيّره صاحب مكة ثانية إلى مصر فاستوطنها....توفي مقتولا سنة ٥٦٩هـ)[2].

- أما العلامة المؤرخ علي بن عبد الرحمن البهكلي (١٠٧٣-١١١٤هـ) فيعتبره أحد مفاخر المخلاف السليماني حيث يقول: (الفقيه العلاّمة عماره بن أبي الحسن علي بن أحمد بن زيدان بن أحمد الحدقي: أحد مفاخر المخلاف السليماني، من لم يكن له في عصره ثانٍ)[3].

- أما عمارة نفسه فقد قال عن أسرته وعن نفسه الكثير الكثير. فمما قاله عن نفسه حين وصل إلى زبيد لطلب العلم:(لازمت الطلب فأقمت أربع سنين لا أخرج من المدرسة إلا لصلاة الجمعة ثم زرت الوالد في السنة الخامسة [4]، ومما قاله عن نفسه أيضاً: (لما كان في علم ٥٣٩هـ زارني والدي وخمسة من إخوتي إلى زبيد فأنشدته شيئاً من شعري فاستحسنه ثم قال تعلم والله أن الأدب نعمة من نعم الله عليك فلا تكفرها بذم الناس واستحلفني أن لا أهجو مسلماً قط ببيت شعر فحلفت له على ذلك، ولطف الله بي فلم أهج أحداً والله المحمود ما عدا إنساناً

---

[1] يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري(٨١٦-٨٩٣هـ): محدث اليمن وشيخها ومؤرخها ولد سنة ٨١٦هـ وأخذ العلم على عدد من علماء اليمن ثم رحل إلى مكة وأخذ عن بعض علمائها وكانت له شهرة واسعة داخل اليمن وخارجه، وله مؤلفات كثيرة منها: (غربال الزمان في وفيات الأعيان) وله (ثبت العامري) و له (حادي القلوب إلى وطن المحبوب) وغيرها من المؤلفات توفي سنة ٨٩٣هـ انظر ترجمته في البدر الطالع ج٢ ص٣٢٧، وفي الأعلام ج٨ ص١٣٩، وفي مصادر الفكر ص٤٩، وفي الروض الأغن ج٣ ص١٥٠، وفي العقيق اليماني الورقة ١٤٠، وقد جعل تاريخ وفاته ٨٩٤هـ.

[2] غربال الزمان في وفيات الأعيان ليحيى بن أبي بكر العامري، تصحيح وتعليق: محمد ناجي العمر. بإشراف عبد الرحمن الإرياني، ص٤٥٣-٤٥٤، دار الخير للنشر والتوزيع دمشق ١٤٠٥هـ.

[3] العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب للعلامة: علي بن عبد الرحمن البهكلي تحقيق محمد بن أحمد العقيلي ص٤١ مطابع دار البلاد بجده دون ذكر سنة النشر.

[4] النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية لعماره الحكمي ط٢ ص٨ .

هجاني بحضرة (الملك الصالح) ببيتي شعر فأقسم (الصالح) علـيَّ أن أجيبه ففعلت متأوّلاً) [1] والغريب أنه قد وردت له في ديوانه وفي كتابه (النكت العصرية) بعض القصائد التي هجا بها عدداً من الناس؛ فقد هجا ابن دخان مرات عديدة، وأهاجيه فيه وفي غيره ممن ذكرنا كثيرة منها قوله من قصيدة يهجو فيها بن دخان:

قـل لابـن دخـان إذا جئتـه ... ووجهـه ينـدى مـن القرقـف
مكّنـكَ الـدهر سـبال الـورى ... فـاحلق لحـاهم آمنـاً، وانتـف
خـلا لـك الـديوان مـن نـاظرٍ ... مـستيقظ العـزم، ومـن مُـشْرِف
فاكسب وحصّل وادَّخِـر، واكتنـز ... واسرقْ،وخُنْ،وابْطُشْ،وخُذْ،واخطُف
وابك، وقلْ ما صـح لـي درهـمٌ ... فردٌ، وصـلِّبْ، واجتهـد، واحلـف

إلى أن ختمها بقوله:

هـذا دخـان الـشعر أرسـلتُه ... إلى دخـان المـشعل الأسـخف [2]

ويقول في هجاء ابن دخان أيضاً:

دعنـي أُثَقِّـلُ بالهجـاء لجامـه ... إن البغـال كثيـرة الإخـلاف
لا تـأمنَنَّ أبـا الرذائـل بعـدها ... واحـذر أمانـة سـارق خطـاف
فـالمرتجي عنـد اللئـام أمانـة ... كالمرتجي ثمـراً مـن الصفـصاف

إلى أن يقول فيها:

إن كان يحسب أن خسة أصله ... تحميه من حمتـي ومُـرّ زُعَـاف
فالأسد تفترس الكلاب إذا عـدت ... أطوارها، والأسد غيـر ضـعاف [3]

وكما هجا ابن دخان فقد هجا الشاعر الأحدب كذلك، وهجا عديّ الملْك، وهجا أبا الفضل، وهجا الكاتب الجعل، وهجا آخرين[4]، ومما قاله عن أسرته: (يقول جدي

---

[1] المصدر السابق ص٢١-٢٣ .

[2] المصدر نفسه ص٢٩٤.

[3] المصدر السابق ص ٢٩٣.

[4] النكت العصرية انظر الصفحات ٢٩٣-٢٩٤-٢١٥-٢٩٢-٢٩٥-٢٨١، وهؤلاء الشعراء والكتاب والعمال الذين هجاهم عماره هم – ربما – كانوا من منافسيه لدى حكام مصر إبّان إقامته بها.

(زيدان): (أنا أعُدُ من أسلافي أحد عشر جداً ما منهم إلا عالم مصنف في علوم عدة) [1].

مؤلفاته:

ترك لنا عمارة الحكمي عدداً زاخراً من المؤلفات المتنوعة ومنها:

١- ديوانه الشعري المسمى: (ديوان عمارة) وقد طبع في القاهرة) [2].

٢- تأريخه: (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) حققه العلامة محمد بن علي الأكوع ونشرته المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع في طبعته الثالثة ١٤٠٥هـ، وسمّاه (فؤاد سيد) محقق كتاب العقد الثمين للفاسي :(المختصر المفيد في تأريخ زبيد) [3].

٣- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية وقد طبع في أوروبا بعناية المستشرق الفرنسي: دير نبورج [4]، وكان هذا الكتاب قد طبع قبل ذلك طبعتين غير منضبطتين كما يقول محقق العقد الثمين [5] وطبع طبعة ثالثة في مطبعة مدبولي بالقاهرة عام ١٤١١هـ

٤- (الأنموذج): حكاه الجندي في تأريخه وذكر محقق كتاب عمارة : (تأريخ اليمن) بأن اسمه : (نموذج ملوك اليمن) [6] .

٥- أخبار الشعراء . [7]

٦- كما صنف في علم الفرائض (وربما كان مصنفه هذا مفقوداً لكنه أشار إليه عمارة في كتابه: النكت العصرية) [8].

---

[1] المصدر نفسه ص٨.

[2] المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص٤٣.

[3] انظر هامش ص٢٤١ ج٦ من كتاب: (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين).

[4] المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص٤٣، وانظر التاريخ الأدبي ج١ ص١٠٧.

[5] العقد الثمين للفاسي ج٦ هامش ص٢٤١.

[6] تأريخ اليمن لعمارة الحكمي تحقيق المستشرق (كاي) ترجمة: الدكتور حسن سليمان محمود ص١٢.

[7] المصدر والصفحة السابقين، وانظر التأريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١هامش ص١٠٧.

[8] النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ص٢٣.

وقبل ختام هذه اللمحة السريعة عن هذا الشاعر العلم وقبل الانتقال إلى اختيار شيء من شعره أود الإشارة إلى أن نبوغه وتفوقه الشعري اللذين بوآه مراتب متقدمة لدى من صحبهم من ملوك، وأمراء، ونبلاء، وساسة، وأدباء أعلام وعلماء كبار؛ ربما كانا من أسباب وروده المهالك كما تذكر أكثر المصادر التي تحدثت عن عمارة الحكمي ونهاية حياته بالقتل ذاكرة بعض أسبابها الظاهرة.. وممن أشار إلى ذلك: محققا ديوان عمارة الحكمي: عبد الرحمن الإرياني، وأحمد المعلمي حيث ذكرا بأن: (عمارة الحكمي اختلط بالوزراء والملوك والسلاطين، ونافسه على ذلك أنداده وأترابه من الفقهاء والأدباء والشعراء واكتوى بنيران الحسد تؤججها مكائد قصور الحكام والوزراء في كل من زبيد وجبله وعدن ومكة والقاهرة [١].

- نماذج من شعره:

في البداية لابد من الإشارة إلى أن ديوانه المنشور في مجلدين يحتوي على شعره الذي كتبه في أثناء إقامته في مصر فقط، أما شعره أيام الطلب في زبيد أو بعد إتمام الدراسة أو أيام إقامته في جَبَلَه، أو في عدن، أو في مكة، أو في المدينة، فما زال خافياً علينا حتى الآن ولم نجد منه سوى بيتي الرجز اللذين (قالهما يخاطب نفسه وقد أشرف على جبلي عكاد القريبين من وطنه بجانب جبلي العكوتين) :

إذا رَأَيْتِ جبلي عكاد
والعكوتين من مكان بادي
فأبشري يا عين بالرقاد [٢]

---

[١] مقدمة ديوان عمارة الحكمي ج١ ص٢٠.

[٢] خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، لعبد الرحمن البهكلي، ص٢٢٤، ٢٢٥.

ومع ذلك فإنني وغيري أمام ديوانه هذا نقف مبهورين ليس فقط من غزارة إنتاجه فحسب ولا من تنوع أغراضه أو تعدد موضوعاته فحسب ولكن لكل هذا ولغيره ولأننا نجده في شعره هذا وفي سائر شعره شاعراً يحترم الكلمة الشاعرة، ويعتز بنفسه، ويعتز بشعره، وقارئ شعره سيجده يمثل عصوراً أدبية، وبيئات ثقافية متنوعة، عاشها عمارة الحكمي وتمثلها في شعره، وسيلمس غوصه على المعاني بفنيات عالية، وقدرات فائقة، لهذا فلعل القارئ يعذرنا إن نحن أكثرنا الاختيارات من شعره؛ فشاعرنا غزير الإنتاج، وشعره في كل غرض يمثل ديواناً شعرياً؛ لذلك فإنني ألتمس العذر من القارئ حين يجدني أختار له من الغرض الواحد القصيدتين أو أكثر.

وفيما سأختار من شعر عمارة سيجد القارئ ما يؤكد بعض ما أشرت إليه من غزارة إنتاجه وتنوعه؛ فعلى الرغم من فقدان شعره الذي دبَّجه إبَّان إقامته الطويلة في اليمن وأيام زياراته لشريف مكة واتصاله به وكذلك أثناء اتصاله بأعلام وأمراء عصره، على الرغم من فقدان ذلك الشعر فقد وجدنا في شعره الغزير الذي كتبه أيام إقامته في مصر ما عوضنا – بعض الشيء – عما فقدناه فقد غطى فيه معظم الأغراض الشعرية السائدة في عصره.

وفي اختياراتنا التالية ربما استهوانا شعره في بعض الأغراض فاخترنا نصين أو ثلاثة أو أكثر، وذلك لنضاعف متعة القارئ، على أننا لن نفرض على مختاراتنا استكمال سائر النصوص الطويلة، فإلى تلك المختارات:

من شعر عمارة في المديح:

في المديح نقرأ أولاً لعمارة نصاً دبجه في مدح السلطان (الفائز) [1]، ووزيره الملقب بالملك الصالح، وهي من أولى قصائده في مديح السلاطين الفاطميين ووزرائهم؛ لذلك فقد تأنق في اختيار ألفاظها، وصاغها صياغة فنية

---

[1] السلطان الفائز: هو: أبو القاسم عيسى بن الظافر الفاطمي (...–٥٥٥هـ) أحد سلاطين الدولة الفاطمية المتأخرين الذين شهدوا بداية انهيار الدولة الفاطمية، تولى الخلافة سنة ٥٤٩هـ واستوزر (طلائع بن رُزّيك) الذي لقب بالملك الصالح، توفي السلطان الفائز سنة ٥٥٥هـ انظر: الأعلام ج٥ ص١٢٥.

أدنتها من عيون الشعر العربي في المديح، ليس فقط لأنها تضم أبياتها ذلك البيت الذي استخدمه علماء البلاغة شاهداً بلاغياً وهو الذي يقول فيه:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمهـا ... عقود مدح فما أرضى لها كلمي

وتأتي روعة هذه القصيدة بسبب ما حشده فيها من ثنائيات جميلة حيث قال:

الحمد للعيس بعد العـزم والهمـم ... حمداً يقوم بما أولـت مـن الـنعم
لا أجحد الحق عندي للركـاب يـدٌ ... تمنت اللجم منهـا رتبـة الخطـم
قَرَّبنَ، بُعْد مزار العِز مـن نظـري ... حتى رأيت إمام العصر مـن أمَـمِ
ورحن من كعبة البطحاء والحـرم ... وفداً، إلى كعبة المعروف والكـرم
فهل درى البيت أني بعـد فرقتـه ... ما سرت من حرم إلا إلـى حـرم
حيث الخلافة مـضروب سـرادقها ... بين النقيضين: من عفو ومن نقـم
وللإمامـــة أنـــوار مقدســـة ... تجلو البغيضين: من ظُلْمٍ ومن ظُلَمِ
وللنبـوة آيـات تـنص لنـا ... على الحقيقين: من حُكْمٍ ومن حكَم
وللمكـارم أعـلام تعلمنـا ... مدح الجزيلين: من بأس ومن كرم
وللعلـى ألـسنٌ تُثنـي محامـدها ... على الحميدين: من فعل ومن شيم
وراية الـشرف البـذاخ ترفعهـا ... يد الرفيعين: من مجد ومـن همـم
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمنـي ... في يقضتي أنها من جملـة الحُلُـمِ
يوم من العمر لم يخطر على أمـل ... ولا ترقَّـتْ إليـه رغبـة الهمـم
ليت الكواكب تدنو لـي فأنظمهـا ... عقود مدح فما أرضى لهـا كلمـي
ترى الوزارة فيـه وهـي باذلـة ... عند الخلافة نـصحاً غيـر مـتهم
عواطـف علمتنـا أن بينهمـا ... قرابة من جميـل الـرأي والـرحم
خليفـةٌ ووزيـرٌ مـدَّ عـدلُهما ... ظلاً على مفرق الإسـلام والأمـم
زيادة النيل نقص عنـد فيـضهما ... فما عسى يتعاطى هاطل الـديم [1]

---

[1] ديوان عماره ج٢ ص ٨٦٤-٨٦٧، وانظر: النكت العصرية ص٣٢-٣٤.

وفي المديح أيضاً نقرأ لعمارة قوله في مدح السلطان العاضد[١]:

الشعر يعلم أنّ قدرك أكبر	مما نقول وأنّ فضلك أكثر
لكن مدحك خدمة مفروضة	أُمِر المُقِلُّ بفعلها والمُكْثِرُ
إن الرعايا استبشرت بخليفة	وجه الزمان بوجهه يستبشر
(العاضد) الطهر الذي أعراقه	في الأصل من ماء الغمامة أطهر
نظروا إليك وأكبروك مهابة	فمُسَبّح ومهلل ومكبر
حتى حللت رواق عالية الذرى	أمست ذرى الهرمين عنها تقصر
وإذا اختصرت القول في تشبيهها	فكأنها الفُلْكُ المحيط مصورُ
شَرُفَتْ أمير المؤمنين مواسمٌ	أضحت تُؤرخ باسمكم وتُسطَّرُ
قسمت كما قسم الزمان فحاضرٌ	لم ينصرم ومُقَدمٌ ومُؤخرُ
وأجلها (يوم الخليج) [٢] فإنه	من بينها يوم أغرُ مُشَهَرُ
يوم كأن الجيش تحت قتامه	سرٌ بأثناء الجوانح مُضمَرُ
وافاك فيه النيلُ وهو من الحيا	خجِلٌ يُقَدِّمُ رجلَه ويُؤخرُ
قد جاء معتذراً إليك وتائباً	من ذنبه الماضي ومثلك يعذرُ
لولا تعثُرُهُ بأذيال الثرى	ما كان مذروراً عليه العِثْيَرُ
ولو انه لاقى ركابك صافياً	صِرْقاً لكدَّره العجاجُ الأكدرُ
ولقد عدمناه، فَنبْتَ نيابة	عَزَّ الغنيُّ بها، وأثرى المُعسرُ
إن كان من نهرٍ فكفك لجةٌ	أو كان من مطر فوبلك أغزر
شتان بينكما أبحرٌ واحدٌ	كيدٍ أناملها الكريمة أبحرُ؟

---

[١] العاضد: هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي، آخر ملوك مصر من العبيديين ولد سنة ٥٤٦هـ وتولى الملك بعد وفاة ابن عمه الفائز سنة ٥٥٥هـ وعمره تسع سنوات فكان ملكاً (اسماً) أما الملك الحقيقي الذي بيده مقاليد الأمور فهو وزيره (الملك الصالح) طلائع بن رُزّيك أومن أتى بعده من الوزراء، توفي العاضد مسموماً سنة ٥٦٧هـ.

[٢] يوم الخليج: قال شارحا الديوان: (يوم الخليج: هو موسم فتح الخليج كان من أعياد الفاطميين في مصر وكانوا ينفقون فيه الأموال ويفرقون الخلع والرسوم على أرباب الدولة) ديوان عمارة هامش ص٤٣٠.

في كل وقتٍ فيض جودك حاضرٌ فينا ونائله يغيبُ ويحضرُ
فتملُّ موسمهُ وعمراً خالداً تمضي لياليه وأنت مُعَمَّرُ
وتهنَّ أيام الكفيلِ ودولةً عزَّت بها فهو الهناء الأكبرُ
هذي الدعاةُ[1] كفيل[2]دولتك التي تهدي إذا ضلَّ السميع المبصرٌ
إن كنت في وجه الخلافة مقلة (فالصالح)[3] الهادي عليها مِحْجَرُ[4]
أو كنت في حرم الإمامةِ قبلةً فهو الشعارُ لأهلها والمشعَرُ
أو كنت للإسلام شمس هدايةٍ (فطلائعٌ) منها الصباح المسفرُ
ملكٌ إذا عُدَّ الملوكُ وفضلها بدأ اللسان به وثنى الخِنْصَرُ

إلى أن قال:

شرُفت (بنو رُزَّيك) [5] حتى أنهم دون البرية للكواكب معشرُ
فليسلموا (للعاضد) بن محمدٍ عضداً يذل به العدو ويقهرُ [6]

وهكذا رأينا عمارة ينطلق في هذه القصيدة مباشرة إلى ممدوحه (العاضد) دون مقدمات طللية، أو تشبيب كعادة كثير من الشعراء؛ ربما لأن ممدوحه قريب من وجدانه، لذلك أصفاه مديحه مباشرة، وقد مدح في هذه القصيدة معه بعض وزرائه من بني رُزِّيك وفي مقدمتهم: (طلائع بن رزيك) الذي

---

[1] الدعاة: جمع داعٍ وهو لقب عند الفاطميين لمن ينوب عن الأئمة في الدعوة إلى مذهبهم.

[2] الكفيل: يقصد به الشاعر: الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك.

[3] والملك الصالح: هو أبو الغارات طلائع بن رُزِّيك الملقب بالملك الصالح ولد سنة ٤٩٠هـ وتولى الوزارة للفائز عيسى بن الظافر إسماعيل الفاطمي كان الملك الصالح فاضلاً، سمحاً، محباً لأهل الفضل وكان شاعراً، جواداً مقصوداً ممدَّحاً مدحه شاعرنا عماره كما مدحه غيره من الشعراء ظل وزيراً للفائز حتى مات وحين تولى العاضد مكان الفائز استمر الصالح على وزارته حتى قتل سنة ٥٥٦هـ. انظر تعليق محققي ديوان عمارة في هامش صفحتي١١٣،١١٤، (بتصرف)، وانظر: تاريخ اليمن لعمارة تحقيق (كاي) ص١٠.

[4] المحجر: حوض العين.

[5] بنو رُزِّيك: أسرة برز منها عدد من الوزراء الذين ساندوا الحكام الفاطميين في آخر أيامهم وفي مقدمة أولئك الوزراء الوزير الذي لقب بالملك الصالح: (طلائع بن رُزِّيك).

[6] انظر: ديوان عماره اليمني ج١ ص٤٢٩-٤٣٢.

شبه حمايته للخلافة الفاطمية بحماية المِحْجَر للعين وذكر أن بقية وزراء بني رُزّيك خير من يساعد على حماية البلاد من أطماع الطامعين.

- وهاهو عمارة يخصص قصيدة أخرى في مدح أحد أمرائهم ممن أغدقوا عليه وأكرموه غاية الإكرام فلنقرأ قصيدته التي وجهها للأمير (الظهير)(١) وذكر في كتابه: (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية) مناسبة هذه القصيدة مفيضاً القول في بعض المواقف التي حصلت له مع الأمير الظهير هذا وما غمره به من كريم عطاياه السخية فجاءت هذه القصيدة لحن وفاء نوبه وجدان عماره رداً لجميل ممدوحه واختار لها نغماً راقصاً زادها بهاءاً إلى جانب تلك الصور الجميلة التي ازدهت بها القصيدة التي يقول فيها عمارة:

قدومك أفرح قلب الهدى	وآنس وحش عراص الندى
وأبردَ مني جوى لوعة	نَهَتْ نَفَسَ الليل أن يبردا (٢)
وأرخى عليَّ الدجى أبيضاً	وقد كان نور الضحى أسودا
شكتْ رمدةَ الجفن في مقلة	قدمت فكنت لها الإثمدا (٣)
ولو لم أجد رمداً إذ نأيتَ	دعوتُ عليها بأن ترمدا
أجبتَ « المحلَّة » لمَّا دعت	بكفٍّ يكفُّ أكفَّ العدا
ولما حللت بأرجائها	نقعتَ الصدى وجلوت الصدا (٤)
ولبّدت منها العجاج المُثارَ	وثُرتَ بها أسداً مُلبِدا

(١) الأمير الظهير: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر، وإن كان عماره الحكمي قد أثنى عليه ثناءً عاطراً في مقدمة قصيدته هذه ومما قاله عنه: (وممن لا أقيس أحداً من الأمراء الأكابر بمكارمه إليَّ وجميله عليَّ: الأمير الظهير مرتفع الثائر في أيام ضرغام، عرفته من مجلس سيف الدين حسين، وكنت مجاوراً له في الصاغة بحارة الأمراء سنة ٥٥١هـ وحصلت بيني وبينه مودة أكيدة)، ثم مضى عماره في ذكر تفاصيل إكرامه له وإنعامه عليه في ثلاث صفحات ختمها بقوله: (ولما خرج إلى الغربية في أيام رزّيك وعاد إلى القاهرة لقيته مهنئاً بقصيدة) ثم اتى على القصيدة، انظر الصفحات ١٤٠-١٤٢ من كتاب عماره النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية.

(٢) الجوى: شدة الوجد. واللوعة: حرقته، ونهت: أي منعت. كأنها لشدة حرارتها لا يبرد معها الليل فهي تمنعه.

(٣) الرمدة: المرة من إصابة العين بالرمد، والإثمد: حجر يسحق ويكتحل به ويعرفه علم الكيمياء باسم (انتيموان).

(٤) نقعت الصدى، أي العطش.

وعاشت يدُ الدهر في سربها ... فأصلحتها قبل أن تفسدا
تروع قلوباً بها أو تروق ... كذا السيف جُرّد أو أُغمِدا
ستحسد من فضلك النيِّرات ... وحُقٍّ لفضلك أن يُحسدا
سها شغفاً بك قلبُ السُهى ... وزاحمت في بُرجه الفرقدا
فدىً «للظهير» ولا أتّقي ... ملامة من لامَ، أوفنَّدا [1]
رجال هو المبتدا في السماح ... به وهُمُ: خبر المبتدا
وجدُتكَ أخلفهم في العقاب ... وعيداً، وأصدقهم موعدا
وأطهرَ من ضمَّه مَحفِلٌ ... مغيباً، وأطيبهم مشهدا
وأكرمَ أجدادهم مُنجِداً ... وأكرم أجوادهم مَحتِدا [2]
كأني بأيامه قد أتتْ ... رواكع من ندمٍ سُجَّدَا
خواضعَ تسأله أن يعود ... عليها بصفحٍ كما عوّدا
ينادي السماحُ على بابه ... هَلُمُّوا، فهذا يحب الندا
«أبا العز» لو جاز أن يُعبد الـ ... ـكرام لأفتيت أن تُعبدا
رأيتك تُسلِفُ هذا المديح ... نوالك من قبل أن تحمدا
وغيرك يُسدى جميلُ الثنا ... إليه فيذهب لغواً سدى
وكم لك في الناس من منّة ... أطلتُ على الشكر فيها المدى
ومكرمة أمرتْ رغبتي ... وظنيَ في الناس أن يزهدا
وبرٍّ تعوّد قصدي فلو ... سرى في الدجى وحده لا هتدى
أجَدتُ وعلمتني ما أقول ... ولا ينكر الشعر إن جُوِدا [3]

وهذه القصيدة كما ترى تعبر عن وفاء عمارة، واعترافه بفضل ممدوحه (الظهير) حتى لقد نسب إليه – مبالغة – جودة شعره فهو الذي: (علمه ما يقول)

[1] فندا: لامَ، أو خَطَّأ.

[2] المحتد: الأصل.

[3] الديوان ج١ ص٣٦٠-٣٦٢، ولست مع ما نقله الدكتور جمال بدوي عن المؤرخ الصفدي بأن (تلك المدائح مليئة بالغمز واللمز) انظر ص١٣٦ من كتابه الفاطمية دولة التفاريح والتباريح.

على أن عمارة قد اختار لهذه القصيدة بحر (المتقارب) الذي هيأ لها نغماً راقصاً يشبه رقصات أمواج النيل وهي في نغمها هذا تذكرنا بقصيدة الشاعر المصري (علي محمود طه) التي يقول في مطلعها:

(أخي جاوز الظالمون المدى   فحق الجهاد وحق الفدا) [1]

التي صاغ ألحانها الباكية وأنشدها: الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب.

ومن شعر عمارة في الرثاء:

وكما مدح بقية السلاطين الفاطميين ووزراءهم، وبعض أمرائهم بغرر قصائده فقد رثاهم وبكى محامدهم، وحدبهم عليه، وأشاد بأيامهم التي عدها من غرر الدهر وظل عمارة وفياً لهم ولذكراهم التي تغنى بها كثيراً وتعرض بسببها لمضايقات المنافسين لذلك اضطر في بعض مراثيه أن يضع فيها بعض المبررات لرثائه كهذا النص الذي سأختار منه بعض أبياتٍ صاغها الشاعر عمارة الحكمي في رثاء بني رُزّيك؛ حيث سنرى كيف حول عمارة هذا النص إلى مديح، ورثاء، واعتذار، وسنرى كيف تبدو في هذا النص مقدرة عمارة الفنية الفائقة على الجمع بين المتناقضين فهو يحاول رثاء بني (رُزّيك) ـ وفاء ـ ويتخذ ذلك مدخلاً لمدح الوزير (شاور) الذي خلفهم على دست الحكم فيعتذر إليه معللا بأن ثناءه على بني رُزّيك ورثاءه لهم إنما هو تأكيد للثناء على من خلفهم، فأغرقهم في خضم سيله العَرِمْ؛ لذلك سمعناه يحتال للوصول إلى هدفه قائلا :

صحت بدولتك الأيام من سقم   وزال ما يشتكيه الدهر من ألم
زالت ليالي بني رزّيك وانصرمت   والمدح والذم فيها غير منصرم
كأن صالحهم يوماً وعاد لهم   في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهي ساكنة   والسلم قد ينبت الأوراق في السلم
كنا نظن وبعض الظن مأثمة   بأن ذلك جمع غير منهزم
فمذ وقعت وقوع النسر خانهم   من كان مجتمعاً من ذلك الرخم

---

[1] علي محمود طه الشاعر والإنسان ص٩٠-٩١، لأنور المعداوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

ولـــم يكونـــوا عـــدواً ذلَّ جانبـــه | وإنما غرقـــوا فـــي ســـيلك العـــرم
وما قصدت بتعظيمي عداك ســـوى | تعظيم شأنك فاعـــذر لـــي ولا تلـــم
ولـــو شـــكرت لياليهم محافظـــة | لعهدهم لم يكـــن بالعهـــد مـــن قـــدم
ولو فتحـــت فمـــي يومـــاً بـــذمهمُ | لم يرض فضلك إلا أن يـــسد فمـــي
والله يـــأمر بالإحـــسان، عارفـــةً | منه، وينهى عن الفحشاء في الكلم[1]

ولو دققت النظر في قول عمارة (ولم يكونوا عدوّاً، ذلَّ، جانبه) ...إلـــى آخر البيت لأدركت قدرته الفنية الفائقة على الجمع بين الماء والنار في بيت واحد فكأنه يقول: خصومكم من بني رُزّيك لم يكونوا جبناء ولا ضعفاء بل كانوا أبطالاً صناديداً، لكنكم كنتم أقوى منهم فأبدتموهم.

وبرغم ما ذرفه عمارة الحكمي من دموع الوفـــاء علـــى فقـــد أصـــدقائه ومحبيه من ولاة الفاطميين وأمرائهم وما سكبه فيهم من قصائد الرثاء التي تنضح بالحزن والأسى إلا أن رثاءه لابنه (محمداً) ربما كـــان أصـــدق عاطفـــة، وأرق ديباجة، وأقوى تأثراً وتأثيراً، تجد برهان ذلك في هذا النص الذي يمتـــزج فيـــه الحزن والأسى بالثكل والوجد المشوبين بالحنين حيث يقول في مناجاة لمدفن ابنه ومثواه بسفح المقطم المعروف:

أيا سفح (المقطَّـــم) كـــم ســـفحنا | على مجـــراك مـــن دمـــعٍ هتـــون
وقفتُ على مجرٍ حـــصاكَ أجْـــري | على خديَّ جمـــرَ غـــضا الجفـــون
هوتْ فيكَ الشوامخُ مـــن حـــصوني | ذوتْ فيك البواذخ مـــن غـــصوني

---

(١) انظر المقدمة التي قدم بها العلامة محمد بن علي الأكوع كتاب عمارة: (المفيد) فـــي طبعتـــه الثالثـــة ص٤٠، ولقد اختصر العقيلي ترجمة هذا العلم الشامخ في أحد هوامش كتابه: (أضواء على الأدب و الأدباء فـــي منطقـــة جازان) فقال: (من أهل منطقة جازان (من وادي وُسَاغ) رحل لطلب العلم إلى زبيد فـــي الـــيمن وتخـــرج بهـــا والواقع أن همته العالية وصلاته القوية بأمراء وملوك زمانه وتقلبات الأحوال السياسية طوفت به في الآفاق إلـــى أن قتل في مصر سنة ٥٦٩هـــ رحمه الله) وانظر هامش ج١ ص٧ من كتاب العقيلي أيـــضا: التـــأريخ الأدبـــي لمنطقة جازان.

وكم لي في (القرافة) من حبيبٍ ... قريب وهو رهن نوى شطون
أوسِّدُهُ اليمين وكنتُ أرجو ... وآمل أن يوسِّدني يميني
دفينٌ زادني في الوجد أني ... شُكِرْتُ له على الصبر الدَّفين
سمحتُ به على رغمٍ وكنَّا ... إذا فارقته فارقت ديني
فيا ولدي ويا كبدي تيقَّنْ ... بأنَّ أباك مغلول اليقين
أُسلِّي النفسَ عنكَ وكيف أسلو ... وبي ظمأ إلى العذب المعين
لئن أبْلَتْ لكَ الدنيا جبيناً ... فثكلي فيكَ قد أبلى جبيني
كأنَّكَ يا (محمد) لم تدافِعْ ... صدورَ نوائب الأيامِ دوني
ولم تلقَ الخطوبَ وقد عرتني ... فيطرُدها زئيرُكَ عن عريني
ولا وثقتْ ظنوني أنَّ سري ... لديكَ وديعةُ الثقة الأمين
رُزِقْتُكَ بعد إدراكي بعامٍ (١) ... فلم تبعد سنينك عن سنيني
فكنتُ إذا العيون رنَتْ إلينا ... أخي في كلِّ عينٍ أو قريني
وكنتُ أرى الحنانة ضعف عزم ... فآنسني فراقك بالحنين
فلا فَقَدَتْ ضلوعي فيك وجداً ... عوازِبُه تثورُ من الكمين
ولا عدمتْ بكَ الأنفاسُ ناراً ... تذيلُ ودائعَ الدمعِ المصون (٢)

ومن شعر عمارة في الشكوى:

إن من يقرأ ما انتهت به حياة عمارة الحكمي يظن بأن عماره لم يصانع صلاح الدين الأيوبي ولم يشد بأيامهم وبدولتهم لكننا حين نتصفح ديوانه نجده يمدح صلاح الدين ووالد صلاح الدين وأسرة صلاح الدين الأيوبي[٣]، محاولاً أن يدحض شبهات الوشاة والمغرضين عن نفسه غير أن كل هذا لم يخفف عنه شيئاً من المضايقات فلجأ إلى شكوى الحال في لغة مترفعة يقرع بها سمع الزمان

---

(١) بعد إدراكي بعام: أي بعد بلوغي الحلم.

(٢) الديوان ج٢ ص٩٨٨.

(٣) انظر الديوان ج٢ ص٩٣٥ وما بعدها.

ويلقي فيها نفثة مصدور حاريه الوقت، وصارعته الليالي فلجأ بعد الله إلى الشكوى التي يستعرض فيها بعض معاناته قبل قدومه إلى مصر، وأثناء استقراره بها؛ ذاكراً أسباب خروجه من بلده، ومشيرا إلى بعض ما لقيه من تقلبات الأيام، وذلك أنه أيام سفارته الثانية في مصر عام ٥٥٢هـ وما بعدها قد لقي من آخر الحكام الفاطميين: (الفائز (...-٥٥٥هـ))، و(العاضد (...-٥٦٧هـ)) ووزراءهما وأمراءهما منتهى الرعاية والحفاوة وغاية الإكرام وها هو بعد أن انتهت دولتهم وأيامهم تسوء أحواله ويتعرض للمضايقات [1] التي ربما كان بعضها ناتج عن وشايات المنافسين والشانئين كل نلك وغيره تحدث عنه عماره من خلال قصيدته هذه التي جعل عنوانها: (شكاية المتظلم ونكاية المتألم)، وفيها يقول: [2]

---

[1] ربما نحاول في الأسطر الآتية أن نصور الجو العام لهذه القصيدة التي تعبر عما آلت إليه أحوال شاعرنا عماره الحكمي بعد سقوط دولة الفاطميين وتولي السلطان صلاح الدين الأيوبي حكم مصر فنقول: كانت الدولة الفاطمية بمصر في منتصف القرن السادس الهجري إبّان سفارة عماره الحكمي الثانية قد أصابها الوهن وأصبح حكامها أطفالاً يوصى عليهم أو في حكم الأطفال من العاجزين والضعفاء، أما الحكام الفعليين للبلاد فهم الوزراء، وحين قدم عماره من مكة المكرمة إلى مصر سنة ٥٥٢هـ مبعوثاً من شريف مكة آنذاك: قاسم بن هاشم بن فليته إلى حاكم مصر الفاطمي حينئذٍ الخليفة (الفائز) المتوفى سنة ٥٥٥هـ والذي كان والياً بالاسم فقط مثل بقية ولاة الفاطميين ممن كان وزراؤهم هم الحكام الفعليين حتى كان كثير من أولئك الوزراء يلقبون بالملوك أمثال الوزير: (طلائع بن رُزّيك (...-٥٥٦هـ)) الذي كان يلقب بالملك الصالح، وكان عماره معروفاً في مصر منذ زيارته الأولى فاستقبله الجميع بالحفاوة والإكرام واحتضنه الوزير (طلائع بن رزّيك) وأغدق عليه ولما ولي الحكم الخليفة العاضد سنة ٥٥٥هـ بقي الوزير (طلائع) في منصبه غير أنه توفي في السنة التالية فعين ولده (الناصر بن طلائع) وزيراً بعد أبيه ولقب بالملك الناصر فمدحه عماره أيضاً لكن الناصر أغتيل في شهر محرم من عام ٥٥٨هـ ودب النزاع بعد اغتياله بين المتنافسين على الوزارة والإمارة فاستدعى (حكام القصر) الأمير (شاور بن مجير السعدي) الذي كانت له صولات وجولات مع خصومه ومنافسيه تطورت إلى صراع انتهى بالدولة الفاطمية المتهالكة ووزرائها.

في هذا الجو جاءت زيارة أو سفارة عماره الثانية لمصر وقد طاب له المقام وحضي بحفاوة وحسن رعاية الجميع وإن لم يخل من المنافسين الذين كادوا له حتى انتهت الأمور بقتله سنة ٥٦٩هـ. انظر مقدمة كتاب: تاريخ اليمن لعماره ص١٠ بتحقيق المستشرق كاي، وانظر مقدمة ديوان عماره ص٥٢-٥٩، بتحقيق عبد الرحمن الإرياني وأحمد عبد الرحمن المعلمي، وكتاب: المصلوبون في العصور العربية لخازن عبود ص١٢٦ وغيرها.

[2] ديوان عماره الحكمي ج٢ ص٦٨١-٦٩٥ وانظر كتاب عماره: النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ص٢٨٧.

أيا أُذُنَ الأيام إن قلت فاسمعي ... لنفثة مصدور وأنّة موجع

وعي كل صوت تسمعين نداءه ... فلا خير في أُذُنٍ تُنادَى فلا تعي

تقاصرني خطوُ الزمان وباعُهُ ... فضيّق من ذرعي وقصّر أذرعي

وأخرجني من موضع كنت أهله ... وأسكنني بالجور في غير موضعي

بسيف (ابن مهديّ)[1] و(أبناء فاتك)[2] ... أقضَ من الأوطان جنبي ومضجعي

فيممت مصراً أطلب الجاه والغنى ... فنلتهما في ظل عيش مُمنَّع

وزرت ملوك النيل أرتاد نَيلَهم ... فأحمد مرتادي وأخصب مربَعي

ملوك رعوا لي حرمة كان نبتها ... هشيماً رعته النائبات وما رُعي

وردتُ بهم شمس العطايا لوفدهم ... كما قال قوم في عليّ، ويوشع

فقل لصلاح الدين [3] والعقل شأنهم ... من الحكَمِ المصغي إليّ فادّعي

---

[1] ابن مهدي: هو السيد علي بن مهدي الحميري الرعيني كان يسكن قرية العنبرة بأسفل وادي زبيد قريباً من البحر وأصل بني المهدي من عُتْمَه ترجم له عماره في كتابه المفيد ترجمة طويلة نقتطف منها قوله: نشأ سليم الصدر واختار العزلة والتمسك بالعبادة ولم يزل يتابع الحج على نجيب له خمس سنوات فيلقى في مكة علماء العراق ووعاظهم فيباحثهم ويتضلع من معارفهم، ثم قام بالوعظ وكان فصيحاً حسن الصوت والصورة، غزير المحفوظات، بدأ أمره سنة ٥٣١هـ وبعد كلام طويل قال عماره: (بأنه أي عماره انقطع إلى ابن مهدي قبل إعلانه ولازمه سنة كاملة حتى والد عماره حين علم أن ابنه ترك التفقه ومال إلى النسك والعبادة جاء من بلده وأخذ عماره من عند ابن مهدي وأعاده إلى المدرسة إلى أن قال عماره: (وكنت بعد ذلك أزوره في كل شهر زورة فلما استفحل أمره انقطعت عنه) واستمر عماره في الحديث الطويل عن ابن مهدي وعما حصل بينه وبين أهل زبيد من قتال إلى أن قال (لم تصبر أمة على القتال ما صبر أهل زبيد فإنهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وسبعين زحفاً حتى نالهم من الجوع ما أكلوا معه الميتة واستنجدوا بالشريف الزبيدي ثم الرسي أحمد بن سليمان صاحب صعده فأنجدهم طمعاً في الملك واشترط عليهم أن يقتلوا مولاهم (فاتك) فقتلوه سنة ٥٥٣هـ ثم عجز عن نصرهم فاستولى ابن مهدي على زبيد في تلك السنة فمات في شهر شوال من تلك السنة وكانت مدة ملكه شهرين وواحد وعشرين يوماً. انظر تاريخ اليمن لعماره الحكمي وآخرين ص١٤٨-١٥٦.

[2] فاتك: هو فاتك بن محمد بن فاتك بن جيّاش، كان والياً على زبيد وحصلت بينه وبين ابن مهدي ملاحم كثيرة قتل أثناءها على يد الإمام أحمد بن سليمان سنة٥٥٣هـ وبسبب تلك الملاحم فني خلق كثير من أهل زبيد وهاجر آخرون منهم شاعرنا عماره الذي يقول: (بسيف ابن مهدي وأبناء فاتك.....)، انظر تاريخ اليمن لعمارة ص١٤٨-١٥٦، وانظر الأعلام ج٥ ص١٢٦.

[3] صلاح الدين الأيوبي: هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب (بالملك الناصر صلاح الدين) شمل ملكه مصر والشام والعراق واليمن وهو من أسرة تنتمي إلى قبيلة كبيرة من الأكراد ولد بقلعة تكريت سنة =

سكتُّ، فقالــت ناطقــاتَ ضــرورتي إذا حلقات البــاب غُلِّقْــنَ فــاقرعي
فأدلَلْــتُ إدلال المحــب وقلــتُ مــا أبــالي بعفــو الطبــع لا بــالتطبع
وعندي من الآداب ما لــو شــرحتُه تَيقنتَ أني قدوة (ابــن المقفــع)
فليتك ممن أطلــع الــشرق مطلعــي لتعلم نبعــي إن عجمــتَ وخــروع

إلى أن يقول:

وما أنا إلا قــائم الــسيف لــم يُعــن بكف، ودرٌ لم يجــد مــن يُرَصِــع
وياقوتــة فــي ســلك عقــد مــدارة على خرزات مــن عقيــق ممــزع
فإن سُمتَني نظمــاً ظفــرت بمفلــقٍ وإن سُمتَني نثراً ظفــرتَ بمــصقع
طباعٌ، وفي المطبوع مــن خطراتــه غنىً عن أفانين الكلام المُــصنَّع [1]

وهكذا وجدنا عمارة حتى في مواقف الاعتذار شديد الاعتزاز بنفسه وبأدبه شعره ونثره، يعرض ذلك أمام ملك العصر بلغة شــعرية قويــة، وبيــان أخّــاذ، فالقصيدة كما نرى ونلمس تعتبر من عيون الشعر العربي حتى لقد وصفها محققا ديوان عمارة بأنها: (فريدة في بابها ومن أبدع الشعر تعبيراً وتصويراً [2]

ومن شعر عمارة في التأمل:

وله في التأمل مقطوعات شعرية كثيرة، تمثل بعد نظره، ونضج تجربتــه، اخترت منها مقتطفات تؤكد على وجود هذه الجوانب في شعره ومنها قوله:

طمع المرء في الحياة غــرورُ وطويــل الآمــال فيهــا قــصير
وحياة الإنــسان ثــوب معــارٌ واجــب أن يــرده المــستعير
يفرح المرء بالمسرات أحيــــ ـــانا وهيهات أن يدوم الــسرور
ويريد الــصفاء مــن ودّ دنيــا لم يــزل فــي صــفائها تكــدير

-٥٣٢هـ ونشأ في كنف والده وتعلم منه طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في الجهاد، استقل بملــك مــصر بعد انقراض الدولة العبيدية سنة ٥٦٩هـ توفي سنة ٥٨٩هـ.

[1] ديوان عماره الحكمي ج٢ ص٦٨١-٦٩٥، والنكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ص٢٨٧.

[2] مقدمة ديوان عماره ج١ ص٣٩ .

فلكم واثق بها خدعته | وهو مغرى بحبها، مغرور
ولكم قدّر الفتى فأتته | نوب لم يحط بها التقدير
ضاع تدبير حازمٍ لم يعنه | من له الأمر فيه والتدبير(١)

وهذا الموقف التأملي في الحياة لعماره ليس رأياً نهائياً له تسد الأبواب دونه فقد وجدنا له في شعره ما يناهضه كقوله في مقام آخر:

إذا قدرت على العلياء بالغلب | فلا تُعرج على سعيٍ ولا طلب
واخطب بألسنة الأغماد ما عجزت | عن نيله ألسن الأشعار والخطب
فما استوى الخط والخُطِّي في رهج | ولا الكتائب يوم الروع كالكتب
دع الهوينى، وإن أفضت إلى تعبِ | بك المساعي، فإن العز في التعب
واستخبر الهول كم آنست وحشته | وكم وهبتُ له روحي ولم أهب
ما أسهل الموت عند الناس لو وثقوا | بصدق معتقدِ أو حسن منقلب
هزل الرجال هزال في مروءتها | والجد يخجل أحياناً من اللعب
فاقبل من الخلق ما آلوك من خلق | على النقيضين: من صدق من كذب
ولا تكلف جباناً فوق طاقته | فأكثر الناس مجبول على الرهب(٢)

ومع هذا الموقف التأملي وذاك فإننا نجد عمارة يلخص رأيه في صروف الدهر التي لا يملك لها دفعاً في البيتين الآتيين:

أيحسب صرف الدهر أني عاتبه | على ما أتى من زلة وأعاتبه
وماذا عسى يجدي عليَّ عتابه | وقد أنشبت في خلب قلبي مخالبه(٣)

---

(١) ديوان عماره الحكمي ج١ ص٤٣٣.

(٢) المصدر السابق ج١ ص١٢٦-١٢٨.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص٢٠٤.

ومن شعر عمارة في الغزل:

ولعلي أختم هذه الاختيارات بمقطوعتين من شعر عمارة في الغزل نخفف بها جفاف هذا الجو الكئيب الذي عايشناه في بعض القصائد السابقة التي اخترناها من شعر عمارة يقول عمارة في بعض أبيات المقطوعة الأولى:

عسى منجد الأظعان يوماً يعيرهــا وقاتــل أسـباب النــوى لا يغيرهــا
ومــانع أجفــاني لذيــذ رقادهــا يبيــع جفــوني رقــدة أو يعيرهــا
ولولا العيون النجل ما ذقت لوعــة تقــوّمُ محنــيَّ الـضلوع زفيرهــا
إذا مــا أدارت باللحــاظ كؤوســها أدارت عقــاراً كــل قلــب عقيرهــا
وبين قباب الخيف من جبلي منــى أســيرة خــدر لا يُفــكّ أســيرها
يشق على طيــف الخيــال لقاؤهــا من الخــوف إلا أن ينــام سـميرها
يــنمّ عليهــا كلمــا نمَّــت الــصبا على الروض وهناً مسكها وعبيرهــا
فيا ساكني أكناف نعمــان أنعمــوا بزورة جفنٍ يــشبه الحــق زورهــا
فلــو شــئتم بــردّتم حَــرَّ حُرقــة يهيّجهـــا تـــذكاركم ويثيرهـــا
ولو كان لي في النفس أمر بــذلتها وهان على الأخطار فيكم خطيرهــا[1]

وهكذا تمضي بنا تلك الأبيات في تخوم لغة الضاد الشاعرة مستخدما فيها الشاعر أساليب الجناس والتورية وعددا آخر من المحـسنات البديعيــة دون أن تحس به أو بقدرته الفنية على التلاعب بالألفاظ وتطويعها لما يريد.

و يقول عمارة في المقطوعة الغزلية الثانية:

فؤاد بجمر الشوق والوجد يحرق أراق كرى الأجفان فهو مــؤرَّقُ
دع العين تُغرقْ بالمــدامع خــدَّه مخاطرة في لجة الوجــد مغــرق
وفي خد ذات الخال حُمرة جمرة على نارها ماء الــصبا يترقــرق
أسيرة حجليها على أي مــذهب رأيت أسير القلب والجسم مطلق

---

[1] المصدر السابق ج١ ص٦٥١-٦٥٢ وانظر التأريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص١١٣.

ولم أدر لما زار طيفك في الكرى أغار علينـا أم أغـار التفـرّق
ذكرت مناط العقد منـك بـأورق على ورقات الغصن وهو مطوق
يميـل إذا مـال النـسيم كأنمـا أديـر عليـه البـابلي المعتّـق
بكى وهو ذو إلفٍ قريبٍ وبيننـا وبينكَ بونٌ لا يُـرامُ وسَـملّقُ (١)

والملاحظ أن أغلب غزليات عمارة – فيما وجدناه من شعره – جاءت على هيئة التشبيب التي يتخذها مقدمات لقصائد المديح غالباً كعادة الشعراء في عصره غير أن عماره يدع لنفسه في هذا التشبيب الذوبان في ذلك المحبوب الذي يشبب به حتى ينسيك أن تلك الأبيات مقدمة لمدح عظيم لديه.

وبعد: فلا شك بأن شاعراً كبيراً في قامة (عمـارة الحكمـي) صـاحب الاهتمامات المتنوعة ورجل المهمات الجسام؛ لا توفيه حقه مثل هـذه الـسطور المتواضعة التي لم تجاوز حدود الرصد والإشـارة ولا تلـك الاختيـارات التـي اخترناها من شعره الغزير يمكن أن تفي ببعض ما له من شعر وشاعرية وصيت عالٍ فشعر عمارة الحكمي وإبداعاته المتنوعة يـستحق المزيـد مـن الأضـواء والدراسات المتأنية.

(١) المصدران السابقان: الصفحات نفسها

شعراء المخلاف السليماني

في القرن السابع الهجري:

توطئة:

كان الشعر في المخلاف السليماني خلال القرن السابع الهجري يشهد تحولاً كبيراً تمثله كوكبة من الشعراء البارزين وإن لم تسعفنا المصادر سوى بأربعة ممن خرقوا منهم حجب التناسي أو النسيان الذي عانى منه تراثنا الأدبي بعامة والشعراء على وجه الخصوص، ولعل من أقواهم شهرة وأعلاهم صيتاً الشاعر الكبير: القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي الذي أعاد أمجاد الشعر العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين وكانت له صولاته وجولاته وصلاته الكبيرة بأمراء عصره في الحجاز واليمن وظفار إلى جانب صلاته بأمراء وأشراف المخلاف السليماني ، وربما قاسمه الشعر والوطن وبعض الشهرة معاصره ومواطنه الشاعر: منصور بن سحبان الضمدي وإن لم نجد من شعره سوى بعض ما مدح به نفراً من أشراف مكة.

وكان من بين تلك الكوكبة التي حركت مسار الشعر في القرن السابع الهجري شاعر وأمير كبير هو: القاسم بن علي الذروي أمير المخلاف السليماني في القرن السابع الهجري ، صاحب القصيدة البائية الشهيرة:

من لصَّب هَاجَهُ نَشْرُ الصبا ... لم يزده البين إلاّ نصبا

إلى جانب شاعر آخر ظل مجهولاً لدى أغلب الباحثين وأولهم كاتب هذه السطور الذي قادته الصدفة للوصول إليه فهو أحد أقارب الإمام العلامة إدريس بن محمد السليماني والي بلدة (الجميمة، الواقعة بين العشيرة والدهناء بالمخلاف السليماني)، في القرن السابع الهجري وكنت أقرأ عنه في كتاب: مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال فإذا بي أمام شاعر كبير هو قريبه الشاعر حويسة النعمي السليماني التهامي الذي تحدث عنه ابن أبي الرجال في أثناء حديثه عن قريبه الإمام إدريس بن محمد السليماني.

وفي الصفحات التالية سأتناول شيئاً عن سير هؤلاء الأعلام الأربعة مع ذكر بعض شعرهم.

١- الأمير الشاعر: القاسم بن علي بن محمد بن غانم الذروي (٠٠٠-٦٧٠هـ):

قائد وفارس وشاعر كانت له صولات وجولات مع الدولة الرسولية وعمالها في اليمن؛ إنه الأمير الشاعر الشريف القاسم بن علي الذروي أحد أمراء المخلاف السليماني في القرن السابع الهجري البارزين كانت له مواقف من عمال الدولة الرسولية التي حكمت اليمن بعد الأيوبيين وقد نشبت بينه وبينهم معارك سجل انتصاراته في بعضها شاعره وشاعر المخلاف السليماني القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي في شعره الذي مدح به الأمير الذروي وبارك انتصاراته في بيش وحرض وغيرها، والأمير الذروي شاعر وفارس شجاع[1] ترجم له ابن أبي الرجال ترجمة طويلة تحدث فيها عن سيادته وفروسيته وشاعريته ولكنه لم يذكر شيئاً عن تأريخ ميلاده أو تأريخ وفاته لكن الأحداث والوقائع التي جرت له تؤكد بأن هذا الأمير الشاعر أحد أعلام القرن السابع الهجري.. كما أن شعره يشير بوضوح إلى أن موطنه على ضفاف وادي صبيا فهو كما يقول محمد بن أحمد العقيلي هو من بلدة: (الحسيني القريبة من صبيا)[2] وقد تحدث عنه العقيلي بإسهاب في كتابه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) وأورد بائيته المشهورة التي يقول في مطلعها:

من لصب هاجه نشر الصبا   لم يزده البين إلا نصبا

- وتحدث عنه بإفاضة صاحب مطلع البدور ومجمع البحور فقال: (الأمير الشريف الغطارف - صاحب العوارف والمعارف، علم الأعلام: القاسم ابن علي الذروي صاحب المخلاف السليماني وسلطانه.. كان جليلاً نبيلاً مفضالاً ممدوحاً بالشعر..

---

(١) القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره لحجاب الحازمي ص٥٧ .

(٢) أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان للعقيلي ص١٢٧ ط١ من منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٠٠هـ وانظر ص١٧٩ من الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشة لعبد الله أبو داهش العدد الرابع من منشورات نادي الباحة الأدبي ١٤٢٠هـ.

ولعل كثيراً مما في ديوان القاسم بن علي بن هتيمل من المدح موجه إليه)[١]. ثم استمر في الإفاضة إلى أن أتى على قصيدته البائية المشهورة وذكر القصة المتداولة عنها بتفاصيلها، ولعله هو أول من ذكرها وذكر ما أثير حولها وعنه نقل المؤرخون والكاتبون ثم أورد القصيدة البائية المشهورة.

- كما أشار إلى القاسم بن علي الذروي صاحب كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فقال: (القاسم بن علي الذروي من أعلام المئة السابعة للهجرة) [٢] ثم أورد الأكوع بيتي المطلع من قصيدة الذروي البائية التي تجاوزت شهرتها الآفاق.

- وترجم له العلامة الأديب: أحمد محمد الشامي في كتابه: تأريخ اليمن الفكري وأسهب في ترجمته، معيداً بعض ما ذكره ابن أبي الرجال وغيره ومما قاله الشامي عنه: (القاسم بن علي الذروي الأمير الحلاحل اشتهر بالشجاعة والكرم والأدب وله شعر حسن ولابن هتيمل في الأمير الذروي عدة قصائد مدحه بها، كما رثاه بعد وفاته بعدة قصائد، وقد سجل ابن هتيمل في شعره كثيراً من غزوات الأمير الذروي ووقعاته مع الرسوليين)[٣].

- وأصدر عنه عبد الله أبو داهش كتيباً سماه: (بائية الذروي) وترجم له فيه ترجمة وافية من خلال تحقيقه لقصيدته البائية: (من لصب هاجه نشر الصبا ......) التي حققها تحقيقاً علمياً جيداً كما كتب عنه أبو داهش عدداً من الدراسات في حولياته وفي بعض كتبه [٤].

- وكنت قد أشرت إليه في عدد من المواضع في كتابي: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره) باعتباره أحد ممدوحيه الذين أصفاهم وده[٥].

---

[١] مطالع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٤ ص٩١، ٩٢، ٩٣.

[٢] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٦هـ، ج٣ ص١١٥٤.

[٣] تاريخ اليمن الفكري لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٨٥ ، ٨٨.

[٤] انظر على سبيل المثال العدد الرابع من (حوليات سوق حباشة) الصادر عام ١٤٢٠هـ.

[٥] انظر هامش ص٥٧ من كتاب: (القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره) لحجاب الحازمي.

ولئن كانت كل هذه المصادر التي تحدثت عن القاسم بن علي الذروي قد ضنت علينا بذكر تاريخ ولادته أو تاريخ وفاته فقد كان في شعره بعض إشارات إلى عصره وزمنه كما كان في شعر ابن هتيمل الذي مدحه به أو رثاه ما يشير إلى أحداث عصره إشارات واضحة وما يشير كذلك لتحديد مكان سكنه وتقدير زمن وفاته على الأقل قرأها بعض الدارسين فاستنتج منها موطنه وتاريخ وفاته على وجه التقريب ومن أولئك الدارسين: أحمد محمد الشامي الذي يقول: (ولكنني أظن استنتاجاً من قصائد ابن هتيمل أن مصرع الذروي كان قبل سنة ٦٧٠هـ[١]).

أما قصيدته البائية تلك فقد اكتسبت شهرة كبيرة وتحدثت عنها كتب الأدب التي وصلت إلينا منذ القرن الحادي عشر الهجري حتى اليوم .. كتبوا عن مناسبتها وأشادوا بلغتها وأسلوبها وسلاستها وعذوبتها وما زالت مرتعاً خصباً لأقلام الكاتبين.. وكأنهم بذلك يعوضوننا عما حُجب من شعر هذا الشاعر الفارس حتى الآن.

ولعلي أختار من بائيته بعض المقاطع لتنقلنا إلى بعض أجوائها التي ربما بالغ بعض الدارسين في ذكر بعض أحداثها والتي تقترب في جوانب من تفصيلاتها إلى الخيال فماذا قال الذروي في بائيته الشهيرة؟ إنه يقول في بعض أبياتها:

من لصبّ هاجه نشر الصبا	لم يزده البين إلا نصبا
وأسير كلما لاح له	بارق القبلة من صبيا صبا
لم يزل يشتاق نخلان وإن	قدم العهد ويهوى الطنبا
ما جرى ذكر المغاني في ربى	ضبرات الشط إلا انتحبا
حبذا أرض القعيسا وطني	وليلات بها ما أطيبا
وربى البئرين من قبليهما	وزلال بهما ما أعذبا
يا أخلائي بصبيا واللوى	وأحيبَابي بتيَّاك الربا

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٨٨.

هل لنا نحوكم من عودة ... ونرى سدركم والكثبا
ونرى الحي الذي كنا وهم ... جيرة بالشام أيام الصبا
فلكم حاولت قلبي جاهداً ... يتسلّى عن هواكم فأبى
فاذكروا صباً بكم ذا لوعة ... بان عنكم كارهاً مُغتَصبا
ليت شعري بعدنا هل طنّبوا ... بربى نخلان بعدي طُنبا
أو تناءت دارنا عن دارهم ... أو سبتهم بعدنا أيدي سبا
عجباً للدهر ماذا سنه ... ولأحداث الليالي عجباً

إلى أن يقول بعد أبيات شحنها حنيناً دفاقاً وشكوى مُرة من وقته وبعض ناسه:

إخوتي بالشام بل يا سادتي ... وأعزّ الناس أمّاً وأبا
ومساعير الوغى من هاشم ... وبني الحرب إذا ضاق القبا
الشناخيب الذرى من معشر ... الصناديد الكرام النجبا
إن قضيتم من هوانا أَرَباً ... ما قضينا من هواكم أربا
أو تناءت دارنا عن داركم ... يأتكم منا على الدهر نبا
لا تناسونا وإن طال المدى ... كم نَوىً بعد بعاد قربا
فإذا ريح جنوب جنّبت ... فاسألوها كيف حال الغربا
فلديها من تناهي لوعتي ... وغرامي ما يحط الشهبا
حبذا لو أنني من دونكم ... خائضاً سمر العوالي والظبى
وجياد الخيل ينثرن على ... متنات الدارعين العذبا
فلكم فتح من الله أتى ... حيث لا يدرك ساع هربا
فجلى همّاً وطفّى حرقاً ... وشفى غلاً وجلّى كُربا
وأعادت رحمة الباري على ... مُيئس من حاله ما ذهبا
فينال المرتجي من ربه ... في أعاديه الذي قد طلبا
أيها الرائح للشام على ... قلق السير كهبات الصبا

أو كـــسهم طـــار مـــن محنيّـــة ذات دوريـــن إذا مـــا ركبـــا
قل لمن كان لنـــا دون القــضا ولأحـــداث الليـــالي ســـببا
والـــذي أوقـــد نيـــران الغــضا زد على نـــارك يـــاذا حطبـــا
إن يكن ســـرك ماســـاء فعـــش كي ترى من بعد هـــذا عجبـــا
كم سرور بعد يـــأسٍ قـــد أتـــى وزمانٍ بعد محـــل أعـــشبا [1]

ولعلي أكتفي بهذا المقدار من هذه القصيدة الجزلة ألفاظاً، الجيدة ســبكاً، المشحونة بصادق المشاعر المتدفقة حنيناً، المفعمة بالاعتزاز بـــالنفس الـــذي لا يخلو من الألم الشجي، والبوح السَّخي.. أكتفي بهذا القدر لأن القـــصيدة طويلـــة، أتى فيها على مرابع الصبَا وعلى ذكر أقاربه وذويه وأحبابه وأطال فـــي ذكـــرهم وبث فيها أشجانه ولواعجه بغنائية عذبة وسبك متين ومعان غزيـــرة وعبـــارات رقيقة، وجرس موسيقي متدفق كتدفق النهر الهادئ مؤكداً فيها شاعرية المكـــان المكتسبة من شاعريته وشاعرية من أنجبتهم منطقة المخلاف السليماني الولادة.. فرحم الأمير الفارس الشاعر الإنسان الشريف: القاسم بن علي الـــذروي رحمـــة واسعة.

---

(1) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٤ ص٩٢-٩٥، وانظر بائية الذروي بتحقيق عبد الله محمد أبو داهش، مطابع دار العلم بجده ١٤١٣هـ.

٢- العلامة الشاعر: القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي (٠٠٠-٦٩٦هـ):

شاعر المخلاف السليماني الكبير و (شاهد القرن السابع الهجري وشاعره)[١] القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي شاعر المخلاف السليماني في عصره [٢]، بل هو شاعر الجزيرة العربية ليس في القرن السابع الهجري فقط وإنما في كل العصور الأدبية، بل ربما رآه بعض دارسي شعره (بأنه أحد فحول الشعراء العرب لأن من يقرأ أشعاره بتبصر يحكم برسوخ قدمه، وتمكنه من صناعة القريض، وبرقة مشاعره، وسمو بيانه، وقوة خياله وغزارة مادته اللغوية، وسعة اطلاعه ومعارفه التاريخية)[٣] إنه الشاعر الذي دوّى صيته في الآفاق، وتناقلت شعره الركبان، وظل منبعاً ثراً للدارسين والباحثين على مر الأزمان منذ عهد علي بن الحسين الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ الذي تحدث عنه في كتابه: (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) مروراً بعهد أحمد ابن أبي الرجال المتوفى سنة ١٠٩٢هـ الذي أفاض في الحديث عن ابن هتيمل وشعره من خلال كتابه: (مطلع البدور ومجمع البحور) وكذلك مروراً بمخطوطات علامة القرن الثالث عشر الهجري: الحسن بن أحمد عاكش المحقق منها وغير المحقق وبعض مخطوطات آل النعمان وآل البهكلي ومخطوطات محمد حيدر القبي، وعبد الله العمودي، وصولاً إلى عمر رضا كحاله ومعجمه، وياقوت الحموي ومعجمه أيضاً، وخير الدين الزركلي وأعلامه، وشوقي ضيف وتأريخه الأدبي: (عصر الدول والإمارات)، وأحمد محمد الشامي وتأريخه الفكري، وعبد الله الحبشي ومصادر الفكر لديه، والعقيلي وتاريخه الأدبي، وأضواؤه، وأبو داهش وكتابيه: أهل تهامة المخلاف السليماني، وحولياته، وعلي الخضيري في

---

[١] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٨٣.

[٢] الأعلام لخير الدين الزركلي ج٥ ص١٧٥.

[٣] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٤٧.

رسالته العلمية: عن ابن المقرب الأحسائي وغيرهم وغيرهم ممن تحدثوا عن شاعريته المتفوقة وأكدوا انتماءه لمنطقة المخلاف السليماني وإن لم تسعفهم المصادر بتحديد زمن ولادته ووفاته إلا أن شعره الذي سجل فيه بعض أحداث عصره وأعلامه قد حفل بمفاتيح كثيرة تسهل للقارئ معرفة شيء عن حياته وبعض مراحلها.

ومما يصعِّب مهمتي هنا أثناء معاودة الحديث عن ابن هتيمل وعن شعره الغزير الرائع أنني أجد حرجاً حين أحاول التركيز والاختصار؛ فشاعر كابن هتيمل مجال القول فيه واسع، وشعره في تنوعه وروعته لا تكفيه النظرات العجلى يضاف إلى ذلك أنني أعد نفسي ممن سبق لهم الإسهام في الحديث عن هذا الشاعر الكبير وعن شعره المحلق حيث أصدرت عنه وعن شعره كتاباً يقع في أكثر من ٣٢٠ صفحة من القطع فوق المتوسط يحمل العنوان: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره) وأخشى إن أنا حاولت التوسع أن أكرر بعض ما نشرته عنه في ذلك الكتاب وهذا مما يضاعف تحرجي؛ فما الذي أستطيع استعادته مما قدمته عن هذا الشاعر الفحل وما الذي أستطيع إضافته دون أن أثقل على القارئ وماذا سأختاره مما قاله هؤلاء الدارسون عن ابن هتيمل وشعره؟ لكل هذا واستجابة لتلك التساؤلات الواقعية فإنني سأكتفي هنا بنقولات مختصرة جداً مما سبق أن كتبته عن علمنا ابن هتيمل كما أنني سأحاول الاختصار أيضاً في بعض نقولاتي عن أولئك الباحثين والدارسين، فماذا قالوا عن ابن هتيمل؟؟

- يقول ابن أبي الرجال عن ابن هتيمل: (البليغ الذي يعد في البلغاء بالخنصر والسابق الذي يطول على كل شاعر ولا يقصر تصبو له المعاني إذا دعاها أجابه كاعبات ومعصر: القاسم ابن علي بن هتيمل الضمدي المُغْنِي بوميضه عن كل بارق، روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة المشرفة اتفق أدباؤها على تفضيله

على مشاهير الشعراء، له شعر غالية الأشعار وله في الغزليات ما يسترقُ الطباع وما يناظر شعره إلا شعر أبي فراس) [١].

أما العلامة المؤرخ: علي بن الحسن الخزرجي [*] فقد وصف ابن هتيمل بالفصاحة والبلاغة ووصف شعره بجودة السبك حيث قال: (القاسم بن علي بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني رحمه الله كان فصيحاً بليغاً حسن الشعر جيد السبك)[٢] .

- واعتبره أحمد محمد الشامي (شاهد القرن السابع وشاعره فقد كان شغوفاً بتسجيل الأحداث وأسماء الرجال والأماكن في شعره بأسلوب فنيّ لا يخل بالنسق البياني وهو مالا يجيده إلا فحول الشعراء) [٣].

- أما صاحب كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فيقول عنه: (القاسم بن علي بن هتيمل من أعلام المائة السابعة، عالم بالفقه، واللغة، والنحو، والتاريخ، والسير، والأنساب، وأيام العرب، شاعر وأديب وصفه الخزرجي بقوله: كان شاعراً فصيحاً بليغاً مداحاً عفيفاً عن الهجاء [٤].

- ووصفه العلامة عبد الله العمودي: بـ (اللسن البليغ الشاعر قاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي من مفاخر المخلاف السليماني ولم يكن له في عصره ثاني)[٥].

- كما وصفه العلامة محمد حيدر القبي [٦]: بـ(العلاّمة الشاعر البليغ القاسم بن

---

[١] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٤ ص٩٦ وما بعدها

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٣٦.

[٢] العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ج١ ص٢٨٠، مطبعة الفجالة بمصر ١٣٢٩هـ

[٣] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٤٦-٤٧

[٤] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٢

[٥] تحفة القارئ والسامع لعبد الله العمودي ج١ ص١٤٠

[٦] محمد حيدر القبي (....-١٣٥١هـ): من مواليد بلدة (الملحاء) إحدى البلدات الواقعة بين مدينة بيش ومدينة صبياء تلقى العلم في بلدته (الملحاء) على والده ثم انتقل إلى هجرة القمري التابعة لهجرة ضمد وتلقى العلم فيها على عدد من علماء أسرة آل ابن عمر الضمدي المشاهير ثم انتقل إلى أبي عريش ودرس على عدد من-

علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي) [١].

- أما صاحب (الأعلام) فقال عن ابن هتيمل: (القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي (.... – ٦٩٦) شاعر المخلاف السليماني في عصره، كان كثير التنقل بين اليمن والحجاز مدح الملك المظفر الرسولي ورجال دولته، ومدح أحمد بن الحسين القاسمي، ومدح بعض أشراف مكة، ومدح أمراء المخلاف السليماني)[٢].

- وقال عنه شوقي ضيف: (القاسم بن علي بن هتيمل كان شاعراً مجيداً في غزله وفي مديحه ونسيبه ونسيجه اللفظي متين قوي، وكلماته تروق السمع بجرسها وبحسن انتقائها، إذ كان يعرف كيف يصطفي لفظه، وكيف يلائم بين كلماته، فهو بحق صائغ ماهر) [٣].

- أما كاتب هذه السطور فقد تحدث عن ابن هتيمل في كتابه: (القاسم بن علي ابن هتيمل حياته من شعره) حديثاً مستفيضاً تناول جوانب كثيرة من حياته، وبيئته، وثقافته، وصلاته بأمراء وقادة بلدان الجزيرة العربية في عصره، وعن جوانب أخرى، ولعلي أختزل شيئاً يسيراً جداً مما سطرته عنه في كتابي حيث قلت عن شعره: (يعتبر ابن هتيمل برغم معاصرته لأصحاب مدرسة البديع: استثناء من هذا الضعف الذي أَلَمَّ بالأدب في تلك الفترة؛ فقد تجافى عن صنعة البديع) وعن الصورة في شعره فإنني سأختصر هنا أيضاً بعض ما أوضحته هنالك فأقول:

=العلماء ثم رحل إلى اليمن فطلب العلم في (صعده) و (ضحيان) بذهن وقاد وفهم ثاقب كما يقول زبارة فحاز قصب السبق في علمي المعقول والمنقول وأصبح من رجال القضاء الشرعي في عهد الإدريسي حيث ولاه قضاء (الحديدة) توفي مقتولاً ببلدته (الملحاء) سنة ١٣٥١هـ له ديوان شعر مخطوط مفقود، وله كتاب (الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف سكان صبياء والمخلاف)، وذكر له صاحب كتاب: (نشر الثناء الحسن) كتاباً آخر ربما كان مفقوداً سماه: (تحفة الناظر وبغية المُناظر). انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ج٦ ص١١٢، وفي نشر الثناء الحسن للوشلي ج٢ ص١٣٤، ١٣٥، وفي التاريخ الأدبي للعقيلي ج٢ ص ٩١٦، وفي كتابنا لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان ص٣٩، وفي نيل الحسنيين لمحمد محمد زباره ص١١٧.

(١) الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف في أنساب أشراف صبيا والمخلاف مخطوط لمحمد حيدر القبي الورقة ٣٩، نسخة مصورة لدى الباحث عن المخطوطة الأصلية الموجودة لدى أحفاد المؤلف ببلدة الملحاء.

(٢) الأعلام لخير الدين الزركلي ج٥ ص١٧٨.

(٣) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص٢١٤-٢١٧.

(تعد عناية ابن هتيمل بالصورة في شعره خصيصة من أبرز خصائصه الفنية في شعره، فقد منحته من القوة والوضوح والعمق ما يجعل قارئ شعره يشترك معه في استجلاء تلك الصور ويعيش معه لحظاتها) [1] .

- أما محقق ديوان ابن هتيمل: عبد الولي الشميري [2] فيصف شعر ابن هتيمل قائلاً: (تناول ابن هتيمل في شعره الأغراض المطروقة إلا أنه تناولها بأسلوب عذب وعبارة رشيقة وعزف غنائي طروب مع متانة اللغة ...) ويصف ابن هتيمل بالموسوعة العلمية العظمى ويشرح ذلك فيقول: (كان ابن هتيمل موسوعة علمية عظمى؛ إذ نجد في تضاعيف أبيات شعره مصطلحات، وإشارات، وتضمينات، وتوريات، وتشبيهات لا تغادر دقائق المسائل في النحو، والفقه، ومسائل الميراث، وقضايا المتكلمين ......الخ. ثم يتصرف بفنون اللغة، والعروض، والصرف، واللغات الشاذة والمشهورة بجدارة عالية الكفاءة، ويذهب بنا في أخبار الأمم السابقة وأخبار أنبيائهم ......) إلى أن يقول عن ابن هتيمل وعلمه: (كما هو دقيق في ضبط الأماكن والبلدان) [3] .

---

[1] القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره لحجاب الحازمي ص٩١-٩٤ وما بعدها.

[2] اللواء الدكتور: عبد الولي بن عبد الوارث الشميري أديب وشاعر يمني معاصر، صاحب مشاركات كثيرة، فهو أديب، وهو عسكري، وسياسي، وهو مثقف تجد بصماته في مجالات كثيرة، كان محافظاً لمحافظة مأرب اليمنية، وكان أحد أعضاء مجلس النواب باليمن، وكان أحد الأعضاء المنتخبين بمجلس الشورى في اليمن، أسس مؤسسة الإبداع للثقافة والأدب والفنون بصنعاء عام ١٩٩٣م، وأسس منتدى المثقف العربي في القاهرة، وأسس مكتبتين ثقافيتين وقفيتين: إحداهما بصنعاء تابعة لمؤسسة الإبداع، والأخرى بالقاهرة بحي المهندسين، شارك في عدد كبير من المؤتمرات العربية والدولية وحاضر في عدد من الكليات والأندية والجامعات المصرية والعربية، له عدد من المؤلفات منها: كتاب (من أوراق الأحرار) و كتاب (الحرب في الأدب العربي) و كتاب (درر النحور) وهو دراسة وتحقيق لديوان ابن هتيمل الضمدي في ثلاثة مجلدات، وله عدد من الدواوين الشعرية منها ديوان (أوتار) وغيرها من المؤلفات. المصدر: المفكرة الثقافية الصادرة عن المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية ١٤٢٨هـ.

[3] بتصرف عن: مقدمة ديوان ابن هتيمل تحقيق عبد الولي الشميري ج١ ص٢٢-٢٩، ط١ مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب ١٩٩٧م.

- ولعلنا نكتفي بهذه النقولات التي اخترناها لعدد من الباحثين الكبار المهتمين بشعر ابن هتيمل الذين أجمعوا على قوة شاعرية ابن همتيمل ورسوخ قدمه في الإبداع لننتقل لاختيارات أخرى تمثل نماذج من شعره.

نماذج من شعر ابن هتيمل:

وبعد: فهل هذا هو كل ما قلته أو قاله الدارسون عن ابن هتيمل وعن شعر ابن هتيمل؟؟ كلا. ولكنني سأكتفي بهذا القدر من النقولات لعلي بذلك أوفر مساحة لاختيار نصوص من شعره تمثل بعض أغراض شعر هذا الشاعر الكبير آملاً أن يجد فيها القارئ ما يدفعه لمعرفة المزيد عنه وعن شعره المتدفق أو لعلها تذكّر بما قاله (ابن أبي الرجال) عن شعره حين قال: (له شعر غالية الأشعار وله في الغزليات ما يسترق الطباع) [1].

وما دام دارسوا شعر ابن هتيمل يرون رسوخ ريشته الصناع في الغزل فلعلنا نبدأ باختيار نماذج ولو يسيرة من شعره الغزلي.

من شعر ابن هتيمل في الغزل:

ومع أن غالب شعر ابن هتيمل قد استأثر به (غرض المديح) حيث مدح أمراء وأشراف المخلاف السليماني، ومدح أمراء وأشراف الحجاز، وأمراء حلي ابن يعقوب، وأئمة وأعلام اليمن، وظفار وغيرها إلا أننا سنبدأ اختياراتنا من شعره بمقطوعتين غزليتين نهيئ بهما القارئ لمطولاته في المديح الذي تعد فواتيحه نفحات غزلية غالباً.

قال ابن هتيمل مشبباً في مقدمة إحدى قصائد المديح:

أنا من ناظري عليك أغار ... وَارِ عني ما حال عنه الخمار
يا قضيباً من فضة يُقطفُ النر ... جس من وجنتيه والجلّنار
عجباً منك تحت برقعك النا ... ر وفيه الجنات والأنهار

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٤ ص٩٩.

قمرٌ طوقه الهـلال ومـن شمـ ـس الدياجي في ساعديه سوار

وقال فيها:

صُـنْ مُحيَّـاكَ بالنقـاب وإلاّ نهبتْـهُ القلـوبُ والأبـصار
فمـن الغـبن أن يمـاط لثـام عـن ثنايـاك أو يحـل إزار
لك فينا الخيار في القتـل والمـن جميعـاً ومـا عليـك خيـار
من مُعيري قلبـاً صـحيحاً ولـو طرفة عـينٍ إن كـان قلبـاً يُعـار
لا الزمان الزمان فيمـا عهـدناه قـديماً ولا الـدِّيار الـدِّيار

إلى أن يقول:

والليالي الطوال تنحت من جنبـيَّ مـا أبقـت الليـالي القـصار
بعـض هـذا يبلـي الجديـد ويفني المرء، لو أن عمره أعمـار
أملالاً؟ نوى (نوار) فما كان جميـ ـلاً أن تجتوينـا (نـوار)
أبصرت مفرقـي فأفزعهـا ليـل تمـشّى فـي جانبيـه نهـار
لا يَـصدُّ المـلاح عـن صـلة العـشاق إلا القتيـر والإقتـار
إنما العيش والهوى قبل أن ينجم ثـديٌ، أو أن يَـدبَّ عِـذارُ
وغُرام الشباب أشهى إلى النفـ ـس وإن كان في المشيب الوقار[1]

أرأيت هذه الأبيات المنغمة الراقصة التـي تخاطـب الوجـدانات وتهـز المشاعر فيتغنى بها المغنون ويلهج بها اللاهجون؟ إنها السحر الحلال الذي يخلب الألباب، لقد عبر عن هذا المعنى الاديب أحمد محمد الشامي فقال: (حين أسـمع هذا الشعر لا أستطيع إلا أن أهتز طرباً) [2].

---

[1] مختارات من شعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي للعقيلي ص١١٠ ، ١١١ الطبعة الثانية مطبعـة شـركة العقيلي وشركاه ١٤١٠هـ.

[2] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤، ص٤٨.

وليست هذه المقطوعة الرائعة يتيمة في بابها، ولكنها واحدة من عشرات يزخر بها ديوان ابن هتيمل تجعلنا نقع في حيرة الاختيار فلا ندري أي تلك الروائع نختار، ولا نحتار، ومع ذلك فإننا سنختار له في الغزل أيضاً هذه الأبيات التي قدم بها إحدى مدائحه مخاطباً فيها طيفه المُدَلّه المشوق مثله قائلاً:

إذا جئت (الغضا) ولك السلامة … فطارح بالتحية ريم (رامه)

وقل للوائلية هل لروحي … وما أتلفتِ من جسدي غرامه؟

حللتُ (تِهامةً) وحللتِ (نجداً) … فأين وأين (نجد) من (تهامه)

وخِفتِ من الكَواشِحِ أن تُلِمّي … بنا فَمُرِي خيالكِ يا أمامه

أغار على ثناياكِ اللواتي … تُقَبِّلُها الأراكةُ والبشامه

وما أنا والمدامة وهي حِجْرٌ … ومفسدة وريقتك المدامة

ومن لي إن حُرِمْتُ لمَاكِ إني … أشم الروح من لثمي لثامه

ولا، ومحاسنٍ عقدت هواها … بحبّاتِ القلوبِ المستهامه

لهن جوايَ، في قربٍ وبعدٍ … وعهدي في الرحيلِ وفي الإقامة

ومرهفةُ الموشّحِ بنتُ عَشْرٍ … لها صدرُ الغلام على الغُلامه

ثلجتُ بِظَلْمِهَا وقداتِ صدري … يشبُّ لظى صبابته ضرامه

أمهدية الملامة ما لنفسي … وحسرتها، وما لكِ والملامه؟

تريدُ ليَ العواذلُ غير طبعي … فلا حبّ لهنّ، ولا كرامه

علامَ؟ وفيمَ؟ أمنح خير عمري … أضاليلَ المنى سفهاً علامه؟

عليك بأحزم الآراء تسلم … فكم رأيٍ عواقبه ندامه [1]

---

[1] الديوان ج٢ ص٩٠٦، ٩٠٧.

وغنائية هذه المقطوعة الجميلة وما عبرت عنه من وله بالمحبوب، وأمانٍ هي من أضاليل الأماني التي تدنيه كما يتخيل من ضم، وشم، وافتتان بابنة العشر، والشعراء (يقولون ما لا يفعلون). كل هذا لا يحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح، فروح الشاعر المغردة تبرز في كل حرف وفي كل كلمة وفي كل نغم فيها؛ لذلك سنكتفي بهذه المقطوعة وسابقتها في هذا الجانب لنختار من شعر ابن هتيمل نماذج أخرى في أغراض أخرى.

من شعر ابن هتيمل في المديح:

ولعلنا ننتقل إلى المديح فنختار لابن هتيمل نصين نظم أحدهما مادحاً ومهنئاً للملك المظفر الرسولي: يوسف بن عمر بن رسول أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن لانتصاره في إحدى المعارك التي خاضها مع بعض خصومه حيث يقول:

قل يا نسيم لأهل الضال[1] والسمر ... ما صد سامركم عن ذلك السمر
واشرح حديث (الغضا) والنازلين به ... وإن بخلتَ بشرح الكل فاختصر
وهات عن عطرات الحي ما حملت ... من مسكهنّ حواشي[2] ذيلك العطر
ناشدتك الله لا ورّيتَ[3]عن خبر ... مما علمتَ ولا مَوّهتَ عن خبر
فتحت رمزكَ سِرٌ ما نممت به ... إلا وأنت من الواشي على حذر
ما كان من سَرحةِ الوادي؟[4]أهل هُصِرتْ ... أغصانها لتعاطي ذلك الثمر؟
وهل نشجْنَ قلوب الهيم غلّتها ... من طلّها الطّلقِ أو من مائها الخَصِرِ[5]
يا صفقةَ الغبن، غرّتني جُويرية ... فبعتُ قلبيَ منها، ببيعة الغرر[6]

---

[1] الضال: جمع مفرده ضالة: شجر السدر ذو الشوك والورق المدور، وهو من شجر العضاة.

[2] الحواشي: الجوانب. الذيل: الذنب والمؤخرة.

[3] لا ورّيتَ: لا سترت، والتورية: لون من ألوان البديع، ويقصد بها الشاعر هنا الإخبار بما يصرف السامع عن القصد، التمويه: الإخبار بخلاف الواقع والإجابة غير المفيدة.

[4] سرحة الوادي: شجرة كبيرة ذات ظل كثيف يجلس الناس فيه. الهصر: الجذب والإدناء للغصن.

[5] النشج: صوت الماء في مجراه. الهيم: الإبل الضامئة. العَلّة: الشربة الثانية من الماء. الخصر بالصاد المهملة: البارد.

[6] الصفقة: البيعة. الغبن: الخسارة والندم. جويرية: تصغير لاسم جارية. بيع الغرر: بيع الغش المبني على الجهل.

باتت تروعني بالبين طالبة ... قتْلي، فلم تُبقِ في قتلي ولم تذر

خوطية القدِّ، لا طول ولا قصر ... في قدِّها، فهي بين الطول والقِصَر[1]

جنِّية في مغيب الشمس يحجبها ... عن أمها وأبيها قُوّة الخَفَر[2]

حوريَّةٌ شهدت آيات بهجتها ... ونورها أنها ليست من البشر[3]

كأنما هي في تركيبها خطرت ... من صورة الشمس أو من صورة القمر

جسم أرقُّ من الخمر الشَّمول على ... قلبٍ قساوته أقسى من الحجر

إذا رمى طرفها عن قوس حاجبها ... أصمتك بالرمي عن قوس بلا وتر[4]

ما أطيب العيش لولا علة حكمت ... فينا، بموت الصبا من ميتة الشَّعر

فجانب الناس وانظر في تفاضلهم ... إلى الطباع ولا تنظر إلى الصّوَرِ

وإن طمعت بفضل من يدي ملك ... فاطلب من الله، واطلب من (أبي عُمَر)

مولى الملوك، الذي لو أنهم وزنوا ... بظفره، نقصوا وزناً عن الظُّفُر

أغَرّ، بالشرف الطوي زينته ... كزينة الخيل بالأوضاح والغُرَر

مظفَّرٌ ما أتَتْ، من وقعةٍ يده ... إلا مسومة الأظفار بالظَّفَر[5]

تُرمى المصانع والغيطان منه بشمـ ... ـسي العداوة، ليلي السرى بهر[6]

لا يستريح ولا يفضي به سفر ... من بُعد همته، إلا إلى السفر

هديّ، كهدي (رسول الله) مُتَّبِع ... ما سار (آل رسول الله) في السِّيَر

وعزمةٌ، كل جدّ من صرامتها ... أقضى من الموت، أو أمضى من القدر

لو أن هيبته أو بعض هيبته ... تُلقى على الفلك الدوار لم يدر

أحيا (التبابع) و (الأذواء) واشتملت ... بالعدل دولة (قحطان) على (مضر)

---

(١) خوطية: الخوط: الغصن الناعم، وخوطية: نسبة للغصن أو تشبيهاً به.

(٢) الجنية: السعلاة. الخفر: الحياء.

(٣) الحورية: نقية اللون، والأنثى تشبه بحور العين في الجنة.

(٤) أصمتك: رمتك، الإصماء: الرمية التي تصيب وتنفذ من الجسم.

(٥) أتت: رجعت وعادت. المسومة: المعلمة. الظفر: النصر.

(٦) البهر: بهري: صفة منسوبة إلى البهروهو القهر والعلو والغلبة.

وجال في الأرض حتى قال ساكنها: ... هذا خليفة (ذي القرنين)، و(الخضر)
يا (يوسف) الحسن والإحسان يا ملك ... الدنيا، وما لك أهل البدو، والحضر
إن الخلافة قد آمت وقد فنيت ... عنها ملوك (بني العباس) و (التُّتَر)
وإن طلبت مطاراً، للتي عُضلت ... فقد وجدت جناحاً طائراً فطر
هذا قميصك، إما قُدَّ من قُبُلٍ ... كابن النبي، وإما قُدَّ من دُبُرِ
فانهض لعثرتها واعلم بأنك إن ... أهملتها كانت الإحدى من الكُبَر
وما أظن قناة الدين إن عُجمت ... إن لم تطاعن بها تخلو من الخور
يهني (دثينة) أنّ الله ظفّرها ... من الدّآدي ببيض البيض والغرر
غر (الجحافل) خضناها وما عِلموا ... أنّ الزجاجة لا تقوى على الحجر
أرسلت صاعقة في غيم بارقة ... تُردي وتبرق في رعدٍ بلا مطر
فَسَلّموا الخيل واعتاضوا بها حُمُرا ... فاعجب على حُمرٍ منهم على حُمُر
أعميتهم فتمنوا أنهم خلصوا ... عُورَ العُيونِ ومن للعمي بالعور
جاءوك يا شمس أرسالاً وقد بذلوا ... لكَ الحكومة في الأنثى وفي الذكر
اسمع، بقيت مصوناً، عن منافسة الأ ... غيار في المُلك محروساً عن الغير
إني امرؤٌ في فمي ماءٌ وفي كبـ ... ـدي جراحة من أمير غير مؤتمر
قد ذُقت من غصص الدنيا وفجعتها ... ما كان منه جميل الصبر كالصَّبر
إنْ جَرْجَرَ العَوْد فانظر ما بغاربه ... فإنه: إنْ رَغَا، يرغو من الدَّبَر
وانظر إليّ بعينٍ منك راحمة ... لا تقصدنْ، غير وجه الله في النظر [1]

وهي قصيدة كما ترى طويلة، ولكنها مع ذلك قد ظلت متدفقة قوية مؤثرة حتى آخر بيت فيها، وقد تحدث فيها شاعرنا عن حنينه لمرابعه التي لم ينس ظلالها، وسمرها، وسرحها، وغدرانها، وماءها الخصر، وإلى جانب حنينه الجارف للربوع فقد تساءل عن أحبابه وخلانه، تسآل واله حزين، وانطلق بعد ذلك لمديح (المظفر) فصوَّرَهُ في هالة ملوكية عظيمة لم يترك بعدها مجالاً لمزيد

---

[1] الديوان: ج١، ص٤١٨ – ٤٢٢.

من القول، فحتى اسمه: (يوسف) قد وظفه ليجعله قريناً في الحسن والإحسان لنبي الله (يوسف بن يعقوب) الذي وصفه الله بالحسن: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرَاً إنْ هَذا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [1] لذلك وجدناه يخاطب ممدوحه بقوله: (يا يوسف الحسن ....)

وإلى جانب توظيف النص القرآني لم ينس أن يربط بطولات ممدوحه ببطولات من سبقه من الأبطال فاستدعى في القصيدة تاريخ البطولة والأبطال كعادته في أغلب مدائحه.

وهذه القصيدة الجميلة مع أنه قد شحنها بعاطفة الإعجاب الجياشة لممدوحه (المظفر) وأغدق عليه من الثناء المستطاب ما تجاوز به حد المبالغات الشعرية المعتادة فقد وجدناه قد استخدم فيها كثيراً من المحسنات البديعية كالطباق، والجناس، والتورية، والمقابلات مضيفاً إليها الصور البيانية المحلقة التي تؤكد قوة شاعرية ابن هتيمل وغزارة مادته الشعرية.

- أما النص الثاني الذي سنختاره من شعر ابن هتيمل في المديح فهو نص تخيرناه من مدائحه الكثيرة في أمير المخلاف السليماني: الأمير الشاعر القاسم بن علي الذروي وهي قصيدة طويلة بدأها ابن هتيمل بالوقوف على الأطلال ثم انتقل إلى المحبوب فوصف محاسنه بعد أن ذكر حنينه إليه وشوقه إلى لقياه وغرامه به واستمر في ذلك الهيام إلى أن وصل إلى بيت التخلص الذي يكون ترتيبه عادة عند ابن هتيمل بعد البيت الرابع عشر وكما سيرى القارئ فإن ابن هتيمل من الشعراء الكبار الذين يجيدون الانتقال من التشبيب إلى الممدوح بسلاسة لا يحس بها القارئ فإلى تلك القصيدة التي يقول فيها:

أعاذله ما آن أنك عاذره	وخاذله هل أنت بالدمع ناصره
دع اللوم عن صدر حُرِقن ضُلُوعه	غراماً وعن جفن قرحن محاجره
فو الله ما قلبُ المحب قوية	قُواهُ ولا مستحصداتٌ مرائره

---

[1] سورة يوسف: الجزء الأخير من الآية (٣١).

ومالك فيمن ليس قلبك قلبُه ... يُخامره من دآئه ما يُخامره
أصبرّ وقد أقوى وأقفر خيفة ... مُحجَّرُه ممن أحب وحاجره
وخف من الربع الذي عبثت به ... صروف النوى غزلانُهُ وجآذره
وقد كان أدهى ما يُحاذِره النوى ... فكانت، فقل لي أي شيءٍ يُحاذره
وفي الحي ممنوع الستائر أن يُرى ... يُحرك من مر النسيم ستائره
أغنُّ يفيض العطفُ والردفُ إن رخت ... غلائله ضاقت عليه مآزره
أجِيعَ وشاحاه نُحُولاً وأشبعت ... خلاخيله من نعمة وأساوره
أمُتلِف نفسي بالصبابة خلِّها ... تُساورُ من أغلالها ما تساوره
وكلني إلى وجدٍ سرى في حشاشتي ... أوآئله مسمومة وأواخره
فمن لي بقلب لا يمنُّ مليكُه ... عليه ويستحييه في الأسر آسره
إذا الغيث أرخى مرجحنً سحابة ... على بلد، أو أمطرته مواطره
فراحت على أيك الحسيني، أو غدت ... روائحها، أو باكرتها بواكره
فتىً زعزع الأرض الوقور، وأنفِذَتْ ... نواهيه في أقطارها، وأوامره
وجاهد حتى أوضح الحق سيفه ... وأرشد غاويه، وأسلم كافره
أماط ملوك الدولتين، فطحطحت ... مفاخر أهل الدولتين مفاخره
ولو رام ملك الروم والفرس قصَّرت ... قياصره عن ملكه وأكاسره
ولو أنه ألقى مخافة بأسه ... على الفلك الدوّار ما دار دائره
خِضمٌ نزال ما تغبّ هِبَاته ... وهضب أناة ما تخاف بوادره
وضيغم حرب ما تزال خضيبة ... ومحمرة أنيابه وأظافره
أبا خالدٍ أسرفت في الجود باللهى ... وأمعنتَ حتى أن (حاتم) (مادره)
فهل لك في شختِ الجزارة مضمر ... رُواءُ أعاليه ظِماء حوافره
أقب كسرحان الغضا متمطر ... سليم الشظى والأوب شعر أشاعره
له غرة سالت فطالت فسلمت ... جحافله من سيلها ومناخره
يُصرف فيه الفارس الليث زعزعا ... ويعصر من أطرافه (الصدر) عاصره

هدية ماضي العزم فوّض أمره إليك، وصارته إليك مصايره
هنيئاً لهذا الدهر أنك شمسه وعصمة أهليه، وأنّي شاعره [1]

ومع ما في هذه القصيدة من صور بيانية جميلة ومعانٍ وأخيلة جليلة، ولغة شعرية خاصة فقد رأينا ابن هتيمل يُقلب فيها صفحات التاريخ حيث أرانا كرماء الزمان وأجواده كما أرانا بخلاءه ومُقلّيه وكان قبل ذلك قد استدعى صفحات من تاريخ العرب والفرس والروم ليضع لممدوحه مكانة تفوق عظماءهم شجاعة وبأساً ومراساً في الحروب، ومع حرص ابن هتيمل على استقصاء محامد ممدوحه إلا أنه كغيره من شعراء المديح يلح كثيراً على محامد مألوفة كالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف، والعطف على اليتامى ..... الخ؛ لذلك رأيناه يجسد هذه الخلال ويوليها جل اهتمامه في هذه القصيدة الجميلة.

وحين نتأمل هذين النصين من شعر ابن هتيمل في المديح كاملين، ونمعن النظر فيهما، ندرك قوة شاعرية ابن هتيمل وحسن تأتيه، وحرصه على استقصاء ذكر محامد ممدوحيه، كما نلمس قوة عاطفته وشدة ولائه لله ثم لمن يحب من الأمراء والولاة، وسنتعرف من خلالهما على طريقة ابن هتيمل في مديحه وأنه ينهج فيه على سنن شعراء القرن الثالث والرابع الهجريين، وبعض من أتى بعدهما من استفتاح بالتشبيب وهو الأغلب أو الحنين إلى الديار أو وصف النجائب وما قطعته من سهوب في طريقه إلى الممدوح وهذا كله موجود في مديح ابن هتيمل، وإن وجدناه في نصوص أخرى يبدأ مديحه مباشرة دون تشبيب أو مقدمات طللية، والغريب أن أغلب قصائد مديح ابن هتيمل يقسمها بين التشبيب بالمحبوبة وبين ممدوحه فتجده في أكثر القصائد يخصص أربعة عشر بيتاً في مقدمة قصيدة المدح للتشبيب يأتي بعدها ببيت أو بيتين للتخلص ويبقي للممدوح النصف الآخر وربما زاد لبعض ممدوحيه أبياتاً أخرى ، وإلى جانب ذلك فإنك تجد أشياء كثيرة تميز شعر ابن هتيمل بعامة وشعر المديح لديه على وجه الخصوص كروعة لغته الشعرية وتنوع أساليبه وجزالة

---

[1] القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره ، لحجاب الحازمي ص٢٣٢ .

تراكيبه وقوة سبكه، وجمال صوره، وحرارة الإخلاص التي تلمسها في ألفاظه حين يخاطب ممدوحه وتجدها في نبض كلماته بل في حروفه، وهذه وتلك من أبرز مميزات شعر ابن هتيمل.

ومن شعر ابن هتيمل في العتاب:

وكما كان لابن هتيمل نبرته الخاصة – كما رأينا – في المديح فإن له كذلك صوته الهامس ونهجه المميز في عتاب أصدقائه ومحبيه فتراه يُذكِّر من يعاتبه ببعض المواقف المعهودة بينهما، مُدِلاً بمديحه الذي سبق أن دَبَّجَه في ذلك المُعاتَب، وبإخلاصه له، مستدراً خلال الوفاء في مُعاتَبه كقوله في عتاب ممدوحه الأمير وهاس بن محمد [1] أمير المخلاف السليماني في زمنه:

---

[1] وهاس بن محمد: هو وهاس بن محمد بن هاشم الغانمي (...–...) ورد اسم هذا العلم عدة مرات في ديوان ابن هتيمل ممدوحاً في عدد من القصائد ومُعاتباً في بعض آخر، وورد اسمه في مقدمات بعض القصائد تارة ثنائياً وأحياناً ثلاثياً وفي بعض الأحيان رباعياً كما أثبتنا، ومع أن محقق الديوان لم يقدم تعريفاً لهذا العلم وإنما اكتفى بما صُدِّرت به القصائد التي مدح بها كهذه العبارة: (قال ابن هتيمل يمدح الأمير وهاس بن محمد بن هاشم صاحب جازان)، ولم يضف المحقق إلى ذلك شيئاً غير أن ابن هتيمل قد أشار في بعض مدائحه إلى اسم أبيه (محمد) واسم جده (هاشم) واسم جده الأعلى (الغانمي) وربما نسبه إلى (ذروة) وذروة أحد جدود الغوانم كما أن ابن هتيمل أطلق على علمنا في شعره أوصافاً كثيرة فقد وصفه مرة بـ (الأمير) وأخرى بـ (بالأمير الحق) ونعته مرة بـ (ملك) وخاطبه في مقام آخر بـ (يا قائم الملك) وهذا كله يعطينا تعريفاً موجزاً بعلمنا: (وهاس بن محمد) فهو كما قدمنا وهاس بن محمد بن هاشم الغانمي أحد أمراء المخلاف السليماني البارزين في القرن السابع الهجري، وينتمي إلى أسرة (الغوانم) السليمانيين حكام المخلاف وأمرائه منذ أواخر القرن الخامس الهجري، وجدهم الأكبر: (غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس بن الطيب بن داود بن سليمان ...... الخ)، ويعرفون بآل أبي الطيب، أو (ببني سليمان) ومن هذه الأسرة أمراء أعلام ومنهم عدد يشارك علمنا في هذا الاسم (وهاس) لذلك وجدنا ابن هتيمل في إحدى مدائحه لعلمنا يخاطبه قائلاً:

وهاس أعنيك، لا وهاس (باغتة)   أميرها (ابن سليمان بن منصور)

فكأنه يخص بمديحه هذا علمنا (وهاس بن محمد) صاحب أو أمير جازان ولا يقصد الأمير الآخر (وهاس بن سليمان بن منصور) أمير (باغتة) الذي مدحه ابن هتيمل بقصائد كثيرة كما مدح ابنه (سليمان بن وهاس بن سليمان) الذي روى له ابن أبي الرجال موقفاً مع ابن هتيمل يدل على الشهامة والنبل وقفه (سليمان) قبل أن يبلغ الحلم في قصة يطول شرحها (انظر مطلع البدور) لابن أبي الرجال ج١ ص٩٧ ، ٩٨، انظر عن هذه الأسرة وبعض أعلامها في (تاريخ مكة للسباعي) وفي (الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان في العصور الإسلامية الوسيطة) لأحمد الزيلعي، وفي (مخطوطة الجواهر اللطاف) للقبي الورقة ٢١ وما بعدها، وانظر الديوان ج١ ص٤٢٨ وما بعدها.

جعلت فداك يا (وهاس) إني رأيت النجح يدرك بالتأني
وأنَّ مكارم الأخلاق ألاَّ تكدر منك ذا الصافي، بمنِّ[1]
محوت صنيعك الأمسي[2] عندي فليتك أولاً لم تصطنعني!!
وليتك لم تعاهدني جهاراً على ما كان منك، وكان منّي
فلا والله ما أنسى قيامي أحيي منك غير المطمئنِّ
تصافحني بكف مشمئزٍّ وتلحظني بطرفٍ مرجحنِّ[3]
مواقف ما رضيت بها لقِنٍّ فأرضاها لحر غير قِنِّ[4]
ولي في جيد مدحك مذهبات أغارت كل ذي مقة وضغن[5]
يزمزمها المزمزم[6] في الملاهي بشكرك، أو يغنيها المغني
إذا فكرت فيك عضضت كفي على إهمالها، وقرعت سني
أهَلْ عاينت مني غير خيرٍ؟ وهل نقل السُعَاة إليك مني؟
وهل حُدِّثْتَ أني في زماني أدَرِّجُ[7] عنك نفسي بالتمني
فواعجباً تجادل غير فَهٍّ[8] وكَمّكَ، وكم تقعقع لي بشن
وكنت لسيدي عيناً وأذناً فما لي لا إلى عينٍ وأذن [9]

---

[1] المن: الاعتداد، وذكر ما أعطيت من الصدقات.

[2] الأمسي: الذي كان بالأمس.

[3] المرجحن: المائل المضطرب.

[4] القن: العبد، وفي هذا البيت نلاحظ أن الشاعر كاد أن يخرج عن طوره حتى أنه خاطب مُعاتبه بلغة خشنة.

[5] المقة: المحبة، الضغن: الحقد والكره.

[6] الزمزمة: من الألفاظ التي تطلق على الغناء الخافت المرجع صوتاً.

[7] أدرج: بتشديد الراء: أعود نفسي وأواعدها.

[8] الفهُّ: العيي العاجز عن الكلام.

[9] الديوان ج٢ ص١٠٢٣.

وهذه القصيدة كما نرى عتاب قوي نلمس فيه براعة الشاعر ابن هتيمل وتمكنه من معانيه التي يتسلل إليها برفق مستخدماً أدق التفاصيل ولكننا لا ندري هل قبل مُعاتبه الأمير (وهاس) هذه اللهجة في العتاب فعطف عليه؟ - ربما -.

ومن شعر ابن هتيمل في الحنين:

الشاعر ابن هتيمل كغيره من الشعراء، كان كثير الترحال لذلك فقد وجدنا له شعراً كثيراً في الحنين، الحنين إلى كل شيء يوصله إلى المحبوب أو يذكره به وله في هذا الباب مقطوعات جميلة بعضها يأتي في هيئة مقدمات لبعض قصائد المديح ومن ذلك قصيدته التي صاغها مشاركاً لنياقه في حنينها للريف ولأيمن ذي الأراك، ولمرابع البشام، ولأهل تلك المرابع وكأنما كان يصور في شعره هذا حنينه هو، لتلك المرابع، ويعبر عن لوعته وجواه، وشدة ولهه، بتلك الديار التي تشده إليها لبانات لا يستطيع التحول عن الوفاء ببعض حقوقها، وهو جوىً سبّبه له النوى الذي ما تنقضي خطراته عن القلب الموله، لذلك سمعناه يردد قائلاً:

لم لا تَرِفُ قلوبنا للريف	وتَحِنُّ نحو المعهد المألوف
ولها بأيمن (ذي الأراك) لبانة	ما تنقضي من مربع ومصيف
أعن البشام الغض تزعجها وقد	كلفتها شططاً من التكليف؟
فضلات أنضاءٍ، يصرفها الجوى	والشوق في تعبٍ، من التصريف
تشجي بزمر حلوقها، فكأنها	قصب اليراعة، في حناجر جُوف
من كل موثقة، بِلَيٍّ جديلها	وخطامُها، بذراعها المعطوف
أملوّمي، إن خفت عادية النوى	وأبي النوى، ما خفت غير مخوف
ولة بجسمي تستديم نحوله	ولهٌ بقلبي من صدوف صدوف
فمتى الزيارةُ والكواشح لحظها	رُصُدٌ، لنا والحيُّ غير خلوف؟
ومن الظباء الهيف أجيد بائنٌ	بالحسن عن جيد الظباء الهيف
ليل على قمرٍ، على غصنٍ، على	حقفٍ، طُلاع غلالة ونصيف
صيغت محاسنه من التذهيب، والتفـ	ـضيض، والتثقيل، والتخفيف

يختال بين دمالج، وخلاخل ويميس بين أساور، وشنوف[1]

رحمك الله يا (أبا خليفة) ليتك رأيت حسناوات عصرنا كيف غيرنَ جمال سواد شعرهن بالأصباغ التي ذهبت بحسنه ولم تبق لمن تغنوا بسواده حين ينعكس على بياض وجوه الحسان إلا ضوءاً باهتاً لا يستحق الغناء ولا التشبيب.

على أن شاعرنا ابن هتيمل في هذه القصيدة كما نرى قد اعترف بولهه الذي أصاب كل جارحة فيه فتساءل عن موعد الأوبه، وموعد الزيارة التي لا تأبه بالرّصد، ولا بالكواشح، لأنها ستجمعه بالظباء الهيف التي صيغت محاسنها من كل صنوف الجمال؛ من أجل ذلك فهو لا يشارك نياقه في الحنين للديار وأهلها – فحسب – وإنما يسابقها في اللهفة والحنين اللذين لا ينتهيان.

ومن شعر ابن هتيمل في الرثاء:

وفي الرثاء نقرأ لابن هتيمل قصائد كثيرة رثى بها بعض أقاربه وبعض معارفه، وسنختار من مراثيه قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي صاغها حين مات أخوه: (خليفة ابن هتيمل) لقد هانت عند موت أخيه المصائب لذلك سكب في هذه القصيدة ذوب وجدانه وماء حشاشته وصبها في سمع الزمان فظلت تجلجل في قاع أذنه فتهز برنينها الحزانى والمكلومين على فراق أحبابهم، وهكذا يتجلى لنا ابن هتيمل في بكائيته هذه التي ذكّرته بما تتمتعُ به أسرته من مكارم أخلاق وشجاعة وكرم وعفة ورأفة باليتامى ورعاية لحقوق الجوار، فكأنه حينما بكى هذه الخصال الحميدة التي فقدها بفقد أخيه إنما كان يرثي معالي الأمور التي فقدت بفقد عميد أسرته: (خليفة ابن هتيمل) الذي بكاه قائلاً:

ما شاء بعدك فليأتي به الزمن فلا السرور يواتيني والحزن
بمن أضن؟ بعمري؟ لا تعرض لي عند الردى بضنين بعدها ضنن
فما رأت يا أبا يحيى ولا سمعت بمثل يومك لا عين ولا أذن
كان الذي خاف أهل الأرض فيك من الـ ـدنيا فيا قرب ما خافوا بما أمنوا

---

[1] الديوان ج٢، ص٦١٨–٦٢٠.

مصيبة لو أصابَ (الطور) أو (حضناً) معشارها لتداعى (الطور) أو (حَضَنُ)
ما خص يومك حياً، إنما رزئت على العموم به قحطان واليمن
لو قاضك الدهر منا بالحياة وبالـ ـأحياء كان عليه الغبن والغَبَن
قد كنت للدين روحاً يستقيم بها في أهله، فتولى الروح والبدن
ما هكذا محن الدنيا التي سلفت من قبل، فالناس قد تُبلى، وتمتحن
نخيرة نُزعت منا، وباقية من الفروض أقامت بعدها السنن
هل تعلم الأرض من وارت ومن ضمنت أحشاؤها ودرى من ضمه الكفن
ليث على مهج الأعداء مُتهم يوم الوغى وعلى الجارات مؤتمن
يوماه، حسبك من بأس ومن كرم إذا الرجال عراها البخل والجبن
مُرَهَّقُ النار إن حطَّتْ بساحته أوائل الركب كاست بينها البُدُنُ
ملازم الصمت، لا عيٌّ، ولا حصرٌ، وإن تكلم فهو المصقع اللسن
آسى عليك، ومالي يا خليفة لا آسى؟ وقد صدقتني بعدك الفتن
هيهات مكث الليالي أن تنابذني حربَ الخطوب، وكانت بيننا هُدُن
أوجهك الحسَنُ الميمون طلعته أدهى بفرقته أم فعلك الحسن؟
تغيرت بهجة الأيام، وانتقض العـ ـهد الوثيق، وخان الخِلُّ والسكن
فالأقربُ، الأقرب الأرحام، يصرف نا باه، عليّ، وجار الجنب مضطغن
بمن أذود الأعادي كلما كلحت تحت العجاج رماك الخيل والحُصُن؟
ومن أُحَمِّلُ أعباء العشيرة إن تحمل الزمن المعذور والزمن؟
لي في المقابر أشجان وإن كرمت عندي فقبرك لي من بينها شجن
ما أنصفتك العيون الباكيات فلو أنصفن، ما جال في أجفانها الوسن[1]

إلى آخر تلك المرثية القوية، وهي قصيدة بكائية حزينة أطلق لنفسه فيها العنان فجاءت تحمل ذوب وجدانه المضطرم بنيار الفقد والفجيعة، ولقد تجاوزت أبياتها الثلاثين بيتاً وكل بيت فيها يقطر أسى ولوعة لا تدانيها إلا تلك الحسرات التي

---

[1] ديوان القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي تحقيق: عبد الولي الشميري ج٢ ص٩٦٤-٩٦٧.

ذرفها حين وارى زوجته التراب بعد أن قضت نحبها وفي أحشائها جنينها يتوهج كالشهاب تلك القصيدة التي يقول في مطلعها:

يعز عليَّ إن عظم المصاب ... ولا صبر لدي ولا احتساب

فتخسر صفقتي دنيا وأخرى ... فلا ذات الوشاح ولا الثواب

وهي قصيدة طويلة سكب فيها صادق العبرات وحشد فيها صوراً لمعاناته تاركاً نفسه على سجيتها تعبر عن ثكلها، وحزنها، ولوعتها، إلى أن قال:

بنفسي عصر يوم السبت نعش ... تداوله المناكب والرقاب

تسل إلى الحفيرة منه شمس ... تَبَلَّجَ في جوانبها شهاب

من الخفرات، يخفي الليل منها ... إذا ما جنَّ ما لا يُستَرابُ[1]

تلك هي بعض مواقف الوفاء وشيء من الجزع والحزن على الأقارب في شعر ابن هتيمل فكيف هي مواقفه عند فقد أصدقائه أو خلانه ومعارفه وأمراء بلده؟ لعلنا في القصيدة الآتية سنجد جواب شيء من هذا التساؤل فها هو ابن هتيمل يرثي أمير المخلاف السليماني في القرن السابع وفقيده الشريف (قاسم بن علي الذروي) الذي يرى الشاعر في رزئه ما تعتم له الدنيا، وتصم به المسامع فهو رزء – كما يرى – ليس كبقية أرزاء الفقد الفردية إنه رزء يعم ولا يخص لذلك نسمعه يبكيه في نبرة حزن حادة من قصيدة طويلة نختار منها قوله:

انظر لشمل المجد كيف تصدَّعا ... واسمع بركن الدين كيف تضعضعا

وارحم (سليمان)[2] العريضة إنها ... أمست ذوائبها نواكس خُضَّعاً

---

(1) المصدر نفسه ج1 ص76.

(2) سليمان العريضة: يقصد بهم الشاعر أسرة السليمانيين حكام المخلاف السليماني في عصره، وهم أسرة هاشمية تنتمي إلى عبد الله المحض وإن كان بعض النسابة يرجعونهم إلى (سليمان بن داود بن الحسن المثنى) وقد نقل الزيلعي عن (ابن عنبة) قوله: (السليمانيون هم أفخاذ وبطون من الأشراف يسكنون المخلاف السليماني وممن ينتمي منهم إلى فرع أبي الطيب: وهاس، وبنو علي، وبنو شماخ، وبنو مكثر، وبنو حسان، وبنو هضام، وبنو قاسم، وبنو يحيى وهؤلاء كلهم أولاد أبي الطيب بصلبه إلا مكثر وشماخ فإنهم أولاد أولاده........ إلى أن=

ألـوَى بعـزِّهِمُ الزمـان فقاضـهم ... ذُلاً وفـرّق مـنهم مـا جمّعـا

إني لأعلم أنْ سيخرجهم من (الـ ... ـمخلاف)مخرج قومهم من(ينبعا)

بكَرَ النّعـيُّ بخيـر (آل محمـد) ... أتُرى نَعيَّ الجود يعرف من نعى؟

هي صيحة عَميَ الندى عينـاً بهـا ... في الخافقين وصُمَّ منهـا مـسمعاً

رزءٌ يَعُـمُّ ولا يخـصُّ، ومـصرعٌ ... أمسى وأصبح للمكـارم مـصرعاً

تعـساً لعـاثرة الليـالي إنهـا ... عثُرَ الشجاع بها فقالـت: لا لعـا

أضحت مقامـات الـسرور مآتمـاً ... ومنـازل الـضيفان قفـراً بلقعـا

أدرت (قريش الأبطحين)؟ فإنهـا ... رُزِئَتْ بـ (قاسم) هاشماً ومجمعاً؟

فَلَيَحْـسُوَنَّ صـديقه وعـدُوُّه ... من بعد ذاك الـشُّهدَ سُـمّا ناقعـاً

يا عارضاً عـصفت بريِّـقِ وَنَقِـهِ ... ريح المنون على العبـاد فأقلعـا

ومفارقاً، من لا قِلَىً، سـبقت بـه ... نية الفـراق، مُودعـاً، وَمُوَدَّعـا

كنـا نؤمـل أن تُمَلَّـى بُرهـة ... ما كان أعجب ما نُقِلتَ وأسـرَعا

نُقِـت المنيّـةَ حاسـراً ولطالمـا ... خُضتَ المنيّـة حاسِـراً ومُـدَرَّعا

-قال: ولحمزة بن وهاس صارت إمارة مكة شرفها الله بعد وفاة تاج المعالي: (شكر بن أبي الفتـوح)، وحمـزة بن وهاس هذا هو الجد الأقرب للأسرة السليمانية التي حكمت المخلاف السليماني) بتصرف مما نقله الزيلعي عـن ابن عنبة من كتابه عمدة الطالب انظر ص٢٩ من كتاب الأوضاع السياسية للزيلعي وباختصار فالـسليمانيون كمـا أشرنا هم حكام المخلاف السليماني خلال القرون الخامس والسادس والسابع؛ حيث كانوا يتوزعونـه علـى هيئـة إقطاعيات، فالغوانم حكموا جازان الأعلى، وآل ذروة في صبياء، وآل قاسم في بـيش، وآل وهـاس فـي باغتـة، والقاسموين في ضمد، وأول من استقل منهم بحكم المخلاف السليماني: الشريف (غانم بن يحيى بن حمـزة بـن وهاس) في النصف الأول من القرن الخامس وكانت عاصمة ملكه بلدة (الساعد) المندثرة، انظر بعـض أخبـار هذه الأسرة في: الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان في العصور الإسـلامية الوسـيطة لأحمـد الزيلعي ص٢٥-١٥٣، وفي قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن الديبع ج١ ص٣٤٦، وفـي المفيـد في أخبار زبيد لعمارة الحكمي ص٢١٧، وفي الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش تحقيق إسماعيل البشري ص٩، وفي غاية الأماني للإمام يحيى بن حمزة ج١ ص٢٨٨، وفي اللطائف السنية للكبسي ص٤٣ ومـا بعـدها، وفي غربال الزمان للعامري ص٤٤٩، وفي مخطوطة العقيق اليمـاني للنعمـان الورقـة ١٢٨، وفـي مخطوطـة الجواهر اللطاف للقبي الورقات ٣١، ٣٢، ٥٠ وغيرها.

مـــا أنـــصفتك عيوننـــا لـــو أنهـــا فاضت دماً فَجَرَيْنَ أربــعَ، أربعــا

ولـــو انهـــا كانـــت كرامـــاً حـــرة أرواحُنـــا لَجَـــرَين منهـــا أدمُعـــا

قد كنت تسمع ما أقول ومـــا طـــرا قدرٌ، فمن لي أن أقول وتَـــسمْعَا؟

أمَّـــا إذا غـــصبتك عاديـــة الـــردى قهراً، ولـــم يـــدفع وليُّـــك مَـــدفعا

فاذهب،كما ذهب الحيا عن روضـــة أُنُف، فـــضيَّعَ فَقْـــدُهُ مـــا ضَـــيَّعا

وبـــ(أجزع السَّرحات)قبرٌ، بُورِكَـــتْ سَرَحاتُ أجْزُعِهِ وبُورِكَ (أجْزُعا)

لـــثم النـــسيم ترابـــه فتـــضوَّعَتْ أردانُه بالمـــسك حـــين تـــضوَّعا

لو كان من حدق العيون حـــصاه أو حب القلوب ولا يكـــون اليرمعـــا

سُقِي الغمام ففيـــه علـــق مـــضنَّةٍ ما كان أعطشنا إليه وأجوَعـــا [1]

حقاً إن الرزء الذي استشعره ابن هتيمل بفقد أمير المخلاف السليماني: (القاسـم ابن علي الذروي) هو رزء طَبَّقَ الخافقين، فشمل المجد تصدع منه، وركن الدين تضعضع وعمي بسبب حصوله، وبسببه احتسى الصديق والعدو سماً ناقعاً، كـل هذا وجده ابن هتيمل في فقد أميره الغالي على أننا سنجد ابن هتيمل في مرثيـة أخرى يصاب برزء أجل وأعظم لذلك نسمعه في مطلع قصيدة رثاء الأحامد الثلاثة: (الأمير أحمد بن علي الحرامي، والإمام أحمد بن الحسين، والإمام أحمد بن عبد الله بن حمزة،) يقول:

لا الدمع ينصف إن بكيتُ ولا الـــدم الرزء عن جزعي أجـــل وأعظـــم

والأمـــر أكبـــر أن يهـــون لأجلـــه جيـــب يـــشق لـــه، وخَـــدٌّ يُلْطَـــمُ

ما الحزن من شيء، وما تجري به منا الشؤون، وما يفوه بـــه الفـــمُ

هي حـــسرةٌ، لـــم يلقهـــا متـــأخرٌ ممـــن علمـــت بـــه، ولا متقـــدمُ

إلى أن قال في بعض أبياتها:

---

[1] الديوان ج٢ ص٥٤٩ وما بعدها.

من أين للأرض القرار وقد خلي منها (شُبام)، و (ينبلٌ) و (يلملم)[1]

والمعروف أن شبام ويذبل ويلملم حصون وجبال مشهورة.

وهكذا مضى ابن هتيمل في رثائه الحزين إلى آخر تلك القصيدة العصماء التي عبر فيها عن بالغ أساه وحزنه لفقد أولئك الأعلام الكبار.

وهكذا أتيت في الصفحات السابقة على نماذج من شعر ابن هتيمل في الغزل، والمديح، والرثاء، والعتاب، والحنين، وحاولت في اختياراتي أن تكون تلك النماذج من ذلك الشعر الذي تتجلى فيها قوة شعر ابن هتيمل؛ سواء أكان مادحاً، أو راثياً، أو مشببا، أو معاتباً، أو واصفا، وقد رأينا في تلك النماذج روعة ابن هتيمل في اختيار الصور الفنية النادرة التي تأخذ بمجامع الألباب.

على أن للصورة الفنية في شعر ابن هتيمل خصيصة، قَلَّ أن تجدها عند كثير من الشعراء، وقد تَحَدَّثْتُ عنها بوضوح في كتابي: (القاسم بن علي ابن هتيمل حياته من شعره) [2] وقد رأينا عينات من تلك الصور في هذه النماذج التي اخترناها ومع ذلك فإنني سأختار أيضاً للقارئ نصاً آخر يشتمل على عدة صور لكنها في هذه المرة صور مشتركة بين الشاعر والقارئ والسامع وهي بما يسمى بـ (أفلام الكرتون) قريبة الشبه ذلك لأن الشاعر يفرض على السامع والقارئ التعبير بالحركة عن الصورة التي أرادها، وهذا من إبداعه الذي – ربما – لم يسبق إليه. وتعالوا بنا نتملى هذه الصور بل نشترك مع الشاعر في رسمها:

يميس قوام الرمح كالغصن هكذا	ومبسمه البراق يلمع هكذا
وألفاظه بالسحر ترشُقُ مهجتي	فأجعل كفي فوق رأسيَ هكذا
وأطلب منه الوصل سراً فيستحي	ويومي بترك الوصل بالرأس هكذا
وأكتم دمعي من عذولي مخافة	وأمسحه من فوق خديَ هكذا

[1] المصدر السابق ج٢ ص٨٦٨-٨٧١.

[2] انظر كتابنا: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره) الصفحات ٩٤-١٠٥.

وإن لاح لي برق بجازان لم يـزل   فؤادي من الأحزان يخفـق هكـذا
ولله يومـاً إذ تراني منكمـا   يسير على أطراف رجليـه هكـذا

ويستمر على هذا المنوال في رسم صوره المتحركة إلى أن يقول:

وَصَلَّى إلهي كل يوم على الذي   له خرَّت الأصنام في الأرض هكذا[١]

والآن وبعد أن طوّفنا في شعر ابن هتيمل واخترنا نماذج من معظم الأغـراض الشعرية التي صال فيها شاعرنا وجال وكانت لنا بعض الوقفات والومضات التي لا تفي بحق هذا الشاعر الكبير وشعره بعد كل هذا لعلي أختم هـذه اللمحـات السريعة عن ابن هتيمل وشعره بتوصيفات موجزة لشعره وردت في عـدد مـن دراسات نقاد الأدب لعل فيها بعض الإنصاف لهذا الشاعر الفحل.

وأول هؤلاء النقاد الدكتور: شوقي ضيف الذي قال عن ابن هتيمل: (كان شاعراً مجيداً في غزله وفي مديحه ونسيبه) [٢].

ويقول الأستاذ العقيلي في أحد هوامش كتاب: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان): (شعر ابن هتيمل قيثارة من قيثارات الخلود ووتر من أرقّ أوتار الشعر الغنائي، يترقرق بطلاوة الفن، ويشع بروعة الأصالة)[٣].

ويقول الأستاذ: أحمد بن محمد الشامي عن شعر ابن هتيمل: (ديوان ابن هتيمل يُعد بحق وثيقة تاريخية تستحق العناية من قبل المـؤرخين والجغـرافيين مثلما يستحق اهتمام الأدباء والنقاد وأرباب البلاغة، وشعره يعـد مـن السـهل الممتنع الذي يُذيب لفائف القلوب ويطرب الأسماع إنك حين تصغي إلى ابن هتيمل

---

[١] انظر: المصدر السابق ص١٠٣-١٠٤ .

[٢] عصر الدول والإمارات: لشوقي ضيف ص٢١٤.

[٣] التأريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ هامش ص١٦٤.

لا تظن إلا أنك تستمع إلى شاعر فحل من فحول شعراء العرب في القرنين الثالث والرابع، أوج ازدهار الشعر العربي) [1].

وسبق لي أن تحدثت عن شعر ابن هتيمل في فصول كثيرة من كتابي عن ابن هتيمل ومما قلته فيه: (لا شك أن دارس شعر ابن هتيمل سيلمس السلاسة وجمال الصور واستجلاء المعاني مع وجودها في قوالب أخاذة وعلى أنغام تألفها أذواقنا وتأنس بها حواسنا فشعره يعد امتداداً لشعراء القرن الثالث والرابع الهجريين) وفي مقام آخر قلت عن شعر ابن هتيمل: (في شعر ابن هتيمل ألوان من البديع كالمقابلات والطباق والجناس والتورية وازدواج المعاني.....الخ لكنه مع هذا يمثل مدرسة شعرية مستقلة، فشعره يجمع بين جزالة الألفاظ وروعة التراكيب وسهولة العبارة ووضوح الأفكار، فهو السهل الممتنع)[2].

وبعد: فهل تكفينا هذه اللمحات عن شاعر كبير كابن هتيمل وشعره الذي ألفت فيه الكتب وقدمت عنه الدراسات العلمية والأدبية؟ لا أظن ذلك ولكنني أرجو أن تقدم هذه اللمحات ولو إضاءة بسيطة عن حياة وشعر هذا الشاعر الكبير الذي مازال بحاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات الموسعة.

---

[1] تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي: لأحمد الشامي ج٤ ص٤٧-٦٣.

[2] القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره لحجاب الحازمي انظر الصفحات ٥١-٩٣.

٣- العلامة الشاعر: الشريف حويسة النعمي السليماني التهامي (... - ...هـ):

أحد أعلام وشعراء القرن السابع الهجري المغمورين الذين كاد أن يطويهم النسيان، وقد انفرد بذكره العلامة أحمد بن أبي الرجال في كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور)، وذلك حين كان يتحدث عن العلامة: إدريس بن محمد بن علي السليماني التهامي أحد أعلام القرن السابع الهجري كما سيتضح من سياق سيرته التي رواها ابن أبي الرجال حيث قال عنه: (العلامة إدريس بن محمد السليماني: [١] إمام عظيم القدر كان في أيام الإمام أحمد بن الحسين[٢] (...-٦٥٦هـ).

قال بعض المطلعين على أحواله: كان مسكنه في الحميمية[*] - بلدة بين العشيرة والدهناء بالمخلاف السليماني - وهي بلدة عظيمة واسعة وكانت ولايتها للسيد (إدريس) وأهل بيته فخرج عليهم السيد البعجلي[٣] ...) وهنا بدأ الكلام عن علمنا (وكان السيد حويسةُ وابن أخيه من قرابة السيد إدريس بمحروس صعدة - فلما خرج السيد البعجلي قتل السيد إدريس والسيد وهّاس وغيرهم ... فخرج

---

(١) إدريس بن محمد السليماني: قال عنه عبد الله الحبشي: (ركن الدين إدريس بن محمد بن علي السليماني، كان متكلماً في العلوم، عاصر الإمام أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٥٦هـ وموطنه قرية الجميمة بين عشيرة والدهناء من المخلاف السليماني، له كتاب: (أحكام الدُور: دور الكفر والفسق، ودور الإيمان)، انظر مصادر الفكر للحبشي ص١٠٧، ومطلع البدور ج١ ص٥٣٠.

(٢)الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم (٦١٢-٦٥٦) أحد أئمة اليمن في القرن السابع الهجري قاوم دولة بني رسول ودارت بينه وبينهم معارك كثيرة من أشهرها موقعة بيت نعامة سنة ٦٤٧هـ واستمرت بينهم حتى قتل سنة ٦٥٦هـ تحدث عنه عدد من كتاب التراجم، بويع بالإمامة سنة٦٤٦هـ، وهو أحد ممدوحي الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي(٠٠٠-٦٩٦) وغيره من شعراء عصره،وكان صاحب مؤلفات شهيرة.انظر ترجمته في مصادر الفكر للحبشي ص٥٤٨،٥٤٩،وكتاب اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية الكبسي ص٢٩ وما بعدها.

(*) لعل اسم هذه الصحيح هو (الجُميمة) وبسبب التصحيف وردت هكذا عند ابن أبي الرجال.

(٣) البعجلي: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر! ولعله من أبناء عمومة الشاعر كما يفهم من قول الشاعر حويسة في أحد أبيات هذه القصيدة:

فإن يكونوا بني أعمامنا ظفروا … بنا الغداة، فلا والله ما ظفروا

السيد حويسة من صعدة وكانت طريقه إلى الحجاز ومرَّ على الأمراء : بني يعقوب بِحَلِيْ فاستنصرهم، فأغاروا معه وأنشد السيد حويسه قصائد طنانة، وهلك السيد حويسةُ قبل النَّصَفَة من اليعقوبي الذي قام بما أمَّلَهُ منه الشريف حويسةُ)[1]. ومع أن ابن أبي الرجال لم يذكر لنا شيئاً عن تأريخ ولادة الشريف حويسةَ هذا ولا عن نشأته ولا عن نسبه – وإن ذكر بأنه من قرابة العلامة إدريس بن محمد السليماني ، وأشار إلى عصره وزمنه حين ذكر بأن قريبه العلامة المذكور (إدريس) كان في أيام الإمام المهدي أحمد بن الحسين الذي قتل سنة ٦٥٦ هـ مع كل هذا فقد أورد لنا نصاً شعرياً رائعاً لهذا الشاعر المغمور من شعراء المخلاف السليماني حيثُ قال: (ومن قصائد الشريف حويسه قوله من البسيط:

عنَّت لنا بخييمات اللّوى بقرٌ [2]   للإنس والجن في ألحاظها حَوَرُ
وكلُّ أبيض مسودّ غدائره   كأنَّهنَّ على دجن الدجى غُرَرُ
يلوحُ منها مساويك الأراك على   ما في السواد وميض ظلمه السكرُ
فقمت معترضا للسرب من كلف   أطفو على الأرض أحيانا وأستتر
فصادفتني بوجه ما به كلف   كأنه في تلالي نوره قمر
أو الغزالة من ديجور فاحمها   مرَّتْ بنا ، وعليها الليل معتكر
تقول هيهات ها قد بان منك على   فوديك للشيب نار منه تستعر

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج١ ص٥٣٠-٥٣٣.

[2] العربي ابن بيئته، يتأثر بها، ويحاكيها، وتجري على لسانه، وتسري في شعره مفرداتها، فترى الشاعر يتغنى بالظبية ويشبه بالأسد أو بالجوذر وتشبيه الغانيات بالبقر شائع بين شعراء العربية فهذا الشاعر عمر بن أبي ربيعة يفعل مثل هذا في شعره من أمثال قوله:

علق النوار فؤاده جهلاً   وصبا فلم تترك له عقلا
ما نعجةٌ من وحش ذي بقرِ   تغدو بسقط صريمة طفلا
بألذ منها إذ تقول لنا   وأردتُ كشف قناعها: مهلا

وقوله:

أبصرتها ليلة ونسوتها   يمشين بين المقام والحجر
بيضاً، حساناً، نواعماً، قطفاً   يمشين هوناً كمشية البقر

المصدر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج١ ص١٥٩، ١٧٠، دار إحياء التراث العربي ببيروت دون ذكر سنة النشر وإنما ذكر في الغلاف الداخلي: (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب عام ١٣٤٦هـ).

فقلت ما في بياض الشيب من عتب ... وصاحب الشيب رب الحلم ينتقر

وفي الصِبا طرق للجهل بيّنة ... وصاحب الجهل ممقوت ومحتقر

كان السواد سراجا بيّناً، فخبا ... فاستسود الحُبُّ، لما استبيض الشعر

دع الحسان، وخَل البيض إن لها ... جيشاً من الشعر المبيضّ ينكسر

ولا تَعُد عتادات سوى بُتُر ... كالملح منها عظيم العظم ينبتر

أو شُزَّب كالسعالي فوقها جُردُ ... كالجن نحو حياض الموت تبتدر

والخيل والليل والآساد في قمص ... من السوابغ، والصهّالة الذُّمُر

ولي من المجد بيتُ، ما له عُمُدُ ... إلا الذوابلُ والهنديةُ الذكرُ

بنيتُهُ، بسيوف من مهندة ... والناسُ غيري بِناهُمْ كُلُّهُ مَدَرُ

ورثتُ جدّيَ في شيد العلى، وأبي ... إن الأصول عليها تنبت الشجر

أقمتُ (نعمة) [1]حتى زاد زائدها ... وكان من خصمها قد مسَّهَا ذُعُرُ

فأصبحت دُورهم قفراً معطلة ... يرعى فلاها حمير الوحش والبقر

فما جزتني إلا بالخبيث على ... ما جئت من طيب ، والله مختبر

أصغوا لقول حسود، خاب ما صنعوا ... فينا ، ونمّ لئيم ، كاذب ، أشِرُ

لكي يفرّق شملاً كان مجتمعاً ... والله يترك شملاً منه ينتثر

ويترك القرية الزهراء مظلمة ... عيونها الشمس قد أزرى بها العور

فإن يكونوا بني أعمامنا ظفروا ... بنا الغداة ، فلا والله ما ظفروا

فكيف يظفر قوم بعدما نشبوا ... فينا ، ونحن زعاف السم والصَبِرُ

نحن الأسود ولكن ما لنا ظفر ... سوى السيوف ، فنعم الناب والظفر

وبعد مقتل (إدريس) وبعد أخي الـ ... ـعلياء (وهّاس)يرجى العظم ينجبر

وفرحة وبنيه نلتقي أبدا ... إلا على الشر حتى ينقضي العُمُر

ثلاثة قتلوهم من لطائفنا ... ورابع ، قُبِر الإحسان إذ قُبِرُوا

---

[1] عقب محقق الكتاب في الهامش على قول الشاعر: (أقمت نعمة) بقوله: يقصد الشاعر بنعمه: أحد أجداده: (نعمة الأصغر بن علي بن الحسين بن يوسف بن نعمة الأكبر) أنظر هامش ص ٥٣٢ ج١ من كتاب مطلع البدور ومجمع البحور .

فهُدّم المجد تهديماً لفقدهم　　وخيرّ النيّران: الشمس والقمر
فإن سلمتُ، وأبقاني الزمان لهم　　وطال لي، ولهم، في دهرنا عُمُرُ
فَوَالسّلاهب واللُّدن الرواعد والبيـ　　ـض القواضب عند الروع تشتجر[1]
لأمطِرنّ عليهم من أسنتها　　وعربها، سحباً بالودق تنهمر
كما بدوا بأناس طالما صفحوا　　عن قتلهم، وعفوا، من بعد ما قدروا[2]

وبعد فقد كنا مع نص شعري جميل، ألفاظه فصيحة موحية وعباراته آسرة، وموسيقاه الشعرية ساحرة، وشاعر يملك هذا النفس الشعري الطويل وهذه اللغة الراقية:

كان السواد سراجا بيّناً فخبا　　فاستسود الحب لما استبيض الشعر

فشاعر يملك هذه الصور الفنية الجميلة لاشك بأن له تجارب شعرية أخرى لا تقل عنها روعة، لكنها ربما عدت عليها أيادي الضياع كما عدت على كثير من تراثنا الشعري، والشاعر في هذه القصيدة فخر بنفسه، وبقبيلته، وأبّنَ القتلى الذين فقدتهم قبيلته من سادات آل النعمي الذين طالما صفحوا عن هؤلاء القتلة، كما رثى قريته القريبة من بلدة الدهناء التي أمست قفرا يلفها الظلام، ثم توعد قتلة قريبيه العلامة:(إدريس) والشريف (وهاس)، وقتلة منارات المعروف والإحسان في بلدته، توعد أولئك القتلة بالانتقام منهم، وقد حصل ذلك ولكن على يد أمير (حلي) اليعقوبي بعد وفاة شاعرنا الذي لا نعرف كثيرا من تفاصيل حياته ولا حتى سبب وفاته الذي لم يصل إلينا شيء عنه، ومع ذلك فجزى الله ابن أبي الرجال خيرا على هذه الومضات التي أعطتنا شيئا عن حياة وشعر هذا الشاعر الكبير المغمور.

---

[1] أقسم الشاعر في هذا البيت بالخيل والسيوف والرماح والقسم بغير الله لا يجوز شرعاً.

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٥٣٠ – ٥٣٣.

٤- الشاعر: منصور بن عيسى بن سُحبان الضمدي

(....- ٧٢٥هـ):

هو شاعر كبير من شعراء المخلاف السليماني الذين يحتار المؤرخ الأدبي في تصنيفه!! فمع التسليم بتواصل الأجيال الشعرية وتداخل عصور الأدب إلا أن التساؤل يظل مشروعاً هل يعد ابن سُحبان من شعراء القرن السابع وقد ولد في النصف الثاني منه كما يقول العقيلي في التاريخ الأدبي؟ [١]. أم يعد من شعراء القرن الثامن الهجري باعتباره مات مقتولاً في عام ٧٢٥هـ؟ أما العقيلي فقد عده من شعراء القرن الثامن الهجري في أحد كتبه [٢] مع أنه أثناء كلامه عنه وعن ابن هتيمل قال: (عاصر رصيفه ومواطنه وبلديه ابن هتيمل) ومعروف بأن ابن هتيمل من أعلام القرن السابع إنه الشاعر المخلافي الشهير: منصور بن سُحبان الضمدي، مواطن الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل ورصيفه، ومعاصره الذي بخلت علينا أغلب مخطوطات المنطقة بذكر شيء ذي بال عن أسرته أو عن نشأته أو عن سيرته الأدبية أو عن شعره، عدا بعض إشارات عابرة كالإشارة التي وردت في مخطوطة: الجواهر اللطاف[٣] للقُبّي المنقولة عن إشارة المؤرخ الحسن بن أحمد عاكش.. وهما إشارتان لا تعطيان شيئاً مهماً عن حياة هذا الشاعر أو عن شعره.. ورغم ذلك فقد أفرد له العلامة تقي الدين الفاسي صفحات مضيئة في كتابه: (العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين)[٤] وأورد له عدداً من القصائد أكثرها في مدح الشريف رميثة[٥] وقريباً من هذا فعل المؤرخ ابن فهد في كتابه: (غاية

---

[١] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ هامش ص١٧٤.

[٢] انظر ص٣٧ من كتاب العقيلي: أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان.

[٣] القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره لحجاب الحازمي ص٤٧.

[٤] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ج٦ ص٢٦٥ وما بعدها.

[٥] الشريف رميثة: هو رميثة بن محمد بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة كان يلقب بأسد الدين ويكنى بأبي عرادة أحد ولاة مكة المكرمة وأمرائها الذين ينتمون إلى جدهم المؤسس قتادة بن إدريس (٠٠٠-٦١٧هـ) الذي ولي إمارة مكة سنة ٥٩٧هـ ثم تعاقبت ذريته على حكمها حتى وصلت ولايتها إلى علمنا الشريف رميثة بن محمد بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة ووالده محمد بن أبي سعد كان والياً لمكة إلى أن توفي سنة ٦٧١هـ-

المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام)[1] حيث تحدث عن شاعريته وأورد شيئاً من شعره كما يقول أبو داهش.

– وقد سبقهم فأشاد بشاعريته مؤرخ القرن الثامن في جنوب الجزيرة العربية العلامة علي بن الحسن الخزرجي في كتابه: (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) حيث وصفه بالأديب البارع ومما قاله عنه: (كان شاعراً فصيحاً بليغاً مَدَّاحاً هَجَّاءً حسن السبك جيد المعاني من أفصح الشعراء الموجودين) ثم ذكر لابن سحبان بيتين أصدر فيهما حكماً نقدياً انطباعياً بين معاصرَيْه: الشاعرين الكبيرين القاسم بن علي بن هتيمل ومحمد بن حمير وقد سئل عنهما أيهما أشعر؟ فقال:

أما قصائد قاسم بن هتيمل   فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعرٌ في عصره فطنٌ   ولكنّ ابن حمْيَر أشعرُ الشعراءِ

ثم ذكر الخزرجي بأنه مات مقتولاً في سنة ٧٢٥هـ [2].

– كما ترجم لابن سحبان خير الدين الزركلي فقال: (كان شاعراً فصيحاً بليغاً مداحاً هجاءً حسن السبك، جيد المعاني، مات مقتولاً في صبيا على يد بعض الأشراف) [3].

–فتشارك رميثة وأخوه حميضة (...–٧٢٠هـ) في الاستيلاء على إمارة مكة ثم قبض عليهما وولّي أخويهما: أبو الغيث (...–...)، وعطيفة (...–٧٤٣هـ) ثم استبد بالأمر أبو الغيث إلى أن عزل سنة ٧٠٤هـ بحميضة ورميثة وظلوا يتبادلون السلطة إلى أن انفرد رميثة بولاية مكة سنة٧٣٨هـ وظل حاكماً لها حتى سنة ٨٤٤هـ حيث تنازل عنها لابنيه: عجلان (...–٧٧٧هـ)، وثقبة (...–٧٦٢هـ) ابني رميثة لكن السلطان التركي لم يوافق على تنازله فرد رميثة على ولاية مكة إلى سنة وفاته: (٨٤٦هـ) (انظر: السنا الباهر بتكميل النور السافر بأخبار القرن العاشر لمحمد بن أبي بكر الشلي ص٦٠٠ ، ٦٠١)، (الأعلام ج٣ ص٣٣)، (العقد الثمين ج٤ص٤٠٣).

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٢٧٧

[2] العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ج٢ ص٣٨، وقد أورد له الخزرجي عدداً من القصائد في كتابه: (طراز أعلام الزمن)

[3] الأعلام لخير الدين الزركلي ج٧ ص٣٠١، وانظر: ص٣٢٢ من مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله لحبشي.

- وقال عنه محمد أحمد العقيلي: (منصور بن سحبان: شاعر من شعراء المخلاف السليماني من وادي ضمد ولد بقرية من قراها تسمى: (نجران) في النصف الأخير من القرن السابع الهجري .. عاصر رصيفه ومواطنه وبلديّه: القاسم بن علي بن هتيمل، وعاصر شاعر تهامة اليمن محمد بن حمير ..... إلى أن قال: (والعجيب أن الشاعر قتله الهاشميون الذين دافع عنهم بشعره ... ويظهر أن خصومه كما أزهقوا روحه تآمروا على طمس أشعاره.... ولولا ما حفظه لنا (الفاسي) [1] لضاع شِعر هذا الشاعر).

ثم تحدث عن شعر ابن سحبان فقال: يتسم شعره بعذوبة الموسيقى ووضوح المعنى مع ولوعه بالجناس والطباق .. ولا شك بأن للشاعر أشعاراً كثيرة في مدح أمراء وأشراف المخلاف السليماني ..... كما أن له نسيباً وإخوانيات ومراثٍ فقدت ضمن ما فقد من شعره) [2].

- ويرى عبد الله أبو داهش أنه: (لم يكن الشاعر منصور بن عيسى بن سحبان الضمدي (.... - ٧٢٥هـ) بقليل الشأن والحضور الأدبي .. بل كان نابهاً كثير المشاركة الأدبية في وطنه المخلاف السليماني وفي اليمن والحجاز ولكنه لم ينل من الشهرة ما ناله معاصره: القاسم بن علي بن هتيمل لأسباب قد تكون اجتماعية أو سياسية، ناهيك عن تقصير الكتاب من معاصريه ...... وربما كان صيته في الحجاز أظهر منه في تهامة) [3].

---

[1] الفاسي: ترجم له عمر رضا كحاله في كتابه معجم المؤلفين وقال : هو محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبدالرحمن الفاسي المكي الحسني المالكي (٧٧٥- ٨٣٢) ويعرف بالتقي الفاسي تقي الدين ابو عبدالله قاضي مكه شيخ الحرم ، محدث ، مؤرخ . ولد في مكه ربيع الاول ٧٧٥هـ ونشاء بها وبالمدينه ودخل اليمن والشام ومصر مرارا، وولى قضاء المالكية بمكه وكف بصره توفي بمكه في شوال سنة ٨٣٢هـ له مؤلفات كثيره منها (مختصر حياة الحيوان للدميري ، وشفاء الغرام باخبار البلد الحرام في مجلدين ، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين وغيرها) معجم المؤلفين لكحاله ج٨ ص ٣٠٠ .

[2] هامش ص١٧٤ ، ١٧٥ من كتاب: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان) للعقيلي ج١ ، وانظر ص٢٤ من كتاب: أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي.

[3] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبي داهش ص٢٧٦ وما بعدها.

ثم أورد نصوصاً شعرية مختلفة للشاعر ابن سحبان نقلاً عن الفاسي وعن المؤرخ ابن فهد مع شيء من التحليل الأدبي الذي ختمه بقوله: (ومن المفارقات أن هؤلاء الأشراف الذين دافع عنهم قتلوه)[1].

والملاحظ أن أغلب النصوص التي نقلها لنا الفاسي من شعر ابن سحبان في مديح الشريف (رميثة)، ومنها قصيدته التي يقول في بعض أبياتها:

جنانك أمضى من عطاش القنا عزما ... وأرجح من(رضوى)، ومن(يَذْبُل) حلما
وكل له ضد يساميه في العلى ... ولست تسامى، لا. ومن علّم الأسما
فما للمعالي يا رميثة غاية ... تفوت الورى إلا أحطت بها علما [2]

ومنها كذلك قصيدته التي يقول في بعض أبياتها:

طلبت بي أبا عرادة عيس ... لا تمل الإرقال والإيضاعا
عرست من (رميثة) بعراص ... لم يزل نبت روضها ممراعا
نزلت سوحه عطاشاً جياعاً ... فأقامت به رواءً شباعا
رجل لا تراه بالمال مفراحاً ... ولا من مُلمّة مجزاعا
وعليه بكر الخلافة ألقت ... إذ رأته، رداءها والقناعا
ليس بالنازل الوهاد من الأرض ... ولكنه يحل اليفاعا
موقداً ناره على نشز الأرض ... إذا الناس لبسوها القناعا
نم هنيئاً يا جاره ملء عينيك ... ولا تخش ثانياً أن تراعا [3]

---

[1] المصدر السابق ص٢٨٠.

[2] المصدر السابق ص٢٧٨.

[3] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ج٤ ص٤٢١.

وهكذا أسبغ من ثنائه على الشريف (رميثة) ما هو أهله فهو كريم شجاع ينام جاره قرير العين وهو حامي الذمار أتته الخلافة تسحب أذيالها وألقت عليه رداءها والقناعا .. وفي أبياته استخدام أمثل للألفاظ الشاعرة دون تهويل برغم استخدامه لصيغ المبالغة: (مفراح)، (مجزاع)، (ممراعا) والتي أتت في مكانها الذي يحتاجها من دون ضجيج وهكذا هو الشعر الذي يسير كالجدول الرقراق، وهذه النصوص وغيرها مما نقله الفاسي وابن فهد تؤكد بأن الشاعر منصور بن سحبان قد محض جُلّ ما وُجد من شعره في مديح شريف مكة في زمنه (الشريف رميثة المتوفى سنة: ٧٤٦هـ) أو أن جل شعره قد فُقد ولم يبق منه إلا القصائد التي مدح بها الشريف رميثة.

ومن مدائحه فيه وإن لم يخل شعره من لمحات وملامح أخرى في هذا الشريف قوله في إحدى قصائده:

مليك أقام الحق بعد اعوجاجه	وشيد من سمك المعالي منارها
متى بطرت قوم أذلَّ عزيزها	وإن عثرت جهلاً أقال عثارها
إذا جاد يوماً لم يشق غباره	وإن شهد الهيجاء شق غبارها
أشم قياديّ الأبوّة برده	حوى حلم آل المصطفى ووقارها
وأبلج محضور الخوان يمينه	تزيل عن المسترفدين افتقارها
جمال يحار الطرف فيه وعزمه	كسا فخرها قحطانها ونزارها
وما برحت إن صحتَ يوماً لمنجد	كبار أياديه تؤمّ صغارها [1]

ومع أن شعر المديح ميدان فسيح للمبالغات كما هي عادة أغلب الشعراء إلا أنني ألمس في هذه الأبيات صدقا فنيا يسمو بها وبصاحبها إلى مصاف شعراء العصر العباسي الكبار .

---

[1] المصدر السابق ج٤ ص٤٢٢

وفي مطالع قصائد منصور بن سحبان كعادة معاصريه وسابقيه تشبيب عذب، غير أنه تشبيب طافح بالحنين والاستعطاف واللهفة يقول في إحدى مقدمات قصائده:

حفظ العهد بعدنا أم أضاعا ... وعصى لائماً به أم أطاعا
ورعى حرمة الجوار وراعى ... أم دهى بالفراق قلبي وراعا
من يكن يحمد الوداع فإني ... بعد يوم النوى، أذم الوداعا
جيرتي، مالنا حفظنا هواكم ... وغدا حبنا لديكم مضاعا
إن من قدر الفراق علينا ... قادر أن يقدر الاجتماعا
قل لذات القناع هل جئتُ ذنباً ... فيك حتى أسبلت دوني القناعا
إن من أشبع السوار بزنديكِ ... لمجرى الوشاح منكِ أجاعا [1]

ومن شعره في مدح (الشريف رميثة) أيضاً القصيدة ذات المطلع الموشّى بالحنين، المحلّى بالتشبيب الرقيق قوله :

مَا أومضت سحراً بروق الأبرق ... إلا شرقتُ بدمعي المترقرق

وفيها يقول:

صنم شغفت به وغصنُ شبابه ... غضٌ، وبردُ شبيبتي لم يُخلق
شَقّت عُرى كبدي شقائق خده ... وبكأس فتنتة سُقيتُ وما سُقي
ما فات من عمري فللغيد الدمى ... لا (إرش) فيه وللصبابة ما بقي

إلى أن يصل إلى ممدوحه (الشريف رميثه) فلا يكتفي بالاشادة بشجاعته التي وصلت هيبتها الى المغرب الاقصى وذرت بها عين الشمس في المشرق ولايكتفي بالثناء على اصوله وفروعه الكريمه التي ينتمي إليها ولا بوصف كرمه وطلاقة وجهه، لا يكتفي بكل هذا بل يتفنن في ذكر صفاته الخلقية الجميله وحسن منطقه وما يتمتع به من مكارم الاخلاق ، فيقول :

---

[1] المصدر السابق ص٢٧٨.

رجلٌ إذا اشتبه الرجال عرفته ... بجلال صورته وحسن المنطقِ
ومظفَّرُ الحملات يرقص منه قلـ ... ـب المغرب الأقصى وقلبُ المشرقِ
علمٌ يدل على كمال صفاته ... كرمُ الفروع له وطيب المعرقِ
يلقى بوجه البشر طارق بابه ... كرماً ويُرزق منه من لم يُرزقِ
عزّت بنو حسن بدولته التي ... عزُّ الذليل بها وأمن المفرقِ
هو صبحُ ليلتها وبدرُ ظلامها ... ولسانُ حكمتها وصَدرُ الفيلقِ
لا يتقي من كل حادثة بها ... وبه بمكروه الحوادث نتقي[1]

ومن نسيبه كذلك قوله:

ومجدولة جدل القناة تباعدت ... مزاراً، وما أشهى إلىّ مزارها
مهاة إذا ما أفرشتني يمينها ... وهوّم طرفي أفرشتني يسارها
يساور قلبي باعث الوجد والشجا ... إذا ركّبت في ساعديها سوارها[2]

ومع أن صاحب العقود اللؤلؤية، وصاحب الأعلام، وصفاه بأنه: (هَجّاء) إلا أن ما وُجد من شعره لا يُثبت له هذه الصفة فحتى القصيدة التي قالها في الرد على الشاعر اليمني (الحنديدي) لم تكن إلا عتاباً وتصحيحاً لسوء فهم الحنديدي وإن شئت فسمها دفاعاً عن أشراف المخلاف السليماني وهي قصيدة طويلة ردّ فيها على الشاعر اليمني: (علي الحنديدي)[3] الذي هجا بعض أشراف المخلاف

---

[1] المصدر السابق ص٢٧٧.

[2] أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ص٢٧.

[3] الشاعر الحنديدي هو: موفق الدين علي بن محمد الحنديدي ويقال له الحندودي ويقال نور الدين (...-٧٠٧)هـ قال عنه الفاسي: شاعر مجيد مشهور من بلاد اليمن سكن مكة ومدح جماعة من أمرائها ومنهم صاحب مكة أبو نمي وولديه حميضة ورميثة وغيرهم من الأشراف وآخر من مدحه منهم: رشيد بن أبي نمي المتوفى سنة ٧٤٧هـ وللحنديدي أشعار متفرقة في الجزء الأول من كتاب (العقد الثمين) للفاسي توفي بمكة يوم الأحد الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ ودفن بمقبرة (المعلاة). انظر العقد الثمين للفاسي ج٦ ص٢٦١، وغاية المرام لعز الدين بن فهد القرشي ج٢ ص ٢٧، ومصادر الفكر ص٣٢٣.

السليماني فحاوره وعاتبه كما يقول أبو داهش ، بل إن (الفاسي) الذي أورد هذه القصيدة قال في مقدمتها: (وكان الحنديدي قد هجا الأشراف أصحاب المخلاف السليماني، فكتب إليه الأديب أبو عامر منصور بن عيسى بن سحبان قصيدة يعاتبه فيها على ذلك، ويعظّم عليه وينهاه)[1] وإذن فهو لا يهجو الحنديدي وإنما يعاتبه، فلنقرأ بعض ما قاله ابن سحبان :

فقل لي (يا عليُّ) بأيّ وجهٍ جعلت قناع حرمتهم مذالا
أليسوا خير من ركب المطايا أليسوا خير من خلع النعالاً
وإن زرنا قليل المال منهم أبَشَّ بنا وأنصفنا ووالى
أما لك زاجرٌ عن آل طه أما تلقى بغيرهم اشتغالا
لقد أهلكت نفسك فاستقل ما فعلت، فكل من عثر استقالا
أتهجو أكرم العربين آلاً وتمدح أخبث العربين آلا
فلِم؟ وعُلاك، تهتك غير عرض سمينٍ ليس يعتاد الهزالا
وكيف تبيع ديناراً بفلس يكون عليك مكسبه وبالا
أترضى أن يقال عمي وولّى عن الإسلام واختار الضلالا
فتب عما اجترحت من الخطايا لعل الله يغفرها تعالى
فلا والله ما خبثوا نساءً بنو حسنٍ ولا خبثوا رجالا
ليوث وغى ولكن لا توارى بدور دجى وجوههم تلالا
فقد أنصفتهم وأجبت عنهم بقول يطمس القول المحالا
فإن كُلِّفْتَ شتم الشمس يوماً فليس يزيدها إلا كمالا
ولا يغررك بُعدك فالليالي بما ترجو وما تخشى حبالى
فبعد هجاك مخلاف ابن طرفٍ فلست بمكةٍ ترعى وصالا[2]

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني: لعبد الله أبو داهش ص٢٧٩.

[2] العقد الثمين للفاسي ج٦ ص٢٦٥-٢٦٦.

وفي البيت الأخير نرى الشاعر يذكّر الحنديدي بصلة الرحم التي تربط أشراف المخلاف السليماني بأبناء عمومتهم في مكة وما جاورها، ويقول له بأنه لن يرضيهم هجاؤك لأقاربهم ، ولربما ضعفت صلتك بأشراف مكة وضعف اهتمامهم برعاية شأنك بسبب هجائك لأشراف المخلاف السليماني .

وهكذا نجد في شعره الذي أثبته له تقي الدين الفاسي في (عقده[1] الثمين) وأثبت بعضه المؤرخ ابن فهد في كتابه: (غاية المرام) ، هكذا نجد في شعره إخلاصا لممدوحه وصادق عاطفة وإحاطة تامة بما يتفرد به ذلك الممدوح كما نجد عناية فنية بقوالب شعره وصوره الفنية دون تهويل أو إسراف في المبالغات.

كما نجد في شعره قوة السبك وغزارة التدفق وجماليات الأداء وروعة المعاني ونلاحظ أن شعره هذا وإن غلب عليه المديح الذي تفرد به ممدوح واحد هو الشريف: رميثة بن أبي نمي إلا أنك لا تعدم أن تجد ملمحاً أو أكثر في هذه الباقة، فالغزل أو التشبيب يطغيان على مقدمات قصائده .. والحنين مبثوث في شعره، والشكوى من الزمان وأهله يفوح ضرامها في شعره أيضاً، كما نجد المعارضة والعتاب المتمثل في قصيدته التي عارض فيها الشاعر اليمني: (علي الحنديدي) الذي هجا أشراف المخلاف السليماني فانتصر لهم ابن سحبان ودافع عنهم وأجابه بقصيدته تلك التي سبق أن أوردت بعض أبياتها والتي قال في مطلعها:

فقل لي يا علي بأي وجه　　　جعلت قناع حرمتهم مذالا

وفي كل الأحوال فما وصل إلينا من شعر ابن سحبان يؤكد شاعريته المتدفقة وتمكنه من أدواته الفنية ويجعلنا نتطلع للمزيد من شعره الجميل الذي نتمنى أن تساعفنا الأبحاث الجادة ولو بشيء منه في قابل الأيام ..

---

[1] انظر المصدر والصفحتين السابقتين .

شعراء المخلاف السليماني

في القرن الثامن الهجري:

توطئة:

إذا كان القرن السابع الهجري قد أعاد للشعر العربي في المخلاف السليماني ازدهاره وتوهجه من خلال ما صدح به شعراؤه الكبار أمثال القاسم بن علي ابن هتيمل الضمدي، والقاسم بن علي الذروي، ومنصور بن سحبان الضمدي، وغيرهم من شعراء القرن السابع على قلة ما عثر عليه من شعر بعضهم، إذا كان الشعر في القرن السابع قد عاش يقظة كبيرة على أيدي أولئك الأعلام فإن القرنين الثامن والتاسع الهجريين قد شهدا تراجعاً في إمدادنا بشعر وبشعراء يؤكدون استمرار تلك اليقظة الفكرية ربما بسبب شح المصادر وربما بسبب كثرة القلاقل التي شهدها المخلاف السليماني إبّان الحكم التركي وما صاحبه من تقلبات سياسية واضطرابات أمنية أثرت على استقرار المنطقة وعلى كل شيء فيها الأمر الذي جعل باحثاً كالعقيلي يتساءل باستغراب ودهشة قائلاً: (هل يعقل أن المخلاف السليماني الذي أنجب من الشعراء والأدباء أعداداً وفيرة قبل القرن الرابع وبعده يعجز عن إنجاب شعراء في القرنين الثامن والتاسع؟) [1] والدهشة نفسها ربما أصابت الباحث عبد الله أبو داهش حين قفز في أثناء رصده لمسيرة الشعر في المخلاف السليماني عن رصد هذه الفترة [2]. ولعلي أشاركهما دهشتهما واستغرابهما حين أعود إلى الكتب التي تناولت تاريخ تلك الفترة والفترات السابقة واللاحقة لها؛ ذلك لأني أجد في تلك المصادر اهتماماً بأعلامنا وشعرائنا في معظم عصور الأدب يثلج الصدر وبخاصة في القرن السادس والسابع والعاشر والحادي عشر والثالث عشر إلا أن ذلك الاهتمام يخفت عند الحديث عن أعلام القرن الثامن وأعلام القرن التاسع والثاني عشر فيدفعنا ذلك إلى التساؤل والاستغراب، ومع ذلك فالشوكاني مثلاً في (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) ترجم لعدد كبير من شعراء وعلماء وأعلام المخلاف السليماني، وابن أبي الرجال في: (مطلع

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢١٦

[2] انظر ص ٢٨٠ وما بعدها من كتاب أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش.

البدور ومجمع البحور) ترجم لعدد كبير جداً من أعلام المخلاف السليماني وشعرائه ومثله السخاوي في (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) الذي ترجم لعدد غير قليل من علماء وشعراء المخلاف السليماني، وكذلك المحبي في: (خلاصة الأثر لأهل القرن الحادي عشر) ومثلهم الأكوع صاحب كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) الذي ترجم لعدد كبير من علماء وشعراء المخلاف السليماني، وهكذا كل من أرَّخ للمنطقة أو ترجم لبعض أعلامها قديماً وحديثاً كصاحب (الأعلام) وصاحب (معجم المؤلفين) وصاحب (معجم الأدباء) وأمثالهم من أصحاب كتب التراجم كلهم تحدثوا عن أعداد كثيرة من شعراء وعلماء وأعلام المخلاف السليماني بالإضافة إلى جهود مؤرخي المنطقة وما بذلوه من عناية بأعلام المخلاف السليماني وشعرائه وعلمائه على مر العصور لذلك يظل السؤال لاهثاً: أين ذهب شعراء القرن الثامن والتاسع؟؟ وكيف اختفى شعرهم ؟ وسيظل هذا السؤال قائماً وستظل الدهشة تستبد بنا حتى نجد جواباً شافياً أو نعثر على بعض كنوز المنطقة الأدبية التي أبقتها لنا من شعر وأدب هذين القرنين وسواهما، وسنبقى في حالة الانتظار حتى نحصل على شيء نقرأه عن بعض شعراء وأعلام القرنين الثامن والتاسع وبقية القرون بما في ذلك شعراء القرن الثاني عشر وشعراء سائر العصور الأدبية، لعلنا نقرأ شيئاً يليق بما عرف عن هذه المنطقة من ثراء أدبي وثقافي.

على أنني سأقف أمام علمين من أعلام وشعراء هذا العصر كانا استثناءً من هذا النسيان فكسرا طوقه بقوة واقتدار وهما:

١- العلامة الشاعر: أحمد بن جناح الضمدي (٠٠٠-٧٩٠هـ):

عالم وشاعر وأديب، في لغته الشعرية جزالة، وفي أسلوبه رصانة، وفي معانيه روح إيمانية تسري في كل كلمة، فقد كان من أبرز علماء وشعراء بلدة ضمد في القرن الثامن الهجري، بل في المخلاف السليماني الذي لا نشك في وفرة شعرائه على امتداد العصور وإن لم يصلنا إلا النزر اليسير عنهم في هذا القرن وفي بعض القرون الأخرى، أما علمنا (ابن جناح) فقد كسر طوق هذا الخفوت وشارك في الحياة الأدبية فكتب عنه عدد من كتّاب التراجم.

- حيث تحدث عن ابن جناح العلامة إسماعيل الأكوع في كتابه الموسوعي: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فقال: (أحمد بن جناح الضمدي من أعلام المائة الثامنة للهجرة عالم وشاعر مجيد)[١].

والغريب أن المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي قد اكتفى بذكر ابنه: (محمد بن أحمد بن جناح) ولم يشر إلى والده ونقل ما ذكره ابن أبي الرجال في الجزء الرابع من كتابه الشهير (مطلع البدور ومجمع البحور) عن ابن جناح الابن مع أن ابن أبي الرجال قد ترجم لوالده (أحمد) هذا في الجزء الأول من كتابه كما أشرت إلى ذلك، والأغرب من هذا أن العقيلي قد نسب قصيدة الشاعر أحمد بن جناح ذات المطلع:

ركنت إلى الدنيا مع العلم أنني ... سأصبح في بطن الثرى متوسدا

الأغرب من هذا أن العقيلي قد نسب قصيدة أحمد بن جناح لابنه محمد بن أحمد بن جناح في تجاهل تام لوالده[٢].

والأشد غرابة أن العقيلي قد نسب إليه قصيدة ابن قنبر التي مدح بها بلدته (ضمد) ذات المطلع:

---

[١] هجر العلم ومعاقله في اليمن للعلامة إسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٥

[٢] انظر ج١ ص٢٨٩ من كتاب العقيلي: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان.

ما ضمد يـا صـاح إلا جنـة   وهل تـساوي جنـة جهـنم [1]

- أما عبد الله أبو داهش فقد أشار إلى ما أورده صاحب كتاب (مطلـع البـدور ومجمع البحور) عن (أحمد بن جناح) إشارة عابرة دون ذكر أي شـيء ممـا أفاضه عنه ابن أبي الرجال في الجزء الأول من كتابه المشهور ودون إشارة إلى تأريخ ولادته أو وفاته أو عصره واكتفى أبو داهش بأن اعتبر ابنه (محمد بـن أحمد بن جناح) من علماء وأعيان القرن التاسع[2].

- أما العلامة أحمد بن أبي الرجال فقد ترجم لعلمنا ترجمة فضفاضة تحدث فيهـا عن علمه وأدبه وتحدث عن شعره كما تحدث عن أسرته العلمية وتحـدث عـن موطنه: (بلدة ضمد) وعن بعض أعلامها من العلماء الذين أتوا بعد عصر علمنا ... وذكر مواقف لبعضهم كما أورد شعر بعضهم [3] وإن كان محقق الكتـاب قـد وضع أمام اسم المترجم له هذه الإشارة (ق٨) ويقصد بها أنه من أهـل القـرن السابق للقرن الثامن برغم أن ابن أبي الرجال الذي لم يذكر لنا تاريخ ولادة ابـن جناح ولا تاريخ وفاته إلا أنه قد أشار إلى عصر أحمد بن جناح وزمنه بوضـوح حين قال: (وأظن القاضي أحمد بن جناح هذا في زمن الإمام صلاح الـدين وقـد وجه إليه قصيدة من غرر قصائده يستنصره فيها على صاحب جازان ومطلعها:

ببيض المواضي لا ببيض الكواعب   ....[4]

وبالرجوع إلى بعض مصادر تاريخ الأئمة في اليمن وجدنا أن تاريخ وفاة الإمـام (صلاح الدين) هو عام ٧٩٣هـ [5].

---

[1] المصدر السابق ج١ ص٢٥٨.

[2] أهل تهامة المخلاف السليماني .... ص٢٨٢.

[3] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج١ ص٢٥٨ وما بعدها.

[4] المصدر والصفحة السابقين.

[5] اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ص١٥٨ لمحمد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق: خالد أبو زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٢٦هـ.

وما دام الإمام صلاح الدين قد مدحه أحمد بن جناح كما يقول ابن أبي الرجال فإن نسبة ابن جناح إلى القرن الثامن الهجري تصبح متأكدة.

وحين تحدث ابن أبي الرجال عن شعر ابن جناح قال عنه: (كان شاعراً مجيداً .. وله غرر القصائد) [1]، ومما قاله ابن أبي الرجال عن علمنا: (الفقيه الفاضل شهاب الدين أحمد بن جناح الضمدي ..... كان مجيداً في الشعر ....) إلى أن قال: (ولا أعرف (جناح) هذا هل هو لقب أم علم) [2] ثم قال بعد إفاضة: (ومن شعره ما أفاده بعض شيوخي) [3] وأورد له قصيدة طويلة في الزهد تزيد أبياتها عن الأربعين نختار منها قوله:

ركنت إلى الدنيا مع العلم أنني ... سأصبح في بطن الثرى متوسدا
وخضت بحور المهلكات تعمداً ... مع العلم مني أن في خوضها الردى
وما جئت شيئاً جاهلاً بصفاته ... ولا سرت في أثنائه مترددا
أرى أنني في الصالحين ولو أرى ... على عثراتي كنت عنهم مُطرَّدا

إلى أن يقول:

قبيح على الإنسان يرفع نفسه ... ويلبسها علماً وفضلاً وسؤددا
مع العري من ثوب الفضيلة ساتر ... بغير إزار منه فيها ولا ردا
وأقبح من هذا وأشنع أنه ... من الفضل عارٍ لاثم من تزوّدا
فيا رب لاطلقني إذا جئت حاملاً ... كتابي بكفيّ يوم حَشْرِي مُسَوَّدا
أقلب وجهي حيث لا ذو صداقة ... بمغنٍ، ولا خل بكفّيه لي ندا
فكن لي إلهي عند ذلك راحماً ... ولا تخزني، واغفر ذنوبي تمجُّدا
بحقك لا واخذتني بجريمة ... ولا راعني يوم الندا منكم النَّدى
وقل قدموا عبدي إلى جنة العلا ... بعفوي وغفران الذنوب مخلدا
فإذ جاءنا مستغفراً متعذراً ... تركنا له في جهله ما تعمدا
وحاشاك أن تبدي إلى الناس في غد ... من الشر ما بيني وبينك قد بدا

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور - ج١ ص ٢٥٩.
[2] المصدر والصفحة السابقتين.
[3] المصدر نفسه ص٢٦١.

رجائي وظني فيك غفـران زلتـي إذا جئت فـي الأخـرى بهـا متقلـدا
وستر عيوبي المفـضحات تكرمـاً وتفـريج كربـي راحمـاً متعمـداً [1]

والقصيدة طويلة تتجاوز عدد الأبيات التي أوردها ابن أبي الرجال منهـا أربعـة وأربعين بيتاً شعرياً تسير كلها على هذا النسق الإيماني في دفق شعري تطـرزه لغة راقية اختار لها الشاعر جزالة اللفظ ومتانة التراكيب فكانت قصيدته دليلاً على شاعريته ومؤكدة على فقدان أخوات لها ربما لا تقل عنها روعة وجمالاً.

---

[1] المصدر نفسه ص٢٦١ – ٢٦٤.

٢- العلامة الشاعر: أحمد بن محمد ابن فليتة الحكمي (...-٧٣١هـ):

هو القاضي العلامة الشاعر شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن فليتة الحكمي، كاتب الإنشاء في أيام دولة المجاهد علي بن داوود بن يوسف بن رسول أحد ملوك الدولة الرسولية.

كان ابن فليتة الحكمي: أديبا غزير الإنتاج وشاعرا رقيق الحاشية، كتب الشعر الفصيح، وكتب الشعر الملحون، وأسهم في التأليف فأصدر بعض الكتب.

وشعره الفصيح يعج بالصور ويتماوج بالظلال، ويتدفق عذوبة ورقة، يجد القارئ في لغته جزالة تندمج مع العفوية وتؤكد عمق ثقافة الشاعر ونضج موهبته الشعرية وتمكنه من لغته وأساليبها .

ترجم له الزركلي في كتابه الأعلام فقال: (أحمد بن محمد بن علي (...-٧٣١هـ) هو أبو العباس شهاب الدين بن فليتة الحكمي كاتب الإنشاء للدولة الرسولية كان في زمن المجاهد علي بن داود، وكان يكثر من نظم الشعر العامي (الحميني) حتى قيل: إنه أول من أظهره، له (رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب) مخطوط في مكتبة الإسكندرية، وله (سوق الفواكه ونزهة المتفاكه) ديوان شعر مخطوط يقع في١٤٠ورقة، وله (نزهة الأعيان وجلاء القلوب من الأحزان) مخطوط في دار الكتب المصرية مصورا عن سوهاج تحت رقم ٤٥ شعر). [١]

وتحدث عنه صاحب كتاب: (معجم المؤلفين) فقال: أحمد بن محمد الحكمي المعروف بابن فليتة أبو العباس كاتب الإنشاء في الدولة الرسولية من آثاره؛ (رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب) و (سوق الفواكه ونزهة المتفاكه) توفي سنة ٧٣١هـ[٢]

---

[١] الأعلام للزركلي ج١ ص٢٢٣.

[٢] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ببيروت دون ذكر سنة النشر، ج٢ ص٢٠.

وترجم له عبد الله الحبشي في: (مصادره) ترجمة موجزة قال فيها: (أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن فليتة من أكابر أدباء العصر الرسولي تولى الكتابة في دست الإنشاء للدولة وبرع في أكثر من اتجاه أدبي وبه يؤرخ الشعر الحميني عند بعض الباحثين توفي بمدينة زبيد سنة ٧٣١هـ وقيل سنة ٧٣٣هـ له ديوان شعر يقع في مجلدين ضخمين الأول خصصه للشعر الفصيح والثاني للشعر الحميني[1].

وترجم له عبد الملك آل حميد الدين ترجمة فيها شيء من التفصيل، قال فيها: (أحمد بن محمد فليتة الأديب، أحد أكابر الأدباء في عصر بني رسول، الذي تولى الكتابة في زمن المجاهد علي بن داود بن يوسف هو: أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن فليتة، تولى الكتابة في دست الإنشاء، وبرع في أكثر من اتجاه أدبي، وبه يؤرخ الشعر الحميني عند بعض الباحثين، وله ديوان يقع في مجلدين ضخمين: الأول خصصه للشعر الفصيح، والثاني للشعر الحميني، وقد جمع أنواعا كثيرة كالبال بال، والساحلي، والدوبيت، وهو الجزء المسمى: (سوق الفواكه ونزهة المتفاكه)، وله: (تحفة المطالع وبغية المخالع) جمع فيه سبعة أنواع من شعره، وهي: فصيح، ودوبيت، وحلاوي، وموشحات[2]، وضمَّنَ كل نوع عشر قصائد، وجعل آخر كل منه قصيدة كفَّارةً واعتذار في الدعاء والاستغفار، وله:

---

[1] مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن للحبشي ص٣٢٣.

[2] البال بال، والدوبيت، والساحلي، والحلاوي، والكان كان، والموالي و.... الخ: هذه ألوان من الشعر التي يمتزج في بعضها الفصيح بالعامي ويستخدم في بعضها الجناس والتورية وبعض المحسنات البديعية الأخرى، بدأ ظهورها في عصر الدولة الفاطمية وبخاصة في مصر، وربما كان بعضها امتداداً للموشح الذي عرفته الأندلس وشعراءها، وربما استنسخ منه اليمنيون (الشعر الحميني) وإن كانت تجربة تلك الألوان قد برزت في أيام الفاطميين بمصر وبخاصة أيام البهاء زهير وابن سناء الملك ومعاصريهما ومن أتى بعدهما، فمن شعر الدوبيت مثلاً قول أحدهم:

في مصر من القضاة قاضٍ ولَهْ ... له في أكل مواريث اليتامى ولَهْ
إن رمت عدالة فقل مجتهداً ... من عدّ له دراهماً، عدّ لَهْ

انظر: (الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف ص٥٠٠-٥٠٨).

(رشاد اللبيب في معاشرة الحبيب)، وكانت وفاته في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة هجرية رحمه الله وإيانا والمؤمنين [1].

وابن فليتة الحكمي برغم كل هذا الذي نثره عنه كتاب التراجم وما أشار إليه بعضهم من شعره ونثره وبرغم مكانته الرسمية التي تبوأها في الدولة الرسولية (كاتب الإنشاء) وبرغم شاعريته المتفوقة التي منحته الإسهام بقوة في الشعر الفصيح وفي الشعر الملحون.. برغم كل هذا فقد كان حظه مع كتاب التراجم في عصره والعصر الذي تلاه ضعيفا، ولم يعط ما يستحقه من الإهتمام؛ فلم يذكره أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ضمن من ترجم لهم في كتابه الموسوعي: (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) الذي ترجم فيه لبعض معاصريه من أعلام المنطقة، ومنهم العلامة إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي(...-٧٧٤هـ)[2] كما ترجم لممدوح ابن فليتة (المجاهد علي بن داود الرسولي)!!

ولم يشر إليه – كذلك– ابن أبي الرجال في كتابه: (مطلع البدور ومجمع البحور) الذي ترجم فيه لأعلام كثيرين من أعلام المنطقة يقارب عددهم الأربعين علماً بدءا من أعلام القرن السادس الهجري حتى أواخر القرن الحادي عشر.

ولم يترجم الشوكاني لابن فليتة– أيضاً– في كتابه: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، ومثله فعل العلامة محمد زبارة صاحب كتاب: (ملحق البدر الطالع) فلم يتحدث عن ابن فليته ولم يشر إليه.

وكذلك فعل الخزرجي في كتابه: (العقود اللؤلؤية) المخصص لتاريخ الدولة الرسولية فلم يشر لابن فليته.

وحتى عبد الرحمن ابن الديبع (..._٩٤٤هـ) صاحب كتاب: (الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد) الذي يؤرخ فيه للدولة الرسولية أيضاً

---

[1] الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ج١ ص٧٤.

[2] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ج١ ص٥٦-٦٦ – منشورات دار الجيل ببيروت دون ذكر سنة النشر.

لم يتحدث عن ابن فليتة، مع أنه قد ترجم للملك المجاهد[1] ممدوح علمنـا الـذي كان ابن فلتية الحكمي كاتب الإنشاء لديه[2] إلا أنه قد ذكر اسـم (ابـن فليتـه) مختصرا في كتابه: (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) حين كان يتحدث عن الملك المجاهد وعن حبه للشعراء الذين مدحوه وإكرامه لهم حيث قـال: (ومـن مُدّاحه أحمد بن فليتة) وقد تندهش إذا قرأت الهامش الذي وضعه المحقق العلامة إسماعيل الأكوع تعليقاً على اسم ابن فليته حيث قال: (وأحمد بن فليتة لا أعرف عنه شيئا)[3].

كما أنَّ كُتب التراجم وكُتب التأريخ في المنطقة المطبوع منها والمخطـوط قد تجاهلت هذا الشاعر، وتجاهلت إبداعاته الشعرية والنثرية؛ فليس له ذكر فـي أي منها، حتى المؤرخ النعمان الضمدي ترجم في كتابه: العقيق اليماني (للمجاهد الرسولي) ممدوح ابن فليتة ولم يتحدث عن ابن فليتة مما يجعل الباحث يتساءل عن أسباب كل هذا التجاهل لعلم كابن فليته.

أما كاتب هذه السطور، فقد زادته تلك التراجم الموجزة التي أشرنا إليهـا والتي بخلت بذكر نماذج من شعره ونثره زادته تطلعاً لمعرفة المزيد عـن ابـن فليته، فتضاعفت لديه اللهفة لمعرفة المزيد عن أدبه وشعره ونثره، وبخاصة بعد إشارة صاحب (الأعلام) وصاحب (الروض الأغن) إلى بعض مظان شعره، وظل تطلعي واهتمامي بشعر ابن فليتة يتضاعف حتى هيأ الله الأسباب لتحقيقها، وكانت إرادة الله وحدها هي التي قادتني في أثناء زيارتي لدار الكتب والوثائق القوميـة

---

[1] الملك المجاهد: هو على بن داوود بن يوسف الرسولي(٧٢١-٧٦٤)هـ هو: أحد ملوك الدولة الرسـولية كـان سلطان تعزو عدن وتوابعهما، تولى الملك بعد والده السلطان المؤيد، كان السلطان على بـن داوود عالمـا وكـان صاحب مؤلفات كثيرة منها الإرشاد في علم الفلاحة والأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطره وكتاب فـي الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها انظر ترجمة في الأعلام للزركلي ج٥ ص٩٥ وفي البـدر الطـالع ج١ص٤٤٤ وفي الروض الأغن ج٢ص١١٩-١٢٠و في العقيق اليماني مخطوط ورقه رقم ٣٢.

[2] الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد لعبد الرحمن الديبع ص٩٨، تحقيق يوسف شـلحد مـن منشورات مركز الدراسات اليمنية طبع دار العودة ببيروت ١٩٨٣م.

[3] قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن بن الديبع ص٤٤٦.

المصرية في القاهرة لأصل إلى ديوان هذا الشاعر في أثناء بحثي عن نسخ مخطوطة من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي بغرض تحقيقه آنذاك قبل أن يتحول العزم عن التحقيق، إلى دراسة أدبية عن الشاعر ابن هتيمل وشعره، فإذا بي أمام ذلك الديوان الشعري المخطوط بعنوان: (ديوان ابن فليتة الحكمي) وقد كتب على طرته سيرة مختصرة لصاحبه لعلي أضعها بين يدي قارئ هذه السطور كما هي مع نموذج من شعره.

فهو- كما دونتُ- من طرة مخطوطة الديوان: (القاضي الأجل شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن فليتة الحكمي، كاتب الإنشاء في الدولة الرسولية زمن المجاهد علي بن داوود بن يوسف بن رسول ملك اليمن (٧٢١هـ-٧٦٤هـ)،أديب، وشاعر، له إلى جانب ديوانه هذا كتاب بعنوان: (رشد اللبيب في معاشرة الحبيب)[1]. وتوجد منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية إحداهما برقم(٥٦٦).

أما ديوانه الذي أخذنا عنه هذه النبذة اليسيرة لعلمنا ابن فليتة فتوجد نسخة منه ضمن مخطوطات (دار الكتب والوثائق القومية في مصر) تحت رقم (٣٥/أدب). وكما ترى، فإنه لم يسجل على طرة الديوان تأريخ ولادة الشاعر، ولا تأريخ وفاته، ولم يذكر أي شيء عن نشأته، وأكتفى كاتب تلك النبذة بالإشارة إلى الزمن الذي عاش فيه ابن فليتة، وإلى مركزه الوظيفي في الدولة الرسولية التي عاصرها: (إنه كاتب الإنشاء في الدولة الرسولية زمن المجاهد علي بن داود بن يوسف بن رسول صاحب اليمن[2].

وإذا كنت لم أستطع آنذاك الحصول على صورة نسخة كاملة من ديوانه، ولم أتمكن من الوصول إلى كتابه النثري: (رشد اللبيب في معاشرة الحبيب)،

---

[1] نسخة مصورة لديوان ابن فليته الحكمي المخطوط غير مرقمة الصفحات، مأخوذة عن النسخة الأصلية المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية بمصر تحت رقم ٣٥/ أدب وتقع في ١٤٤ ورقة.

[2] المصدر نفسه.

فقد تمكنت من حيازة شيء من شعره هي: هذه الأبيات التي استنسختها خلال تصفحي لمخطوطة الديوان والتي يقول فيها ابن فليته:

بجمال جبهتك الغريب ... وبحسن مبسمك الشنيب
وبفترة في مقلتيك ... وولي هواك على القلوب
يا مسبل الشعر الجعيد ... على قوام كالقضيب
مثل الظلام على الصباح ... على القضيب على الكثيب
يا مالكاً قلبي أمالي ... في وصالك من نصيب
هجر بلا سبب جرى ... هذا من الأمر العجيب
يا نفس عيشي ما قضى ... وتحملي ظلم الحبيب
قالت أأسلو؟ قلت لا ... قالت أتوب؟ فقلت توبي [1]

وظلت صورة الشاعر (ابن فليتة) وصورة شعره غير مكتملتين لديّ، تحتاج إلى مزيد من الإضاءات، وظل بحثي مستمرا، وتطلعي لاهثا، لمعرفة المزيد عن هذا الشاعر الكبير وشعره، حتى تفضل علي مؤخرا: (الدكتور ياسر عمارة)، أستاذ الأدب حاليا بجامعة طنطا في جمهورية مصر العربية، باستنساخ اسطوانة حاسوبية، صُوِّرت فيها نسخة من مخطوطة الديوان عدد أوراقها ١٤٤، مع نسخة من كتابه (رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب) وكانت نسخة الديوان غير مرقمة الصفحات وأكثر صفحاتها يسمح بالتصوير والإستنساخ، وقد رتبت نصوصها ترتيبا هجائيا، وبذلك تهيأ لي ـ بفضل الله ـ الحصول على صورة من ديوان (ابن فليتة الحكمي) تحتوي على باقات شعرية جميلة تمثل جزءا من شعره الفصيح، تتمثل فيه معظم الأغراض الشعرية السائدة في عصره،كالمديح، والغزل، والحنين، والوصف، والرثاء، بل وحتى (الخمريات) التي كان لها في شعر ابن فليتة وشعر بعض معاصريه وسابقيهم شأن وأي شأن، (فقد كانت الطبقة المترفة

---

[1] المصدر نفسه.

من الحكام والوزراء وعلية القوم تنغمس في اللهو والترف، وكانت لهم مجالس يحضرها بعض القضاة، وبعض الفقهاء، كمجلس الوزير المهلبي، وأمثاله من مجالس اللهو التي عرفت في القرن الخامس وفي القرنين السادس والسابع، واشتهر في كل عصر عدد ممن جاهروا بالمجون، ووصفوا في شعرهم الخمر ودنانها، وسقاتها)[1].

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النسخة لا تحتوي على سائر شعر ابن فليتة الذي وصف بانه (يقع في مجلدين)، وهي كذلك ليست جزءا من ديوانه الذي سماه:(تحفة المطالع وبغية المخالع) الذي يقال بان ابن فليتة:(جمع فيه سبعة أنواع من شعره هي :فصيح، وحميني، ودوبيت، وحلاوي، وموشحات... وضمَّن كل نوع عشر قصائد، جعل آخر كل نوع من هذا الشعر قصيدة كفارة واعتذار واستغفار) [2]. نعم، إن هذه المجموعة التي حصلنا عليها مؤخرا لا تمثل جل شعر ابن فليتة الحكمي، ولكنها تحتوي على مجموعة من قصائده التي عالج فيها معظم الأغراض الشعرية، وإن كان غرض (المديح) قد أخذ منها نصيب الأسد، على أن غالب مديحه في هذه المجموعة موجه للملك الرسولي (المؤيد داوود بن يوسف (٠٠٠ــ٧٢١) [3] ولابنه السلطان المجاهد علي بن داود بن يوسف بن رسول (٠٠٠ــ٧٦٤) [*].

وشاعرنا في مديحه يلح على الإشادة بشجاعة ممدوحه واقدامه، ويفيض في الثناء على كرمه وجوده وعطائه، وحتى في رثائه نراه يتلهف على فقد هذه الخلال الكريمة، ويرى بأنها قد دفنت مع الفقيد.

---

[1] بتصرف عن كتاب عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف، ص ٣٩٦، ٣٩٧

[2] الروض الأغن ج١ ص٧٤ .

[3] الملك المؤيد الرسولي هو: المؤيد نصر الله داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول (...-٧٢١هـ) مولده ونشأته ووفاته باليمن ولي الملك بعد أخيه الأشرف (...-٦٩٥هـ) وكان شجاعاً جواداً، وأديباً مشاركاً في العلوم محباً لها ولأهلها ألف بعض الكتب النافعة، انظر الأعلام ج٢ ص٣٣٦.

[*] سبقت ترجمة السلطان المجاهد (علي بن داود) في هامش ص ١٣٨.

وشعر ابن فليتة في هذه المجموعة يمثل لوحات جمالية، ذات ألوان بديعة، تخلب الألباب، وتقدم دليلا على شاعريته وقدرته على التكثيف الذي يغنيه عن الإطالة، أو استخدام الألفاظ الرنانة ذات البهرج اللغوي، فهو يدفع بذلك عن شعره تلك الصور الشعرية المعقدة التي يلجأ لها بعض الشعراء، فقصائد هذه المجموعة سواء أكانت في المديح، أم كانت في الغزل، أم في الرثاء، أم كانت في أي غرض شعري آخر، فهي ليست من المطولات، وليست من ذات النفس الشعري الممل، إذ إن بعضها تأتي في خمسة أبيات أو عشرة، ويندر أن تجد له قصيدة تتجاوز أبياتها العشرين بيتا، لأن ابن فليتة يلقي في قصائده بحزم ضوئية وطاقات شعورية تغنيه عن الإ طناب، وتحقق له الغرض الذي يريده بأيسر السبل، بل تجعل قارئ قصائده يلتهمها باستمتاع لا تكدره الشروحات ولا تفسده الإطالة أو ذكر التفاصيل.

وإذا كان (المديح) يأخذ نصيب الأسد في هذه المجموعة ــ كما سبقت الإشارة ــ فإن للغزل فيها شأنا وأي شأن،فمقدمات قصائد المديح غزلية تتدفق لوعة وتتماوج عواطف وحنينا، حتى إنه في بعضها لا يبقي للممدوح إلا البيت والبيتين، كما كان ابن فليته يحسن التخلص في قصائد المديح، وغالباً ما يكون تخلصه وسيلة لكبح جماح عواطفه المتأججه.

كما أن له قصائد غزلية خالصة، بعضها يعارض بها كبار الشعراء، كالقصيدة التي عارض بها قصيدة الحصري الضرير [1] المشهورة ذات المطلع:

يا ليل، الصب متى غده أقيام الساعة موعده

---

[1] الحصري الضرير: هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني الضرير (٤١٥-٤٨٨)، من أهل القيروان انتقل إلى الأندلس، واتصل ببعض الملوك، مدح (المعتمد بن عباد)، له ديوان شعر كامل في رثاء ولده ، وله كتاب سماه: (المستحسن من الأشعار) وله مختارات باسم معشرات الحصري، وله القصيدة الحصرية في القراءات وتقع في مائتين واثنى عشر بيتا، وهو صاحب القصيدة المشهورة:(يا ليل، الصب متى غده أقيام الساعة موعده) التي عارضها عدد كبير من الشعراء، انظر ترجمته في الأعلام ج٤ ص٣٠١ ، وفي معجم المؤلفين لكحّاله وغيرها.

وهي القصيدة التي عارضها أكثر من ثلاثين شاعرا، تلك القصيدة التي يقول ابن فليته في مطلعها:

رشـأٌ بـالهجر تَهَـدُّدُهُ ... يُـسهرني الليـلَ، ويَرقُـدُهُ

والتي سنختارها من مخطوطة الديوان ونقدمها للقارئ ضمن ما سنختار من شعر ابن فليتة ـ بمشيئة الله ـ فإلى تلك الاختيارات التي سنحاول أن تشمل معظم أغراضه الشعرية جاعلينها تحت مسمى :

نماذج من شعر ابن فليتة:

وإذا كنا نقدم للقارئ نماذج من شعر ابن فليتة يراها لأول مرة، فلعله يلتمس لنا العذر إن نحن حاولنا التنويع في الاختيارات، والتوسع فيها – قدر الإمكان – ما دمنا قد حصلنا على باقة لا بأس بها من شعره المخطوط .

يقول ابن فليتة الحكمي في إحدى غزلياته التي يعارض بها قصيدة الحصري القيرواني الضرير(٠٠٠-٤٨٨هـ) المشهورة (يا ليل الصب متى غده):

رشـأٌ بـالهجر تَهَـدُّدُهُ ... يـسهرني الليـلَ، ويَرقُـدُه
كالبـدرِ تلـوحُ محاسـنُهُ ... ذهَبِـيُّ الخـدِ، مُـورَّدُهُ
أبكـاني الحـبُّ وأضْـحكَهُ ... فبِحُكْمِ الحُـبِّ، علَـتْ يـدُهُ
كَنَظِـيمِ اللؤلُـؤِ مَبْـسَمُهُ ... حُلْـوٌ صَـافِيه، مُبَـدَّدُهُ
يحمـي رشـفاتِ مَرَاشِـفَهُ ... سـيفٌ فـي اللَّحْـظِ يُجَـرِّدُهُ
تُدنيـه الرَّأفَـةُ منـهُ، إلـيَّ ... ويبتيـه الحُـسنِ يُبَعِّـدُه
نَـصَبَ الأَشْـراكَ بمقلتـه ... وقُلـوبَ النـاس تَـضَمُّـدُهُ
سَـفَكَتْ ظُلْمَـاً عينـاهُ دَمِـي ... والحُـسنُ عَلَـيَّ يُؤيِّـدُهُ
وتَـضَرُّج الوَجَنَـاتِ بـهِ ... يَـشْهَدْنَ عليـه، ويَجْحَـدُهُ
أتَمَنَّـى النـومَ، لِيَعْرِفَنـي ... طَيْـفٌ، والـدمعُ يُـشَرِّدُهُ

مـــا للحُـــسَّادِ؟ ومـــا لِـــشَجٍ؟ جُمِعَـــتْ للمِحْنَـــةِ حُـــسَّـــدُهُ
تُجْـــرِي الأشْـــواقُ مدامِعَـــهُ ويُـــذِيبُ القَلْـــبَ تَنَهُّـــدُهُ
أمَـــرَ اللاحِـــي بِتَجَلُّـــدِهِ مِـــسْكِينٌ، وأَيـــنَ تَجَلُّـــدُهُ
يـــدعُو بالـــصبرِ فَيَخْذُلُـــهُ وشُـــؤُونُ المُقْلَـــةِ تُنْجِـــدُهُ
مَحْزُونُ القلبِ، نَحِيـلُ الجِـسمِ قَـــرِيحُ الجَفْـــنِ مُـــسَهَّـــدُهُ
يُمْـــسي والـــنَّجْمُ مُـــسَامِرُهُ حَتَّى الإصْـبَاحَ، ويُـسَهِّـدُهُ
حَـــشَتِ الزَّفَـــراتُ أَضَـــالِعَهُ وبَكَـــى لِبُكَـــاهُ مُفَـــنِّـــدُهُ
أتَرَجَّـــى الوَعْـــدَ فَيَـــسْبِقُني مِن دُونِ الوَعْـدِ تَوَعُّـــدُهُ
كَيْـــفَ الـــسُّلْوانُ؟ وفـــي يـــده قَلْبِـــي، يُغْوِيـــه ويُرْشِـــدُهُ [1]

وهي معارضة جميلة من شاعرنا (ابن فليتة) ربما تفوقت على بعض المعارضات لغة وزمناً وأسلوبا ، فقد حاول ابن فليتة أن يحشد في هذه الأبيات المعدودات كل عبارات البوح المصحوب بالشكوى المُرّة من حبيبه الهاجر، هذه الشكوى التي جعلت حُسّاده وعاذليه ومفنديه يجتمعون حوله شامتين في بداية أمرهم ، لكنهم لا يلبثون أن يرقّوا لحال الشاعر وما وصلت إليه زفراته وأنّاته فيشاركونه البكاء والأنين :

ما للحسّاد ؟ وما لشجٍ ؟ جمعت للمحنة حُسّده
حَشَت الزفراتُ أضالعه وبكى لبكاه مُفَنِّدُهُ

ومن تجديد ابن فليتة: ما سنراه في النص الآتي الذي حوّل فيه التشبيب إلى عتاب رقيق، توجه به إلى المحبوب، وأطال فيه، حتى لم يبق للممدوح من النص سوى بيتين فقط ختم بهما نصه الجميل وأحسن فيهما التخلص والوصول إلى الممدوح بسلاسة كعادته في كثير من قصائد المديح ، وربما كانت إجادته بحسن التخلص خصيصة فنية يتميز بها ابن فليتة في تشبيبه الذي يقدم به

---

[1] النسخة المصورة من ديوان ابن فليتة وهي غير مرقمة الصفحات.

مدائحه كقوله في نص آخر يشبب فيه ويتحدث عن تأثير سحر العيون النُجل في قلوب المحبين ومهجهم ، ويتخذ ذلك وسيلة يصل بها إلى الممدوح فيقول :

لم تسب مهجتك العيون بسحرها　　لكنها يُبلَى بها من يُبتَلَى
هي كالسيوف الماضيات إذا رنَت　　أما كسيف (علي بن داوود) فَلا

وهكذا رأيناه يجيد التخلص بعبارات بسيطة ، كما سنرى هذه الإجادة وهذه القدرة الفنية في الأبيات الآتية :

ما لجفاكم سببٌ يُعرفُ　　وليس ذا يفعله المنصفُ
أعرضتمُ من غير ذنبٍ جرى　　والصبر عن إعراضكم يضعُفُ
قد يستلذّ الناس بعض الجفا　　فحسّنوا الأمر، ولا تسرفوا
أو عاتبونا قبل إعرضكم　　فنحن من أنفسنا ننصفُ
بذلتُ ودّي لكمُ مخلصاً　　وربما أنتم بذا أعرفُ
فإن قضى الله بهجراتكم　　رجوتُ أن يقضي بأن تعطفوا
كما يُرجيّ الآملون الغنى [1]　　من جود ملْك بالندى يُوصَفُ
(داوود)، من إحسانه للورى　　كالبحر كل منهمُ يغرف [2]

وفي المديح ايضا نقرأ لابن فليتة قوله مادحاً ومهنئاً للسطان المجاهد علي ابن داوود بعيد النحر، مبتدئا بالتشبيب كعادة الشعراء في عصره حيث يقول:

ما مال قلبي عن هواك ولا سلا　　ولقد عُذلتُ فما أطعتُ العُذَّلا
وبذلتُ روحي في ودادك راضياً　　لولاك كنت أصونها أن تُبذلا
لامُوا عليك وكان ما قالوه لي　　أفما تحب بقاء روحك؟ قلتُ:لا
صنتُ الهوى، وعصيتُ فيك مفندي　　أفكان يحسن أن أجازى بالقِلا

---

[1] كتبت في المخطوطة هكذا: (الغنا).
[2] المصدر السابق.

قسماً عليك، أما علمت مودتي؟ ... إن كنت تتصف في الوداد فقل:بلى
لو كان غيرك قد بلى بصدوده ... غيري لَعَرَّضَ في العتاب وطوَّلا
لكنني ألزمتُ نفسي طاعةً ... لرضاك فافعل ما تشا أن تفعلا
شرَطَ الهوى، وبما جرى حكم الهوى ... يرضى وإن عزَّ الحبيب تذللا
كم قائلٍ: عذَّبتَ قلبك بالهوى ... أتُريد تشغله؟ فقلت: متى خلا؟
لم تسب مهجتك العيون بسحرها ... لكنها يُبلى بها من يُبتلى
هي كالسيوف الماضيات إذا رَنَتْ ... أمّا كسيف (علي بن داوود)، فلا
يومي إليه النَصر: ذا سيف الردى ... يرويه من أعدائه سيفُ العلا
ملك إذا صهلت عتاق جياده ... أمست أعاديه تعوذُ من البلا
لم يعط طالب خدعةِ أملاً، ولم ... يمنع مؤمل فضله مُا أمّلا
فينيل وافده الغنى ويزيده ... بعد الغنى، ويصونه، أنْ يسألا
من سيفه سود المنايا تُتَّقى ... وبكفه بيض العطايا تُجتلى
يهناك عيدا قد أتى لك بالمنى ... هنّاكَ، ما يأتي به مستقبلا
النصر والتوفيق قد قُرنا به ... فتراهما من حيث أقبل، أقبلا
لو كان ينطقُ قال: هُنيت البقا ... أو كان شخصاً، جاكُمُ، مُتهللا
طول المدائح لا تُحيط بفخركم ... فَعَلامَ يُتعبُ نفسهُ من طوّلا؟
لكنَّ شكرك، والمحامد، والثنا، ... (ألا يذكر مادحا أو قللا) (*)
لازال ملكك يستطيل على العُلا ... لكنْ عدوكَ، لا استطالَ ولا علا(1)

وهكذا رأينا شاعرنا (ابن فليتة) يلمح في هذه القصيدة إلى حرصه على عدم الإطالة في المديح، وإن كان قد استوفى في قصيدته ما يريد من ثناء.

(*) هذا الشطر مكسور ربما سقطت منه كلمة في الأصل.

(1) المصدر السابق.

وفي الرثاء نختار من شعر ابن فليتة الحكمي قوله راثياً للملك المؤيد داوود بن يوسف (والد السلطان المجاهد):

أرى الحزن أضحى بالمدامع يهتف ... فلم أر عيناً دمعها يتوقفُ
نطيع البكا، والأجر في الصبر دونه ... ولكن بعض الصبر للنفس متلفُ
إذا كل نفسٍ فقدها يبعث البكا ... فأولى به النفس التي هي أشرفُ
فيا أسفا، مات الهزبر ابن يوسف ... فهل أحدٌ في الناس لا يتأسفُ؟
أبعد هزبر الدين يُستنكفُ البكا؟ ... ألا سخنته عين من يتنكف؟
يكلفني حسن العزاء مفندي ... عزيزٌ، دخول المرء فيما يُكلفُ
يقولون أقرحت المدامع بالبكا ... أمالك صبرٌ؟ للدموع تُكفكفُ
ومن لم يبت مثلي قريح مدامعٍ ... فماهو في حكم المودة منصفُ
فيا لهف نفسي كيف غُيّب في الثرى ... بغير الرضا، ذاك الجبين المشرفُ؟
وقد كان بدرا زاهرا يهتدى به ... إذا كسفت شمس الضحى، ليس يكسفُ
ويا لهف نفسي كيف ضُمّتْ يمينه ... وكانت بأرزاق الورى تتصرفُ
فيا وافدي ذاك الندى لا تكلفوا ... مطاياكمُ سيراً، ولا تتكلفوا
فإن الندى الجمَّ الذي تعهدونه ... عليه تراب من ثرى الأرض مردفُ
وذاك الجبين المشرق الطلق قد غدا ... وما حظ عافٍ منه إلا التلهفُ [1]

ولعلنا نستأذن القارئ الكريم بأن نختم هذه المختارات من شعر ابن فليته الحكمي بإحدى خمرياته، ليس إعجاباً بها، ولكن لأن هذا النوع من الشعر يحتل مساحة في ديوانه، ولأن هذا الغرض الشعري كان مطروقاً في عصره، وقد طفحت به دووابن بعض شعراء تلك العصر والعصر الذي سبقه، وكانت لابن فليتة مشاركات شعرية في هذا الجانب، يجعلها تارة مقدمات لقصائد المديح، ويخصصها في أحايين أخرى لمحاكاة سابقيه ممن وصفوا الخمر، ودنانها، وسقاتها، فتراه

---

[1] المصدر نفسه.

يسير على سَنَنهم، ويتماهى معهم في بعض شؤونها، لنستمع إليه في واحدة من خمرياته التي يحاكي فيها أرباب ذلك الفن الشعري ممن يدعون إخوانهم الشعراء إلى الاستعاضة بشعر الخمريات عن التشبيب وعن الوقوف على الأطلال، حيث يقول:

لا تبكِ إلفاً جفاك عُجباً ودعْهُ في عُجبه يهيمُ
ولا تُرِقْ في الرسوم دمعاً لم تدرِ، عن دمعك الرسومُ
واشرب على الورد من مُدامٍ نصٌ على نفعها الحكيمُ
كأنها في الزجاج شمسٌ يسعى على نورها النديمُ
يُديرها والحُبابُ فيها كأنهُ لؤلؤٌ نظيمُ
رجماً لشيطان كل همٍّ والهمُّ شيطانهُ رجيمُ
إذا تجلّت لشاربيها ترحلت عنهمُ الهمومُ
فهي نعيمٌ، فثق بأن لا يجتمع البؤسُ والنعيمُ
واستجلها كالعروس بكراً ولا تُطعْ لائماً يلومُ
فإن يكن إثمها عظيماً فالله غفرانه عظيم
لولا اكتساب العباد إثماً ما علموا أنه كريمُ
وحلمهُ واسعٌ فماذا يفعل بالمذنب الحليمُ [1]

والشاعر رغم ما أسبغه في هذه الأبيات على الخمرة من نعوت – ربما – سبق إليها، حيث زينها له الشيطان كما زينها لغيره من الشعراء، رغم كل تلك النعوت إلا أنه يعترف في آخر النص بأن إثم الخمرة عظيم وأنه يطمع في عفو الله ورحمته وغفرانه لذلك سمعناه يقول:

(فإن يكن إثمها عظيماً فالله غفرانه عظيمُ)

---

[1] المصدر نفسه.

والقارئ حين ينتهي من قراءة أبيات هذه القصيدة من شعر ابن فليتة، يتذكر مباشرة مثيلات لها في شعر كثير من أصحاب هذا الشأن الشائن، كمسلم بن الوليد [1](٠٠٠-٢٠٨هـ)، وعبد الله بن المعتز [2] (٢٤٩-٢٩٦هـ). والحسن بن هانئ: (أبو نواس) [3](١٤٦-١٩٨هـ)، وأمثالهم.

---

[1] مسلم بن الوليد الأنصاري – بالولاء – (١٤٠-٢٠٨هـ) ولد بالكوفة في العقد الخامس من القرن الثاني الهجري ونشأ نشأة معتدلة بالنسبة لمعاصريه وكان شاعراً مداحاً وكان رائداً من رواد البديع في مستهل العصر العباسي، وكان شعره محل إعجاب ابن المعتز وإعجاب أبي تمام وهما من هما؟ (شعراً وشاعرية)، بل لقد عده بعض النقاد ثالث ثلاثة شعراء كبار هم:(الأعشى، مسلم بن الوليد، والمتنبي) وفي شبابه أطلق عليه الرشيد لقب: (صريع الغواني)، طرق في شعره كافة الأغراض السائدة في عصره وأجاد فيها كلها وأبدع، قال شعراً في المجون لكنه لم يهبط فيه إلى مستوى أبي نواس والحسين الضحاك وأمثالهما لذلك فقد كان شعره محل إعجاب الشعراء الكبار كما كان محل إعجاب الخاصة والعامة توفي سنة ٢٠٨هـ، انظر ترجمته في كتاب: (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) لشوقي ضيف ص١٨٠-١٨٧، وفي كتاب الشعر والشعراء في العصر العباسي لمصطفى الشكعة ص٢٢٩-٢٦٣ وغيرهما من المصادر.

[2] ابن المعتز: هو الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٤٩ _ ٢٩٦)، شاعر مجدد مبدع ولد في بغداد وبها نشأ أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب وغيرهما وكان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً سهل اللفظ جيد القريحة، وحاول في بداية حياته البعد عن بلاط الخلافة معطياً نفسه حياة تحيط بها مجالس الأنس واللهو ، لكنه ما لبث أن دُفع إلى تولي الخلافة العباسية بعد المقتدر غير أن خلافته لم تدم إلا يوما وليلة ، حيث استطاع أنصار المقتدر أن يعيدوه إلى عرش الخلافة ويفتكوا بالشاعر الفنان عبد الله بن المعتز ويرسلوه جثة هامدة إلى أهله وأسرته في شهر ربيع الأول من عام ٢٩٦ هـ. وعن شعره قال ابن الأنباري في كتابه: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: (بارع في الأدب، حسن الشعر كثيره، ومحاسن شعره كثيرة جداً) وقال شوقي ضيف عن شعره أيضاً: (كان ابن المعتز يعنى بزخرف التصوير في شعره عناية شديدة) ذكر له ابن العماد الحنبلي مؤلفات كثيرة منها: كتاب (الزهر والرياض) وكتاب (مكاتبات الإخوان بالشعر) وكتاب (السرقات) وكتاب (أشعار الملوك) وكتاب (البديع) وكتاب (طبقات الشعراء) وغيرها، وذكر أن مولده سنة ٢٤٧هـ بخلاف تاريخ ولادته عند شوقي ضيف، انظر: شذرات الذهب بأخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٢ ص٢٢١-٢٢٣، وانظر ترجمة ابن المعتز في: وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢ ص٣٦٣، وفي معجم المؤلفين ج٦ ص١٥٤، وفي عصر الدول والإمارات ص٢٦٧، انظر مقدمة ديوان عبد الله بن المعتز ص٥ ط دار صادر ببيروت دون ذكر سنة الطبع، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنباري بتحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار بالأردن، الزرقاء ط٣ ١٤٠٥.

[3] أبو نواس: هو الحسن بن هانئ الحكمي البصري (١٤٤-١٩٦هـ) مولى سعد العشيرة، كني بأبي نواس: لذؤابتين كانتا على عاتقه تنوسان، برع في الشعر وعد من الطبقة الأولى من المُولَّدين، فهو من الشعراء المطبوعين وله في الشعر نوادر حسان رائقة، نعت بالفصاحة والبلاغة، وكان ظاهرة شعرية مثيرة، وكان إلى-

لنستمع لأبي نواس الذي يحض الشعراء على استبدال الوقوف على الأطلال أو التشبيب بالمحبوبة في استهلال الشعر بوصف الخمر مع أن التشبيب كما يقول ابن قتيبه:(قريب من النفوس والقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء)[1] لنستمع لأبي نواس وهو يحض الشعراء على استهلال الشعر بالخمرة فيقول في إحدى خمرياته:

دع الربع، ماللربع فيك نصيب ... وما إن سبتني زينب وكعوب
ولكن سبتني البابلية، إنها ... لمثليَ في طول الزمان سَلُوبُ
إذا ذاقها من ذاقها حلَّقت به ... فليس له عقل يعد أديب[2]

كما يقول في أخرى:

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند ... واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا إذا انحدرت في حلق شاربها ... أجدته حمرتها في العين والخد[3]

وربما ذكرتنا أبيات قصيدة ابن فليتة تلك بقول الشاعر عبد السلام بن رغبان المعروف بـ(ديك الجن) (١٦١ -٢٣٥هـ):

قالوا السلام عليكِ يا أطلال ... قلت السلام على المحيل محال

-جانب شاعريته الفذة صاحب شخصية تعتبر من أشهر شخصيات العصر العباسي قال عنه الجاحظ: (ما رأيت أعلم منه باللغة)، وقد كان كثير المجون وهو القائل:

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنة الكَرْم

توفي سنة ١٩٦هـ وعمره اثنتان وخمسون سنة انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ج١ ص٣٤٥-٣٤٧، وفي كتاب الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة ص٢٧١-٣١٨، وفي كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف ص١٥٧-١٦٣، وكتاب الأدب اليمني للحبشي ص١٣٦ وغيرها.

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ص٢٧-٢٨، تحقيق د/ مفيد قميحة، مراجعة/ الأستاذ: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.

[2] ديوان الحسن بن هانئ (أبي نواس) ص٢٦ ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، طبع دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤هـ .

[3] المصدر السابق ، ص٢٧ .

عاج الشقي مراده، دمــن البلــى   ومراد عيني قبــة وحجـــــال
لأغادينّ الراح وهـــــي زلال   ولأطرقنّ البيت فيه غـــزال[1]

وهذا باب من أبواب الشر في الشعر العربي طرقه عدد من الشعراء فـي أغلب العصور الأدبية – وربما – كان بعضهم يحاكي الآخرين دون أن يرى الخمر أو يشهد مجالسها، ولكنه يريد بمشاركته الشعرية أن يقدم دليلاً على قدرته الفنية وأنه قد أتى في شعره على سائر الأغراض الشعرية المطروقـة فـي عـصره، وأحسب أن شاعرنا (ابن فليتة الحكمي) واحد من هؤلاء الشعراء الذين خطفهم بريق السراب.

على أنه قد لا ينقضي عجبك حين ترى بأن أولئك المفتونين ممن يشنعون على شعراء العربية استهلال قصائدهم بالوقوف على الأطلال أو يتهكمـون بهـم لاستهلالهم بالتشبيب تراهم لا يجدون غضاضة من الاسـتهلال بـالوقوف علـى (الديارات الشهيرة)، فيهتفون بها وبأصحابها تماماً كما هتف أبو نواس بـ(دير حنة) قائلا:

يا دير حنة مــن ذات الأكيــراح   من يصح عنك فإني لست بالصاحي[2]

وهكذا فإنني أكاد أجزم بأن ما جاء في شعر ابن فليتة من وصف الخمـر وتأثيرها إنما كان محاكاة لبعض شعراء عصره من أصحاب هذا الاتجاه كيـف لا!

---

(1) الشعر والشعراء في العصر العباسي لمصطفى الشكعة ص٥٧٩ ، طبع دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦م .

(2) ديوان أبو نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ص٢٩٧، ومثل أبي نواس في الوقوف على (الـديارات) بدلاً عن الأطلال الشاعر الحسين الضحاك الذي هتف بدير مديان قائلاً:

يا دير مـديان لا عريـت مـن سـكن   هيجت لي سقما يـا ديـر مديـانـا
هل عند قـسك مـن علـم فيخبرنـا   أم كيف يسعف وجه الـصبر مـن بانـا

(انظر كتاب: الفن ومذاهبه لشوقي ضيف ص١٠٨)

وهو صاحب تلك المكانة الاجتماعية المرموقة وقبل ذلك فابن فليتة ينتمي إلى أسرة علمية مشهورة.

ولعلنا قبل أن نختمَ حديثنا عن ابن فليتة نعود إلى اختياراتنا من شعره العذب الجميل فنختم بنص قصير نسجه في (الحنين) تبدو فيه لوعته وصبابته وحنينه إلى وطنه (المخلاف السليماني) وأهله وأحبابه في بلدتي: (الحصن) و(الحمى) المعروفتين، يؤكد من خلاله صادق انتمائه (للمخلاف) وتعلقه الشديد بأرضه وناسه، حتى وإن كان مرتبطاً بعمل قيادي يبعده عن وطنه، لنستمع إلى ابن فليتة وهو يناجي (حمام الأيك) فيقول:

حمامةُ أيكٍ في الضحى قد تغنّتِ ... فأبكَتْ فؤاد الصبِّ منها وأشجَتِ
ولمْ أدرِ، ناحتْ أم تغنّتْ ولم تكن ... لها عَبْرةٌ مسفوحةٌ مثلَ عَبْرتي
تنوحُ لإلفٍ قد شجاها فراقُهُ ... كما قد شجى قلبي فراقُ أحبّتي
يُذكّرُني نَوْحُ الحمامِ أحبةً ... نأوا عن عيوني ثمَّ حلّوا بمهجتي
أحنُّ إلى لقياهُمُ كلَّ ساعةٍ ... وأهدي إليهم في النسيمِ تحيّتي
حلولاً بجنب(الحصنِ من أيمنِ الحمى) ... لقاؤهُمُ فيه سروري ومُنْيَتي
وليسَ عجيباً إن تمنّيتُ قربَهُم ... فيا رُبَّ نفسٍ أعطيتْ ما تَمَنَّتِ [1]

رحمك الله يا أبا العباس فلقد استطعت بكلمات قليلة وأبيات معدودة أن ترسم لوحات جميلة للحنين الصادق نحو الوطن ونحو أهلك فيه الذين كنت تكابد فراقهم، ولكنك لست وحدك (يا ابن فليتة) من شجاه غناء (حمام الأيك) وذكّره بالأحبة الغالين على فؤاده، فسفح عبراته على فراقهم، واستبد به الحنين والشوق للقياهم، فقد سبقك كثيرون، وأتى بعدك على الدرب آخرون، لكنك استطعت في أبيات قليلة هي (السهل الممتنع) لغة وصوراً أن تسكب ذوب وجدانك في قالب جميل، وغنائية عذبة.

---

[1] النسخة المصورة من ديوان (ابن فليته) غير مرقمة الصفحات.

وأخيرا فإنني على يقين بأن قارئ تلك النماذج الشعرية من شعر ابن قُلَيْتَةَ الحكمي سيأخذ صورة واضحة لشعره وشاعريته، وسيجد فيها إشارات واضــحة إلى المدرسة الشعرية التي ينتمي إليها هذا الشاعر المجيد، وإنْ كان التَّطلُّعُ مــا زال لاهثا للحصول على بقية شعره المخطوط الذي نأمل أن يهيــئ الله لــه مــن يخرجه من حنادس الإهمال .

شعراء المخلاف السليماني

في القرن التاسع الهجري:

توطئة:

يأتي القرن التاسع الهجري شبيها بالقرن الثامن في شح مصادره وإن نفحنا بشيء من الأضواء الخافتة عن شعر وشعراء المخلاف السليماني في ذلك العصر حتى وإن كانت دون المستوى المأمول، وحين حاولنا تقليب مصادر التراجم لم نعدم تراجم لأعلام اللغة وأعلام الفقه والأصول وبقية علوم اللغة وعلوم الشريعة لكننا لم نعثر على كل بغيتنا من أعلام الأدب وأعلام الشعراء الذين كان لهم من الصيت والصدى الذي أخفت عنا مصادر تاريخ الأدب كثيراً منهُ فكان كل من عثرت عليه بعد البحث شاعراً أو شاعرين أو ثلاثة في بعض تلك المصادر التي لم ترو الغليل بنماذج وافرة من شعرهم. ولم تسعفني تلك المصادر بأسماء شعراء آخرين من شعراء المخلاف السليماني في ذلك العصر المضطرب سياسياً والذي غيب عنّا ثمار الأفكار وأقصاها عن دائرة الضوء فحرمنا بذلك الإقصاء من ثروات أدبية وفكرية غزيرة وإن كنت أتمنى أن تكشف لنا الأيام القادمة شعراً وشعراء آخرين من أبناء هذه المنطقة الولود.

وفيما يلي سأتحدث عن بعض من عثرتُ عليه من شعراء القرن التاسع في المخلاف السليماني الذين جادت علينا بعض المصادر بشيء عنهم وعن شعرهم.

١- العلاَّمة الشاعر: علي بن يحيى النعمان الضمدي

(٠٠٠-٠٠٠):

الفقيه العالم الشاعر علي بن يحيى النعمان، ولعله أحد أسلاف علاَّمتي القرن الحادي عشر الهجري بالمخلاف السليماني: العلامة مطهر بن علي النعمان صاحب الفرات النمير وغيره من المؤلفات والعلامة عبد الله بن علي النعمان الضمدي صاحب كتاب العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني وغيره من المؤلفات.

وصفه العلامة: إسماعيل الأكوع بأنه: (عالم محقق شاعر وأديب) [١] ومع أنه لم يذكر سنة ميلاده ولم يؤرخ لوفاته إلا أنه أشار إلى أن علمنا: (علي بن يحيى النعمان الضمدي من أعلام المائة التاسعة) [٢].

- أما صاحب مطلع البدور ومجمع البحور فقد تحدث عنه قائلاً: (الفقيه العلاَّمة الأصولي اللسن البليغ علي بن يحيى النعمان الضمدي) ثم ختم ترجمته بذكر بعض أبيات من شعره قالها في تقريض أحد كتب الأصول حيث قال: (وأنشد له في مدح كتاب المنتهى في الأصول من بحر الكامل قوله:

لا يلهينك عن كتاب المنتهى	من رامه فثناه عجز ما انتهى
غُصْ للجواهر في غطامط بحره	أكْرِمْ بتلك فضيلة إن نلتها
فإذا سئمت وخلت نفسك أعرضت	عن صفحتيه ملالة أكرهتها
وإذا عصاك فياده متأبّياً	فاصبر فبالمكروه حُفَّ المنتهى
أكرم به سفراً فكم من حكمة	يؤتيكها، إن غيره لم يؤتها
بهر العقول فكل مسألة به	في النفع أكثر موقعاً من أختها [٣]

---

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص١٢١٧.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص١٢١٦.

(٣) مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٣ص٣٦٧، ٣٦٨.

ومع أن محمد بن أحمد العقيلي قد تحدث عن معظم أعلام وشعراء منطقة جازان – المخلاف السليماني سابقاً – سواء في كتابه الموسوعي: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان) أو في كتابه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) أو في كتبه التاريخية والأدبية الأخرى إلا أنني لا أجد إشارة إلى علمنا هذا لا من قريب ولا من بعيد .. و الأمر نفسه حصل مع عبد الله أبو داهش فهو أيضاً لم يشر إلى علمنا: (علي بن يحيى النعمان الضمدي) برغم جهوده العلمية والأدبية في خدمة تراث المنطقة الأدبي ومع ذلك فقد حجبت عن علمنا (علي بن يحيى النعمان) أضواء هذين الباحثين وبقي ابن أبي الرجال متفرداً بالحديث عنه وعن مسيرته العلمية والأدبية، وإن أشار إليه صاحب كتاب هجر العلم ومعاقله ... إشارة عابرة [1]، لم تقدم جديداً ولم تشبع نهمنا المعرفي بمزيد من شعره وكلاهما لم يحددا زمن ولادته ولا زمن وفاته.

---

[1] انظر هجر العلم ومعاقله في اليمن لاسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٥.

٢- العلاّمة الشاعر: علي بن يحيى الهذلي الضمدي (٠٠٠-٠٠٠):

عالم من علماء المخلاف السليماني المبرزين، وشاعر لغته الشعرية قوية، ومفرداته فصيحة، وتراكيبه فيها جزالة وفخامة، أشار إليه العلامة إسماعيل الأكوع بقوله: (علي بن يحيى الهذلي أحد أعلام القرن التاسع الهجري)[(١)].

فهو عالم محقق في علوم كثيره ولاسيما في علم النحو، وهو شاعر وأديب ومن شعره الذي وجدناه قصيدة يمدح بها الرسول الكريم صلى الله عيه وسلم، وقد أشار إليها جل من ترجم لعلمنا، فقد تحدث عنه عبد الله أبو داهش في كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني فقال: (ومن الشعراء المعروفين عبر هذه الفترة (القرن التاسع الهجري) الفقيه: علي بن يحيى الهذلي، وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي مدح بها سيد البشر صلى الله عليه وسلم ومنها:

يا أيها الراكب الغادي أو الساري   عرّج قليلاً لأقضي بعض أو طاري[(٢)]

- أما محمد بن أحمد العقيلي، فقد قال عن الهذلي: (الفقيه النحوي الضليع الشاعر علي بن يحيى الهذلي، من رجال القرن التاسع، له أشعار في رؤساء عصره، ومن أشهر أشعاره: القصيدة النبوية)، ثم أشار إلى قصة العالم النحوي القادم من البصرة، الذي ناظر بعض علماء المخلاف السليماني في علم النحو وما زال يبحث عمن يناظره، حتى أتوا به إلى علمنا العلامة علي بن يحيى الهذلي الذي تفوق على العالم البصري[(٣)]، ثم أورد شيئاً من تلك القصيدة نقلاً عن مطلع البدور وذكر أنها: (تنوف على مائة وثلاثين بيتاً)[(٤)]، وقبل هؤلاء وأولئك، ترجم له العلامة: أحمد بن أبي الرجال فقال:(الفقيه العلامة المحقق إمام العلوم بأسرها

---

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٥.

(٢) أهل تهامة المخلاف السليماني..... لأبي داهش ص٢٨١.

(٣) التأريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٢١.

(٤) المصدر السابق ص٢٢٢.

(العربية والشرعية) والملتقط لفرائدها من بحرها: (علي بن يحيى بن إبـراهيم الهذلي الضمدي)، كان عالماً في جميع العلوم، لاسيما في علم النحو، فهو صاحب مقامات في هذا العلم ، حاضر الأئمة، وجالس الأكابر، وتعمَّرَ إلى زمن الإمام عز الدين بن الحسن،[1] وكان من عيون أصحابه ومما كاتب به هذا الإمام قوله:

وإنــا لنرجــو عــاجلاً أن يقيمـــه   إله بـــه قامــت ســماواته الــسبع
يعيد نــصاب المُلــك في مستقره   ويخلع عنه من يحق له الخلــعُ)[2]

وفي كتاب: (اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية) للكبسي، نكـر لتاريخ مولد ووفاة الإمام (عز الدين الحسن) الذي يذكر ابن أبـي الرجــال أن شاعرنا الهذلي مدحه، الأمر الذي يؤكد بأن شاعرنا الهذلي مــن أعــلام القــرن التاسع الهجري [3].

ولقد أفاض ابن أبي الرجال في كلامه عن الهذلي فذكر بالتفصيل مناظرته مع العالم النحوي الذي قدم إلى تهامة من العراق وظل يبحث عمن يناظره في علم النحو حتى رتبوا له لقاءًا مع (علمنا) الهذلي الذي حاوره فأفحمـــه.... ومــن العبارات القوية التي نقلها ابن أبي الرجال من تلك المناظرة قول الهذلي حين سئل عن فائدة الحذف والتقدير في علم النحو فقال: (لولا الحذف والتقــدير لفهمتـــه

---

[1] الإمام عز الدين الحسن: (٨٤٥-٩٠٠هـ) هو الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد بن جبريل إمام وعالم ومؤلف وسياسي ولد في بلدة (فَلَلَه) شمالي مدينة صعده وهو احــد أكــابر أئمــة الزيديــة وعلمائهم في اليمن، وله شغف بالعلم عظيم عكف على التأليف في علوم الشريعة ودعا لنفسه بالإمامــة والحكــم سنة ٨٧٩هـ أيام الدولة الطاهرية في اليمن فبايعه علماء الزيدية وأتباعها واستمر حاكما لمــدة ٢١عامــا وهــي فترة لم تشهد الاستقرار، وله مؤلفات كثيرة منها: (شرح منهاج القرشي) و(أجوبة مسائل في الفقه)و (أصول الدين) و (رسالة حول الإمامة) و (جمل من الفوائد المفيدة على المسائل الواضحة الفريدة) وغيرهــا انظــر ترجمته في البدر الطالع ج١ ص ٤١٥ وفي كتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص ١٦٢١ وفي كتاب أئمــة اليمن ج١ ص ٣٤٤ والأعلام ج٤ ص ٢٢٩ ومعجم المــؤلفين ج٢ ص ٣٧٥، ج٣ ص٩٤٠، والعقيــق اليمــاني (مخطوط) الورقة ١٤١، وكواكب يمنية لعبد الله بعكر ص٣٦٢.

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٣٦٩ وما بعدها.

[3] انظر ص١٧٨ من كتاب اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية للكبسي.

الحمير)[1] ثم تحدث عن شاعرية الهثلي وذكر له أبياتاً ومقاطع من قصائد نذكر منها بعض ما أورده من قصيدة وجهها الهثلي لأحد أمراء المخلاف السليماني من آل قطب الدين وفيها يقول:

إذا لم انتصف ممن تجنّى ... عليَّ، فإن لي في الله ظنا
إذا استشعرت منه شعار خوف ... رجوت الله يبدل منه أمنا
فما خسر امرؤ في الله وآلى ... ولاذ بعزّه في كل معنى
أفاطرهن سبعاً بعد سبع ... و مبتدأ الورى إنساً وجنّا
إلهي يا جميل السّتر ستراً ... عليَّ ويا عظيم المنّ، منّا
أجرني من عذابك واكتنفني ... إلهي وارزق الرزق المهنا
فحسبي أنت، لا زيد وعمرو ... رفضت بني الدنى لفظاً ومعنى
فأنت اللهُ،أكبر كل شيء ... طوالعك القديمة فيَّ حسنا [2]

وقد ذكر ابن أبي الرجال تأثير هذه القصيدة التي اخترنا بعض أبياتها على من وجهها إليه ثم قال ابن أبي الرجال بعد أن أورد بعض مقاطع من قصائد للهثلي:

(وهو رحمه الله صاحب القصيدة الشهيرة الطائرة في مدح سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه وهي قصيده طويلة) [3]

وقد ذكر منها ابن أبي الرجال ما يقارب مائة بيت مع أنها كما يقول العقيلي تزيد عن مائة وثلاثين بيتاً، وكما اختار ابن أبي الرجال واختار العقيلي من هذه القصيدة العصماء فإنني سأختار أيضاً من اختياراتهما الأبيات التالية:

يا أيها الراكب الغادي أو الساري ... عرّج قليلاً لأقضي بعض أو طاري
واحمل سلامي إلى أرض كلفت بها ... حبًا، وطال بها شوقي وتذكاري

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٣٧٠.

[2] المصدر نفسه ج٣ ص٣٧١.

[3] المصدر والصفحة السابقين.

وانزل من الروضة الغَنّا بمسجدها ... تنزل هناك بجنات وأنهار
محمد المصطفى المختار من مضر ... لله من مصطفى صاف ومختار
خير البرية أعلاها وأعظمها ... من المهيمن في حظ ومقدار
زكا طباعاً فلم يعكف على وثن ... كغيره وهو ناشٍ بين كفار
حتى إذا ما أراد الله بعثته ... إلى الأنام بإعذار وإنذار
وجاءه الروح جبريل الأمين بما ... جلا العمى من كلام الخالق الباري
أحيا به الله من أحيا وأيده ... بكل أبلج نفّاعٍ وضرّار
وبين الصدق منه كل معجزة ... كأنها علم بادٍ لنُظّار
يا سيد الرسل إن أوجزت مختصراً ... فيك المديح ولم أجنح لإكثار
فإن صمتي ونطقي ولكتاب يدي ... فيكم ثناء، وإعلاني وإسراري [1]

والقصيدة ذات نفس شعري متدفق وهي جيدة السبك جزلة الألفاظ تؤكد شاعرية الهنلي وتمكنه من عمود الشعر، وروح الشعر، ولغة الشعر.

وفي ختام ما اختاره ابن أبي الرجال من هذه القصيدة قال: (ولعل وفاته رحمه الله في (ضَمَدْ) ولم أتحقق ذلك) [2] أما إسماعيل الأكوع فقد اكّد بأن وفاته بضمد في تاريخ غير معلوم) [3].

وإذا كانت هذه القصيدة الجميلة التي اخترنا بعض أبياتها قد نظمها الهنلي في مدح خير البرية محمد ﷺ وهو الأجدر بالمدح والثناء فقد أورد العلامة الجرموزي صاحب كتاب: (تحفة الأسماع والأبصار) الذي أرخ فيه لدولة الإمام القاسم قصيدة أخرى للهنلي متوسطة الطول ذكر بأن الهنلي نظمها في مدح الصالحين من آل محمد عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم والقارئ لهذه القصيدة يحس بأنها تتمة للقصيدة الأولى التي سبقت الإشارة إليها فهي تسير على وزنها وقافيتها ونفسها الشعري وإن خاطبت آل محمد ﷺ وهذه القصيدة وإن كان يشم

[1] المصدر نفسه ج٣ ص٣٧١ ، ٣٧٢.
[2] المصدر السابق ص٣٧٧.
[3] هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٢١٧.

فيها رائحة التشيع إلا أن الشاعر كان متحفظاً في مضامينها وملتزماً بالثناء الصادق الذي لا يجنح كثيراً للمبالغات ولا ينال من الآخرين، ومع ذلك فالقصيدة تسير على وزن وقافية وروي القصيدة السابقة التي مدح بها المصطفى ﷺ وسنختار شيئاً من هذه القصيدة التي أوردها الجرموزي للهذلي ومنها قوله:

لا يخدع الناس عنكم ما ألمَّ بكم ... من كل أحمق غَدَّارٍ ومكَّار
فإنما هي إحدى الحسنيين لكم ... وللطغاة خلود بعد في النار
ما نالكم غير ما نال الكرام وهل ... بالقتل في الله لا بالناس، من عار
لم تبعثوا الحرب لا بغياً ولا طلبا ... لنيل ملك ولا تحصيل دينار
ولا غضبتم لغير الله آونة ... ولا طربتم إلى دَفٍّ ومزمار
بلى، نصحتم بني الأيام فاتهموا ... كفعلهم بأبي ذر وعمار
وغرَّتْ القوم دنياهم وما علموا ... بأنها ذات إقبالٍ، وإدبار
فإن تكن زهرة الدنيا وبهجتها ... جنابكم منهما يا سادتي عاري
فقد وعدتم بعقبى الدار وهي لكم ... بصبركم وهي تجزي كل صبّار
اخترتم الصوم عن دار الغرور فهل ... ترضون إلا على العقبى بإفطار
دراسة الوحي في الأسحار دأبكم ... والغير يشدو بألحانٍ، وأوتار
وأنتم الناس ليس الناس غيركمُ ... ما كل ما شِمْتَ من برق بمطّار[1]

قلت: وكم كنت أتمنى لو حقق لنا ابن أبي الرجال تاريخ ولادة علمنا: (الهذلي) وتاريخ وفاته؛ وإن كان قد منحنا بعض مفاتيح عن عصره الذي عاش فيه، حين أشار إلى أنه تعمر إلى زمن الإمام (عز الدين بن الحسن (٨٤٥- ٩٠٠هـ))، وأن الهذلي وجه إلى هذا الإمام بعض شعره، فأعطانا بذلك تأكيداً على أن شاعرنا من أعلام القرن التاسع الهجري، رحم الله العالم النحوي الشاعر علي بن يحيى الهذلي، ورحم الله ابن أبي الرجال، والجرموزي اللذين حفظا لنا ذكراه العطرة.

---

[1] تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار للمؤرخ المطهر بن محمد بن أحمد الجرموزي (١٠٠٣-١٠٧٦هـ) ج١ ص٥٢٤، دراسة وتحقيق عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، ط١، من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء ١٤٢٣هـ.

٣- العلامة الشاعر: محمد بن أحمد بن جناح الضمدي (٠٠٠-٠٠٠):

شاعر بليغ ومتكلم فصيح من شعراء المخلاف السليماني البارزين في القرن التاسع الهجري، أسرته أسرة علمية عريقة، والده الشاعر العلامة أحمد بن جناح الذي سبقت ترجمته ضمن أعلام القرن الثامن، و بلدته (ضمد) بلد العلم والعلماء، وشاعر مثل ابن جناح هذه بيئته التي نشأ فيها لابد أن يكون شاعراً متفوقاً، كما هو شأن شاعرنا (ابن جناح).

- وصفه الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله في اليمن بقوله : (ابن جناح عالم محقق في الفقه، شاعر وأديب) [1].

- وأشار إليه أبو داهش إشارة عابرة في كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني...) نقل فيها بإيجاز بعض ما ذكره عنه صاحب كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) فقال: (أما الشاعر محمد بن أحمد بن جناح الضمدي فقد قال عنه ابن أبي الرجال: ومما اتفق بين هذا العلامة وبين أهل زمانه من الشافعية في قضية البيع الذي يزاد في ثمن المبيع لأجَلْ، أشعار مرّت بنا أيام القراءة بصعدة ولم يبق عندي مما دار غير جواب هذا المنطيق ولعله خاتمة ما دار) [2].

- وفي كتابه: التأريخ الأدبي لمنطقة جازان بهامش الصفحة ٢٥٨ ترجم الأستاذ العقيلي للشاعر العلامة محمد بن أحمد بن جناح الضمدي ونقل كذلك بعض ما قاله عنه صاحب كتاب (مطلع البدور ومجمع البحور)، ومما نقله العقيلي عن ابن أبي الرجال قوله:(قال عنه ابن أبي الرجال هو من بيت بالفضل معمور ومن منار علا ظاهر غير مغمور، وكان هذا الفاضل لساناً متكلماً، كما هو منهاج أهله بل منهاج بلده (ضَمَدْ) فلله بلدة ضمد وما حوت من كرام وعمد)، ثم قال: (لم يذكر ابن أبي الرجال تأريخ ولادة ابن جناح ولا تأريخ وفاته ولا شيئاً من أخباره

---

[1] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٦.

[2] أهل تهامة المخلاف السليماني..... لأبي داهش ص٢٨٢.

وأحواله..، ولكن من مديحه ومن مدحهم يعرف أنه عاش في القرن التاسع)[1] ومما يؤسف له أن العقيلي في الصفحة نفسها (في أعلاها) قد نسب لابن جناح هذا قصيدة ابن قنبر في مدح بلدته: (ضمد) كما أسلفنا، ومعلوم أنها ليست من شعر ابن جناح والقصيدة نفسها أوردها ابن أبي الرجال في ص٢٦١ من الجزء الأول من كتابه: (مطلع البدور ومجمع البحور) ونسبها لأحمد بن قنبر مدح فيها بلدته (ضَمَدْ) وعنه نقل عاكش ومن أتى بعده ومطلعها:

ما ضمد يا صاح إلا جنة   وهل تساوي جنة جهنم

وهي قصيدة مشهورة في نسبتها لابن قنبر، وقد تناقلتها كثير من كتب تواريخ المنطقة، وأكدت نسبتها لابن قنبر.

- كما أن العقيلي في الصفحة التي تليها أورد مقطعاً من قصيدة أخرى تحت عنوان: (من مديح ابن جناح) ولم يذكر ممدوحه في هذا النص ولا المصدر الذي أخذ عنه هذه القصيدة، والغريب في الأمر أن هذا النص لم يذكره صاحب كتاب: (مطلع البدور) لا في ترجمته لأحمد بن جناح الأب في الجزء الأول ص٢٥٨- ٢٦٤ ولا في ترجمته لابنه محمد بن أحمد بن جناح في الجزء الرابع ص٢١٠-٢١٦ .. وهذه أبيات من تلك القصيدة التي أوردها العقيلي في تاريخه الأدبي منسوبة لمحمد ابن جناح الضمدي:

أقم ركن هذا الدين بعد انطماسه   فأنت إمام الحق وابن إمامه
وحُلْ بين ذيْ الإفساد يا شرف الهدى   بألفاظك الفصحى، وبَيِّنْ مرامه
فأنت الذي فاق البرية علمه   وفاقهمُ في نثره ونظامه
شُجاعٌ جَوادٌ، أريَحيٌّ، مُهذبٌ   أنار لنا نهج الهدى في ظلامه
كليث الشرى، إن كرَّ في حومة الوغى   وكالبدر بادٍ ناسخاً لظلامه

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٥٨ .

إذا صال في الأموال لـم يبـق باقيـاً   ولاسيما إن صـال عنـد ابتـسامه[1]

وعن انتماء محمد بن أحمد بن جناح لأعلام القرن التاسـع فلابـد مـن الإشارة إلى أنه ما دام أن والده: (أحمد بن جناح) قد ظل على قيد الحياة حتـى أواخر القرن الثامن حيث تؤكد المصادر بأنه قد عاش في أيام الإمام صلاح الدين المتوفى سنة ٧٩٣هـ وأنه مدحه، فيغلب على الظن بأن شاعرنا محمد بن أحمد بن جناح الضمدي من أعلام القرن التاسع وشعرائه بالمخلاف السليماني.

قال عنه العلامة: أحمد بن أبي الرجال في كتابه:(مطلع البدور ومجمع البحور): (العلامة البليغ المفوه بدر الدين محمد بن أحمد بن جناح الضمدي .. هـو مـن بيت بالفضل معمور.. وفيهم الأعقاب والبقية الصالحة.....) إلى أن قال: (كـان هذا الفاضل لساناً متكلماً كما هو منهاج أهله بل منهاج بلده فلله بلدة ضَمَدْ، ومـا حوت من كرام وعُمَدْ)[2] ثم أشار إلى حوار علمي فقهي حصل بين علمنا وبعض علماء وقته حول بعض القضايا الفقهية القديمة الجديدة فقال: (اتفق بـين هـذا العلامة وبين بعض علماء زمانه في البيع الذي يزاد فـي ثمـن المبيـع لأَجَـلْ (النّسيّة) أشعار، وقد أجابهم شعراً فقال من قصيدة طويلة [3] سأختار فيمـا يلـي بعضاً منها حيث يقول:

أجـاب علـى مقالتنـا القويـة   بتحـريم الزيـادة فـي النـسيّة
أنـاس حـاولوا نيـل الثريـا   وطمـس شـموس مـذهبنا المـضية
فمـن جـازان جـاء إلـيَّ نظـم   ونظـم مـن زبيـد الـشافعية
ونثر مـن (أبـي دنقـور) [4] وافـى   لنـشر سـلوك مـذهبنا البهيـة
فكـان جوابنـا عـن ذا، وعـن ذا   بمـا يـشفي النفـوس اللوذعيـة

---

[1] المصدر السابق ج١ ص٢٥٩

[2] مطلع البدور ومجمع البحور ج٤ ص٢١٠

[3] المصدر السابق.

[4] أبو دنقور: بلدة مندثرة تقع قريباً من مدينة صبيا الحالية

بنثـر يسلب الألباب حسناً ونظم كالعقود العسجدية
فنظم زبيد دلَّ على وقار لناظمه وجودة ألمعية
ولكن شاب صافيه وعفَّى محاسنه التعصب والحمية
أتى بأدلة لم تُجْدِ فيما يروم ولا أفادت في القضية

إلى أن قال:

إخالك لم تكن يا ذا المعالي بدارٍ ما أدلتنا الجلية
ولم تعلم بقول الله فيها وقول نبيه خير البرية
فقد قال الإله بغير شك دعوا هذا الربا وذروا النسية
وقال رؤوس أموال خذوها وخلّوا الظلم ظلم الجاهلية
وقال بأن آكله صريعاً يقوم كذا جنون بالسوية
وقال نبيكم وأجل قول لمتبع مدى الدنيا نبيه
دعوا هذي الكبائر وهي سبع وعدد ذا الربا في ذي الخطية
كذاك أتى ابن مسعود بلعن لمن يعطي الربا ولذي العطية
وشبه أحمد فعل المُرَابي بناكحِ أمه بين البريّة
وأخبار مبينة، وفي ذا شفاء نفوس أفئدة صديّة

ومضى في القصيدة يعدد البراهين حتى قال:

وكل تحايل فيه انتهاب فدعه، فهو من حيل رديه
وكل تحايل فيه رضاء لربك فهو من حيل زكية
فما حيل الربا إلا انتهاب لأموال الخلائق بل أذية
فخذ عني (رضيَّ الدين) نظماً أجبت به نظامك عن روية
وكان جوابنا بالنثر قدماً بألفاظ عذابٍ سلسلية
ونظم لابن (جوفر) ذي عيوبٍ يجانبها ذوو الهمم العلية
فأبلغه السلام، وناد جهراً عليه عشرتَ سبعاً (جوفرية)[1]

---

[1] بتصرف عن كتاب مطلع البدور ومجمع البحور ج٤ ص٢١٠-٢١٦

وبعد أن يعدد عثرات مخالفه (السبع)، ويطالبه بالتوبة، ويفصل له الرد حسب مذهبه ورأيه، يعود فينتقد نظم منافسه لغوياً، وأسلوبياً، مؤكداً بذلك تمكنه وعلو كعبه في مجالات علوم اللغة وآدابها، ثم يصفي حساباته مع (جوفر) هذا بردود شديدة اللهجة سنتجاوز بعضها، ونختار منها قوله:

ولفظاً قلته غثاً ركيكاً ... يدل على غفولك في القضية

نظرنا في الكتاب (كتاب عمرو) ... وطالعنا الطروس (الأصمعية)

(وبالتسهيل) كان لنا احتفال ... فلم نجد الكفية والرضية[1]

والقصيدة طويلة جدا تتجاوز أبياتها المائة اكتفيت بما اخترته منها ليدلل على قوة شاعرية ابن جناح حتى وإن أتى بأسلوب النظم (نظم المتون)، وهذا النظم مع الأبيات السابقة التي نقلناها عن العقيلي حتى وإن كانت وثيقة الصلة بشعر العلماء ونظمهم إلا أنها توضح تمكن شاعرنا محمد بن أحمد بن جناح الضمدي من لغة الشعر وعمود الشعر وسنامه وأن هذا غيض من فيض فأين ذلك الفيض؟، سنظل ننتظره ونرجوا ألا يطول انتظارنا.

رحم الله علمنا (محمد بن أحمد بن جناح الضمدي) المقبور بالجامع المسمى باسمه: (مسجد جناح في صنعاء) [2].

---

[1] المصدر والصفحات السابقة، ومعلوم أن شاعرنا قد أشار في هذه الأبيات إلى أسماء بعض أعلام اللغة والأدب وأسماء بعض مصنفاتهم.

[2] مجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد الحجري تحقيق : إسماعيل الأكوع ج١ ص١٩٢ مكتبة الإرشاد بصنعاء ط٣ ١٤٢٥هـ

شعراء المخلاف السليماني

في القرن العاشر الهجري:

توطئه:

إذا كانت مصادر التأريخ والأدب قد شحّت علينا في القرون الهجرية السابقة: (الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع) وضنت بالوفير من ثمارها ولم تعطنا إلا اسماً واحداً أو اسمين أو ثلاثة من أعلام شعراء المخلاف السليماني خلال كل قرن من تلك القرون، فقد بدأتْ أخلافها في القرن العاشر الهجري وما تلاه تدرُّ علينا جواهراً، وسماواتها تمطر علينا كوثراً، فمنحتنا أعدادا وفيرة من الشعراء وإن لم تكن مستوياتهم الفنية متقاربة ، ولكننا ظفرنا بأعلام وشعراء لهم صيتهم وإبداعاتهم مما ضاعف مسئوليتي، وأصبحت مهمتي في الاختيار أصعب .. ووسيلتي إلى الانتقاء أقرب ومع ذلك فهو اجتهاد لا أزكيه وجهد متواضع أدعيه بشرف:

ولكنه جهد المقل ومن سعى مقلاً فأعطى الجهد لم يخش لائماً

ففي القرن العاشر الذي نحن بصدده الآن نجد بأن المصادر قد نقلت لنا أسماء كوكبة كبيرة من الشعراء الأعلام الذين هم في الأصل علماء كبار، ونقلت لنا تلك المصادر شيئا من شعرهم المتفاوت كما وكيفا الأمر الذي يجعلنا أمام تلك الأسماء وإبداعاتها نتلمس أيسر السبل للتعريف بها وبنتاجها، وسوف أحاول التعامل مع سيرهم وإبداعاتهم حسب خطة سيرنا مع من سبقهم من شعراء القرون السابقة مرتبين حسب حروف الهجاء، محاولا بسط القول في شاعر أو شاعرين منهم،غير باخس لبقية الأعلام حقهم في التعريف بهم وبشعرهم حسبما أمدتنا به تلك المصادر عنهم، وهم:

١ـ العلامة الشاعر: أحمد بن علي المعافى (... - ٩٩٩هـ)

٢ - العلامة الشاعر: أحمد بن قُنْبر الضمدي (... - ...)

٣ - العلامة الشاعر: أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (٠٠٠-٩٦٢)هـ

٤- الشاعر الكبير: الجراح بن شاجر الذروي (... - ...)

١- العلامة الشاعر: جمال الدين المقبول بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي(...-٩٤٩هـ)

٢- العلامة الشاعر: الحسن بن أحمد النعمان الضمدي (...-...)

٧- العلامة الشاعر : علي بن صديق الحكمي (... - ٩٦٩هـ)

٨-العلامة الشاعر: عمر بن عبد القادر بن محمد بن صديق بن الدهل الحكمي (٩٥٣-٩٩٩هـ)

٩- العلامة الشاعر: محمد بن أحمد النعمان الضمدي(...-٩٩٩هـ)

١٠- العلامة الشاعر:محمد بن الحسن بن عبد الرحمن النعمي(...-٩٩٩هـ)

١١-العلامة الشاعر : محمد بن صديق الحكمي (٩٢٣- ٩٧٧هـ)

١٢- العلامة الشاعر: محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣ - ٩٩٠هـ)

وفي الصفحات التالية سوف أتحدث عن هؤلاء الشعراء، حسبما تمدني به المصادر، على أنني سأبسط القول في شاعر منهم أو شاعرين، ليس لأن مجال القول فيهما واسع دون غيرهما؛ ولكن تحقيقا لمبدأ الاختصار الذي سأحاوله مع غالبية الشعراء الذين سألقي عليهم بعض الأضواء، آملا أن أحقق شيئا من التعريف بهم، يعطي للقارئ صورة مصغرة عنهم وعن عصرهم- قدر الإمكان-، وفي الصفحات التالية، سيجد القارئ تراجم لهؤلاء الأعلام من شعراء القرن العاشر، مع نماذج من شعرهم..

١- العلامة الشاعر: أحمد بن علي المعافى: (٠٠٠ - ٩٩٩هـ):

أحد أعلام أسرة آل المعافا [١] الهاشمية الشهيرة، وأحد أعلام وشعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري، وهو أحد تلامذة العلامة: (محمد بن علي بن عمر الضمدي) البارزين، وأحد الشعراء المحظوظين الذين تحدث عنهم وعن شعرهم عدد من المؤرخين، وكتاب التراجم وأفاضوا عن علمهم وفضلهم وشعرهم، فقد تحدث عن علمنا (المعافا) العلامة عبد الله بن علي النعمان الضمدي في كتابه الموسوعي المخطوط: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) ... تحدث عنه طويلاً، وذكر بعض شعره، ومما قاله عنه: (كان عالماً فصيحاً أديباً مفوهاً، مارس وظيفة القضاء احتساباً في وادي صبياء، وكان يتحرى العدل، ويستقصي الإنصاف بين الخصوم، فحمدت سيرته).. إلى أن قال: (وله نظم عجيب، وأشعار رائقة، لو جمعت أشعاره لجاءت في مجلد ضخم) [٢]. وترجم له ابن أبي الرجال ترجمة ضافية، ومما قاله عنه: (السيد العلامة: أحمد بن علي المعافى الحسني.... كان سيداً عالماً من عيون وقته، وراسله بعض العلماء، وكان هذا السيد من تلامذة العلامة: (محمد بن علي بن عمر الضمدي) رحمهم الله، وله شعر حسن، من ذلك ما أنشده في مدح الإمام شرف الدين ......) [٣].

---

[١] أسرة آل المعافى: أسرة علمية هاشمية عريقة من أسر المخلاف السليماني المعروفة، ويسكنون بضمد، وصبياء، والظبية، والجمالة، والبديع، وأبو عريش وغيرها من مدن وقرى المخلاف السليماني (جازان) ويتفرع من هذه الأسرة بطون وأسر كثيرة برز منها علماء كثيرون وقضاة كبار، من أشهرهم علمنا: أحمد بن علي المعافى (...-٩٩٩هـ) والعلامة الشاعر: أحمد بن محمد الضحوي المعافى (١٢٣٣-١٢٨٠هـ) وابنه الشاعر: علي بن أحمد الضحوي المعافى (١٢٦٦-١٢٨٦هـ) والعلامة: محمد بن علي بن حسين المعافى (....-١٢٥١هـ) والعلامة: يحيى بن علي بن يحيى المعافى (١٣٥٤-١٤٢٢هـ) وغيرهم من العلماء. انظر عن هذه الأسرة الكريمة: كشف النقاب لأحمد الحازمي، ونبذة تاريخية عن التعليم لحجاب الحازمي وغيرهما.

[٢] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني لعبد الله بن علي النعمان مخطوط الورقة ٣٢٧، .. وانظر التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٦٠

[٣] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج١ ص٣٧٠، والإمام شرف الدين: هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الحسني، يقال أنه اشتهر بالاسمين شرف الدين ويحيى، ولد سنة (٨٧٧- ٩٦٥هـ)، ترجم له الشوكاني والواسعي وزبارة والزركلي-

وهي قصيدة طويلة اخترت منها قوله:

تلألأ الأفق نــوراً وازدهــى طربــاً ... وماس في حلــل منــشورة عجبــا
وطاب هذا الزمان الغــض منظــره ... للمسلمين وراقــت عيــشة الأدبــا
وفاقت الأرض فخراً بالــذي لبــست ... من التفاخر حتــى طالــت الــشهبا
وافترّ عن لؤلؤ رطب وعــن بــرد ... ثغر الخلافة حتــى ضــاء والتهبــا
وجرت الحور أذيال السرور ضــحىً ... ولم تؤدّ مــن الأفــراح مــا وجبــا
فلا أثــام علــى بيــضا إذا بــرزت ... ولا جنــاح علــى حبــر إذا لعبــا
إن كان فيما مضى من دهرنا عجب ... للــسالفين فقــد ردّ الــذي ذهبــا
بأعظم الخلق طــراً منــصباً وعــلا ... وأشرف الناس جداً فاضلاً وأبــا[1]

وكان قد نقل عنه النعمان في الورقه ١٨٦ كلاما جميلا عجيبا سرده المعافى عن شيخه (أبو الحسن البكري الصديقي المصري) المجاور بمكة المكرمة (٠٠٠- ٩٥٢) حيث قال المعافى: (جاورت بمكة في بدايتي وطلب العلم والشغف بالعلماء وصادف ذلك مجاورة الشيخ أبي بكر حسن البكري فكنت كثير التردد إليه) [2].

- كما ترجم للمعافى الحسن بن أحمد عاكش فقال: (السيد العلامة، والبحر الفهامة (أحمد بن علي بن قاسم بن حسين المعافا) أحد الأئمة العلماء الفطاحل الأدباء، وقد تتلمذ على سيدي جد آبائي القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي) [3].

ـي الحبشي، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ وفي أيامه دخل (الجراكسة) اليمن ثم الأتراك. له مؤلفات كثيرة، منها: (قصص في مدح وذكر معجزات سيد الخلق) و (الأثمار في فقه الأئمة الأطهار) توفي سنة ٩٦٥ هـ بظفير حجة، انظر ترجمة البدر الطالع للشوكاني ج١ ص٢٧٨ ، وترجمة الأعلام للزركلي ج٨ ص١٥٠، ومصادر الفكر للحبشي ص٦٥٦ _ ٦٥٩، والروض الأغن ج٣، ص١٦٦، وفي إحدى هوامش ص٦٤ من كتاب: (تاريخ اليمن) المسمى: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى لعبد الله بن الوزير.

(١) مطلع البدور ج١ ص٣٧٠.

(٢) العقيق اليماني الورقه ١٨٦.

(٣) إتحاف السادة الأشراف سكان قرى وهجر المخلاف للحسن بن أحمد عاكش (مخطوط في الأنساب) صورة لدى الباحث عن نسخة مصورة من الأصل الموجودة بجامع صنعاء بدون رقم وتاريخ نسخها١٢٨٥هـ (انظر الورقة ٩).

- أما عبد الله أبو داهش فقد قال عن العلامة المعافى: (كان الشاعر شمس الدين أحمد بن علي المعافى الحسني كثير الرحلة والضرب في الآفاق). [1]

- وترجمه محمد بن أحمد العقيلي فقال عنه: (العلامة أحمد بن علـــي المعافــا العلوي، شخصية من أبرز شخصيات المخلاف السليماني فضلاً وعلمـــاً ونباهـــة، تجاوزت شهرته المخلاف السليماني إلى اليمن والحجاز، فكانت علاقاته العلميــة والأدبية والسياسية بأمراء وعلماء تلك الجهات، وقد نوه وأشاد بذكره غير واحد من المؤرخين أمثال: العلامة عبدالله بن علي النعمـــان صـــاحب كتـــاب العقيـــق اليماني، والعلامة محمد حيدر القبي صاحب الجـــواهر اللطـــاف) إلــــى أن قـــال العقيلي: (ولد علامتنا الجليل (المعافى) فــــي قرية (الراكب) على وادي صـــبيا وتلقى تعليمه فـــي وطنه وفـــي غيره، وعندما استكمل التحصيل قـــام بوظيفـــة القضاء احتساباً بوادي صبيا، وكان يتحرى العدل والإنصاف بين الخصوم، فحُمدت سيرته...) وبعد أن أفاض العقيلي فـــي ترجمة المعافى أورد له مختـــارات فـــي كتابه الموسوعي:(التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) من ثلاث قصائد: إحداها نقـــلاً عن كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) وهي التي ســـبق أن ذكـــرت بعـــض أبياتها ومطلعها:

تلألأ الأفق نوراً وازدهى طربـــاً   وماس في حلل منشورة عجبـــا [2]

والقصيدة الثانية نقلها مع الرد عليها من كتاب: (العقيق اليماني) للنعمان حيث وجهها لشيخه محمد بن علي بن عمر يشكو له بعض الأحوال فـــرد عليـــه شيخه بأبيات شعرية مماثلة، وهي قصيدة مشهورة، يقول العلامة المعافـــا فـــي الشطر الأول من مطلعها:

اســـــتقرت بـــــآل حـــــازم داري   ....[3]

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٣٠٨.

[2] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٦٠ ، ٢٦١

[3] المصدر السابق ص٢٦٩ ، ٣٣٨

والقصيدة الثالثة نقلاً عن (العقيق اليماني) أيضاً وهي في وصف ليلة ماطرة حيث يقول النعمان: (وقال المعافى عن ليلة بداية خريف الجمعة)، ثم أورد تلك القصيدة التي سأختار بعض أبياتها قبل أن أختم كلامي عن علمنا المعافى.

وبالجملة فعلمنا شاعرٌ وعالم كما أجمع على ذلك مترجموه وإن لم يصلنا من شعره إلا هذه المقطوعات الثلاث التي تؤكد متانة لغته الشعرية.. وجودة عبارته.. ولعل الأيام القادمة تتحفنا بشيء من شعره المفقود.

أما القصيدة التي ذكرها صاحب العقيق اليماني وأشار إلى مناسبتها فهي التي نظمها شاعرنا في وصف ليلة ماطرة وأرخها صاحب كتاب العقيق اليماني بـ (بداية خريف الجمعة) فإن شاعرنا المعافا يقول في بعض أبياتها:

حبذا ليلة بنا سَرّاءُ	في ربيع جادت به الأنواء
ليلة الجمعة التي هي عشر	بعد عشر منه حساب سواء
ثالث (الزبرة) التي عظمت فيها	علينا من ربنا النعماء
بسط الخير جاء تاريخها فا	حفظه إن كان فيك ذكاء [1]

ومع أن هذه الأبيات أقرب إلى نظم العلماء منها إلى شعر الوصف إلا أنها سجلت حدثاً تأريخياً حظي باهتمام مواطنيه ومعاصريه من المؤرخين، وهذه المقطوعة أشار إليها أيضاً صاحب اللطائف السنية وتحدث عن صاحبها العلامة الشاعر (أحمد بن علي المعافا) وذلك خلال حديثه عن وفيات سنة (٩٩٩هـ)، حيث ذكر نبذة مختصرة عن حياة علمنا ثم ذكر بعض أبيات من هذه المقطوعة، ومما قاله عن علمنا المعافا بأنه: (تولى القضاء بجهة الصلاحية مدة طويلة حتى

---

[1] العقيق اليماني الورقة ٢٦٣وانظر ص٦٩ من كتابنا نبذة تاريخية عن التعليم.

لقي الله تعالى وكان يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم) ثم ذكر شيئاً من قصيدته تلك التي قالها بمناسبة (خريف الجمعة) [1].

رحم الله علمنا المعافا وهيأ لنا العثور على مزيد من شعره الـذي أشـار بعض من ترجم له إلى كثرته.

[1] اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لإسماعيل الكبسي ص٢٨٠.

٢- العلامة الشاعر: أحمد بن قُنبر الضمدي (••• - •••):

شاعر معتز في شعره بانتمائه إلى المخلاف السليماني بصفة عامة؛ حيث تصافحك في شعره أسماء مدنه، وقراه، بل وأشجاره وأزهاره، كما في أغلب القصائد التي وصلتنا من شعر ابن قنبر والتي تفوح في أبياتها عطور الخزامى والحوذان، والشيح والبان والريحان، وابن قنبر إلى جانب انتمائه القوي الى المخلاف السليماني الذي ربما بلغ به إلى حد المباهاة، نجده يعتز كذلك بانتمائه إلى بلدته: (ضَمَد) فتراه يذكرها في معظم قصائده بل يخصها بقصيدة مدح يفردها لها.. إنه الشاعر:

(أحمد بن قنبر الضمدي) صاحب القصيدة المشهورة ذات المطلع:

ما ضمد يا صاح إلا جنة — وهل تساوي جنة جهنم

ومع شهرة هذه القصيدة وشهرة صاحبها المنسوبة إليه فلم تذكر المصادر التي تحدثت عنه وعن قصيدته شيئاً عن تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته، ولا عن موطنه، وكأنه توقع ذلك الأمر فكانت قصائده في مديح أمير المخلاف السليماني في الربع الأول من القرن العاشر الأمير: (المهدي القطبي)[1] وثيقة لمشاركته شعراء القرن العاشر في العطاء الشعري، وإثباتا لانتمائه للمخلاف السليماني الذي كان صداه يتردد في تلك النصوص، كما أثبت ضمديته في عدد من النصوص التي أكدت مخلافيته، وذلك من خلال حديثه عن نفسه في ثنايا القصائد التي وصلت إلينا من شعره، والتي لا تخلو من ذكر موطنه: (ضمد) حتى لقد خصها ابن قنبر بنص شعري جميل أورد ابن أبي الرجال شيئاً منه بعد ثناء كبير على

---

[1] هو الإمام المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين القطبي، أمير المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري، قال عنه النمازي (كان ملكاً نبيلاً وفارساً شجاعاً) اشتهر بالشجاعة والكرم، امتدحه عدد من الشعراء، منهم: الجراح بن شاجر الذروي، والشاعر أحمد بن قنبر والشاعر اليمني (الهبي) وغيرهم، توفي سنة ٩٢٥ هـ، انظر ترجمته في كتاب تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٢٦٣. وفي كتاب الفضل المزيد في تاريخ زبيد لابن الديبع ص٣١٤،٣٨١، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية للكبسي ص١٤٤، الأعلام للزركلي ج٧ص٣١٢، العقيق اليماني مخطوط الورقة١٧٢ ،ومخطوطة خلاصة السلاف النمازي الورقة١٥ وغيرهما.

هذه البلدة وعلمائها وساكنيها قائلاً: (ومن شعر ابن قنبر في بلدة (ضمد) وكان من علمائها وفصحائها، وله قصائد سحّارة ومنها قوله من المنسرح:

ما ضمد يا صاح إلا جنة ... وهل تساوي جنة جهنم
نسيمها وتربها من عنبر ... وماؤها الكوثر عذب شبم
إذا تغنّى سحراً قمريُّها ... أيقظ فيها من نيام نَغَمُ
وإن تلا الأسحار في مسجدها ... تالٍ، به عنك يزول السقم
لا يهتكون حرمة الجار ولا ... يعرف عيب منهم وفيهم [1]

وإذا كان الجميع قد اكتفوا بإشارة أحمد بن أبي الرجال إلى هذا الشاعر الفذ وبهذه الخمسة الأبيات التي قالها ابن قنبر في مدح بلدته (ضمد) ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن حياته، أو عن شيء من شعره، فإن الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي قد أضاف إلى هذه الإشارة علامات تضيء بعض مسارات حياة وشعر هذا الشاعر، فقد وجد له نصوصاً مخطوطة جاءت ذيلاً لمخطوطة ديوان معاصره الشاعر:(الجراح بن شاجر الذروي) فأتحفنا بها، ونشرها ضمن مختارات كتابه الموسوعي: (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان)، وهي نصوص شعرية طويلة وجميلة، قالها الشاعر ابن قنبر في مدح أمير المخلاف السليماني: (المهدي القطبي)، ومع قلة عددها إلا أن كل قصيدة تمثل قصائد كثيرة، وتحتشد بمعان وأغراض متعددة، فهي (قصائد سحّارة) حقاً كما وصف شعره ابن أبي الرجال، جاءت لتؤكد شاعريته، ومخلافيته، وضَمَدِيَّتَهُ، وأنه من أعلام شعراء

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج١ ص٢٦١ وانظر هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١١ (ونبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير لحجاب الحازمي ص٢٣، وأهل تهامة المخلاف السليماني... لعبد الله أبو داهش ص٣٠٦ وانظر ص٤١ ، ٤٢ من كتاب: (منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد) للعلامة أحمد بن حسن عاكش تحقيق الأستاذ: محمد محسن ديباجي من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ : والغريب أن العقيلي قد نسبها إلى محمد بن أحمد بن جناح الضمدي ولعله وقع في هذا اللبس لأن صاحب مطلع البدور حشر ابن قنبر ونصه هذا أثناء ترجمته لأحمد بن جناح انظر ص٢٦١ من مطلع البدور، وانظر ص٢٥٨ من كتاب: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١.

القرن العاشر الهجريّ المزدحم بفطاحل العلماء والأدباء والشعراء، هـذا العـصر (الذي يعد من أكثر القرون خصوبة بيانية، وعطاء أدبياً، ونمـواً وتوسـعاً فـي الحركة الثقافية والفكرية والمعرفية بالمخلاف السليماني)[1].

وفي السطور الآتية سأختار من شعر ابن قنبر إحدى تلك القصائد الرنانة التي مدح بها الأمير المهدي بن أحمد القطبي، والتي يستعرض فيها ثقافته الدينية والتأريخية والاجتماعية، ويؤكد شاعريته المتدفقة، حيث يقول فيها:

والله مـــالي بكـــمُ بـــديل ... ولا ثنـــاني عـــنكمُ العـــذول
وإن قلبـــي بكـــمُ لمولـــعٌ ... والجـسم منـــي ذابـلٌ نحيـلُ
ما زار جفني النوم مـذ فـارقتكم ... ولا بكحـــلِ دَارَ فيـــه ميـْـلُ
ولم يذق ما ذقتـه مـن الهـوى ... قبلـــي مـــن بثينـــة جميـــل
إنـــي لصـب قـلبـــه مقلـب ... علـى اللظـى وجـسمه عليـل
يـا سـادتي والله مـا عـدلتمُ ... ظلمـاً فـصبري بكـمُ جميـل
بقلبه عـن جـسمه قـد رحلـت ... مـن (ضَـمَدَ) إلـيكمُ الحُمـول
بيـضاء بـدر الـتم فـي نقابهـا ... إذا بـدت، وطرفهـا كحيـل
والشمس في عيونهـا طالعـة ... وحجبهـا فـي كبـدي حلـول
في ثغرها العـين التـي مزاجهـا ... مـسك وكـافور وزنجبيـل
وريقهـا يَقْلِبُــهُ إبريقهـا ... فهو كما قد قيـل سلـسبيـل
الـردف منهـا كالكثيـب عـالج ... والخـصر فيـه طوقهـا يجـول
وجـسمها مـن طـرف تحـسبه ... فـي حيثمـا تنظـره يـسيل
من شعرهـا الليل يغـار والقنـا ... مـن قدهـا وخدهـا أسـيل
ما أحد نـمَّ بهـا مـن الـورى ... هنـاك إلا الطيـب والحجـول
وليلـة رأت بهـا محبهـا ... فـي خفيـة والرقبـا غفـول
وجنـة عاليـة قطوفهـا ... دانيـة وظلهـا ظليـل

---

[1] التاريخ الأدبي بمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٢٥.

وقاصرات الطـرف كـل سـاعة   لهـا إلينـا والرضـا وصـول

والشاعر (ابن قنبر) كما رأينا يسير في هذه الأبيات على سنن الشعراء السابقين فيطيل في التشبيب حتى يصل إلى وصف نياقه وربط نسبها بأعرق سفن الصحراء العربية (عزيز، وجديل، وشدقم):

من كل بكر من (عزيز) عمه   وجده من أمه (جديل) [1]

إلى أن يصل إلى الممدوح فيقول:

من سيدي (المهدي) الذي بكفـه   اليمنى (فُرَاتٌ) واليسار (نِيْـلُ)
هذا الجواد ابـن الجـواد والـذي   لكـل مـن يـسأله يُنيـل
(مَهدِيٍّ عيسى) من علـى دولتـه   أجمعـت الأغـوار والـسهول
تـأزر الملـك صـبياً وارتـدى   فجـوده وملكـه أصـيل
مع أنـه فـي كـل أمـر صـالح   وسـيفه مـن الحيـا صـقيل
مـا بـارز الأقـران إلا وانثنـى   ومـنهم المجـروح والقتيـل
صفـوا له هنـاك فـي وطيسهـم   كـأنهـم من جـهلهـم قبيـل
مـا لبثـوا إلا يسيـرا واستـوى   دقيقهـم فـي الخـوف والجليـل
فأصبحوا فوق الثرى صرعى معـا   والحـي منهـم قلبـه مهـول
وقـد أتـاهم أسـدٌ مـن تحتـه   سِـيْدٌ لـه سـرج الجـواد غيـلُ
نور الهدى جمّ الندى حتف العـدى   مردي الصدى ليس لـه مثيـل [2]

ويستمر في هذه الأنغام الراقصة بهذه اللغة الراقية والعبارات المنغمـة : (نور الهدى) (جم الندى) (حتف العدى) مستعذباً هذه الغنائية إلى أن يـصل إلـى تهنئته بالنصر فيقول:

---

[1] جديل وشدقم: أسماء لفحلين من الخيول العربية الأصيلة يضرب بهما المثل في الفروسية والنجابة كانا للنعمـان بن المنذر ملك (الحيرة) في أيامه قبل الإسلام.

[2] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١، ص٢٤١ ، ٢٤٣

هنّيت بالنصر الذي قد نلته ولم تنله قبلك الأصول
ودولة سعيدة (قُطْبِيَّة) تزول أعداكَ ولا تزول
ولاّكها الله، وأنت أهلها لا تنثني عنك ولا تحول
فأنت يا (مهديّ عيسى) خلف لكل ما يفعله، فعول [1]

وهذه القصيدة التي أثبتها العقيلي في (التأريخ الأدبي) لمنطقة جازان طويلة، تزيد أبياتها عن الستين بيتاً، وتجري كلها على هذا النغم المتدفق الجميل، وقد ختمها بالدعاء قائلاً:

بقيت ملكاً ما شدى الورق وما جاء بها هنالك الهديل

وفي النص الثاني يمدح ابن قنبر (المهدي) أيضاً فيأتي بالوزن نفسه، والنفس الشعري ذاته، فلا يختلف إلا الرويّ، بل إننا نجده في هذه القصيدة يسلك درجات السلم الذي صعد عليه في النص السابق إلى الممدوح من: (وصف للمكان أو الأمكنة، بكثبانها، وناسها، وأزهار رياضها، ومجالس أنسها، وما فيها من لهو وطرب، وروح وراح وحسان، ولا ينسى بلدته (ضمد)، بل وحتى بعض قراها آنذاك كالقرية: (حَضْران) التي تساءل عنها وعن بانها، ثم عرج على بلدة الممدوح: (جازان) (وهي غير جازان الحالية؛ إنها جازان العليا المندثرة) الواقعة في الشمال الشرقي لبلدة أبي عريش، وبعد ترحال طويل يصل إلى الممدوح حيث يقول في هذه القصيدة:

هذا الحمى والمنحنى وبانه معانقاً حوذانه ريحانه
وذا الكثيب الفرد من طويلع تأوي إلى أساده غزلانه
من كل ليث وغزال حسن قد خجلت من حسنه حسانه
ما ضاحك الأزهار إلا وبكت على الذي مرّ الحيا أعيانه

---

[1] المصدر نفسه ص٢٤٠ ، ٢٤٤

وما تغنى الطير إلا سلبت — قلوب من تسمعه ألحانه
عروس روض للهوى تعانقا — بالمنحنى، بشامه، وبانه
والترب قد صافحه نسيمها — تزاوجت منه به أغصانه

وبعد أن يشارك الحمى وناسه، والمنحنى وبانه، والكثبان ورياضها أعراس لقاءاتها، ويصف عناق الحوذان والريحان والبشام في تلك الأعراس ينتقل إلى وصف مجلس الأنس، وناسه وأدواته ومفرداته، فيقول:

ومجلس السلوان فيه قد سرى — منه إلى كل الورى سلوانه
والعود قد نمّ به عرفٌ بها — سماء طيب في الهوى دخانه

ثم يعود بعد كل هذا إلى الأماني العذاب، في شوق جارف لأماكن ذكرياته، ومرابع صباه، فيعود به الحنين ليسهب في وصف معاناته، حيث يقول متحسراً ومتحنّناً:

فليت شعري والأماني ظلة — يعود من عصر الصبا ريعانه
والعهد من (حضراته) مخضرة — باناته، يا حبذا (حضراته)
لمغرم ما اكتحلت من وجده — بميل كحل وكرى أجفانه
ولا سلى قلبي ولا سلوانه — وقد نأى بنعمة نعمانه

ثم يستمر في حنينه وتشكّيه إلى أن يصل بشعره المتدفق إلى ممدوحه (المهدي) فيقول:

وقائل: هل لك في نيل المنى — قلت: نعم! فقال: ذا أوآنه
أعمل، وجب، من كل محبوك العرى — بحر، فلا توثقه أرسانه
كأنه من (ضمد) إذا انبرى — برق سرى في الجو أو عقيانه
حتى نرى من جبل عالي الذرى — ضوء القرى مسعرة نيرانه
من ساحة (المهدي) الذي فاق الورى — وعمهم بفضله إحسانه

(جازانـــــه) كأنـــــه أم القـــرى   يهــوي إليـــه، إنـــسُهُ، وجانُـــهُ
بـــه يطـــوف آمنـــاً رجالـــه   فـــي كـــل حـــين، وكـــذا ركبانـــه
يـــود إن مُـــدَّ بـــه، أنَّ بنـــي   الـــدنيا معـــاً، جمـــيعهم، ضـــيفانه
منـــه الـــصّلاتُ: كالـــصّلاةِ لـــم يـــزل   يـــدعو إليهـــا دائمـــاً أذانـــه
خـــزائن المهـــدي ســـليل أحمـــد   قـــد أنفقتهـــا للـــورى خُزّانـــه
جَـــزَارُهُ: دَاميـــةٌ شِـــفَارُهُ   يجلـــو صـــداها أبـــداً ســـمانه [1]

ومع ما في هذه القصيدة من استخدامٍ متوازن للمحسنات البديعية، إلا أنها لم تستطع حجب جمال الكناية التي حفل بها الشطر الأول مـــن البيـــت الأخيـــر: (جزاره دامية شفاره)؛ فهي صورة شعرية ينثرها جمال الكناية التـــي تكاملـــت روعتها فـــي الشطر الثاني: (يجلو صداها أبداً سمانه)، ويستمر شاعرنا فـــي هذا النغم الراقص، ينتقل بنا بين المغاني الجميلة التي اختارها الشاعر لحنينـــه، وذكريات صباباته، ولهوه وجِدّه، حتى إذا ما وصل إلى الممدوح أسبغ عليه مـــن الثناء الصادق ما هو أهله، وهذه القصيدة طويلـــة كـــسابقتها، تجـــاوزت أبيـــات الموجود منها خمسة وثلاثين بيتاً، تنقل بنا خلالها الشاعر بين الدمن والريـــاض، وعاج على معاهده التي يحن إليها كقرية: (حَضْرَان) تلك القريـــة أو الحـــي أو الدمنة المندثرة التي سبقه في السؤال عنها، والحنين إليهـــا، شـــاعر المخـــلاف السليماني الكبير في القرن السابع الهجري: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي) حين قال:

حدّثت عن ساكني الوادي فما فطنت   من بعدنا سرحة الوادي وما فعـــلا
وكيف حيّ (بحضران) عهـــدتهُمُ   ومن أقام به بعدي ومن رحـــلا [2]

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٤٥ ، ٢٤٦

[2] انظر كتابنا: (القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره) ص٢٩١.

وهذا الحي: (حضران) من القرى القريبة جداً من بلدة ضـمد أو هـي إحدى ضواحيها التي ظلت عامرة معمورة ربما من قبيل القرن السابع الهجـري وحتى بعيد القرن العاشر الهجري.

ويلاحظ أن هاتين القصيدتين اللتين أتحفنا بهما العقيلي نقلاً عـن نيـل مخطوطة الجراح بن شاجر برغم طولهما إلا أن تقطع نفس الشاعر فـي بعـض مقاطعها يجعلني أعتقد أنهما غير كاملتين، ولا أعـرف إن كـان الـنقص مـن المخطوطة أم أن العقيلي قد اختار منها لمجرد الاختيار!!

وبعد: فلعل الأيام القادمة تكشف لي أو لغيري عن بعض شعر هذا الشاعر المتبسط في لغته، القوي في بيانه، العذب في ألحانه الجميلة، لعلنا نظفر بـشيء من شعره الرائع في مقبل الأيام ..

٣- العلامة الشاعر: أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (٠٠٠٠- ٩٦٢هـ):

شاعر كبير، وقاضٍ شهير، وخطيب مفوّه، وأديب وكاتب جميل العبارة، وشاعر يمسك بناصية الشعر من خلال لغة قوية يبثها في ثنايا شعره الجميل، وناثر مبدع، تأسرك مفردته الجميلة في نثره البديع الوفير.

ولي القضاء في جازان أيام إمارة الشريف(عامر العزيز)(٩٣٥-٩٤٤هـ) [1].

- أسرته (آل الأسدي) [*] أسرة توارثت العلم والأدب، وتوارث علماؤها القضاء، فبرز منهم أعلام كبار، وشاعرنا (أحمد بن مقبول) واحد منهم، ولكثرتهم وتشابه أسمائهم فربما تكررت بعض أسماء أعلامهم، وتشابهت أسماء الشعراء منهم، برغم اختلاف الزمان كما هو حال علمنا، فقد أتى من أحفاد أخيه من حمل اسمه، واسم أبيه ولقبه أمثال: (القاضي العلامة أحمد بن المقبول الأسدي المتوفى سنة ١٠٢٣) الذي قال عنه صاحب العقيق اليماني بأنه (ولي الحكم الشرعي بعد وفاة والده، وكان فصيحاً مفوهاً، وله نظم عجيب) [2].

ويعد المترجم له جده، وأحسب أن علمنا الشاعر العلامة (أحمد بن المقبول الأسدي) جدٌ كذلك للعلامة الشاعر: أحمد بن محمد الأسدي (١٠٣٥ - ١٠٦٦) الذي ترجم له العلامة محمد بن فضل الله المحبّي ونسبه إلى جدهم البلاَّع كما هو نسب علمنا وذكر له نماذج من شعره من ذلك قصيدته ذات المطلع:

---

[1] الشريف عامر العزيز هو: عامر بن يوسف العزيز بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين آخر أمراء أسرة آل قطب الدين بالمخلاف السليماني الذين استمر حكمهم في المخلاف مائة وأربعين عاماً وقد ولي عامر العزيز إمارة المخلاف بعد وفاة الأمير أحمد بن المهدي وذلك سنة ٩٣٥هـ وظل حاكماً به حتى قتل بمدينة أبي عريش سنة ٩٤٤هـ ودفن بها انظر ترجمته في تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٢٧٥، والأعلام لزركلي ج٣ ص٢٥٦ ، والعقيق اليماني (مخطوط) الورقة١٦١، ١٧٢،١٧١.

[*] سبقت الإشارة إلى هذه الأسرة وإلى مكانتها العلمية في هامش ص ٢٢ ، ٢٣ من أوراق هذا البحث.

[2] العقيق اليماني مخطوط الورقة ٣٥٤

دع المدامة يعلو فوقها الحبب رضابه، وثناياه لنا أَرَبُ
نَزّه فؤادك عن راح الكؤوس وخذ راحاً من الثغر عنها يعجز العنب[1]

وعلمنا هذا (أحمد بن المقبول بن عمر الأسدي (...-٩٦٢هـ)): من أبرز علماء وشعراء هذه الأسرة المباركة، وأكثرهم صيتا، فلقد ترجم له عدد من أصحاب كتب التراجم وفي مقدمتهم مواطنه العلامة: عبد الله ابن علي النعمان الضمدي، الذي تحدث عنه بإفاضة في كتابه: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني).

– كما تحدث عن علمنا (أحمد بن مقبول) المؤرخ الشلي فقال: (العالم الرباني، صاحب التآليف النافعة في غالب العلوم) [2].

– وذكر له صاحب مصادر الفكر عدداً من المؤلفات منها: (الجواهر الحسان في تاريخ صبياء وجازان) و (بغية الأفاضل في ذكر سادات اليمن الأفاضل)[3]

– وترجم له الزركلي بإيجاز فقال: (قاضٍ مؤرخ من أهل جازان ولي قضاءها مدة طويلة وصنف تأريخاً ابتدأه من سنة (٩٠١-٩٦٠هـ) أكثره في وقائع إقليم جازان، توفي سنة ٩٦٢هـ بأبي عريش) [4].

– وترجم له: محمد بن أحمد العقيلي في كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) وكان العقيلي قد أشار إلى صلته الأخوية بالقاضي العلامة عمر بن مقبول الأسدي جد القاضي أبو الفضائل المشهور كما فعل ذلك صاحب العقيق اليماني [5].

---

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي الحموي (٠٠٠٠ – ١١١١هـ) ج١ ص٣٢٥ – ٣٢٧ – الناشر : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة دون ذكر لسنة النشر.

[2] عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر لمحمد بن أبي بكر الشلي، تحقيق: إبراهيم المقحفي، ص٢٣٦، مكتبة تريم الحديثة ومكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٤هـ .

[3] مصادر الفكر للحبشي ص٤٢٩.

[4] الأعلام ج١ ص٢٥٩.

- أما النعمان الضمدي فقد قال عن (علمنا) الأسدي: (القاضي العلامة أحمد بن مقبول بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن علي بن أحمد بن حمزة بن الشيخ محمد ابن علي بن الحسن بن الحسين بن محمد بن أبي محمد عبد الله بن علي المشهور بالبلاع الأسدي، كان هذا القاضي أخاً للقاضي (عمر بن المقبول) جد القاضي أبو الفضائل المشهور بجازان، تولى القضاء في مدينة جازان أيام الأمير (عامر العزيز) واستمر في ولاية الأتراك إلى أن انتقل إلى رحمة الله وكانت سيرته حسنة وطريقته مستحسنة، قائماً على الكتاب والسنة، وكان خطيباً بأبي عريش أيضاً، أخذ الفقه على (صنوه)، وعلى الشيخ (أحمد بن أبي الفتح)[1] كما أخذه على الفقيه (علي عبدي) [2] والشيخ (الصديق بن الطاهر الحكمي) [3]، وكان

(*) العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني لعبد الله النعمان الورقة ٣٥٤، وانظر ج١ الصفحات ٢٥١ ، ٢٥٢ من كتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي.

(1) أحمد بن أبي الفتح الحكمي (٠٠٠-٩٥١هـ): هو أحد علماء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري وأحد مشاهير أسرة آل الحكمي تلقى العلم على عدد من علماء تهامة، ثم رحل إلى مكة فدرس على علمائها، قال عنه المحبي في خلاصة الأثر: (نزيل مكة المشرفة الشيخ الإمام رفيع الشأن أحمد بن أبي الفتح الحكمي كان من كبراء العلماء ذا مهابة وجلالة له رسالة سماها: (نسمات الأسحار في ذكر بعض أولياء الله الأخيار). وتحدث عنه النعمان الضمدي فقال: (كان عالماً عاملاً وقد انتهت إليه رآسة العلم والفتيا والتدريس في أبي عريش). انظر العقيق اليماني(مخطوط) الورقة ١٨٠، وانظر كتاب: خلاصة الأثر للمحبي ج١ص١٦٤، ومصادر الفكر ص٤٣٦، أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي ص١٠٧، ومخطوطة فوائد الارتحال للحموي ج٢ص٣٨٨.

(2) العلامة علي عبدي (٠٠٠-٩٥٢): هو العلامة الحبر الفهامة نور الدين علي بن محمد العبدي كان فقيهاً، محدثاً، مفسراً، مفتياً، مدرساً، أديباً، رحل في طلب العلم إلى مدينة زبيد ثم إلى عدن، وأقام سنين طوال، حصل فيها الكتب النافعة في جميع الفنون، وكان يفتي ويُدرِّس في عدن، وأبين، وبعد تضلعه من العلوم عاد إلى مدينة أبي عريش، أقام بها مدرساً، ومفتياً، وكانت له قراءة حسنة؛ حيث كان مُجَوِّداً للقرآن بقراءة أبي عمرو، ولم يزل كذلك حتى توفي بأبي عريش سنة ٩٥٢. انظر العقيق اليماني(مخطوط) الورقة ١٨٣ ، ١٨٤.

(3) الشيخ الصديق ابن الطاهر الحكمي (... – ٩٦١هـ): ترجم له النعمان الضمدي فقال: (كان من العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، انتهت إليه رئاسة التدريس بأبي عريش في الفقه، والحساب، والفرائض، والمساحة، والجبر، والمقابلة، تفقه به جماعة من علماء المنطقة أمثال: محمد المحبوب الوليدي، – الذي أصبح شيخاً لعدد من علماء المخلاف السليماني –، وأمثال: العلامة عيسى بن يوسف القفاري – والد الشاعر محمد بن عيسى القفاري –، وأمثال: علمنا أحمد بن المقبول الأسدي وغيرهم، توفي سنة ٩٦١هـ العقيق اليماني (مخطوط) الورقة ٢٢١ ، ٢٢٢.

له فصاحة في المكاتبات والإنشاءات، وله ذكاء مفرط وفراسة جيدة، وله تاريخ ابتدأه من سنة واحد في القرن العاشر وانتهى إلى سنة ستين، غالبه في وقائع إقليم جازان، مشى فيه على الاختصار، وله نظم حسن، ومن ذلك منظومته التي جعلها في فروض الكفايات، وله خط حسن بقاعدة أعجمية؛ حيث أنه لم يكن له نظير في زمنه في المخلاف السليماني.

وكتب إليه (شيخين بن أبي الفتح الحكمي)[1] كتاباً في سنة (٩٤٣) فأجابه بقوله شعراً:

أتاني كتاب منك يا زاكي الأصل ... كمنظوم درٍّ، راح يلعب بالعقل

وراح، غدا كرم البلاغة أصلها ... فبورك من فرع، تعالى على الأصل

وفي دُنّ ثغر الطرس كان عصيرها ... وفي وسط كأس الأذن رشف بالفعل

فما كان تأخير الجواب، لعلة ... ولكنني أستتبع العلّ بالنّهل

إلى الآن لم أصحُ، ولكنّ فكرتي ... تناست لنصّي، ذا المزيف من نقلي

وقلت لها إن الجواب فريضة ... فقالت إذاً فانظمه فوراً بلا مهل

فقلت وهذا العقد في جيد جود من ... غدا جيده حقاً بعقد البقا المحلي

وذاك وجيه الدين شيخي وسيدي ... سليل أبي الفتح المسربل بالفضل

وأما الذي أهدى أقل عبيده ... إليه، فشيء ليس يحسب بالبذل

على خلقه المرضيّ ألفُ تحية ... دواماً، جديد الدهر، ليس لها مبلي

فمن كان مملوكاً وأهدى لمالك ... فما هو للشكر المؤمل بالأهل

فما جاءكم إلا الذي أنت مالك ... ولكنه جزء لفضلكم الكلّي

فلا زلتَ لي ركناً، ولا زلتُ ملحقاً ... لكم في حياتي، ثم في موقف الفصل

---

[1] شيخين بن أبي الفتح الحكمي:(...-٩٦٧هـ): أحد علماء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري ينتمي لأسرة آل الحكمي العلمية الشهيرة، عالم فاضل، تتلمذ عليه خلق كثير، أمثال العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي مفتي المخلاف السليماني في زمانه وقد تحدث عنه النعمان الضمدي فقال: (الشيخ العلامة الرباني القطب الصمداني المستغني عن المدح توفي سنة ٩٦٧هـ). انظر ترجمته في كتاب: العقيق اليماني الورقة ٢٣٧.

ثم قال في آخر الأبيات: (وردت من أقلّ عبيدكم: أحمد بن مقبول الأسدي، فلاحظوها بعين القبول، واسحبوا عليها ستر الفضل المسبول، مع اشتغال الظاهر بالتعلقات التي لا بد منها، والباطن بهم الغول الذي نفس الإنسان مجبولة عليها، فوضتكم الدعاء في إخلاص الباطن والظاهر، من أشباك مكدرات المسرات، والأيادي الشريفة مقبّلة بالسلام، والسلام)[1].

ولا شك بأن علمنا (الأسدي) متعدد المواهب؛ فهو شاعر، وهو ناثر مجيد، وهو صاحب خط حسن، وهو صاحب اهتمامات بعلم التاريخ، وهو إلى جانب كل ذلك صاحب ذكاء مفرط، وصاحب فراسة، وإذاً فهو جدير بالوصف الذي أطلقه عليه المؤرخ النعمان حين قال: بأن علمنا (أحمد بن مقبول الأسدي) لا نظير له في زمنه بالمخلاف السليماني.

وهكذا كان الجواب الذي نقلته عن كتاب العقيق اليماني والذي وجهه شاعرنا الأسدي لأستاذه (شيخين) كما رأينا ليس شعراً فقط، ولكنه شعر يذوب وفاء، ويتلبس قاموساً لغوياً يليق بشيخه ومكانته العلمية، ولم ينس صاحبه الجوانب الفنية في شعره، وإلى جانب ذلك الشعر الجميل فقد كان نثره الأدبي رفيع المستوى، يمثل في نظري نمطاً راقياً متقدماً في أدب الرسائل وأسلوباً متطوراً في أدب الخطاب. ولعلي أعترف بارتباكي في نسبة القصيدة الجميلة التي ذكر النعمان الضمدي بأن أحمد بن مقبول الأسدي مدح بها الشيخ صديق بن علي ابن الدهل الحكمي والتي يقول في بعض أبياتها:

يا بارقاً شوقني برقه	يلمع ما في لمعه تَبَطِّيَهْ
بأرض جازان سرى معتما	قد غشيت أنواره الأنديه
أظهر مني ما انطوى نشره	من وجدي الكامن في قلبيه
وكلما رفرف في عارضي	أجريت دمع العين في خديه

[1] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني (مخطوط) لعبد الله النعمان الضمدي الورقات ٢٢٤-٢٢٦.

وبت أحسو ماء وجدي ولم	يرو غليلي من ظما ماثيه
لفقد أحباب لنا قد مضوا	عنا ولم يرعوا نماماً ليه
وغادروني هائماً، والها	أرعى نجوم الليل في بلويه
وحسرة تمتد طول المدى	وحالة واهية بليه
وخلفوني بعدما قد قضوا	ختام وصل لهم باديه
واستعذبوا التعذيب في بعدهم	وفارقوا حماهم المصبيه
فليتهم لما حووا مهجتي	فكوا بفضل منهم أسريه
وليس يسلي القلب منهم سوى	تجريد عزمي ماضي الأمضيه
في مدح من تغدو طيور الهوى	إليه خمصاً، مالها أغنيه
وتنثني منه وقد نالها	من بركات تملأ الأوعيه [١]

نعم، لعلّي أعترفُ بشدة ارتباكي وحيرتي في نسبة هذه القصيدة الجميلة التي تقارب أبياتها ثلاثين بيتاً هل هي من شعر علمنا (أحمد ابن مقبول بن عمر الأسدي المتوفى سنة ...-٩٦٢هـ) وبخاصة أننا لا نعرف تأريخ ولادته ، والممدوح (صديق الحكمي) ولد في عام(٩٥٣هـ _١٠١٠هـ) وصاحب كتاب العقيق اليماني الذي أورد هذه القصيدة ذكر بأن ابن مقبول مدح بها (صديق الحكمي) في حياته[٢]، فهل كان الحكمي من ذوي النبوغ المبكر حتى استحق مدح علمنا (ابن مقبول) وهو دون سن العاشرة؟ أم أن ابن المقبول قد نظم هذه القصيدة في (صديق حكمي) آخر؟ أم أن تلك القصيدة الجميلة لحفيد لأخيه: شمس الدين القاضي (أحمد ابن مقبول الأسدي) المتوفى سنة (١٠٢٣هـ)؟ أما عبد الله أبو داهش فقد جزم بنسبتها لابن مقبول الحفيد وذكر منها أبياتاً ستة[٣]. ومع بعض ميلنا إلى ما ذهب إليه أبو داهش إلا أننا لا نستطيع الجزم بذلك فربما

---

[١] المصدر السابق الورقات ٢٤٣، ٢٤٤.

[٢] المصدر السابق الورقة ٢٤٤.

[٣] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبو داهش ص٣٠٩

صح شيء من استنتاجنا السابق وربما ظهر اسم ثالث أورابع من أعـلام هـذه الأسرة في ذلك العصر، أو العصر الذي يليه يحمل الاسم ذاته (أحمد بن مقبـول الأسدي) فيزيدنا تقديراً لهذه الأسرة العلمية العريقة ولأعلامها وشعرائها قبـل أن يربك خطوات الرصد.

- أما الأستاذ العقيلي فقد اكتفى بذكر اسمه وتاريخ وفاته ٩٦٢هـ وترجم (لابن مقبول) حفيد أخيه فقط، ثم أورد القصيدتين نقلاً عن كتاب النعمان لكنه نسبها لأحمد بن مقبول الأسدي الحفيد وجعل تاريخ وفاتـه (١٠٩٣هـ) [1]. مـع أن معاصره النعمان قدر أرّخ وفاته بعام (١٠٢٣هـ) ولم يترجم لهذا الحفيد لا ابـن أبي الرجال في مطلع البدور ولا المحبي في خلاصته ولا غيرهما ولأن عبـد الله النعمان هو الأقرب إلى عصر (أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي) فقد أثبت لـه النص الأول الذي مطلعه:

أتاني كتاب منك يا زاكي الأصـل   كمنظوم درٍّ، راح يلعـب بالعقـل

كما أثبت له قطعته الأدبية النثرية الجميلة المصاحبة له التـي سـبق أن ذكرتها في صدر حديثي عن علمنا الأسدي هذا، واعتبره النعمان فريـد عـصره ونادرة زمانه حيث قال عنه: (لم يكن له نظير في زمنه بالمخلاف السليماني)[2]. رحم الله أحمد بن المقبول الأسدي (الجد)، ورحم الله أحمد بن المقبـول الأسـدي (الحفيد)، ورحم الله أعلام هذه الأسرة المباركة التي أنجبت رجالا خـدموا الفكـر والعلم والأدب والتأريخ والثقافة.

---

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ج١ ص٢٥١.

(٢) العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني للنعمان الضمدي الورقة ٢٢٥.

٤- الشاعر:الجراح بن شاجر الذروي (٠٠٠ - ٠٠٠):

ظلت منطقة (المخلاف السليماني) منجبة للشعراء الأعلام على مر العصور وإن لم يتيسر لبعضهم الذيوع والانتشار في بعض العصور الأدبية، ربما بسبب عدم الاستقرار السياسي في المنطقة خلال تلك الحقب، وربما لقلة الراصدين لمسيرة الشعر والأدب فيها، - كما أشرت إلى ذلك مراراً -، غير أن القرن العاشر الهجري وبعض القرون التي تلته قد سجلت حضورا أدبيا جيدا، ونفحتنا بأسماء شعراء كبار، ساهم في بروز كثير منهم حصول شيء من الاستقرار السياسي في بعض تلك الفترات ووجود عدد من الراصدين المتحمسين فيها ويأتي في مقدمة شعراء القرن العاشر: الشاعر الكبير المشهور (الجراح بن شاجر الذروي)، فهو واحد من أولئك الشعراء الكبار الذين عرفهم المخلاف السليماني في هذا القرن، بل هو ممن تجاوزت شهرتهم حدود المخلاف السليماني واحتل صيته موقعاً متقدماً في الحجاز واليمن، ربما لأنه من الشعراء الذين أعطوا للشعر مساحة كبيرة من وقتهم وتفكيرهم، وربما لأن رحلاته وتنقلاته بين تلك الأقاليم قد أنضجت تجربته الشعرية وأخصبت عطاءه، وهيأت له ولشعره مكانة كبيرة في تلك الأقاليم إنه الشاعر الذي تصافحك في شعره أنسام (جازان) المعطرة، فتشم فيه رائحة الشيح والحوذان، و تعانقك أغصان البشام والأثل والأراك، وتتلقاك فيه أصداء مواويل العشق؛ إنه شاعر الورد، والرند، والغمام، والخيام، والسحب السواكب، والرياض الضواحك، شاعر جازان الخصيب: (الجراح بن شاجر الذروي الصبياني).

- ترجم لشاعرنا (الجراح) عدد من الباحثين، وتحدث عن شعره وشاعريته كثيرون، وممن تحدث عنه وعن شعره: محمد بن أحمد العقيلي، وإسماعيل البشري، وعبد الله أبو داهش، وعبد الله العمودي، ومحمد حيدر القبي النعمي وغيرهم كما أشار أبو داهش إلى اهتمام: (عز الدين بن فهد) بالجراح بن شاجر الذي تحدث عنه في كتابه: (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام) الصادر عام

١٤٠٦هـ ونكر بأنه أورد له عدداً من القصائد في مدح بعض أشراف مكة أمثال الشريف: محمد بن بركات بن حسن بن عجلان المتوفى سنة ٩٠٣هـ[1] وابنه الشريف: بركات بن محمد بن بركات: (٨٥٨-٩٣١هـ)[2] وبخاصة في أحداث حصلت عام ٩١٠هـ.

وعلى كثرة المهتمين بالشاعر (الجراح بن شاجر) وكثرة المتحدثين عن شعره إلا أن أياً منهم لم يذكر لنا تأريخ ولادته أو تأريخ وفاته، أما موطنه (صبياء) فلم يشر إليه إلا قلة منهم على استحياء وربما كان شعره هو مصدر تحديده الوحيد كما أن شعره كذلك هو المصدر الذي استنتج منه الدارسون بأن الجراح بن شاجر هو أحد شعراء القرن العاشر الهجري مُتَّخِذِينَ مدحه ورثاءه لأمير المخلاف السليماني(المهدي القطبي المتوفى سنة ٩٢٤هـ) [3] ومدحه ورثاءه لأمير مكة:(محمد بركات بن حسن بن عجلان المتوفى سنة ٩٠٣هـ)[4] دليلاً على ذلك.. وإن كانت وفاة ممدوحيه في مطلع القرن العاشر تُثِيرُ تساؤلاً مشروعاً حول نسبة الجراح بن شاجر لأعلام القرن العاشر الهجري!! حتى وإن أجمع أولئك الدارسون على تلك النسبة.

والجراح بن شاجر يتميز بجمال شاعريته وقوة تدفقه، واهتمامه باختيار المفردة الشعرية الجميلة، وتفرده بإعطاء شعر الحنين مساحة كبيرة في مقدمات

---

(1) الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ، ولد بمكة المكرمة سنة ٨٤٠ هـ ، كان على شيء من العلم ، وفيه فضائل كثيرة ، وتولى إمارة مكة بعد وفاة والده سنة ٨٩٩ هـ ، كان حسن الصفات ، كثير الخيرات ، توفي بوادي الآبار سنة٩٠٣ هـ ، وحُمل إلى مكة وصلّي عليه عند الكعبة المشرفة ، انظر (السناء الباهر بتكميل النور السافر لمحمد بن أبي بكر الشلّي ص٢٩) ، وانظر (الأعلام للزركلي ج٦ ، ص٥٢) وفي (الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ص١٠٢- ١٢١) لعمر بن فهد الهاشمي المكي.

(2) الشريف بركات بن محمد بن بركات بن عجلان ..... ولد بمكة المكرمة سنة ٨٥٨ هـ وولي إمارتها سنة ٩٠٣ هـ ، وكان فاضلا شجاعا حسن التدبير، وتوفي سنة ٩٣١ هـ (انظر الأعلام ج ٢ ص ٤٩)، و (البدر الطالع) للشوكاني ج٢ ص١٤٠، و (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام) للقرشي ج٣ ص٣٥ وما بعدها.

(3) انظر كتاب : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد ص ٣٨١ لعبد الرحمن الديبع ، وانظر التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص ٢٣٢ .

(4) أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبي داهش ص٢٩٧ .

قصائده، وجل دارسي شعر الجراح يؤكدون بأن ممدوحه الذي خصه بمعظم شعر المديح هو أمير المخلاف السليماني: (الشريف المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد ابن قطب الدين (المتوفى سنة ٩٢٤هـ)) مع أنهم ذكروا له مديحاً في شقيق المهدي: (يوسف العزيز الذي تولى إمارة المخلاف السليماني قبل المهدي) [١] وكذلك ذكروا للجراح شعراً مدح فيه ورثى شريف مكة: (محمد بن بركات بن حسن بن عجلان) وهنأ ابنه الشريف بركات بن محمد بن بركات بالنصر الذي حققه في عام ٩١٠هـ وربما أشاروا إلى بعض شعر للجراح في غيرهم، ومن الذين أشاروا إلى مديح الشاعر (الجراح) للأمير(المهدي القطبي): عبدالله بن علي النعمان حين قال :(الأمير المهدي بن أحمد القطبي كان مشهورا بالكرم مدحه أكثر الشعراء ومنهم الشاعر(الجراح بن شاجر الذروي) له ديوان مشهور ومتداول) [٢].

وممن أشار إلى مزيد اختصاصه بمديح الأمير القطبي: (المهدي بن دريب) و أشاد بشاعريته: إسماعيل البشري حيث قال: (الجراح بن شاجر الذروي شاعر المخلاف السليماني بلا منازع .. تركز معظم شعره في مدح الأمير القطبي المهدي محمد بن أحمد)[٣].

وفي مقدمة إحدى قصائد الجراح المخطوطة وردت العبارات الآتية: (ومن قصيدة للشاعر المفلق، الأديب، المصقع، النجيب: جراح بن شاجر بن حسن الذروي قالها ممتدحاً بها الأمير الشهير درة الوجود في زمنه الهزبر بن الغضنفر، الكريم بن الكريم، الشريف محمد المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد ابن قطب الدين رحمهم الله) [٤].

---

[١] المصدر السابق ص٢٩٩ .

[٢] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني(مخطوط) لعبد الله النعمان الضمدي الورقة ١٧٢

[٣] الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق د. إسماعيل البشري، طبع دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٣هـ، ص٥٩.

[٤] نسخة مصورة لدى الباحث عن مخطوطة ديوان الجراح بن شاجر غير مرقمة الصفحات.

- أما محمد بن أحمد العقيلي فيقول عنه: (نعرف عن الجراح بن شاجر من قصائده بأنه من قبل اتصاله بيوسف العزيز ومن بعده بأخيه المهدي كان على اتصال بأمراء مكة والمدينة وأنه قد مدحهم ..... كما نعتقد بأن له شعراً في مدح رجالات المخلاف السليماني .... وأن له شعراً خاصاً قد فقد) [1].

ويقول العقيلي عن شعر الجراح بن شاجر: (يتسم شعره بعذوبة الموسيقى وجمال التصوير البياني والتجسيد البلاغي فشعره على قدر كبير من القدرة على الإفصاح، وفصاحة التعبير، ولهذا الشاعر ولع بالقوافي الراقصة والنغمات الحالمة) [2].

- وكان العقيلي قد اختار شيئاً من شعر (الجراح) وقدم له بدراسة عن موطن الشاعر ونشره تحت مسمى(ديوان الجراح بن شاجر الذروي) مع أن ما اختاره العقيلي لايمثل سوى نسبة ضيئله من شعر الجراح الغزير الذي عكف عليه أحد الباحثين وحققه ضمن رسالة علميه تمت مناقشتها بجامعة أم القرى ومازالت تنتظر النور.

- وتحدث عبد الله أبو داهش عن أبرز سمات شعر الجراح فقال: (اتسم شعر الجراح بن شاجر الذروي بالألم والحسرة، إذ يكاد يفيض في مواطن كثيرة من مقدمات قصائده بالشعور الصادق الحزين وهو في ذات الوقت يتصف بقوة الدلالة اللغوية وسلامة الأسلوب .. حقاً إن ظاهرة الحنين والأسى في شعره التي تكاد تغشى معظم مقدمات قصائده ظاهرة تستحق النظر والوقوف عندها، فهي وإن لم تكن بغريبة في بناء القصيدة العربية فإنها على الأقل تتصل في ظني بحياة الشاعر نفسه)[3] ومع تأكيد أبي داهش على شاعرية الجراح بن شاجر الذروي إلا أنه يرى بأن الجراح يجنح إلى المبالغة، مؤكداً القول بشاعريته وقدرته اللغوية حيث قال: (والذي يلاحظه الدارس في شعر الجراح بن شاجر الذروي أنه كان

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٣٠ وما بعدها.

[2] المصدر السابق ص٢٣٢.

[3] حوليات سوق حباشة لعبد الله أبي داهش (العدد الرابع).

يبالغ كثيراً في أقواله ولم يكن دقيقاً أحياناً في اختيار دلالاته على الرغم من وجود الموهبة الشعرية والقدرة اللغوية في توجيه معانيه وحملها لأسلوبه)[١].

وهذا وذاك لم يصرف مؤرخي المخلاف السليماني عن اعتبار الجراح بن شاجر أحد أعلام الشعر في هذا الجزء من بلادنا ليس فقط في عصره (القرن العاشر) بل ربما عده غالبيتهم ثالث ثلاثة هم أبرز شعراء المخلاف السليماني على مر التاريخ، فها هو الأديب المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي يعتبره: (أحد أقانيم الثالوث الشعري في المخلاف السليماني(منطقة جازان حالياً) وهم:

١- عماره الحكمي

٢- القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

٣- الجراح بن شاجر الذروي [٢]

- ويؤكد هذا المعنى الأديب المؤرخ: عبد الله بن علي العمودي فيقول عن الجراح بن شاجر: (أحد مفاخر المخلاف السليماني .. ثالث عماره وابن هتيمل: الأديب الأريب الشريف الجراح بن شاجر الذروي، وممدوحه الشريف المهدي القطبي)[٣].

- ونعته النسابة المؤرخ محمد حيدر القبي النعمي بقوله: (السيد الأديب الشاعر اللوذعي المصقع الجراح بن شاجر الذروي الصبياني) [٤].

وممن أضاف إلى شاعرنا (الجراح) نسبة : (الصبياني) صاحب معجم المؤلفين حيث قال : (الجراح بن شاجر الذروي الصبياني شاعر ولد في القرن التاسع الهجري في وادي صبياء، من آثاره : ديوان شعر) [٥].

وسبق أن أشرت إلى أن العقيلي قد اختار شيئاً من شعره وقدم له بدراسة جيدة وطبعه قبل أكثر من أربعين عاماً، كما ألمحت إلى أن أحد الباحثين قد حقق

---

(١) أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبي داهش ص٣٠٠.

(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٣٠.

(٣) تحفة القارئ والسامع لعبد الله العمودي تحقيق عبد الله أبي داهش ج١ ص١٨٦ - ١٩٩.

(٤) مخطوطة الجواهر اللطاف المتوجه بهامات الأشراف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف الورقة ٢٢ لمحمد حيدر القبي.

(٥) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج٣ ص١١٦.

ديوانه في رسالة علمية تقدم بها إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة.. ومازال شعر الجراح بن شاجر الذروي منهلاً للواردين يستحق المزيد من العناية والتحقيق والنشر. وبالجملة فالجراح بن شاجر الذروي شاعر مطبوع، وشعره في غالبه يسيل رقة وعذوبة، وبخاصة نسيبه وحنينه اللذين يحلّي بهما مقدمات قصائده و تتجلى رقته وعذوبة شعره في مخمساته فتراه يتفوق أحياناً على كثير من شعراء الموشحات.

وفي اختياراتي الآتية من شعره ستتجلى لنا شاعرية الجراح الحقة، ولغته الشعرية الجميلة، وعذوبته وتدفقه ورقة حاشيته، لنستمع إليه مهنئاً للشريف بركات بن محمد بن بركات في إحدى قصائده المُخَمَّسَة التي يسير فيها قريباً من مسار شعراء الموشحات مع اهتمام بجماليات اللغة ، يقول شاعرنا الجراح:

يا سعد إن جزت بتلك الخيام فحيّ جيران الغضا والبشام
وقل لهم من بعد ردّ السلام الصبر عنكم و التّسلّي حرام

والجسم أضناه تمادي المقام

وحقكم يا جيرة الأبرقين والعلم الشرقي والرقمتين
إني سمير الغفر و الفرقدين[1] لم تكتحل بالنوم لي قط عين

حاشا وكلا أن أذوق المنام

وكلما هبت نسيم الجنوب بنشركم كاد فؤادي يذوب
وجدد الوجد لقلبي الطروب وظل دمعي مستهلاً سكوب

كما استهلت هاطلات الغمام

---

[1] الغفر والفرقدان: كواكب معروفة لدى علماء الفلك، ويقال بأن الفرقد: كوكب قريب من الأرض لا يغرب. انظر لسان لابن منظور ج٢ ص١٠٨٨.

ما حال من أمسى غريب الـديار ناءٍ عن الإلـف، بعيـد المـزار
ولهان، مسلوب القرى والقـرار نهـاره الفـرد: كـألفي نهـار
مما يقاسي من أليم الغرام

دع ذا، وَسِرْ وارحلْ على اليعملات فما لجمع الشمل بعـد الـشتات
إلا وَخيـد القُلُـصِ الناجيـات إلى أبي الغـوري جـم الهبـات
الملك الهادي الإمام الهمام

بحر العطايـا، بركـات الجـواد ومـن إذا جـاد بمـال أجـاد
وفارس الخيلين يوم الطـراد مُروي الغوالي والسيوف الحداد
من كل ذي نحر وزند وهلم[١]

وفي مخمسة أخرى للجراح يمدح فيها أمير المخلاف محمد المهدي بـن أحمد بن خالد بن قطب الدين، ويهنيه بانتصاره على أهل (الخور، والبداح) في جهة (حرض) التي كانت آنذاك تتبع المخلاف السليماني وقد بدأها مـشببا فـي مقدمة تلك القصيدة المُخَمَّسَة التي أكثر فيها مـن اسـتخدام بعـض المحـسنات البديعية كالجناس، والطباق، والتورية، وأسبغ فيها على المحبوبة نعوتاً وإن كان بعضها تقليدياً إلا أنها قد عبرت عن عشقه وهيامه الذي قـاده إلـى مغـامراتٍ غراميةٍ تشبه مغامرات شاعر الغزل الشهير عمر بن أبي ربيعـة؛ حيـث يقـول الجراح في هذه المخمسة:

حَـدِّث عـن الحـيِّ بـذاك الحمـى ففقْـدُهُ اليـومَ لنـومي حِمـا
وعـن دُمَـى فيـك سَـفكْن الـدِّما وعـن فريـق بـاللوى عِنـدما
فَارَقَ، أجرى مدمعيْ عَنْدَما

---

(١) أهل تهامة المخلاف السليماني .....لأبي داهش ص٢٩٩ نقلا عن كتاب: (غاية المـرام....) لابـن فهـد ج٣ ص١٧٥، ١٧٦.

وهات يا سـعدُ عـن الأبـرقين والعلَـمِ الـشرقيّ والمغـربين
ففي فـؤادي حرقـةٌ لـوعتين وكل عينٍ ليَ فاضـت بعـين

كالوابل الهاطل مهما هَمَا

بالله حقـق لـي وزدنـي نبـا وهات لي عن أهل تلـك الربـا
ومن بهم قلبي المُعنَّـى صَـبَا وكلمـا هـبَّ نـسيمُ الـصَّبَا

بتُّ عميداً هائماً مُغرَمَا

تالله إنـي منـذ عـز الوصـال لم يصف لي عيش ولم يحل حال
ومنذ زُمَّـتْ للرحـال الجمـال وحملت ما حملت مـن جمـال

إني في الأطلال أبكي دما

فليت شعري أيـن أمَّـتْ بهـم حُـدَاتُهُمْ فالقلـب مـن حـبهم
أذابه الـشوق إلـى قـربهم وآ حرَّ قلبي اليوم من سـربهم

ومن لهيب في الحشى أضرما

ما لاح بـرق أو تغنـى هـزار إلا جرت سحاً دمـوعي الغـزار
وفَـرَّ نـومي من عيوني فطار فَمَنْ لـصبٍ خانـه الاصـطبار

لم يُبق منه البين إلاّ دُما

ما كان أحلـى حالنـا بـالعقيق وعيشنا الغض الشهي الأنيـق
والحي دانٍ، والفريـقِ الفريـق والبين عنا في مكـان سـحيق

وفي عيون الدهر عنا عمى

كم ثَمَّ؟ كم؟ والليل حاني الإهاب محلولكٌ يحكي جناح الغراب
والسحب قد أرخت علينا حجاب وطرقت غيدا التثني كعاب

كبدر تمّ، قلد الأنجما

حتى انجلى وانجاب جنح الظلام وجرد الصبح علينا حسام
وبت أحسو من لماها المدام وفزت منها ببلوغ المرام

تغيبت منه نجوم السما

وكم؟ وقد نامت عيون الرقيب طرقت بالجرعاء ذاك الحبيب
في الخيمة الوسطى التي في الكثيب فحين جاوزت الحجاب القريب

من داخل الستر لثمت الفما

فريع إذ قَبَلْته وانتفض وفر من مضجعه وانقبض
وقال من أيقض جفناً غمض قلت الذي سن الهوى وافترض

وصير الحب له مغنما

أنا الذي يتم قلبي هواك أنا الذي أنحل جسمي نواك
أنا الذي مالي حبيب سواك أنا الذي غاية قصدي لقاك

ومنيتي تقبيل هذي اللما

فقال لي كيف ركبت الخطر ولم تخف من لا يخاف القدر
قلت القضا ما منه يوماً مفر وليس لي عنك ولا مصطبر

لو قطعوا لحميَ والأعظما

فــسلم الأمــر وأعطــى القيــاد واجتمع الشمل ونلــت المــراد
وبات لي زنــد حبيبــي وســاد وذاب من لثمي وضــمي ومــاد
بعصمة الحل ولا محرما

قبل يلوح الشيب في العارضــين وتخــضب اللمــة والمفــرقين
وزائــري معتــدل القــد زيــن عذب اللمى يحكي ضِبا المشعرين
جيداً وطرفاً فاتراً أحوما

وهكذا يستمر في غنائيته الممزوجة بالحنين حتى يصل إلى الممدوح بعد أن يلح على شكوى الحال من فراق الأهل والوطن بل والأحباب والخلان، ثم يمهد الجراح بعد هذه المقاطع الطويلة من الغزل الرقيــق والتــشبيب للوصــول إلــى ممدوحه كعادة الشعراء المجيدين ويكون تمهيده بمقطعين يحسن في ختام ثانيهما التخلص والوصول إلى ممدوحه (المهدي) حيث يجعله في بقية الأبيــات كمــا سنرى يتفوق على ملوك وخلفاء وأمراء العصر العباسي بل وعلى بعض ملــوك وأمراء وشجعان الفرس والروم والعرب حيث قال:

صــفاته اللعــس تــزين الــرقم وشــعر الوحــف أثيــث أحــم
ووجه بدر منــه يجلــي الظلــم وأنفــه الأقنــى منيــراً أشــم
وخده زهرٌ، وخمرٌ، وما

ظبي تخاف الأسد من ســطوته والبدر يخبو من ضــيا طلعتــه
والمسك يستنشق مــن نكهتــه وقــده الميــاس فــي خطوتــه
كبيرق (المهديّ) حامي الحما

الثابت الجــأش غــداة الطــراد إذا غدت جرد المــذاكي الجيــاد
بكل مغــوار، شــجاع، جــواد يشوقه طعــن الكــلا والجــلاد
والضرب بالبيض رؤس الكما

سَلْ عنه يوم الروع لما نهــض مبكراً نحو العِدّا من (حَرَضْ)

في عسكرٍ فَضّ به الجمعُ فَـض   وصـــيّرَتهم للمنايــا غــرض

بيض المواضي والرماح الظما

دولتـــه زالت علـــى الـــدولتين   وعمـــت المـــشرق والمغـــربين

أمنـــاً، وعـــدلاً مـــلأ الخـــافقين   فدع (أنوشروان)، لو (ذا رُعين)

و(أزدشير) الملكَ الأعظما

ما الملك المنصور؟ ما المنتصر   في الملك؟ ما القادر؟ ما المقتدر

لو عاصروه، كـــان كـــلّ مُقِـــرْ   بفـــضله، مُمْتَـــثِلاً مُـــؤتَمِر

لأنه أشرفهم منتما

الملـــك القـــائم فـــي الله مـــن   أناف في الملك علـــى ذي يـــزن

وقام بـــالفرض معـــاً والـــسنن   ومـــنّ بالمـــال الـــذي لا يمـــنّ

وأنفق الدينار والدرهما

خليفـــة أحيـــا رســـوم الهـــدى   وراح في كسب الثنـــا واغتـــدى

وأخجل السحب الغـــوادي نـــدى   وجرع الأعدا كـــؤوس الـــردى

وشيد المفخر حتى سما

سميدع أغنـــى وأقنـــى العـــديم   وألـــف الـــشمل وربـــى اليتـــيم

وعـــذب المـــال عـــذاباً ألـــيم   يـــسرف فيـــه ظاعنـــاً أو مقـــيم

ولم يدع في عصره معدما [1]

وقال أيضاً يمدح أمير المخلاف السليماني الشريف: (محمد المهدي بـــن أحمد بن خالد بن قطب الدين من قصيدة مطلعها):

---

[1] عن نسخة مصورة من ديوان الجراح بن شاجر الذروي قليلة الصفحات توجد لدى الباحث صورة منها مـــأخوذة عن نسخة مصورة توجد لدى الدكتور حسن يحيى الضايحي ببلدة (صَبْيَه)، الورقتان٣ ، ٤

أبْكَتْ جفوني فاترات الجفون وفاض دمعي من عيوني عيون
وأنحلت جسمي حتى غدا في دقة الشعرة سقماً ودون

ومضى فيها إلى أن قال:

إذا مشت في الأرض أقدامها تعطرت واخضر نبتُ الدمون
كأن في أجفان ألحاظها سيف ابن طه يوم حرب زبون
محمد المهدي بالله، من أعداؤُهُ من خشية مشفقون
حامي الحما مروي الرماح الظما مغني الغنى رحب الفنا والصحون
معطي القناطير نظاراً، وما نَمَّقَ من وَشْيٍ له الناسجون
والقائد الخيل مئيناً إذا خَيَّم في ساحاته المعدمون
والناحر الكوم غداة القرى كأنها المعز ذوات القرون
لا يخلف الوعد لطلابه ولا يخون العهد فيمن يخون
ولا تراه أبداً غاضباً إلا إذا ما رحل الوافدون
بحر نوال ماله ساحل يغرق في تياره الخائضون
ليث نزال يختشى بأسه ويتقي صولته الدارعون
بدر كمال ما تجلى لنا إلا أضاءت سهلها والحزون
كأنما ساحاته مكة يحجها البادون والحاضرون
أو عرفات أو مغاني منى بها الورى عن طرف عاكفون
لا تغلق الأبواب من دونه عنهم ولا يحجبه الحاجبون
مجلسه محترم ما به لغو، ولا يحضره الجاهلون[1]

ولعلك تشاركني الإعجاب الشديد بمضمون البيت الاخير هذا:

مجلسه محترم ما به لغو، ولا يحضره الجاهلون

فهو يختصر مفهومه الحضاري الراقي لما ينبغي أن يكون عليه مجالس المسئولين الكبار وعلية القوم، بل يلخص لنا معنى أن يكون الشعر قيمة اجتماعية عالية يوجه الى معالي الامور وسامي الاخلاق.

---

[1] المصدر السابق الورقتان١ ، ٢

وللجراح بن شاجر مدائح أخرى لا يستخدم فيها التشبيب كعادته وعادات بعض الشعراء في مقدمات المديح ولا يستخدم فيها الحنــين الــذي عــرف بــه كقصيدته التالية التي بدأها بمخاطبة ممدوحه: (المهدي) مباشرةً وذلك بمناسـبة انتصاره على المخالفين في (حيْرَان) وما حولها التي يقول فيها:

تسنمت يا مهــديّ أعلــى المراتــب ... وأدركت غايات المنــى والمطالــب

وأعليت سمك المجد حتى لقــد عــلا ... مناراً على أعلى النجــوم الثواقــب

سمكت المعالي بالعوالي على الــسهى ... وكل رقيق الحد ماضي المــضارب

وملمومـــــة قطبيـــــة غاتميـــــة ... جلبت على أرض العــدو المحــارب

وآســـاد جـــرد خـــادرات نيوبهـــا ... طوال القنا الخطي، وبيض القواضب

غزوت بهم أرض الأعــادي فــأقبلوا ... إليها كأمثــال الجِمــال المــصاعب

ولله أجنـــــاد بجـــــازان مـــــالهم ... إذا جردوا بيض الضبــا من مغالب

أبادوا العدا بالطعن والضرب واصطلوا ... سعير جحيم من لظى الحرب لاهــب

ومن آل قحطان اصطلى الحرب فتيــة ... تغادر آســاد الــوغى كالثعالــب (١)

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها عدداً كبيراً من قبائل المخــلاف الــسليماني الذين قاتلوا مع ممدوحه (المهدي) أثناء حروبه التي شنها على المخالفين فــي حيران وما حولها مفاخراً بأسماء تلك القبائل حيث قال عنها:

ومن آل (هضّامٍ) و (كعبٍ) ومن (بنــي ... شَرَاحيل) كم من طاعن القرن ضــاربِ

وجاءت (بنو سنحان) والكل عن يــد ... وخاضوا المنايا في ظهــور الــسلاهب

ويــا حبــذا شُــم الــذُرى (آل ذروة) ... أجابوا إذا ناديــت يــا (آل غالــب)

وأقبل من أبنا (معافى) و (حَــازِمٍ) ... ليوث عليها الــسرد فــوق المناكــب

وغلماتك (الأخضوض) و(الأنصبا) معــا ... فلم نفتقد مــنهم ســوى كــل خائــب

وشيخ شيوخ العصر (يوسف) جاءنــا ... من(المرقب) المزري على سد مــأرب

يقود إلى الحــرب (البكاريــة) الأولــى ... لعمــرك مــا فــيهم معــاب لعائــب

---

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٣٦ ، ٢٣٧

ومن معن (الدّخنِ)الخصيب رجالك الأُو … لى جربوا في الحرب كل التجارب
ولله قوم من (عريش ابن عسكرِ) … ومن معقل الأبطال أسد المقانب
وكم من (قَلِيِّكِيٍ) [1]، أبيٍّ جنابه … همام، و(كَعْبَيٍّ) سما غير هائب
وأكرم بأهل (الجرشَبِيَّة) عن يد … و (آل سبيل)[2] الأكرمين الأطايب
وبكّرتَ من (رحبان) تزجي كتائباً … إلى العُصب الباغين أثر كتائب
ولما التقى الجمعان منا ومنهم … وقال كثير لا نجاة لهارب
وسُلَّ لضربٍ كلُّ أبيض قاطع … وهُزَّ لطعنٍ كل أسمر راعب
تولوا كما طار الجراد فأدبروا … أمامك أمثال النعام الهوارب
وراحوا و (عيسى) شيخهم ورئيسهم … ينادي بأعلى الصوت أين أقاربي
غدا رأسه المقطوع للخلق لعبة … وجئته للحائمات النواعب
وأخليت أرض (الجابلية) منهم … وحلت بها منهم دواهي المصائب
ورحت إلى (رَحْبَان) وجهك ناضر … وأنت كبدر التم بين الكواكب
تجر ذيول النصر والظفر الذي … حبيت به عن كل ماش وراكب
وأعطيتَ (حَيرَانَ) الأمان وأهلَهُ … وقد بَذَلُوا أموالهم بذل واهب
فيا ويل من أمسى الأمير مغاضباً … عليه، ويا سعد المطيع المصاحب
هو الغيث إلا أنه غير مقلع … إذا أقلعت يوماً غزار السحائب
وهاك عروساً يا (ابن أحمد) عاتقاً … أبت كل بعل ما سواك وخاطب
بقيت لنا في الملك ما ذرَّ شارقٌ … وما لاحَ برقٌ في متون الغياهب [3]

وقد سجل في هذه القصيدة أسماء قبائل المخلاف السليماني – كما رأيت– مانحا كل قبيلة وصفا مستحقا، مسطرا للتأريخ الاجتماعي في المنطقة سجلاً

(1) قليلي: شرحها الأستاذ العقيلي بأنه نسبة إلى قبيلة تعرف بآل القليلي وبقاياهم يسكنون قرية الجعدية.
(2) " آل سبيل ": عشيرة من عشائر (المسارحة) بالمخلاف السليماني، قال عنهم العقيلي: (هم كما نعتقد قبيلة " التشملة " وإلى الآن ينتخون – يعتزون – (بآل السبيل)، ومساكنهم بجهة وادي الرباح، وبعضهم في جهة (المَرْخ) بين وادي مشرف ووادي جازان). انظر التاريخ الأدبي للعقيلي ج١ ص٢٣٩.
(3) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٣٦ ، ٢٤٠

ناصعاً من سجلات التلاحم بين أبناء الوطن الواحد برغم قسوة الظروف وسوء الأحوال يومئذ.

ومن شعره أيضاً الذي بدأه بالمديح مباشرة دون تشبيب قوله في الأمير (المهدي) القطبي أيضاً:

كمجدك يا (مَهْدِيُّ) فليكن المجد ... وإلا فلا مجد سواه ولا حمد
شكمت العلى بالبيض والبيض والقنا ... وجُرْدَ المذاكي تحت أُسْدِ الوغى تعدو
وقدت إلى الأعداء أسدا ضوارياً ... تجل وتسمو أن تقاس بها الأسد
وجوههم بيض إذا الحرب أظلمت ... وأيديهُمُ سحبٌ وألسنُهُمْ لُدُّ
لقيت صدور المشرفيات والقنا ... وقاتل منهم دونك الشيب والمرد
أجابت (سليمان) العريضة قمصها ... وتيجانها في المعرك البيض والسرد
بأيديهم بيض خفاف قواطع ... بها الهام والأجسام والزغف تنقد
إذا افتخروا كان افتخارهم بكم ... كما ببنان الكف ينتفع الزند
وقاتل من (بيش) الخصيب قبائل ... مواقفهم مشهورة ما لها جحد
وفرسان (جازان) الخصيب ورجله ... يزيدون إن عدوا الحروب وإن شدوا
فصلت بهم في قرية البغي صولة ... فما انطبق الجفنان إلا وهم رُمْدُ
تمد على البيداء كالبحر جحفلا ... طمى فوق سهل الأرض واتَّسَعَ المدُّ
كأن غبار الخيل سحب بروقها ... مواضي الظبا (والطبلخان) لها رعد
ولما التقى الجمعان منا ومنهم ... وحان لبيض الهند في القمم الورد
تداعوا، كما طار الجراد وأدبروا ... وقالوا: ألا غور يقينا ولا نجد
وفَرَّ وخلا قومه ضد اسمه ... كما فَرَّ من ليث غضنفرةٍ، قرد
وأقبل ينعي في (البداح) قتيله ... ووجه عدو الله، كالقار مسودُّ
على أنه لو غار في الأرض أو أتى ... إلى الأفق الأعلى لجاء به السعد
وحاقت بـ (حيران) الخبيث وأهله ... خيانتهم إذ لم يتم لهم عهد
وفي الصبح إحراق (البداح) وخوره ... ويكفيهما من جند عز الهدى عد
ألا إنما (المهدي) واحد عصره ... فلا قبله قبل، ولا بعده بعد
عزائمه أمضى من البيض والقنا ... وهيبته منها يذوب الصفا الصلد

لقد جالد (الخيثا) إلى أن أبادهم   وكانوا عن الدين الحنيف قد ارتدوا
وأصحابهم روع القوافل أمنا   مغتيهم يشدو وحاديهم يحدو
فلا زلت ركنا يا (ابن أحمد) ثابتا   يلاذ به ما مَسَّت القُضُبُ المُلْد (١)

وهذه القصيدة تذكرنا أنفاسها الشعرية ونغمها المدمدم بأنفاس المتنبي وأنغام أبي تمام وتجليات الشريف الرضي.

وكما وقف (الجراح بن شاجر الذروي) جل شعره في مديح الأمير المهدي فقد مدح ورثى عدداً آخر من أمراء أسرته، وقد قرأنا له مديحاً ورثاءً في الأمير الشريف (أحمد بن دريب القطبي)، ومديحاً ورثاءً في الشريف (العزيز)، ومن مراثيه في بعض هؤلاء نقتطف قوله في رثاء أحمد بن دريب:

رحم الله أحمد بن دريب   وسقى صيِّبَ الغمام ضريحه
الذي يوم دفنه، دفن الجود   وحلت بالمجد والفضل صيحه

كما نختار له بيتين آخرين من أرجوزة في رثاء العزيز يوسف حيث يقول:

وأن مولانا العزيز يوسفا   فارق وهو العلم الفريد
وعم أهل الخافقين رزؤه   وكادت الأرض بنا تميد (٢)

وللجراح بن شاجر شعر فائق في الحنين تطفح به مقدمات قصائده التي يستخدم فيها التشبيب تارة والحنين إلى المنازل والديار والأهل تارة أخرى، بل وحتى الأزهار والأشجار يبثها نجاوى الحنين، ومن شعره الذي يذوب في الحنين قوله:

ذِكْرُ اللِّوى والنازلين حمَاهُ   ذَاد الكرى عن ناظري وحَمَاهُ
والدمع من عَنَمٍ يفيض وعَنْدَمٍ   أجْراهُ في الخدين ما أجراه
والقلب ذاب من الفراق صميمه   وتقطعت أكباده وحشاه
والبارق القبليّ لما أنْ سرى   وهناً يكشفُ شاقني مسراه
ما ضاله؟ وسياله؟ وبشامه؟   وخزامه؟ وأراكه؟ وعضاه؟
وهل الخمائل شيحها متمايلٌ   ليناً يرنحه نسيم صباه؟

---

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٢٣٥-٢٣٦.

والشِّعبُ كيف رأيته؟ أرأيته كالعهد تصطاد الأسودَ ظباه؟
ورياضه الأُنُفُ اللواتي زهرها أذكى من المسك الذكي شذاه؟
هل هنّ فيه كعهدنا خضرٌ؟ وهل سحّاً سقاهن الحيا وسقاه؟
وهل المنازل بعدنا مأنوسةٌ؟ بالحي، حيَّاه الحيا وحياه؟[1]

وهكذا يتواصل تساؤله عن منازل الحي وساكنيه بعد أن يتساءل عن الإقليم كله وعن أهله، وعن أشجاره، وأزهاره، ورياضه، وحياضه تِسئآل ملهوف يلوعه الوجد ويكويه الحنين الدائب.

وفي قصيدة أخرى تراه يذوب لوعة وحنيناً فيهتف بكل شيء .. ليس فقط بالمنازل وأهلها، ولا بالأطواد والحصون وحدها، ولا بالرياض وأزهارها فقط، بل حتى بالسحاب والرعد والبرق بالدروب والممرات، والأنوار التي أصبحت غياهب، وكل شيء يهتف به ليشاركه الحنين واللهفة وعلى رأس الجميع ربعه الذي لاينساه، كل هذه المشاعر والأحاسيس يترجمها فيقول:

أتدري بما لاقَتْهُ تلك الملاعب وما كابدت أبطالها والخراعب
وما نال (جيزان) الخصيب وأهله لفقدك، يا من في الإقامة راغب
وهل لك علمٌ بالمنازل إنها تباكى بها شوقاً إليك السحائب
وللرعد بالشكوى حنين وللورى أنين ودمع السحب والخلق ساكب
وللبرق من ذاك ابتسام كأنما أتت نحوه البشرى بأنك آيب
وتلك الرياض الضاحكات زهورها نوابل، والأنوار فيها غياهب
وتلك القصور المشمخرة لم تزل تغالب فيك الشوق والشوق غالب
ولو نظرت عيناك دربك والذي ينازعه من وجده ويجانب
لقلت: ألا شدوا الركائب سرعة فقد قُضِيَتْ مما أردنا المطالب

[1] المصدر السابق ج١ ص٢٦٥

وربعك في أصل الجمال وفرعه يقول: متى تحدو إليّ الركائب؟ [1]

ومن يقرأ هذه الأبيات وسابقاتها من شعر الحنين سواءً ما أفرده لغرض الحنين، أو ذلك الذي يتصدر أغلب قصائد الجراح يحس بشدة معاناته من آلام الفراق: فراق الوطن، وفراق الأهل، وفراق الأحباب. الذي أعطى شعره تميزه في هذا المنحى وصبغه بلونه الوردي الحزين.

ولعل حنينه ولوعته وشدة وجده وتطلعه لإجتماع الشمل بأهله وناسه وأحبابه تبدو أكثر وضوحاً ، وتبدو مشاعره أكثر نصوعاً وصفاءً في بعض أبيات قصيدته التي يتسآءل فيها عن كل مفردات الطبيعة الجميلة التي يحن إليها وإلى أهليها حيث يقول :

هل بان رحبان كعهدي يميل وظله الضافي مديد ظليل؟
وهل تناغى الورد والرند في رياضه لما تغني الهديل
فلي إلى تلك الربا حنّة وأنّةٌ ينَدكُ منها (طفيل)
وهل سقاهُ الغيث من بعدنا وظلّ واديه وأمسى يسيل؟
والبير في (الردحة) هل ماؤها عذب، كذوب الشهد يشفي العليل
يا صاح هل للشمل جمع كما كان وهل يلقى الخليل الخليل؟ [2]

وحتى في القصائد السياسية التي يوجهها الجراح باسم ممدوحه (المهدي) إلى الساسة: حكام الحجاز، أو حكام اليمن أو ساسة البلدان الأخرى تجده يفرد للحنين في مقدمات تلك القصائد مساحة كبيرة، يعبر فيها عن شدة حنينه إلى الأهل والأحباب والخلان والديار فتأتي تلك القصائد مفعمة بالشجن ولربما كانت شدة حنينه أظهر في مطلع هذه القصيدة التي كتبها الجراح باسم أمير المخلاف السليماني آنذاك الأمير (المهدي) موجهة إلى شريف مكة (بركات بن محمد بن

---

(1) أهل تهامة المخلاف السليماني ...... لأبي داهش ص٣٠٣

(2) المصدر السابق ص٣٠١

بركات بن حسن بن عجلان) يعزيه على لسان الأمير (المهدي) في أحد أقاربه ويشكو إليه استعانة أمراء (حلي) ببعض رعاياه ضد رعايا وأمراء المخلاف السليماني دونما سبب ظاهر يدعو لذلك العدوان، منكراً لأمير مكة بأواصر القربى والرحم فيتساءل في تلك القصيدة التي - يبدأها بالحنين أيضاً - عن تبدل أحوال الشاعر كلما هب نسيمٍ من ديار الأحبة أو سرى من أفقهم بارق وحتى شدو البلابل يضاعف آلام حنينه حيث يقول:

مالي إذا هبَّ النسيم القِبلي ... مُبَكِّراً إلاّ ونُبْتُ كُلّي
ولا سرى من الحجاز بارق ... يخفِقُ إلاّ وسرى بعقلي
ولا شدى البلبل إلا وبكتْ ... عيني بدمعٍ ودمٍ مُنْهَلِ
يا أيها الركب بمن سنَّ الهوى ... قل ليَ ماذا بالفريق؟ قل لي
هل ضُربت بالمنحنى خيامه ... بين أراك، وغضًا، وأثل
وهل سقى الغيث مراعي عيسه ... وجادها كل غزير الوبل
وهل درى بأنه ما لذَّ لي ... نومي وشربي بعده، وأكلي
وأن دمعي في الخدود سافح ... شوقًا إلى خلي، فديت خلي
ليت ليالي الوصل يرجعن كما ... كنَّ ولذّاتِ ليالي الوصل
وليت شعري هل يعود ما مضى ... لنا؟ ونمضي باجتماع الشمل؟
ويرجع الحال كما كان ؟ وهل ... نسمرِ كالعهد بذاك الرمل؟
فيا عذولي في انحدار دمعي ... من علقٍ، أفِقْ، أفِقْ عن عذلي
لو كنت تدري بالهوى عذرتني ... أو كنت مثلي، لبكيت مثلي
أنا الذي قتليَ عند غيدها ... ظلماً، ولكني رضيت قتلي
أنا الذي أصبح حب مكة ... وبيضها، فرضي معاً ونفلي
لو أن ما بي بالجبال هَدَّهَا ... ولم تطق تحمل عُشْر حمليَ
أو كان بالأرض، لمادت كَمَدًا ... أو بالسما ، لأصبحت كالمُهْلِ
مال وثاق البين؟ شُلَّتْ يدهُ ... في عنقي، وفي يدي، ورجلي
وما (لِجُمْلٍ) هجَرَتْ، وكنت في ... ما قد مضى، قُرَّةَ عين (جُمْلِ)

فديتها، من ظبية جاذلة   عيونها كحل، بغير كحلِ
تُريكَ ليلاً فوق بدرٍ، تحته   قضيبُ بانٍ، في كثيب رملِ
والنار والأنهار في خدودها   وفي ثناياها مُجَاجُ النحل
والسحر معقودٌ بلا محالة   بهدب هاتيك العيون النُجْلِ
تلك التي عُلّقتها صبابةً   وصارَ فني: حبها، وشغلي
فلي حنينُ (السّقْبِ) وهو مفردٌ   شوقاً إليها، وبكاء الطفل

وهكذا يستمر في حنينه الجارف وفي تدلهه المفرط حتى يصل إلى الممدوح (بركات) فيحسن التخلص حيث يقول:

وأنت يا راكبها عيديةً   تفري بها هام الفلا، وتَفْلي
يزيد إن زاد الهجير عَدْوُها   وتسبق الخيل بخف الرَّجْلِ
دعها على اسم الله تجتاز الفلا   من (حرضٍ)، إلى الحجاز القبلي
حتى توافي (بركات) المنتقى   (ابن حسنٍ) صفوة خير رسل
أعني صديقي وأخي؛ من فرعه   وأصله: فرعي الزكي وأصلي

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة السياسية التي تؤكد لقارئها قوة شاعرية الجراح بن شاجر وقدرته الفنية على التعبير عن مشاعر الأمير (المهدي) ونقلها بأمانة وصدق يؤديان إلى توثيق علائق القربى والمودة بين أشراف المخلاف السليماني وبين بني عمهم أشراف مكة كيف لا؟ وهو يختمها بقوله:

واعلم بأني يا (أبا محمد)   باقٍ على ذاك الوداد الأصلي
لا زلت غيثاً للأنام هاطلاً   يخصب منه كل قطر محل [1]

وربما كان هذا الحنين الجارف الذي أشرنا إلى شيء منه في شعره من أسباب عودته إلى مرابع صباه وعرينه الذي اجتباه (جازان الخصيب) الذي اعتبره موئله ومقصده ومحجته مخلفاً ما سواه لذلك سمعناه يخاطب مرابعه قائلاً:

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٢١ ، وانظر كتاب : تحفة القارئ والسامع لعبد الله العمودي، ج ١ ص ١٩٩.

أنا من علمتِ أديبك الحـق الـذي في سوحك المأنوس حَـلَّ وطَنَّبـا
صيرت (جازان الخصيب) وأهله حِجّاً، وخَلَّفْـتُ الحجـاز ويثربـا
وبها ملوكٌ، كـان خلـك عنـدهم دون الصديق، مُقَرَّباً، ومُحَبَّبَـا [1]

رحم الله شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري، الجـراح ابن شاجر الذروي وسامح الله المصادر التي حرمتنا من تاريخ ولادتـه وتـاريخ وفاته وكل ما يتعلق بنشأته وإن كانت قد عوضتنا بشيء من شعره العذب الجميل وبعد: فلعل هذه اللمحات عن هذا الشاعر الفحل (الجراح بن شاجر الذروي) وهذه المختارات من شعره الجميل قد أعطت عنه بعض الإشارات التي تجعلني أعتقـد جازماً بانها لا تكتمل إلا بقراءة شعره كله المخطوط منه والمطبوع.

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ٢٣١.

٥-العلامة الشاعر: جمال الدين المقبول بن صديق بن الدهل الحكمي (٠٠٠ - ٩٤٩هـ):

عالم من العلماء المحققين، وشاعر بليغ جيد الشعر.. ترجم له عبد الله النعمان الضمدي فقال: (كان عالماً بالفقه والعربية، وله في علم المعاني والبيان وعلم البديع الحظ الوافر فهو من العلماء المحققين والفصحاء المبرزين، وله قصيدة عارض بها قصيدة الشيخ عبد الهادي السودي [1] التي استهلها بقوله:

نسيم نجد سرى وهناً فأشجاني   وبات يبعث لي همي وأشجاني

---

[1] الشيخ عبد الهادي السودي: (...-٩٣٢هـ) تحدث عنه صاحب كتاب النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعلامة محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس دون ذكر لزمان ومكان النشر حديثاً مطولاً غطى به الصفحات من ١٥٥ - ١٩٢ ومما قاله عنه: (هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم السودي نسبة إلى (سودة شضب) باليمن على بعد ثلاثة مراحل من صنعاء، والشيخ السودي هو الشهير بالهادي اليمني، كان من العلماء الراسخين، والأئمة المتبحرين، درّس، وأفتى، وله ديوان مشهور، وقد ذكر الحبشي في مصادره بأن له أيضاً ديوان شعر (حميني) وشعره رائق جداً منه قوله:

لولاك يا زينة الوجود   ما طاب عيشي ولا وجودي
ولا شجاني وميض برق   ونقر دف، وصوت عودي
أنت الذي همت في هواه   وليلة الوصل منك عيدي
بالله زرني فدتك روحي   يكفي من الهجر والصدود
ما أصعب الهجر من حبيب   لاسيّما للشجي العميد
وما أحيلى وصال ليلى   لولاً على السفح من زرود
فيا ليالي اللقا علينا   عودي ليخضر منك عودي

ومن شعره أيضاً قوله في القصيدة التي ذكر منها النعمان البيت السابق (نسيم نجد سرى وهناً فأشجاني .....الخ) يقول:

عليّ لله نذر لا أخل به   إلا لعذر إلى الإخلال ألجاني
إن شاهدت مقلتي سلمى بذي سلم   تطير خدي بذاك الحي ألجاني
فبذل روحي قليلٌ في محبتها   دع عنك بذل عروض ثم أعياني

انظر ترجمة السودي في: مصادر الفكر للحبشي ص٣٣٠ ، ٣٣١، وفي النور السافر للعيدروس ص١٥٥- ١٩٢.

فكانت قصيدة الشيخ جمال الدين بن صديق المعارضة فصيحة بليغة، ومنها قوله:

زار الحبيب فحيّاني وأحياني ... وشرفت منه ساعاتي وأحياني
وبات يرشفني من ثغره ضرباً ... وينثر الورد لي من خده القاني
على مدام كلون البرق قد سلكت ... ألفيت عقلي لساقيها، وألقاني
دقت عن الوهم معنى أن يمثلها ... للطفها فهي في عيني كإنسان
لطيفة تسلب الألباب رقتها ... دقت لطافتها عن كل إنسان
كالشمس تحجبها أنوار بهجتها ... ذكرى لحضرتها للكل إنساني
مشروبة تسلب الألباب ما برحت ... في مس راحتها روحي وريحاني
تصفو العقول إليها كلما وصفت ... كؤوسها بين تسنيم وريحان
رقاصة بين أتراب لها عرب ... تغري الغرام بتسجيع وألحان
لو هبَّ من ريحها نشرٌ على جسد ... ميت، لقام بها يسعى إلى الحان

إلى أن قال:

أدنيتها من فمي معنى وناولني ... مديرها لمعانيها وأدناني
تصغي إلى صادحات الورق في طرب ... عندي بسجعك أشجاني وأحزاني
وحدثتني حديثاً عن أحبتنا ... فإن ذكرهمُ تسهيل أحزاني
ويا نديمي بكأس الوصل ناولني ... صرفاً معتقةً، وامزج لأقراني
وغنني بأحاديث معنعنة ... عمن لفن الهوى العذري أقراني
وأنت يا لائمي عن حبها سفهاً ... كف الملام، فما الإصغاء من شاني
دعني، فلست بلاه عن هوى رشأ ... ما إن ذكرت له إلا همى شاني
من شأنه حمل أسباب الهوى كمداً ... فليس من شأنه يصغي إلى الشاني

وختمها عبد الله النعمان بالقول: (وقد أبدع الشيخ المقبول بن صديق الحكمي) غاية الإبداع في هذه القصيدة وزاد على قصيدة السودي بالبلاغة والعذوبة والانسجام [١].

ولعلي أشارك العلامة النعمان إشادته بهذه القصيدة الجميلة لأنني استعذب ما حفلت به من لمحات فنية وبلاغية وبديعية وبخاصة ما اشتملت عليه من جناس وطباق ومقابلات وإن بالغ شاعرنا فيها إلا أنها منحت هذه القصيدة جماليات استثنائية.

- وتحدث عن علمنا (الحكمي) محمد بن أحمد العقيلي في كتابيه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) و: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) سأختصر منهما قوله: (العلامة جمال الدين المقبول بن صديق الحكمي المتوفى سنة ٩٤٩هـ من علماء منطقتنا البارزين في عصره) [٢]. ثم نقل بعد ذلك بعض ما ترجمه به النعمان في كتابه (العقيق اليماني .....) الذي سبق أن ذكرته في بداية حديثي عن علمنا (الحكمي).

- أما عبد الله أبو داهش فقد صنفه من أصحاب المعارضات الشعرية بالمخلاف السليماني في عصره حيث قال: (كان شعراء المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن العاشر الهجري يكثرون المعارضات الشعرية .. ويفضلون المحاذاة والتقليد، ومنهم الشاعر جمال الدين المقبول بن صديق الحكمي (....-٩٤٩هـ) الذي عارض قصيدة الشيخ عبد الهادي السودي التي مطلعها :

---

[١] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني لعبد الله النعمان الضمدي (مخطوط) الورقتين: ١٧٨-١٧٩

[٢] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد العقيلي ج١ ص٢٩٤، وانظر(أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي أيضاً) ص١٠٥

نسيم نجد سرى وهناً فأشـجاني وبات يبعث لي همي وأشجاني[1]

- وإذا كان أبو داهش قد رأى في قصيدة (الحكمي) شيئاً من التكلف وما سماه بالترف الفكري، فلعلنا نخالفه الرأي بعد أن نمعن النظر في هذا النص الجميل وما فيه من محسنات بديعية وقدرة بلاغية وثروة لغوية تؤكد تمكن شاعرنا الحكمـي وقوته وحسن تأتيه فإذا كان أرباب البديع يأتون بالتورية أو الجناس في لفظـين فقط فإن شاعرنا (المقبول الحكمي) يأتي بالثلاثة والأربعة التـي تؤكـد علـى مخزونه اللغوي الرفيع وقدرته على تقليب الألفاظ لتمنح المتلقي معانٍ عدة مـع عذوبة في موسيقاها .. وجمال وإبداع في نسجها غير المسبوق ..

ولشاعرنا المقبول قصيدة أخرى في الحِكَمْ والحث على الزهد في المتـاع الفـاني والتزود من هذه الدنيا بعمل الطاعات، واغتنام الفرص والأوقات .. وهي طويلـة أورد بعضها العلامة: عبد الله بن علي النعمان، اخترت منها قوله:

كل حـين يـأتي عليـك وسـاعه هي في العمـر فرصـة وإضـاعه
وكـذا الليـل والنهـار حثيثـاً فاعمـل الآن فيهمـا بالطاعـه
فـاغتنم مهلـة الزمـان وبـادر واجعل الحزم في الحيـاة بـضاعه
واجتهد في بقيـة العمـر واجهـد إنمـا العمـر والحيـاة وداعـه
واقـتحم حلبـة الـسباق وبـادر واعـدد الـزاد فـالطريق مجاعـه
وأفق عـن منـام قلبـك وانهـض قبـل أن يكـشف الحمـام قناعـه
خذ مـن الـصحة الأمـان لـسُقمٍ ومـن العمـر للحيـاة شـفاعه
ودعن سوف من حياتـك والتـضـ ـييع فمن ضـيع الإلـه أضـاعه
واصحب الجد ما بقيت فلا العمـ ـر جديـد، ولا الحيـاة مـشاعه
ليس بعد الممـات للمـرء كـسب غير كـسب مـع الحيـاة أذاعـه
أيهـا المـرء خـذ لنفـسك زاداً وخلاصاً وفـي الحيـاة اسـتطاعه

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبو داهش ص٣٠٧

واتخــذها عــدوة لــك واحــذر كيــدها، فهــي للفتــى صَــرّاعه
وإذا مــا أتــت إليــك بنــصح فاتهمهـــا فإنهـــا خداعـــه
واعمر القلـب بـالتفكر واحـرص خطـرات علــى الـدوام وراعــه
واغضض الطرف عن مواقع لهـوِ رغبــة عــن عقوبــة وشــناعه
وصن اللـسن عـن مقالـة لغـوِ واجتنــب منــه قولــه وســماعه
واحفظ اللـسن إن هممـت بقـولٍ إن في الـصمت حكمـة وبراعــه
هــذه ســنة المحبــين فاســلك ســنن القـوم إن أردت اتباعــه
هم أنـاس عـن الخلائـق بـانوا بقلـــوب وأنفـــس مطواعـــه
سهروا لـيلهم إذا النـاس نـاموا وكـذا كابـدوا النهـار مجاعــه

وهي طويلة ختمها بقوله:

وصــلاة علــى النبــي دوامـــاً صاحب الحوض واللوى والـشفاعه
أحمد المصطفى البشير الـذي قـد عظّــم الله قــدره، وطباعـــه [1]

والقصيدة برغم سلاسة ألفاظها، وسمو أهدافها، وروعة معانيهـا إلا أن مستواها الفني يقل كثيراً عن المستوى الفني للقصيدة الأولى التي عـارض بهـا الشيخ السودي .. حيث يلاحظ على بعض ألفاظها التكرار غير المبرر .. كما يبدو على أسلوبها المباشرة – ربما – لأن الموضوع يحتاج إلى ذلك الوضوح ومع ذلك فإن القصيدتين تعطيان أضواء ساطعة على شاعرية مقبول بن صـديق الحكمـي وشاعرية عصره وموطنه.

---

[1] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني للنعمان الضمدي الورقات ٢٧٠- ٢٧١ – ٢٧٢

٦- العلّامة الشاعر: الحسن بن أحمد النعمان الضمدي (... - ...):

انفرد بترجمة العلامة (الحسن النعمان) صاحب كتاب مطلع البدور ومجمع البحور وذكر أنه من مشاهير أعلام المخلاف السليماني قبل القرن العاشر ومع أن قريبه عبد الله بن علي النعمان لم يترجم له في كتابه الموسوعي: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) إلا أنني حين قرأت ترجمته لدى ابن أبي الرجال وجدته يشير إلى قدومه من المخلاف السليماني إلى اليمن وأن له أشعارا كثيرة، منها قصيدته في مدح الإمام: (شرف الدين)[*] ومعلوم أن الإمام (شرف الدين) من أعلام أئمة اليمن في القرن العاشر الهجري (٨٧٧-٩٦٥هـ) [١]، وهذا الإمام أحد مشائخ العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٠) الذي نال منه إجازة علمية [٢] وسبق أن أشرت إلى ذلك كما مر بنا في ترجمة (ابن عمر).

لذلك فإن هذه الشذرة التي أوردها ابن أبي الرجال عن مدح علمنا (النعمان) للإمام شرف الدين تؤكد انتماءه إلى أعلام شعراء القرن العاشر في المخلاف السليماني بصرف النظر عن عبارة محقق مطلع البدور ومجمع البحور التي وضعها بجانب اسم علمنا: (قبل القرن العاشر) ومما ذكره عنه ابن أبي الرجال قوله: (الفقيه اللسان البليغ العلامة: الحسن بن أحمد النعمان الضمدي، من مشاهير المخلاف السليماني وعيون أهله، من البيت المعمور بالعلوم، قدم صنعاء ... وله أشعار منها قصيدته في الإمام (شرف الدين)، وقرئت هذه القصيدة بمسجد الحشوش بالجراف ومنها:

---

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ١٧٥، ١٧٦.

[١] اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد إسماعيل الكبسي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ ص١٩٦، ٢٥٢.

[٢] انظر المصدر السابق ص٢٧٥ ، وانظر ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد محمد زبارة ج٢ ص٢٠٤، دار المعرفة في بيروت دون ذكر سنة النشر.

على الرملة الوعساء رنَّحَ لـي قَـدًا ... فقـدُ فـؤادي قَـدُهُ جهـرةً قَـدًا
وأضرم نـار الحسن فـي وَجَناتـه ... لقتلي، فما كانت سلاماً ولا بـردا
وأسبل ليل الجعد فـوق متونـه ... لزورة صبٍّ ذاب مـن صده وجـدا
وحاول أن يخفي علـى رقبائـه ... فنمّ به الخلخال إذ بصر البـدا [1]
فيا من لصبٍّ كل شيء يـروده ... يُـردُّ عن سؤال مهجته ردا
غريق دموعٍ، مات إلا أقلـه ... له زفرات تحرق الحجر الصلدا
يهيّجه سجع الحمامة فـي الضحى ... إلى جؤذر لـو قابل القمر اربدّا
ثوى كنفي نجد، وفي الغور مسكني ... ألا فَسَقَتْ أمواجُ دمع الهوى نجـدا
فوآ حرَّ قلبي، نُبْتُ من لاعج الجوى ... وبَـذَّ لذيذ النوم عنـي إذا بـدا
فوا رحمتا، يا رحمتا لي من الهوى ... وقد كنت قبل العشق أحسبني جلـدا
فلما ابتلاني صرتُ رقـاً لرقّـه ... فوا عجبا للغيد تقتنص الأسـدا
ولست ببدع إن هلكت صبابة ... فدون الذي لاقيت يهلك من أبـدا
ويا قاتل الله الغواني إنهـا ... لأعظم ذنباً من سفوك الدما عمـدا
أذاعوا بأني قد نقضت عهود من ... هويت، معاذ الله أن أنقض العهـدا
أمثليَ لا يرعى مودّة شادنٍ؟ ... على وفرة الواشين يمحضني ودًا
نعمت به والدهر مثل جفونـه ... وقد عقدت عنا صروف النوى عقـدا
ولم أنس لا والله ليلة وصلـه ... فأفرشني زنداً وألحفني نهـدا
وبت به أحيا وأفنى صبابة ... وأقطف بالتقبيل من خده وردا
إلى أن بدت رايات صبح كأنـه ... محيّا أمير المؤمنين رأى الوفـدا
إمام الهدى (يحيى) الذي ظهرت لـه ... مكارم شتى تحصر الحصر والعـدا
ومن نال عزاً لم ير قط قبلـه ... ودوخ كل الأرض واخترم الأعـدا
فلله (يحيى) تاج آل محمـد ... ومنعم من في الأرض من كفه رفـدا
ومن سار فينا مثل سيرة جَدّه ... فأصبح شرب الحق من سعيه شـهدا
إمام براه الله للحق رحمـة ... فكل غويٍّ من غوايته يهـدى

---

[1] قال محقق (مطلع البدور ومجمع البحور) في الهامش معلقاً على عدم وضوح هذه اللفظة : (هكذا في الأصل).

فطوبى لنا مــن معــشر قــام جــدنا   بــ(يحيى الرضى) بحر المكارم مذ جدّا
وكــف أكــف الــدهر عنـــا بــسعيه   كما فلّ عنا من ضروس الردى حــدّا
وحكّمنا فــي كــل مـــا كـــان طارفـــاً   وكـــل تـــلادٍ، لا رأينــــا لــــه فقــــدا
فيا أيها البحـــر الـــذي موجـــه الغنـــا   إليك نظاماً رائقـــاً يفـــضح العقـــدا[1]

والقصيدة طويلة اختار منها ابن أبي الرجال، واخترت مما اختاره منهـا ابن أبي الرجال حرصاً على الاختصار.

ولعل القارئ يشاركني لذة الاستمتاع بنسيبه الذي صدَّر به هذا النص فهو كما ترى يمثل أنموذجاً لا يحققه إلا قليل من الشعراء المطبوعين وإن لم يخل من شيء من الحنين المكبوت في تجاويف الذاكرة أظهر بعضه تلاعبه بالألفاظ كقوله: (غريق دموع، مات إلا أقله له زفرات ....) وكقوله:

فيا من لصبٍّ كل شيء يـــروده   يرتد عـــن ســـؤال مهجتـــه ردّا

ومع ما أشاع فينا غزله الرقيق من لذة مشاركة، ومتعة تذوق، فقد أحسن الانتقال إلى الممدوح بحسن تخلص لا يجيد مثله سوى بعض الشعراء مما يؤكـد رسوخ قلمه الشعري الذي حجبت عنا صروف الأيام إبداعاته الرصـينة الأخـرى والتي نطمع أن نجد إليها سبيلاً في قابل الأيام.

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٢ ص١٠-١٢

٧- العلامة الشاعر: علي بن الصديق بن الدهل الحكمي (٠٠٠-٩٨١هـ):

أحد علماء أسرة آل الحكمي في القرن العاشر الهجري بل أحد أعلام المخلاف السليماني في ذلك العصر كان صاحب علم غزير يفيد به طلابه وقاصديه تفرد بالحديث عنه العلامة عبدالله النعمان وعنه نقل الفاضلان (العقيلي) و (أبو داهش)، ومما قاله النعمان:(العلامة الشيخ نور الدين علي بن الصديق بن الدهل بن الصديق بن أبي بكر الحكمي، بحر علم، كان يلفظ بحار معارفه بجواهر الفوائد ويدر شراب رحيق لطائفه من كؤوس الفرائد وله نظم غريب ومن أحسن كلامه قصيدة في المواعظ والحكم منها قوله:

اغتنم فرصة الليالي البواقي	قبل أن يشتملن ثوب المحاق
ذهب العمر وانقضى وتولت	منك أيامه كلمح الأماق
عد إلى الله تائبا عن ذنوب	عقبها لو عرفت مُرٌّ المذاق
واذكر الموت واخش للفوت واحذر	فرقة الاعتبار يوم التلاقي
وازجر النفس مانعا لهواها	وعليها فاحرص بشد الوثاق
واتهمها إذا أتتك بنصح	فلعمري لذاك عين الوفاق
واصحب الجد ما بقيت وبادر	بتتالي اللحاق قبل السياق
واجعل الصدق والتقى لك زادا	نعم زاد الطريق للارتفاق
وكذا الصبر فادّرعه لتحمي	فهو درع من المكاره واقي
وعلى الله فاتكلْ فهو كاف	كافل للعباد بالأرزاق
واحفظ القلب من تقلقل وهم	إنما الوهم كالصفا الزّلّاق
وسلام على النبي المفدى	أشرف الخلق كامل الأخلاق

توفي رحمه الله سنة ٩٨١ هـ) [١].

وقصيدته تلك تندرج في شعر المواعظ برغم ما حفلت به من لفتات فنية وبعض الصور الشعرية ومع ذلك فإننا قد نظلم علمنا (الحكمي) إن نحن أردنا إن نحاكم هذه الأبيات فنيا ، لكننا أردنا إثباتها دليلا على قدرة علمنا على النظم حتى وإن كان الروي حرف القاف الذي يعتبر من أصعب أنواع القوافي حيث يقف أمام هذا الحرف كثير من الشعراء ومع ذلك فقد استطاع الحكمي أن يوصل رسالته الوعظية حيث حملت تلك الأبيات حزمة من المعاني الإيمانية والتوجيهات الروحانية التي يتسامى إليها الصالحون من عباد الله، وربما كانت لعلمنا قصائد لم نصل اليها من أجل ذلك ذهب أبو داهش إلى وصف شعر علمنا بقوله: (وله أشعار لطيفة وزهديات رقيقة ومنها قصيدته)[١] التي أشرنا إليها في الصفحة السابقة .

وترجم لعلمنا محمد بن أحمد العقيلي في كتابه أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان فقال : (الشيخ الفقيه الأديب علي بن صديق الحكمي من فقهاء عصره وأدباء عهده له أشعار لطيفة وزهديات رقيقة وله نظم غريب ومن أحسن كلامه قصيدته في المواعظ والأدب) [٢]

وبعد فقد كانت هذه هي القصيدة الوحيدة التي أتحفنا بها صاحب العقيق اليماني ولم تسعفنا بقية المصادر التي بين أيدينا بنص آخر لعلمنا علي بن صديق الحكمي فاكتفينا بإثبات هذا النص على أمل أن نصل إلى مصادر أخرى تحفل بشيء من شعر علمنا الحكمي في قابل الأيام .

---

[١] العقيق اليماني لعبد الله النعمان ، الورقة ٢٦٩ .

[١] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبي داهش ، ص ٣١٠ .

[٢] أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي ، ص ١٠٧ ، وانظر التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي أيضا ج ١ ص ٢٩٩ .

٨- العلامة الشاعر: عمر بن عبد القادر الحكمي:
(٩٢٣-٩٨١هـ):

عالم كبير وشاعر غزير الإنتاج الشعري، فهو من أصحاب الدواوين الشعرية، كان صاحب دور ريادي في مدرسة آل الحكمي بأبي عريش في القرن العاشر الهجري، وكان يرجع إليه في المسائل العلمية، لقب بالمفتي نظراً لمكانته العلمية الكبيرة.

- ترجم له النعمان في العقيق اليماني فقال: (الشيخ الإمام العلامة، علم الأئمة الأعلام، سراج الدين عمر بن عبد القادر بن محمد بن الصديق بن الدهل بن الصديق بن علي بن أبي بكر الحكمي ... ولد الشيخ عمر بن عبد القادر في شهر صفر سنة (٩٢٣هـ) فحفظ القرآن العظيم لدون عشر سنين واشتغل بطلب العلم قبل بلوغ سن الرشد ..... قرأ في الفقه على الشيخ: (محمد بن صديق بن أبي الفتح) وفي العربية (قطر الندى) وشرحه (الحاجبية) وشرحها على الشيخ: (الدهل بن أبي الفتح الحكمي) [١] وعلى الفقيه (المحلوي)[٢]، وأخذ في القراءات على: (شيخين بن أبي الفتح) [*] والقاضي (أحمد بن أبي

---

[١] الدهل بن أبي الفتح الحكمي: (...-...): كان من أكابر علماء المخلاف السليماني في القرن العاشر وبخاصة في العلوم العربية حيث كان مرجعاً فيها وشيخاً لعدد كبير من علماء المنطقة، تحدث عنه النعمان الضمدي في كتابه العقيق اليماني فقال: (كان العلامة الدهل بن أبي الفتح الحكمي متفرداً في علوم العربية وبخاصة في علم النحو الذي بلغ فيه الغاية القصوى وتتلمذ عليه خلق كثير من علماء المخلاف السليماني في عصره) انظر شيئاً عنه في كتاب العقيق اليماني الورقة ٢٦٠ .

[٢] الفقيه المحلوي هو: العلامة محمد بن عبد القادرالمحلوي (٠٠٠-١٠٢٦هـ) عالم العربية والأدب بالمخلاف السليماني في عصره ولد ونشأ بصبيا وكانت حياته للعلم والتعليم، تعلم العربية بأبي عريش، فأتقنها غاية الاتقان، وكان أحد العلماء الذين انتفع بعلمهم عدد كبير من طلاب العلم، فقد عُمِّر طويلاً وظل ملازماً للتدريس والفتيا والعبادة، وصف بأنه شيخ العلوم العربية في عصره قال عنه عبد الله النعمان الضمدي: (كان فقيهاً عالماً فاضلاً وكان ملازم المسجد للتدريس والعبادة والفتيا..... إلى أن قال ولا يوجد أحد من أهل العربية بجهة تهامة إلا وللفقيه محمد المحلوي عليه مشيخة أو نحوها توفي - رحمه الله - سنة ١٠٢٦هـ. انظر ترجمته في العقيق اليماني (مخطوط) الورقتان ٣٥٧ ، ٣٥٨.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص١٩١.

الفضائل) [1] و (عثمان الأقرع) [2] وأخذ في الفرائض والحساب على: (محمد بن المحبوب الوليدي) [3].. ولم ينتقل لطلب العلم عن بلده، ولم يخرج إلا للحج ... انفرد الشيخ عمر بالفتوى والتدريس .. وكان في ابتدائه يُدرِّس بالجامع لمدة خمس سنين، ثم بنى زاوية وكان يُدرِّس بها سائر الفنون .... وانتفع به خلق كثير) [4]. ثم قال: (وله نظم حسن وديوان شعر كبير)، ثم أورد بعد ذلك نماذج من شعره بدأها بقصيدته ذات المطلع:

هبَّ النسيم وطاب الأنس والسمر وغاب حسادنا عنّا فلا ذُكروا

---

[1] أحمد بن المقبول الأسدي الملقب بأبي الفضائل (٠٠٠-٩٦٢هـ): عرفت أسرة آل الأسدي عدداً من علمائها وقضاتها يحملون هذا الاسم وذلك اللقب لذلك وجدنا المؤرخ النعمان الضمدي حين ترجم لعلمنا هذا ورأى أن اسمه ولقبه مثل تلك الأسماء المتكررة قال أثناء ترجمته لعلمنا: (وهذا القاضي أبو الفضائل أحمد بن المقبول الأسدي هو غير ذلك القاضي الأسدي المعروف بأبي الفضائل الذي مازال يؤدي مهمة القضاء بأبي عريش في زمننا هذا أي في القرن الحادي عشر ويقصد به أبو الفضائل - آخر - أحمد بن المقبول الأسدي المتوفى سنة ١٠٢٣هـ)

أما علمنا هذا فهو القاضي العلامة أحمد بن المقبول بن عمر بن أبي بكر بن محمد ...... الأسدي المتوفى سنة (٩٦٢هـ) فقد كان عالماً، ومؤرخاً، وشاعراً، كما كان قاضياً عادلاً، وخطيباً مفوهاً، انظر ترجمتنا له في الصفحات من بحثنا هذا، وانظر شيئاً عنه في العقيق اليماني الورقات ١٧٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥، وانظر: عقد الجواهر والدرر للشلي ص٢٣٦.

[2] عثمان الأقرع هو: العلامة عثمان بن السهل الأقرع (٠٠٠-٠٠٠) كان أحد علماء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري تتلمذ عليه خلق كثير من أبناء المخلاف فقد أشار النعمان إلى مشيخته في أكثر من موقع في كتابه الموسوعي العقيق اليماني وصفه العلامة المحبي في خلاصة الأثر بـ (الشيخ العلامة عثمان بن السهل الأقرع) وذكر بأنه أحد تلاميذ العلامة الكبير الشيخ شيخين بن أبي الفتح الحكمي. ووصفه العقيلي بالشيخ العلامة القاضي. انظر نُبَذاً يسيرة عنه في العقيق اليماني الورقة ٢٦٠، وفي أضواء على الأدب والأدباء للعقيلي ص١٠٧، وفي التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٥٤، وفي كتابنا نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير ص٣٤، ٣٥.

[3] العلامة محمد بن المحبوب الوليدي (٠٠٠-٩٩٩هـ): ترجم له عبد الله النعمان الضمدي في كتابه العقيق اليماني فقال: (كان عالماً عاملاً ورعاً زاهداً فقيهاً مدرساً درّس بمسجد المحفدي في أبي عريش فلما ضاقت عليه الأحوال انتقل إلى بلدة العُقدة وفيها لازم الشيخ الولي أحمد محمد القيراط الذي تعهد له بالكفاية فلازم صحبته وصحبة ابنه عمر وظل يُدرِّس بمسجدها حتى توفاه الله سنة ٩٩٩هـ). انظر العقيق اليماني (مخطوط) الورقة ٣٢٩، وأضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان للعقيلي ص١٠٦، وأهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش ص١٩٦، ونبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير ص٣٥.

[4] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني، لعبد الله النعمان مخطوط الورقة ٢٥٩-٣٣٠.

– وترجم له محمد بن أحمد العقيلي فقال: (الشيخ المفتي العلامة: عمر بن عبد القادر الحكمي (٩٢٣-٩٨١هـ) النجم المشع، والكوكب المتألق، في سماء ذلك البيت (آل الحكمي)، استظهر القرآن قبل العاشرة، ومن ثم أخذ في الدرس والتحصيل.....) وأخذ العقيلي يذكر مشائخ العلامة الحكمي نقلاً عن النعمان الضمدي إلى أن قال: (وبعد استكمال الدراسة وحصوله على الإجازات قام بالتدريس في جامع أبي عريش ... وفي سنة ٩٧٧هـ توفي قريبه المفتي محمد بن صديق الحكمي فأسندت إليه رئاسة التدريس والإفتاء وعمره أربعة وعشرين عاماً فقام ببناء مدرسة لنشر العلم والمعرفة والإرشاد فنفع الله بها وتخرج فيها عدد من أبناء المنطقة والبلاد المجاورة .. توفي في سن مبكرة وعمره لم يتجاوز السابعة والأربعين وللمفتي الجليل عمر بن عبد القادر الحكمي أشعار فائقة جمعها في ديوان في حياته) [1].

– أما عبد الله أبو داهش فيقول عن علمنا: (وللشاعر: عمر بن عبد القادر الحكمي (٩٢٣-٩٨١هـ) ديوان شعر جمع فيه أشعاره ومنها قصيدته التي يقول في صدرها:

هب النسيم فطاب الأنس والسمر ... وغاب حسادنا عنا فلا ذكروا[2]

والقصيدة كما أشرنا أوردها صاحب العقيق اليماني ومنها قوله بعد بيت المطلع:

وأين من تلكم الحسنا نواصلها ... فزال عنا عناء وانجلى كدر
هب النسيم بطيب العيش فانتعشوا ... وفي رياض الرضى من روحها حضروا
فهذه أكؤس الأصحاب قد حليت ... حفت بها تحف بل أنجم زهر
سلافة تسلب الألباب حليتها ... من المناسم تستجلي وتعتصر
كم حي أصبَتْ، وكم قوم بها دهشوا ... وكم أناس بريّا نشرها سكروا
ناموا فقاموا سكارى عند ما جليت ... طاشوا ولا جنة فيهم ولا حور

---

[1] أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي ص١٠٨ وانظر هامش ص٣٠١-٣٠٢ من المجلد الأول من كتابه: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان.

[2] أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبو داهش ص٣١٠ ، ٣١١.

باتــت تعللهــم حــسناء فائقــة ... من ثغرهـا سُـكرٌ، مـا مثلـه سـكر
كأنها البــدر حــسنا، والنجـوم لهـا ... قلائــد، وحلاهــا الجيــد والــشعر
أو غــصن آسٍ، عليــه مــشرق قمــر ... فاعجب لغـصن عليـه يحمـل القمـر
مــن فوقــه مظلــم كــث، وذا عجــب ... بــدر يــضيء عليــه الليــل معتكــر
من وصفها أنها كـل الجمــال حــوت ... في ساعد المدح عما قد حوت قصر [1]

ولست في حاجة إلى ذكر جماليات هذه القصيدة ولغتها الجميلة وصورها الشعرية المعبرة وما اشتملت عليه من بيان موشى، وبديع قد رشه في الأبيـات رشاً، جعلتنا نهش لشاعريته هشا، نعم لست فــي حاجة إلى ذلــك ، فالقــصيدة تتحدث عن نفسها ، وروعتها تغني عن توصيفها أو تحليلها.

ومن شعر العلامة عبد القادر الحكمي أيضاً مرثية في شيخه محمد بن صديق الحكمي يقول فيها:

خطب بدا سلب العقــول مظــاهره ... وسرت فحفــت بالأنــام غــوائره
قالوا أتــاك اليــوم علــم فــادح ... سلب المنــام شــيوعه ومــواثره
وأتتك كتب أن شيخك قــد ثــوى ... واندك طــود بقائــه ومنــاظره
نجل الكرام محمد، فــرع الرضــى ... الصديق قانــت ليلــه، ومــسامره
شيخ عظيم فــي العلــوم منــاظر ... مــا زال طالبــه تقــر نــواظره
طود العلوم الشامخ العلــم الــذي ... أمثاله عــدموا، وعــزَّ مُنــاظره
بحر له لجــج تفــيض جــواهرا ... قــد نالهــا تلميــذه ومــذاكره
يملــي عليــه فرائــدا وفوائــدا ... من كل علم طاب عنــه مفــاخره
ويفيــد منهاجــا وإرشــادا ومــا ... في الروض من علم حوته دفاتره
كانــت مدارســه رياضــاً كلهــا ... تجبــى قطائفهــا لديــه معاشــره
يا طالبــا للعلــم غــاب ســحابه ... وتفرقــت أنــواؤه ومــواطره

---

[1] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني للنعمان الضمدي الورقة ٣٣.

من ذا يُدرِّس علمكم يوماً وقد	طويت دفاتره وفتن مساطره
لو كان يُفدى ميِّت نال البلى	لفدتك من كل النفوس ذخائره
لو كان يقبل من صديق فدية	لفدا الصديق صحابه وعشائره
ثلمت بفقدك ثلمة من ديننا	وتنكرت أعلامه وشعائره
والحمد للمولى على ما قد قضى	وجرت على ما قد أراد أوامره

قال عبد الله النعمان صاحب كتاب: (العقيق اليماني) بعد بيت (الحمد) الأخير: وهي طويلة جدا اقتصرنا منها على هذا القدر) [1].

على أنني حين أسرِّح الطرف في أبياتها – على قصر ما اختير منها – أجد الشاعر قد استخدم معجماً شعرياً يليق بمناسبة الرثاء فكل شيء يبكي شيخه الفقيد .. وقد ختمها بالفداء غير الممكن بعد أن جعله بعد حرف الامتناع الذي ذكره في البيتين قبل الأخيرين .. وإن كانت (لو) هنا قد شحنت بمعنى التمني عزيز المنال.

رحم الله شاعرنا العلامة: عمر بن عبد القادر الحكمي الذي لم يكمل من عمره عقده الخامس.

---

(1) المصدر السابق الورقتين ٢٦١ ، ٢٦٢ وانظر ص٢٨٥ من المجلد الأول من كتاب التاريخ الأدبي للعقيلي تجده قد نسبها خطأ للقاضي أبي الفضائل: (أحمد بن المقبول الحكمي) الذي ترجم له في ص٢٥١ وجعل تاريخ وفاته ١٠٩٣ ولكنه هنا قد جعل وفاته سنة ٩٧٧هـ فهل هناك عالم آخر من هذه الأسرة المباركة يحمل هذه الكنية أم أن هذا خطأ مطبعي؟.

٩- العلامة الشاعر: محمد بن أحمد بن إبراهيم النعمان الضمدي (٠٠٠ -٩٩٩ هـ [١]):

عالم وشاعر كبير من شعراء المخلاف السليماني، وينتمي إلى أسرة علمية شهيرة أنجبت العلماء والشعراء والمؤرخين هي: (أسرة آل النعمان) وإلى بلد عرفت بهجرة العلم وهي كذلك بلد العلم والعلماء إنها (ضمد) التي قال عنها ابن أبي الرجال: (هذه الهجرة الضمدية - عمرها الله بالتقوى - مطالع لشموس العلم والآداب حتى اشتهر أنه لا يخلو عن مجتهد وشاعر) [٢].

- ترجم لشاعرنا النعمان صاحب كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) فقال: (الفقيه العارف البليغ بدر الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم النعمان الضمدي كان من أهل البلاغة واللسن والأدب والعرفان والفضل والكمال) [٣]. ثم أورد له قصيدة من شعره سنختار شيئاً منها ومطلعها:

وحق الهوى العذري مالي من عذر　　　إذا لم أمت من حب مخجلة البدر

- وترجم له قريبه: العلامة عبد الله النعمان في كتابه المخطوط: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) فقال: (الفقيه العلامة الأديب الأريب الفهامة الفصيح المصقع جمال الدين: محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم النعمان كان فقيها عالماً عاملاً ورعاً تفقه وتأدب في الجبال على مشائخ علم كثيرين ولازم صحبة القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي وانتفع به ورحل إلى مكة المكرمة مراراً عديدة حتى قرر له شريف مكة عطاء سنوياً وعكف في آخر مدته ببلدته ضمد على العبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وملازمة

---

[١] في هامش الصفحة ٢١٠ من كتاب مطلع البدور ومجمع البحور في جزءه الأول وردت العبارة الآتية :(في روح الروح لعل تاريخ وفاة صاحب الترجمة رقم ١١٣ "محمد بن أحمد النعمان" لعل تاريخ وفاته هو ٩٩١هـ) .

[٢] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٢٥٨ ، ٢٥٩

[٣] المصدر السابق ج٤ ص٢١٧

التدريس وله شعر عظيم ومنه قوله في مدح أمير مكة في عصره الشريف حسن ابن أبي نمي [1] :

الحمد لله هذا السؤل والمنن	هذا المقام، وبيت الله والحسن
سلالة العزّ، من أبناء حيدرة	ومن به الآن قام الفرض والسنن

حتى قال:

ما للرجال؟ أقال الله عثرتهم	تغرهم زهرة الدنيا، وما فطنوا
في غفلة وغرور عن معادهم	كأنهم من عذاب الله قد أمنوا
أهم نيامٌ؟ وإلا غافلون؟ أما	آن التيقُّظُ، حتى يذهب الوسن
شمّر،وبشّر، وأنذرْ،ما استطعت فمن	سعى بجدٍ، فذاك الفائز القمن
واعمل ليوم غدٍ، إن كنت ذا رشد	كلٌ بما كسبت كفّاه مرتهن
إلا – لعمرك – أصحاب اليمين، فلا	خوف عليهم، ولا بأس، ولا حَزَنُ

وإلى جانب لغته الشعرية هذه التي استخدمها في هذه الأبيات نجده يبث المعاني القرآنية والإيمانية كقوله: (تغرهم زهرة الدنيا)، (كل بما كسبت كفاه مرتهن) (إلا .... أصحاب اليمين)، (فلا خوف عليهم)

ويقول المؤرخ عبد الله النعمان بعد أن أورد تلك الأبيات:

ثم عاد محمد بن أحمد النعمان إلى المدح فقال موجهاً مديحه للشريف حسن بن أبي نمي:

---

[1] هو الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات ولد سنة ٩٣٢ ، نشأ في كنف والده سعيداً حميداً ، كان الساعد الأيمن لوالده حيث فوض اليه الامر في حياته حتى توفي والده سنة ٩٩٢هـ فاستقل بسلطنة الحجاز فضبط الأمور، وأمنت البلاد ، كان عظيم القدر شجاعا مقداما حاذقا ذكياً ألمعياً، وإن كان في آخر مدة حكمه قد استوزر رجلاً من غير أسرته اسمه: عبد الرحمن بن عتيق وفوض إليه أموره ففوض خيام العدل وشابها بالظلم والجور ووجه المضار إلى جملة المسلمين ولم يسمع الشريف الحسن بن أبي نمي في هذا الوزير الظالم نصح الفضلاء والأكابر فاستمر ظلم ذلك الوزير حتى توفي الشريف الحسن سنة ١٠١٠هـ انظر ترجمته في : نشر الثناء الحسن لإسماعيل الوشلي ج٢ ص ٩،٨،٧ وكذلك في مخطوط العقيق اليماني الورقات ٣١٥-٣١٧، ٣٤٦، وفي الديباج الخسرواني ص ٧٠، وفي تاريخ مكة للسباعي ص٣٤٩، وفي خلاصة الأثر ج٢ ص٣٦١.

أبا علي كـلاك الله مـن ملـك | له على كل شخص رتبة وحُنُـو
أنت الذي ألبس الأيـام جـدتها | من بعد ما آن منها للبلاء دنُوْ [1]

قلت: وهكذا توقف النعمان في تأريخه عن ذكر بقية النص واكتفى بهـذه الأبيات من هذه القصيدة التي تقطعت أنفاسها عدة مرات وختم كلامه عن الشاعر محمد بن أحمد النعمان بقوله: (وله ديوان أشعار رائقة متوالية مشهورة) [2].

- أما الأستاذ: محمد بن أحمد العقيلي فقد ترجم له فقال: (الفقيه الأديب العلامة: محمد بن أحمد بن إبراهيم النعمان المتوفى سنة (٩٩٩هـ) وهو من آل النعمان المشهورين بالفقه والأدب) وبعد أن نقل بعض ما ذكره صاحب العقيق اليمـاني ختم ترجمة شاعرنا: محمد بن أحمد النعمان الضمدي بقوله: (وله أشعار كثيـرة لم نقف منها إلا على القصيدة المشهورة والمقطوعة الواردتين في هذا الباب)[3].

ومن شعر محمد بن أحمد النعمان: قصيدته المخمسة التي أوردها صاحب كتاب مطلع البدور ومجمع البحور أثناء ترجمته للنعمان والتي مدح بها النعمـان شيخه الإمام شرف الدين حين ولاه إمارة ينبع التي نوَّع الـشاعر فـي قافيتهـا ورويِّها؛ حيث جعل كل بيتين ينتهي شطرهما بروي موحَّد وختم كل بيتين بقفلـة تنتهي كذلك برويٍّ موحد في جميع القفلات هو حرف الراء المكسورة وقـد بـدأ النعمان قصيدته بغزل رقيق حيث قال:

وحق الهوى العذري مالي من عذر | إذا لم أمُت من حب مخجلة البـدر
مثقلة الأرداف، مخطوفة الخـصر | بعيدة مهوى القرط طيبـة النـشر

فويترة الألحاظ خمرية الثغر

---

[1] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني لعبد الله النعمان الضمدي مخطـوط الـورقتان ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

[2] المصدر السابق الورقة ٣٢٨.

[3] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي ج١ ص٢٥٥ .

برهرهـــة، رودٌ رُشَـــيّقةُ القـــدّ　　معقربة الأصـــداغ ورديـــة الخـــد
بملمظها ظَلْــمٌ ألـــذُّ مـــن الـــشهد　　ومبسمها الدريُّ أبهى من العقـــد
أذابت فؤادي في الهوى وهي لا تدري

أنوح إذا ناح الحمـــام المطـــوق　　إلى غادة في خدها الورد مـــورق
يُهيِّجنـــي بلبالهـــا ويـــؤرق　　فمن لي بها إنـــي إليهـــا لـــشيِّق
تفيض دموعي من غرامي على صدري

فرفقاً فدتكِ النفس بـــالمغرم الـــصبِّ　　ومَنّاً على الصادي، إلى ريقكِ العذب
فقد كدت أقضي من أليم الهوى نحبي　　وماليَ لا والله غيـــرك مـــن طِـــب
فزوري سمير النَّجم في حندس الشعر

لعـــل تبـــاريح الـــصبابة تبـــرحُ　　ويسكن وجدٌ كان في القلب يقـــدح
ويرقأ دمـــع منـــه جفنـــي مُقـــرَّحُ　　فيا ليت شعري هل ليَ الدهر يسمح
بوصلكِ إني صرتُ كالقلم المبري

عسى ولعل الدهر بالوصل يسعف　　فلم أنس لا والله إذ بـــت أقطـــف
شقائق خـــد بالنـــضارة ينطـــف　　كأنَّ ندى مـــولى البريـــة يقـــذف
عليه بأمواج تجل عن الحصر

وفي الشطرين الأخيرين يصل إلى ممدوحه الإمام (شرف الدين) دون أن يشعرك بانتقاله أو يحسسك بتقطع في نفسه الشعري ثم يواصل مديحه فيقول:

إمام الهدى (يحيى) أجل الورى قدرا　　وأطولهم باعاً، وأعظمهـــم فخـــراً
وأبـــسطهم كفـــاً وأرفعهـــم ذكـــراً　　وأربطهم جأشـــاً، وأوســـعهم بِـــرًا
وأثبت من قد قام بالنهي والأمر

وأعلى بني الدنيا وأوفاهمُ عهـدا   وأنفذهم رأيـاً وأوراهـم زنـداً
وأرحمهم حلماً وأشـرفهم مجـدا   وأفضلهم طـرّاً وأرحـبهم رفـدا
وأولاهم والله بالحمد والشكر [1]

والعجيب أن ابن أبي الرجال قد وقف عند هذا الحد من القصيدة التي أتوقع بأن تكون طويلة حيث نلاحظ أن نصيب الممدوح من هذه القصيدة أربعة أبيات مع قفلتها فقط ، وما زال نفسها الشعري لاهثاً فهل خشي الإطالة أم ماذا ؟ ومع ذلك فهاتان القصيدتان تؤكدان شاعرية محمد بن أحمد النعمان وجزالة لغته ورقة حاشيته في غزله كما تؤكدان عناية شاعرنا بمفرداته الشعرية في النصين على أن القصيدة الثانية قد اختارت جانب التشبيب الذي أطلق فيه النفس على سجيتها حين قال:

لعـل تبـاريح الـصبابة تبـرحُ   ويسكن وجدٌ كان في القلب يقـدح
ويرقأ دمع منـه جفنـي مقـرح   فيا ليت شعري هل ليَ الدهر يسمح
بوصلك إني صرت كالقلم المبري

وحين انطلقت المشاعر الوجدانية من عقالها استدعت الصور والتعابير الشاعرة التي أتت في تسلسل منطقيٍ لم ينس معه الشاعر عنايته باللغة فجاءت القصيدة في ثوب مطرز بأبهى الألوان البلاغية، وهكذا جاءت قصيدته كالنهر الرقراق المتدافع نحو المصب ، رحم الله شاعرنا محمد بن أحمد النعمان الذي سنظل نتطلع لرؤية ديوانه الذي أشار إلى وجوده قريبه المؤرخ عبد الله النعمان في (عقيقه) فلعل ذلك يتحقق بمشيئة الله.

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٢٥٩.

١٠- العلاَّمة الشاعر: محمد بن الحسن بن عبد الرحمن النعمي (٠٠٠-٩٩٩هـ):

شاعر وعالم من أصحاب الدواوين الشعرية كما أثبت له ذلك جل من ترجم له ومع ذلك فلم نجد من شعره سوى بعض قصيدته المشهورة في التضرع ذات المطلع:

يا حي يا قيوم فرج كربتي وعافني واغفر جوامخ زلتي

تلك القصيدة التي توجه بها إلى خالقه سبحانه وتعالى في خشوع وإنابة فهي مجموعة ابتهالات شحنها بألفاظ وعبارات إيمانية قوية فجاءت من أولها إلى آخرها برغم طولها مزدحمة بهذه المعاني الإيمانية العميقة ، وبرغم طولها إلا أننا كنا نتمنى لو أنها قد أتت معها قصائد أخرى من شعر علمنا النعمي ما دام شاعرنا من أصحاب الدواوين الشعرية.

- ترجم لعلمنا (النعمي) العلامة: عبدالله النعمان في كتابه: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) فقال: (السيد العلامة الفصيح المصقع جمال الدين محمد بن الحسن النعمي .... له ديوان شعر عظيم منه القصيدة المشهورة التي في أولها:

يا حي يا قيّوم فرّج كربتي وعافني واغفر جوامح زلتي

وهي طويلة جداً [١].

ثم ماذا؟ لم يذكر لنا شيئاً من شعره الذي حواه (ديوان شعره العظيم) كما وصفه ، وهو لم يفعل ما فعله صاحب كتاب مطلع البدور -على الأقل- حين أورد قصيدته التي سماها: (الرحمانية) شبه كاملة.

---

[١] العقيق اليماني الورقة ٢٢٧ ، ٢٢٨

- أما محمد بن أحمد العقيلي فقد اختصر ترجمة النعمان لعلمنا (النعمـــي) ونقـــل عن (مطلع البدور) لابن أبي الرجال جزءًا كبيراً من قصيدته: (يا حي يا قيـــوم فرّج كُربتي) [1].

- ومثله عبد الله أبو داهش الذي أشار إلى الشاعر: (محمد بن الحسن النعمي) فقال: (له ديوان شعر معروف ومنه قصيدته المشهورة في التضرع) ... ثم نقل من القصيدة ثلاثة عشر بيتاً وختمها بقوله: (وهي قصيدة طويلة جداً)[2].

- أما أحمد بن أبي الرجال فلقد تحدث عن علمنا (النعمي) حديثاً طويلاً وأشـــار إلى مكانته العلمية والاجتماعية ثم تحدث عن قصيدته التي سماها: (الرحمانية) ووصفها بأنها (سيَّارة) في البلاد وأنها من بحر الكامل ثم أوردها كاملة وكـــاد بإفاضته تلك أن يشبع نهمنا وإن كنا نتطلع إلى المزيد من شعره، ومما قاله ابـــن أبي الرجال عن علمنا: (بدر الدين محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى الحسني النعمي، صاحب ورع وعفّة .. تعمَّر عمراً نافعـــاً ومـــن شعره القصيدة الرحمانية السيارة في البلاد ...) [3] ثم أورد القصيدة.

قلت: ولأننا لم نجد من شعره سواها مع أن كل من ترجم له يذكر بأن له ديوانـــاً شعرياً ، ولأنها قوية في بابها وسبكها ومعانيها ولغتها فإنني سأســـجل أكثرهـــا فـــي الصفحات التالية رغم طولها غير الممل، فإلى أبيات هذه القصيدة التي يقول شاعرنا النعمي فيها:

يا حي يـــا قيـــوم فـــرج كربتـــي ... وعافني واغفـــر جـــوامح زلتـــي
يـــا خـــالقي ورازقـــي ومنجـــأي ... وملجـــأي ومفزعـــي وعـــدتي
يا سيدي، يا سندي، يـــا موجـــدي ... من عدم يـــا مـــددي يـــا جنتـــي
يا منتهى سؤلي وأقصى مقـــصدي ... يـــا مُـــستغاثي عنـــد كـــل شـــدة
ويـــا مـــلاذي عنـــد كـــل حـــادث ... ويـــا دليلـــي عنـــد كـــل حيـــرة

---

(1) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج1 ص334 ، 337 .

(2) أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبو داهش ص312،311.

(3) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج4 ص239 ، 245.

يا رب يا معطي لكل سائل		سؤاله من نيل كل بغية
أنت غنى فقري وكنزي دائماً		وحيلتي عند انقطاع حيلتي
وأنت رب النعمتين، والذي		برى جميع الخلق والبرية
يا حافظي ماءً مهيناً مُودَعاً		في ظلمةٍ قبل تمام صورتي
ومخرجي من بطن أمي بشراً		بحسن لطف شاملٍ وحكمة
وكافلي طفلاً صغيراً مرضعاً		في حجر أمٍّ برّةٍ مشفقة
وكم وكم خولتني من نعمة		يا مالك الملك العظيم جلّت
وكم أعد من أياد جمّة		وأنعم سابغة جزيلة
حتى بلغت الحلم في معرفة		مقرونة منك بكل نعمة
ولم أقم يا رب يوماً واحداً		بالعُشْر من شكرٍ لتلك المنّة
علمتني القرآن والنور الذي		أنزلته على إمام الحضرة
ولم تزل يا ذا الجلال محسناً		إليَّ تَحبُوني بكل منحة
وكلما أذنبت ذنباً خشناً		سترت بالصفح الجميل هفوتي
تُظهِر عني كل شيء حسن		وتستر السيئ من سريرتي
وصرت أدعى بين قومي سيداً		سامٍ عزيز القدر والعشيرة
يا من هو الله الذي لا غيره		يا من هو الشافي لكل علة
بك استجرت رب لا وآخذتني		بسوء تدبيري ولا بصيرتي
أسأت أسرفت فهل من جذبة		تصلح مني ما بدا من خلتي
فاز المخفون الذين شمروا		قبلي وساروا وأنا في نومتي
مضى زماني كله سَبَهللاً		أرفل في اللذات طول مدتي
ثم ذكرت بعد فوت العمر ما		بعد ممات العبد من عقوبة
فقمت أقفو إثرهم مقهقراً		فقصّرت عمن مضى مطيتي
وفاتني القوم الذين أدلجوا		بالليل حتى نزلوا بالجنة

وليس من أدلج كالمضحي ولا   معتسف كصاحب المحجة
يا ليتني رفضت دار الإلتوى   قبل زمان الشيب والكهولة
وسرت نهج من مضى من سلفي   في فعل كل واجب وسنة
أسفت يا صاح على ما قد مضى   من هفوات أحصيت وزلة
كيف خلاصي من جنايات إذا   ذكرتها طار الكرى من مقلتي
وأآرقني وأقلقني وأحرقتني   من سوء ما قدمت من خطيئتي
شغلت بالدنيا التي قد نقصت   من هو نها عن قيمة البعوضة
ولم أصب فيها مراداً أبدا   سوى اكتساب الذنب والخطيئة
أنا المسيء المذنب العاصي الذي   مضى زماني كله في غفلة
لكنني تبت إلى الله الذي   يقبل عذري كله وتوبتي
أستغفر الله العظيم تائباً   إليه مما خُطَّ في صحيفتي
توبةَ عبدٍ ظالم لنفسه   قد زاحم السبعين في الشيخوخة
فهو الذي إذا أتاه عبده   يمشي أتاه ساعياً بسرعة
يا رب يا ذا العرش يا من يستحي   عز وجل الله من ذي شيبة
أمهلتني حتى بلغت ما ترى   في العمر؛ فارحم يا إلهي عثرتي
تلقّني منك بلطف شامل   ورأفة مقرونة برحمة
وجد فإني قد لجأت هارباً   إليك فاقبل يا كريم توبتي
فقد علمت ما ثوى في مهجتي   من أسف قد شفني وحرقة
وأنت يا رحمن قد قلت لنا   قد وسعت لكل شيء رحمتي
فمُنّ واختم لي بخيرٍ وقِني   عذابك الأكبر يوم رجعتي
وقبل موتي أرني منازلي   في جنة الفردوس حقق رؤيتي
وإن أتاني ملك الموت وقد   جا أجلي وانقطعت معيشتي
فمُرْه يرفق بي وقل يا سيدي: أيتها النفس ادخلي في جنتي
وارض وثبت مضجعي يا سيدي   في القبر، وارحم وحشتي ووحدتي
وإن أتاني الملكان يسألا   سؤال رفق لا سؤال غلظة

فاجعل جوابي لهما مثبتاً ... منك بتوفيق وقوّم حجتي
حتى أقول الله ربي وحده ... والكعبة البيت الحرام قبلتي
والمصطفى المختار ديني دينه ... وملة الإسلام حقاً ملتي
إمامي القرآن؛ فارحمني وكن ... لي قابلاً يا رب يوم أوبتي
ونجني من ضمة اللحد وما ... في القبر من ضيق وسوء ظلمة
وداوِ بالريحان والروح الأسى ... في القبر، وارحم وحدتي وغربتي
واملأ علي القبر نوراً ساطعاً ... منك وبشرني بفوز الصفقة
حتى يكون القبر روضاً نشره ... من جنة الفردوس يشفي علتي
وحين تعطيني كتابي بيدي ... فباليمين كي أرى مسرّتي
وكي أرى العفو عن الذنب الذي ... جنيته في الأعصر القديمة
وارض وثبت قدمي يا سيدي ... على الصراط وأقلني عثرتي
حتى أمرُّ سالماً مسلماً ... عليه كالبرق ولمح الطرفة
يا أهل كل عادة جميلة ... وأهل كل نعمة سنية
سألتك اللهم بالاسم الذي ... تعطي به السائل كل بغية
بكل اسم لك لا يعلمه ... غيرك يا ذا الكبريا والعزة
بالملأ الأعلى وبالروح الذي ... رتبتهُ عندك أعلى رتبة
هب خير أيامي الجميع كلها ... يوم لقاك فهو أقصى منيتي
ولا تحاسبني وقلْ عُدُّوه من ... أهل الكسا في الغرف المبنية
يا رب فاجعلني سعيداً ناجياً ... وسُرّ بالفوز العظيم مهجتي
حاشاك أن أجزى بما جنيته ... في سالف الأيام من جريرتي
وحسن ظني فيك لا خيبت لي ... فيك رجا ولا هتكت حرمتي
ربِّ أغثني وأعني واعطني ... منك رضاك وأعطني وسيلتي
ووالديّ همْ وأهلي كلهم ... اجمع بشملي شملهم في الجنة
وكل أولادي وصحبي عافهم ... من كل مكروه وكل نقمة
وكن بنا براً رؤوفاً واقياً ... يا رب في الدارين كل كربة

ثـم الـصلاة والـسلام دائمـاً   علـى إمـام الأنبيـا والحـضرة
وآلـه الغـر مـصابيح الـدجى   وصـحبه وتـابعٍ للـسنة [1]

ومع أنني لم أنقلها كاملة كما أوردها ابن أبي الرجال إلا أنها كما تـرى قـصيدة طويلة جداً تثبت طول نفَس شاعرنا (النعمي) الذي اسـتمر متـدفقاً حتـى آخـر القصيدة بقوة شعورية مدفوعة بروح إيمانية صادقة استلهمت كل معاني التوحيد الخالص لله تعالى وكل معاني التسليم لقضائه وقدره سبحانه وكل معاني الإقـرار بكرمه ورحمته وعفوه وغفرانه والتماس ذلك كله منه جل وعلا.. بلغـة عذبـة وتراكيب جميلة..

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٤ ص٢٣٩ – ٢٤٥.

١١- العلامة الشاعر: محمد بن صديق الحكمي (٩٢٣-٩٧٧):

أحد أعلام المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري وأحد علماء أسرة آل الحكمي الكبار في علمهم وفضلهم، انتهت إليه رئاسة التدريس في عصره وتخرج به عدد كبير من العلماء الأعلام في المنطقة يأتي في مقدمتهم (مفتي المخلاف السليماني في عصره : عمر بن عبدالقادر الحكمي) إلى جانب علماء آخرين أصبحوا فيما بعد مشائخ علم، ومنارات هدى، درس على كل واحد منهم أجيال من العلماء وكان علمنا العلامة محمد بن صديق الحكمي (قد انتهت إليه رئاسة تدريس علوم الفقه والعربية والفرائض)[1].

ترجم له النعمان الضمدي وتوسع قليلا في ترجمته وتفرد بنقل شيء من شعره ومما تحدث به عن علمنا قوله: (الشيخ العلامة بحر المعارف شيخ الشريعة والطريقة: محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي تفقه رحمه الله بعمه الشيخ أحمد بن أبي الفتح الحكمي..... وتلقى العلم على عدد من علماء عصره... وكان من أهل الذكاء المفرط والفهم الثاقب، رحل إلى مكة المكرمة وجاور بها أشهرا وأخذ العلم على شيخ الإسلام (أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي) [2] والعلامة (عبد الله الفاكهي) [3] واجتمع بشيخ الإسلام (محمد بن محمد بن أحمد

---

[1] العقيق اليماني للنعمان الضمدي الورقة ٢٥٩

[2] العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المصري ثم المكي الوائلي خاتمة أهل الفتيا والتدريس، ولد سنة ٩٠٩ هـ نشأ ببلده ثم انتقل الى مكة بعد أن تضلع من العلوم وبرع في جميع الفنون خصوصا في فقه الإمام الشافعي الذي صنف فيه التصانيف، واستقر مجاوراً بمكة منذ العام ٩٤٠هـ يفتي ويؤلف ويدرس حتى توفاه الله بها سنة ٩٧٣هـ ، تتلمذ عليه في مكه كثير من طلاب العلم وأجاز بعضهم وفي مكة صنف الكتب المفيده ومنها (الإمداد وفتح الجواد شرحا لكتاب الإرشاد) و (الصواعق المحرقة) و (شرح العباب) و (مبلغ الأرب في فضائل العرب) ... الخ، انظر ترجمته في: البدر الطالع للشوكاني ج١ ص ١٠٩ وفي الأعلام للزركلي ج١ ص ٢٣٣، ٢٣٤، وفي العقيق اليماني للنعمان مخطوط الورقة ٢٤٣ وفي النور السافر ص٢٨٧-٢٩٠ غيرها.

[3] العلامة عبد الله الفاكهي: (٨٩٩-٩٧٢هـ): هو: العلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي الشافعي ولد ومات بمكة المكرمة وكان من كبار العلماء فيها، حيث كان مشاركاً في جميع العلوم، وله مصنفات مفيدة وبخاصة في علم النحو فقد كان يلقب بسيبويه عصره، ومن مؤلفاته: (شرح الآجرومية) و (شرح على قطر ابن هشام) و-

ابن بدر الدين الشهير (بابن الغزي) [١] شارح الألفية نظماً وأعطاه شرحه النظم المختصر من شرحه الكبير وأظنه أخذ عليه في العربيـــة .... وعلـــى عمـــه الشيخ (الدهل بن أبي الفتح)[*] وغيره .... وكان رحمـــه الله صـــاحب ســـيرة حسنة انتهى إليه تدريس الفقه والعربية والفرائض بأبي عريش ووزع وقته على الطاعات تدريسا وإفتاءا واجتهادا في صلاح شأن المسلمين والشفاعة عنـــد ولاة الأمر، تفقه عليه جماعة من الأعلام منهم الشيخ العلامة عمر بـــن عبـــد القـــادر الحكمي المعروف بالمفتي [٢] .....إلخ)

ويلاحظ بأن المؤرخ النعمان لم يصف علمنا خلال هذه الترجمة الطويلـــة بالشاعر مع أنه قد ذكر له قصيدة رثائية جميلة [٣] وطويلة قالها في رثاء شيخه، شيخ الإسلام العلامة أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، وهي من القصائد الطنانة ذات النفس الشعري الطويل تثبت قدرة ناظمها حتى وإن حفلت بـــبعض الـــصور العادية أو حصل في بعض أبياتها زحاف – ربما بسبب التصحيف – فـــإن لغتهـــا

=(كشف النقاب عن مدرات الإعراب) و (الفواكه الجنية على متممة الآجرومية) توفي ســـنة ٩٧٢هـــ، انظـــر ترجمته في: النور السافر للعيدروس ص٢٧٧-٢٧٨، الأعلام ج٤ ص٦٩، معجم المؤلفين ج٦ ص٢٨.

[١] ابن الغزي (...-٩٨٥هـ): ترجمه النعمان الضمدي ترجمة طويلة نختصر منها قوله: (شيخ مشائخ الإسلام، مفتي بلاد الروم والشام، الشيخ أبو البركات محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر الدين بن مفرح بن بـــدر الدين بن عثمان ..... القرشي العامري المعروف بابن الغزي الدمشقي، كان يتيمة الدهر، وأعجوبة العصر، فـــسر القرآن بتفسير عجيب نظماً مائتا ألف بيت، واختصره أيضاً نظماً، وبعد تمامه قدمه إلى السلطان سليمان بن سليم، فقابله بالاجلال والقبول، وطلب الأئمة بالروم وقال: ما رأيكم؟ بعد أن عرض عليهم التفسير، فقالوا: نجتمع ونبـــذل النصيحة في الدين، فإن وجدنا فيه زيادة، أو نقصاً، أو تبديل في القرآن العظيم في حروفـــه، أو إعرابـــه أرفقنـــاه لكم........... وبعد نظر طويل قضوا بأن صاحبه قد أجاد فيه إجادة تامة وأن صاحبه ليس له جزاء علـــى عملـــه الكبير هذا ولو أعطي ألوفاً مؤلفة على توالي الدهور.......) إلى أن قال النعمان: (أما مؤلفاته فكثيرة جداً أشـــار إلى بعضها في إجازته للوصابي) ثم أورد الأرجوزة التي تضمنت الإجازة والتي ذكر فيها بعـــض مؤلفاتـــه وفـــي مقدمتها تفسيره العجيب. انظر: العقيق اليماني (مخطوط) الورقتان ٢٧٧-٢٧٨، أما الـــشوكاني فقـــد اختـــصر ترجمة ابن الغزي في سطور معدودة. انظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٥٢.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص٢٢٦.

[٢] العقيق اليماني للنعمان الورقات ٢٥٩ الى ٢٦٢.

[٣] المصدر السابق أنظر الورقات ٢٤٤ – ٢٤٧.

جيدة وموسيقاها الشعرية جميلة ومعانيها السامية تثبت رسوخ قدم علمنا، وتجعلنا نتطلع إلى مطولات أخرى من شعره.

كما ترجم لعلمنا (الحكمي) المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي وأشار في ترجمته إلى بعض شيوخه في بلده ثم قال: (ثم رحل إلى مكة المكرمة ومن مشائخه بها العلامة ابن حجر الهيثمي، والعلامة الفاكهي، والشيخ بدر الدين الشهير بالغزي ثم عاد إلى بلده وتوسع في العربية وانتهت إليه رئاسة التدريس والإفتاء).

ومضى في ترجمته إلى أن قال: (ومن آثاره الأدبية قصيدته التي رثى بها شيخه ابن حجر وتحتوي على ثمانية وأربعين بيتا ومستهلها :

نبأ أتى من أعظم الأنباء　　　فتقلقلت من هوله أحشائي [١]

وأتى بعد هذا البيت بثلاثة أبيات فقط في كتابه (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) لكنه في كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) عاد وأورد من هذه القصيدة ستة وثلاثين بيتاً مكتفياً بترجمة الشاعر في الأضواء [٢].

أما عبد الله أبو داهش فقد وصفه بالشاعر واختار له من هذه القصيدة أحدعشر بيتا فقط مقدما لها بقوله: (ويبدو أن شعراء المخلاف السليماني عبر هذا القرن العاشر الهجري كانوا يحسون بما يجري لإخوانهم خارج إقليمهم بتهامة من الأحداث والوقائع والوفيات...) إلى أن قال (ومن أولئك الشعراء الشاعر محمد بن صديق الحكمي الذي أسهم في رثاء شيخه أحمد بن حجر الهيثمي بقصيدة قال فيها) [٣] ثم أورد منها أحد عشر بيتا كما أشرنا سابقا.

والقصيدة طويلة وتعبر عن حزن عميق لدى الشاعر محمد بن صديق الحكمي لفقد شيخه وشيخ الكثيرين من طلاب العلم في تهامة المخلاف السليماني

---

(١) أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) انظر التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج ١ ص ٢٨١-٢٨٤.

(٣) أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبدالله أبو داهش ٣٠٩-٣١٠.

وطلاب العلم في مكة وطلاب العلم الوافدين ممن جاوروا بها وتتلمذوا عليه كشاعرنا ولعله يعبر عن مشاعر علماء تهامة المخلاف السليماني الذين تربطهم بعلماء الحجاز أواصر متينة ربما عبرت عن بعضها هذه القصيدة التي قال فيها شاعرنا الحكمي:

نبأ أتى من أعظم الأنباء ... فتقلقلت من هوله أحشائي
قالوا شهاب الدين أحمد قد ثوى ... فلذاك عزّ -كما ترون- عزائي
وصلت إليه يد المنون ونَفَّذت ... ما كان من حكم ومن إمضاء
يا طود علم في الوجود قد انثنى ... متهدم، من بعد شدّ بناء
كم قد جليت بهيمها وأبنتها ... ببصيرة و قَّادة ونكاء
من للعويص من المسائل إن عرت ... من بعد أن ضرب البعيد النائي
وشفيت من داء الجهالة طالبا ... أمراضه وقعت لكل دواء
ورقيت في كل العلوم مراقيا ... أعلى علاً، من رتبة الجوزاء
وبقيت في حرم المهيمن مهبطا ... للطالبين ينيل كل مناني
تزهو بك الآفاق في كل الربى ... زهو الحيا، إذ نيط بالزرقاء
من للمناسك؟ من يقيم شعارها؟ ... إن ظل طالبها بغير هدائي
تبكيك من حرم الإله مجالس ... عطلتها من زينة وحلاء
كم قد بثثت بها علوما جمة ... أورثتَهَا من عالم الأسماء
وعمرت بالتدريس أفضل بقعة ... في أفضل الأوقات والآناء
تملي وأنت مشاهد لبنائه ... والنور يكشف عند كل غطاء
في خلقة جمعت لكل فضيلة ... محروسة من زلة الاخطاء
قد كنت طالع بُرج سعد سعودها ... ومنيرها في الليلة الظلماء
فطلعت في ليل المحاق فحلّكت ... تلك البقاع بظلمة سوداء
يا ضيعة الطلاب بعد مفيدها ... خير الزمان مسدد الآراء
سهل الخلائق عالم متواضع ... ذو عفة و مروءة وحياء
حفظ الوصية فيهم من أحمد ... فلذاك أولاهم بكل حباء

يرعى العهود على تقادم عهدها — فكأن وافدهم شقيق إخاء
يلقاه بالترحيب عند قدومه — ويحل منه محلة الأبناء
لا عيب فيه غير أن نزيله — يسلو عن الأهلين والرفقاء
قل ما تشاء، فلست تدرك وصفه — مافيه من كرم وحسن وفاء
إن صح رزأك يا شهاب عشيرة — فلقد أحاط بسائر الأحياء
وأخيّ بالإسلام حتى أنه — قد صار معدودا من الغرباء
صاحت لمصرعه الصحاح وأعولت — أسفا عليه و أجهشت ببكاء
إذ كان مسند وقته وأجل من — تهوي إليه سوابق الأنضاء
فمن الكفيل بجبر كسر صحيحها — ومتى يكون طبيب ذاك الداء
هيهات خاب السعي وانْبتّ الرجا — وانْحلّ عقد العروة الوثقاء
ما زلت تفحم من أتى متشوّفًا — ينحو لنحو الزيغ والأهواء
ترعى ببرهان وقاطع حجة — ينثني عنان معاند لوراء
لهفي عليك وهل يفيد تلهفي — أو هل يفيد تحسري وعنائي
لو كان يفدى بالكرائم سيدي — لفديت بالأبناء والآباء
والكتب أولى بالبقاء فمن بقي — فهمُ على التحقيق محض ولاء
لو أنهم وَ فَّوكَ حقك كله — ليكون ما عاشوا بصرف دماء
و تلاحظوا ما كنت تغذوهم به — من محض علم نافع وولاء
ولشاهدوا المنن التي قلدتها — أعناقهم في غدوة وعشاء
معك المكارم لا مكارم بعدها — تقضي بمستند إلى الحسناء
فحباك مولاك الكريم برحمة — وجزاك في الأخرى بحسن جزاء
وغدت، و راحت ، كل يوم مزنة — تسقي ثراك بواكف الأنواء
يارب فاجمعنا به في جنة — في طيب عيش ياسميع دعائي
واجبر مصاب عشيرة رزيت به — وافرغ عليهم منك حسن عزاء
يا ما أجل رزية فُدحوا بها — ظل الحليم لها بغير نهاء
وغدا الجليد وقد وهى من حملها — من ذا الجليد لحامل الكأداء

و الصبر يحمد في المـــواطن كلهـــا إلا عليـــك أراه محـــض جـــفـــاء
والحمـــد للـــرحمن حمـــدا دائمـــا أبدا علـــى الســـراء والـــضـــراء[1]

والقصيدة كما رأينا طويلة بلغت أبياتها ثمانية وأربعين بيتـــا بـــثّ فيهـــا الشاعر محمد بن صديق الحكمي أحزانه ولوعته الحرّى لفقد شيخه الذي نهل من بحره الطامي أنهار المعرفه وشاركه في ذلك الحزن كثيرون رحم الله ، (شـــيخه الهيثمي).

ورحم الله علمنا الحكمي الذي عبر في قصيدته هذه عن مشاعره وعـــن مشاعر طلاب الشيخ بن حجر الهيثمي وعارفي فضله.

والقصيده كما أشرنا طويلة وبسبب طولها لم تسلم من بعض الهنات التي ربما كانت من تصحيفات الخطاطين وربما بسبب ضرورات الوزن وحاجات القافية وربما لأسباب أخرى ومن تلك الهنات (مد المقصور) في عدد من الكلمـــات مثـــل (بغير هدائي) ومثل: (ظل الحليم لها بغير نهائي) ومثل العروة (الوثقاء) ومثيلاتها التي جاء المد فيها إستجابة للوزن والقافية ليس إلا ومع ذلك فالقصيدة لاتخلو من بعض الومضات الفنية الجميلة كقوله (كم قد جليت بهيمها وأبنتهـــا ببـــصيرة وقادة) وكقوله : (وطلعت في ليل المحاق فجللت) إلى آخـــر تلـــك الومظـــات الجميلة في هذه القصيدة الطويلة التي نأمل أن نجد لها أخوات من شعر شـــاعرنا يهدينا إليها البحث عن هذه الجواهر الثمينة بإذن الله.

---

[1] العقيق اليماني لعبد الله النعمان الضمدي الورقات ٢٤٤-٢٤٧

١٢- العلامة الشاعر: محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٠هـ):

علامة المخلاف السليماني وشاعره في القرن العاشر الهجري ورمز تواصله بأشراف الحجاز وأمرائه وعلمائه وبأئمة اليمن وعلمائه، تردد كثيراً على الحجاز وبخاصة على مكة المكرمة وتتلمذ على علمائها فأجازه أحد علمائها الكبار: (ابن حجر الهيثمي) وزار اليمن مراراً وتتلمذ على بعض علمائها وأجازه الإمام: (شرف الدين) اتصل بحكام الحجاز: (أشراف مكة) (وكان يقيم معظم أيام السنة بمكة المكرمة حيث انضم إلى جلساء شريف مكة (أبي نمي بن بركات)[1] وولده: (الحسن) [*] فصار من خاصتهما المقربين وجلسائهما الملازمين) [2].

ويعتبر العلامة: (محمد بن علي بن عمر الضمدي) من أكبر أعلام وشعراء القرن العاشر الهجري بلا منازع، ولعله من أبعدهم صيتاً وأعلاهم صوتاً، ومن أكثر معاصريه أثراً .. لذلك فقد ترجم له عدد وافر من كتاب التراجم وأُلّفت عنه الكتب التي تناولت حياته العلمية والأدبية وشيئاً مما وجد من شعره [3] وكتبت عنه الدراسات الكثيرة..

---

[1] هو أبو المكارم محمد بن بركات بن محمد بن الحسن بن عجلان أبو نمي ولد سنة ٩٠٧هـ وكان على جانب عظيم من السياسة والعدل والكرم والفضل ، شارك والده الحكم ثم ولى إمارة مكه منفردا بعد وفاة والده سنة ٩٣١هـ كان الشريف (ابا نمي) كريماً ممدحاً يقصده الشعراء والادباء فيمدحونه فيقوم بتكريمهم وقضاء حوائجهم توفي سنة ٩٩٣هـ انظر ترجمته في: العقيق اليماني مخطوط (٣١٥-٣١٧) وفي الأعلام ج٦ ص ٢٧٦ وفي الديباج الخسرواني ص٦٩، وفي تاريخ مكة للسباعي ص٣٤٨ وما بعدها.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٣٢.

[2] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٣٠.

[3] ومن تلك الكتب: أولاً: (من رجال العلم في القرن العاشر بضمد: محمد بن علي بن عمر) لعلي أبو زيد الحازمي. طبع دار البلاغ للطبع والنشر بجدة ١٤١٣هـ. ثانياً: كتاب: (لامية ابن عمر الضمدي) لعبد الله أبي داهش طبع مطبعة الثغر بجده ١٤١١هـ . إضافة إلى ما كتب عنه من دراسات وأبحاث في الدوريات والحوليات.

- فقد تحدث عن حياته العلمية والأدبية مؤرخو المخلاف السليماني وجل أصحاب الموسوعات وكتاب التراجم ومنهم:

- مؤرخ وعلاّمة المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر: عبد الله بن علي النعمان الضمدي (٠٠٠٠ - ١٠٧٨هـ) (١) صاحب كتاب (العقيق اليماني في ذكر وفيات وحوادث المخلاف السليماني المخطوط) فقد ترجم له قائلاً: (كان الفقيه العلاّمة محمد بن علي بن عمر الضمدي غاية في علوم الدين محققاً، وله الشعر الفائق والنثر الرائق، وله في الإنشاء اليد الطولى، وكان له من حسن الأخلاق مالا تتسع له الأوراق) (٢).

ثم بعد ذلك تحدث عن أدبه وعن مشائخه وتلامذته وبسط القول في ذلك.

- أما مؤرخ وعلامة اليمن في القرن الحادي عشر (أحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢هـ) فقد أشار إلى علمنا: (ابن عمر) في كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور) مرات كثيرة: فلقد ذكره في مقدمته ذكراً عاطراً وأشار إلى أحد أحفاد ابن عمر: (الحسين بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر) ذاكراً بأنه كان ممن رافقه أيام الطلب (٣) وممن قرأ عليه.

- وأشار مرة ثانية إلى (ابن عمر) في أثناء ترجمته للعلاّمة أحمد بن علي المعافى (..... - ٩٩٩) فقال: (كان هذا السيد من تلامذة العلاّمة محمد بن علي بن عمر الضمدي رحمهم الله) (٤).

- وأشار ابن أبي الرجال مرة ثالثة إلى علمنا (ابن عمر) خلال ترجمته للعلامة: (الحسين بن محمد ابن الحسن النعمي (...-٩٩٩)) فقال: (وكان هذا العلاّمة (النعمي) مولعاً بالفقيه العلاّمة محمد بن علي بن عمر الضمدي وحُقّ له ذلك)(٥).

---

(١) انظر عن تحديد تاريخ وفاة (النعمان) مخطوطة (خلاصة السلاف في أخبار صبيا والمخلاف) للعلامة أحمد محمد النمازي الورقة ٤٣.

(٢) العقيق اليماني لعبد الله النعمان الورقة ٢٦٨.

(٣) مطلع البدور ومجمع البحور ج١ ص٦٠ .

(٤) المصدر السابق ج١ ٣٧٠ .

(٥) المصدر نفسه ج٢ ص١٩٢ .

وتحدث عن (ابن عمر) أيضاً أثنــاء ترجمتــه للعلامــة: (الحــسين بــن محمــد المسوري)[1] فقال: "روي أن العلامة الحسين المسوري كــان مقيمــاً بالــشرف الأعلى فوفد إليه العلامة المجتهد محمد بن علي بن عمر الضمدي في جماعة من أصحابه وأهل جهاته فتلقاه بالبشر والإنصاف، فنزل القاضي محمد بن علي بــن عمر عنده في أحسن نُزُل، يدخلون للآداب في أبواب، ويتعاطون كــؤوس العلــم أكواباً بعد أكواب:

حب الأديب على الأديب فريــضة ... كمحبــة الآبــاء للولــدان

وأما هذان الإمامان: الحسين المسوري، وابن عمر الضمدي فمــا مجلــسهما إلا مجمع البحرين، ومطلع البدرين، ومن السعادة قران السعدين. ولما حضر الطعــام جاء القاضي الحسين رحمه الله بميسوره وقال متمثلاً بأبيات القفال الشاشي:

أوسّعُ رحلــي علــى مــن نــزل ... وإن لم يكــن غيــر خبــز وخــل
فأمــا الكــريم فيرضــى بــه ... وأمــا اللئــيم، فمــن لــم أبــل

فأجابه العلامة: محمد بن علي بن عمر الضمدي:

ليس الكريم الذي يأتيــك جفنتــه ... مملوءة ويكــون الفيــصل الفــصلا
إن الكريم الــذي تأتيــك جفنتــه ... على الدوام وفيها (إيش) ما حصلا"[2]

ومع أن ابن أبي الرجال قد ذكر (ابن عمر) في كتابه مرات ومرات مشيداً بعلمه الغزير ومكانته الكبيرة إلا أنه لم يفرده بترجمة مستقلة فهل فعل شيئاً مــن ذلــك وأسقطها النساخ؟؟ ربما!!

---

[1] العلامة الحسين المسوري (٠٠٠-٩٨٣هـ)، ترجمه زبارة فقال : القاضي العلامة الحسين بن محمد بن علــي المسوري ، كان من أهل الزهد ، وله أشعار بليغة ، لازم الإمام شرف الدين ، وكانت وفاته سنة ٩٨٣ هـ (انظــر ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زبارة ص ٩٠).

[2] مطلع البدور ومجمع البحور ج٣ ص١٩٧-١٩٨

- وتحدث عن علمنا (ابن عمر) صاحب كتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فقال: (محمد بن علي بن عمر الضمدي عالم محقق في الأصول والفروع أخذ عن العلامة ابن حجر الهيثمي في مكة وله منه إجازة عامة، وهو أديب وشاعر ومن شعره قصيدته التي يشكو فيها زمانه ومنها:

أرى ظلمات الأرض قد عمت الأرضا ولم أر منقاداً إلى العمل الأرضى)[1]

ثم أورد من قصيدته هذه واحداً وعشرين بيتاً وهي الأبيات نفسها التي وردت في مخطوطة (عقود الدرر) للحسن بن أحمد عاكش المتوفى سنة ١٢٩٠هـ.

- وترجم لابن عمر المؤرخ محمد محمد زبارة في: (ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني) فقال زبارة: (القاضي محمد بن علي بن عمر الضمدي التهامي أخذ عن العلاّمة عبد الله الذويد [2]، وأخذ عن الفقيه سالم المرتضى [3]، وأجازه (الإمام شرف الدين) [*] ثم رحل المترجم له إلى مكة المكرمة فأخذ بها عن الحافظ بن حجر الهيثمي [*] وأجازه في ٩٦٦هـ) [4]

- أما العلامة: محمد بن إسماعيل الكبسي (٠٠٠ - ١٣٠٨هـ) فقد جعل وفاته في سنة (٩٩١هـ) وقال في حديثه الطويل عنه: (وفيها توفي الفقيه العلامة

---

[1] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٧-١٢١٨

[2] العلامة عبد الله الذويد: لم أجد لهذا العلامة ترجمة فيما بين يدي من المصادر، وإن كان قد ذكره: (زبارة) في ملحق البدر الطالع وقال بأنه من شيوخ العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي.

[3] هو سالم بن مرتضى بن غنيمة (... - ٩٥٧هـ): عالم محقق في الفقه والتفسير وهو أحد علماء القرن العاشر الهجري ، له عدد من المؤلفات، منها : (الطراز المنتزع من كتاب المعتمد ، لمحمد يحيى بهران، في الحديث) و كتاب (شفاء الآلام فيما يعرض للأجسام) وهو عبارة عن أحاديث نبوية في الطب استلّها من كتاب الطراز المذكور، وله تفسير القرآن الكريم، توفي سنة ٩٥٧هـ انظر ترجمته في :مصادر الفكر للحبشي ص٥٤، ٤٩٦ ، وفي الروض الأغن لآل حميد الدين ج١ ص١٩٤، وفي هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج١ ص٤١٩.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ١٧٥ - ١٧٦.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٤٢.

[4] ملحق (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني) لمحمد محمد زبارة ج٢ ص٢٠٤.

شيخ الشيوخ جمال الدين محمد بن علي بن عمر الضمدي – رحمه الله – رحل في طلب العلم الشريف إلى صعدة وأخذ عن عالمها ومجتهدها الإمام العلامة محمد يحيى بهران [1] .. ولازم الإمام شرف الدين وكان من أعيان حضرته وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول .. ومن محاسنه ما وقع على يديه من جلالة وادي ضمد بعد أن كانت الولاة قد تغلبت عليه وكثر الجور فيه فدخل محمد ابن علي بن عمر – رحمه الله – إلى الشريف أبي نمي (محمد بن بركات)[*] رحمه الله ولازمه وكان يعظمه كثيراً فأرسل إلى السلطان يستشفع إليه في جلالة الوادي فوصل من السلطان العثماني مرسوم حازم في جلالة أهل ضمد ورفع الخطابات عنهم، واستمرت الرعاية إلى أن زالت الدولة العثمانية) [2].

– أما عبد الله أبو داهش فقد تحدث عن علمنا: (محمد بن علي بن عمر الضمدي) كثيراً فقد أصدر عنه كتيباً بعنوان: (لامية بن عمر الضمدي في الاستسقاء) تحدث فيه عن حياته العلمية والأدبية وعن شعره وعن القصيدة (اللامية) ومناسبتها وحلل بعض مقاطعها. والحق أن أبا داهش من خيرة من تحدثوا من المعاصرين عن العلامة ابن عمر وشعره، ومما قاله أبو داهش عن الشاعر محمد بن علي بن عمر الضمدي وشعره: (حفظت لنا المصادر المحلية وغيرها أسماء عدد من الشعراء البارزين في القرن العاشر من أمثال: محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣–٩٩٠) فهو إلى جانب شهرته العلمية كان يسهم

---

(1) العلامة محمد بن يحيى بن محمد بهران الصعدي، (٨٨٨–٩٥٧هـ): هو أحد علماء اليمن المشاهير، وصفه صاحب كتاب كواكب يمنية بأنه من كبار علماء اليمن في القرن العاشر وقال عنه الشوكاني بأنه نبراس الأدباء وعزة الفقهاء، تفرد برئاسة العلم في عصره، وصنف التصانيف، وذكر منها: (شرح الأثمار) في الفقه، وفي علوم العربية له كتاب (التحفة)، وله تصانيف كثيرة في علمي المعاني والبيان، وعلمي العروض والقوافي، وفي التفسير، وغيره، وله ديوان شعر، تفرد بذكر تاريخ ولادته صاحب العقيق اليماني حيث ذكر بأنها في سنة ٨٨٨هـ كما ذكر بأن له مؤلفات في كل فن، توفي بصعدة سنة ٩٥٧هـ، انظر ترجمته في (البدر الطالع ج٢، ص٢٧٨_٢٨٠) و(الأعلام للزركلي ج٧ ، ص١٤٠) و(مصادر الفكر للحبشي ص ٢١٠) و (الروض الأغن ج٣ ص١١٣_١١٤)، وفي كواكب يمنية لعبد الله بعكر ص٤٦٥، وفي العقيق اليماني الورقة ٢٠٢.

(*) سبقت ترجمته في هامش ص١٩٦.

(2) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية للعلامة محمد بن إسماعيل الكبسي ص٢٧٥.

بشيء من عطائه الشعري وإسهاماته الأدبية ويشارك في أحـداث عـصره ولـه مشاركات في ميادين العقيدة والمجتمع ومديح الرسول الكريم [1] وغيـر ذلـك) ومما قاله أبو داهش أيضاً عن شعر وشاعرية (ابن عمر): (يُعدُّ محمد بن علي ابن عمر الضمدي من شعراء تهامة المعروفين فـي القـرن العاشـر الهجـري وقصيدته اللامية تعد من أبرز قصائده الشعرية ذيوعاً وانتشاراً) [2] وفـي كـل دراساته عن (ابن عمر) يسوق نماذج من شعره ويستعذب الإطالة في النقل مـع التحليل أحياناً والتعليق غالباً لصالح شاعرية علمنا.

– وفي ملحـق صـحيفة المدينــة (الأربعــاء) الـذي صـدر يـوم الأربعـاء ١٤٢٧/٧/٢٩هـ نشرت دراسة بعنوان: (قراءة عابرة في لاميـة ابـن عمـر الضمدي في الاستسقاء) بقلم: محمد سعيد الراشدي درس فيها قـصيدة (ابـن عمر اللامية) من خلال كتيب عبد الله أبو داهش عنها وعن صاحبها وقدم الباحث لمحات جيدة عن العلامة (ابن عمر) وعن لاميته الرائعة بل وعن البيئة التـي أحاطت بابن عمر[3].

– وتحدث بإسهاب وتفصيل عن علمنا (محمد بن علي بن عمر الضمدي) أحـد أسباطه العلماء: إنه علاَّمة وأديب وشاعر ومؤرخ القرن الثالث عشر في جنـوب الجزيرة العربية عامة وفي المخلاف السليماني على وجه الخصوص: الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ) لقد تحدث عن جده (ابن عمر) في عـدد مـن كتبه ولكنه في كتابيه: (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) و (عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) تناول جوانب من حياته العلمية والأدبية موضحاً بعضها؛ ومما قاله عن جده: (كان الوالد محمد بن علي بن عمر من أئمة المعقول والمنقول، أوْحَدِيُّ زمانه في الفروع والأصول، وكان في وقتـه

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني..... لأبي داهش) ص٢٨٩.

[2] مقدمة كتيب: (لامية ابن عمر في الاستسقاء) لأبي داهش ص٩.

[3] انظر ص٢٢ ، ٢٣ من ملحق صحيفة المدينة: (الأربعاء) الصادر يوم ٢٩/رجب من عام ١٤٢٧هـ .

المرجع للمشكلات، تبحَّرَ في جميع الفنون، وفاق بتحقيقه الأقران وله في الأدب اليد الطولى ولو لم يكن له إلا قصيدته اللامية التي مطلعها:

إن مسَّنا الضرّ أو ضاقت بنا الحيل   فلن يخيب لنا في ربنا أملُ

لكفته فضيلة)[1].

وفي كتابه: (عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) أشار الحسن بن أحمد عاكش إلى جَدِّه (محمد بن علي بن عمر الضمدي) بإكبار وأورد له قصيدة أخرى لا تقل شهرة عن قصيدته اللامية هي قصيدته بعنوان (في الظلم) التي يشكو فيها زمانه وأهل زمانه، ومما أورده منها:

أرى ظلمات الأرض قد عمّت الأرضا   ولم أر منقاداً إلى العمل الأرضى
وبين قلوب المسلمين تنافر   وقد ألقيت فيها المودّة والبغضا
وقد أُبرمتْ للجور فيها مرائر   ولم يبق منهم من يروم لها نقضا
تنادوا، وأذكوا جمرة الحقد بينهم   وخلَّى لأهل الكفر بعضهم بعضا
ولبَّتْ عتواً داعي الكفر والخنا   فما منكرٌ، إلا أتت نحوه ركضا
وخالفت النهج السويّ، وشوَّهت   من السنة البيضاء منظرها البضا
وقد شَفَّني أن لا أرى مُنكراً لها   ولا صارماً لله في حربها يُمضى
ولا ناهضاً في نصر دين نبيّه   ليشكُرَ منه ربُّه ذلك النهضا
وإني أرى أحوال أهل زماننا   وأمثالهم تنفي عن المقل الغمضا
إذا سمعوا نُصحَ النَّصوح تظاهروا   على ردعه واستهجنوا نصحه المحضا
وإن دلَّهُم يوماً على الخير مرشد   تواصوا على الإعراض عنّ لهم حضّا
أما ناصر لله، يُشهر سَيفَهُ   أما ثائر لله يَغْضَبُ كي يرضى؟

ويستمر شاعرنا في هذا التدفق المحتشد بمشاعر التأثر بما يجري لمجتمعه وأمته من بعض ولاة العثمانيين المتسلطين ملتمساً من الله النجدة والنصرة ومستنهضاً همم المخلصين والغيورين من أبناء أمته والقصيدة طويلة

---

[1] الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني للحسن بن أحمد عاكش ص٧١.

أورد منها عاكش في (عقود الدرر) الذي ننقل منه: واحداً وعشرين بيتاً وختمها بقول جده (ابن عمر):

عسى غارة من مالك الملك لا ترى ... لبارقها من قبـل صـيّبها ومـضا
معجلة في لمحة الطـرف ينطفـي ... بها ألمّ نيرانه في الحـشا محـضا
ويسْوَدُّ منهـا وجـه كـل ضـلالة ... ويضحى بها وجه العدالة مُبيـضًا
وينفض ثوب الذل من كان لابـسا ... له مستضاماً لا يرومُ له نقـضا [1]

والقصيدة – كما أشرت – طويلة وقد أورد منها علي أبو زيد الحازمي[2] ثمانيـة وعشرين بيتاً، وجعل لها عنواناً هو: (في الظلم) وحاول توضيح بعض ظـروف

---

[1] عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر للحسن بن أحمد عاكش الورقـة (٣٢) نـسخة مـصورة لـدى الباحث عن نسخة جامعة الملك سعود بالرياض برقم ١٣٣٤، وفي النسخة الحاسوبية في الجزء الأول الذي حققـه إسماعيل البشري وردت هذه الأبيات في ص١٦٤ ، ١٦٥.

[2] من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بن علي بن عمر: لعلي أبو زيد الحازمي ص ٣٢-٣٥ – وعلي أبو زيد الحازمي: هو العلامة: علي بن محمد بن حسن أبو زيد الحازمي (١٣٥٩-١٤٢٢هـ): أحـد علماء مدينة ضمد في العهد السعودي تخرج في كلية الشريعة بجامعة الإمام عام ١٣٨٤هـ وعمل مدرساً في عدد من المعاهد العلمية آخرها معهد ضمد العلمي الذي درّس به منذ تأسيسه حتى بلغ سـن التقاعـد النظـامي عـام ١٤١٦هـ، كانت له اهتمامات كبيرة بالعلم وبالكتب والمكتبات والبحث العلمي والتاريخي وكانت له عناية خاصـة بالمخطوطات التي لها صلة بعلماء المنطقة أو بتاريخها لذلك فقد حقق عدداً من تلك المخطوطات وأصدر عدداً من الدراسات من أهمها:

١ – كتابه بعنوان: (من رجال العلم في ضمد في القرن العاشر الهجري محمد بن علي بن عمـر. طبـع فـي دار البلاد بجدة عام ١٤١٣هـ).

٢ – تحقيقه لكتاب: (قوت القلوب في توحيد علام الغيوب) للعلامة الحسن بن خالد الحـازمي. وصـدر عـن دار الشريف بالرياض ١٤١٧هـ.

٣ – تحقيقه ونشره لبعض الرسائل المخطوطة العلمية لعدد من علماء المنطقة تجاوز عـددها سـبع رسـائل مـن أهمها: (رسالة حكم الجهر بالبسملة والإسرار) للحسن بن خالد الحازمي.

انظر ترجمته في كتابنا: (القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره)، ص٧٥ ط١. وفي كتاب: (الـشيخ حـافظ الحكمي) للدكتور أحمد علوش المدخلي ص٩٤-٩٦، وفي كتاب: (الحسن بن أحمد عاكش حياتـه مـن شـعره وتحقيق ديوانه) للدكتور حسن النعمي ص٥٧، وفي دورية نادي جازان الأدبي: (مرافئ العدد ٣ شهر شوال عام ١٤٢١هـ) دراسة عن الشيخ أبي زيد الحازمي للأستاذ: محمد محسن الديباجي.

ولادة هذه القصيده، وأورد منها أبو داهش ستة وعشرين بيتاً [1]، أما إسماعيل الأكوع [2] فقد أورد منها واحداً وعشرين بيتاً فقط وكلهم يذكر أنها أطول مما ذكر منها.

- وعاد الحسن بن أحمد عاكش في كتابه: (إتحاف السادة الأشراف سكان قرى وهجر المخلاف) ليتحدث عن جده محمد بن علي بن عمر الضمدي حيث أشار إلى قصيدته اللامية في الاستسقاء وتحدث عن مناسبتها وأورد منها أبياتاً ثم ذكر بأنها طويلة وأن عدد أبياتها يقارب ستة وأربعين بيتاً [3].

- وإلى جانب عاكش فقد تحدث عن (ابن عمر) عدد من مؤرخي وعلماء وأدباء المخلاف السليماني، ومنهم:

- المؤرخ العلامة الأديب: أحمد بن محمد النمازي صاحب كتاب: (خلاصة السُلاف بأخبار صبيا و المخلاف) فقد أشار إلى علمنا: (ابن عمر) في مواطن كثيرة من كتابه المخطوط ومما قاله: (محمد بن علي بن عمر العلامة الفهامة، سالك الاستقامة شيخ الإسلام المرجع إليه في الفروع وغيرها من الأصول والأحكام) [4]

ووصفه العلامة النسابة: محمد حيدر القبي النعمي (....-١٣٥١هـ) في كتابه المخطوط: (الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف في أنساب أشراف صبيا والمخلاف) فقال: (العلامة المجتهد محمد بن علي بن عمر الضمدي) [5]

- وتحدث عن (ابن عمر) الأديب عبد الله بن علي العمودي في كتابه: (تحفة القارئ والسامع) فقال: (الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر: وفد على شريف

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني .....) لعبد الله أبو داهش ص٢٨٥-٢٨٨.

[2] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢١٧-١٢١٨.

[3] إتحاف السادة الأشراف سكان قرى وهجر المخلاف (مخطوط) للعلامة الحسن بن أحمد عاكش الورقتين ٩-١٠

[4] خلاصة السُلاف بأخبار صبيا والمخلاف لأحمد محمد النمازي (مخطوط) نسخة مصورة منه مخطوطة مكتبة جامع صنعاء الغربي غير مرقمة الصفحات المخطوط برقم (١٥٢) تحت عنوان: (جامع أخبار وأنساب)

[5] الورقة (٤٠) من نسخة مصورة عن مخطوطة(الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف في أنساب أشراف صبيا والمخلاف) لمحمد حيدر القبي

مكة (أبا نمي) فسعى له لدى السلطان العثماني آنذاك طالباً إعفاء أهـــالي وادي ضمد من التكاليف التي أثقلتهم بها بعض الولاة العثمانيين في المنطقة وطلب مـــن السلطان أن تكون نظارة أهالي وادي ضمد إلى الفقيه محمد بن علي بـــن عمـــر فأجابه السلطان بأن وافق على طلبه) [1]

- أما محمد بن أحمد العقيلي فقد لقبه (بمفتي المنطقة)[2] وذلـــك فـــي أحـــدى هوامش كتاب: (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود) لعبد الرحمن البهكلي الذي حققه العقيلي وطبعته دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٠٢هـــ وأفرد لـــه ترجمة ضافية في كتابه: (التأريخ الأدبي لمنطقة جـــازان) ج١ ص٣٣٠ ومـــا بعدها وأورد له جزءاً كبيراً من قصيدته المشهورة في الاستسقاء ومما قاله عنه: (العلاّمة محمد بن علي بن عمر الضمدي مـــن أســـرة علميـــة غُرفـــت بـــالعلم والصلاح)، وبعد أن بسط القول في الثناء على ابن عمر وأسرته وجهودها العلمية نقل ما قاله عنه عبد الله النعمان في كتابه المخطوط (العقيق اليماني في ذكـــر حوادث ووفيات المخلاف السليماني) إلى أن قال العقيلي عنه: (واستقر العلامـــة محمد بن علي بن عمر في وطنه (ضمد) فترة تفرغ خلالها للتدريس والوعظ ثم توجه إلى مكة المكرمة وانضم إلى جلساء شريف مكة: (أبي نمي بـــن بركـــات وولده الحسن فكان من خاصتهما المقربين وجلسائهما الملازمين وظل يقيم لديهما بمكة المكرمة أكثر أيام السنة ويقضي بقيتها ببلده ضمد، ومن مساعيه الحميـــدة بحكم مكانته لدى شريف مكة: رجاؤه من أبي نمي استرحام الـــسلطان العثمـــاني بإعفاء أهالي ضمد من الواجبات الحكومية لما نالهم من جور الولاة العثمانيين في المنطقة ... فصدرت بذلك الموافقة السلطانية وزاد الباشا بشمول العفـــو لأهـــل أودية: (بَيْش، ووُسَاغ، ورَمْلاَن، وعِتْوَدْ، والشُقَيق) .... ثم أورد جزءاً كبيراً من قصيدته اللامية المشهورة:

---

[1] بتصرف من كتاب تحفةالقارئ والسامع للعلامة عبد الله العمودي تحقيق عبدالله أبو داهش ج١ ص١٤٨.

[2] انظر هامش ص٤٨ من كتاب نفح العود للبهكلي بتحقيق العقيلي في طبعته الثانية ١٤٠٦هـــ مطـــابع العقيلـــي وشركاه.

إن مسّنا الضرّ أو ضاقت بنا الحيل فلن يخيب لنا في ربنـــا أمــلُ [1]

- ولكاتب هذه السطور شيء من الاهتمام بالعلامة (ابن عمر) تجد آثار ذلك في كتابي (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير) [2] وفي كتابي: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره)[3] ولست فـــي حاجة إلى تكرار ما قدمته عن علمنا (ابن عمر) فيّ هذين الكتابين وغيرهما، إلا أنّني أودّ أن أختار للقارئ أبياتاً من قصيدة مخطوطة طويلة قاربت أبياتها المائــة لم تنشر من قبل ولم تسبق الإشارة إليها والقصيدة كما يتضح من أبيات المطلــع عبارة عن أجوبة على تساؤلات حول فضائل الإمام علــي بــن أبــي طالــب ﷺ وفضائل آل بيت رسولنا الكريم ﷺ ، فهي مطارحة شعرية بين علمنا (ابن عمر) وبعض شعراء عصره كما يتضح من قوله في مطلعها:

سألت ســؤالاً والتمـست جوابــه ولم يكن التحقيق عنــك بعـازب

وقد أشار ناسخها إلى تاريخ نسخها وأنه تم في النصف الأول من القرن العاشــر الهجري حيث قال في ختامها: (تمت القصيدة المفيدة غفر الله لكاتبهــا وقارئهــا وقائلها وسامعها بتاريخ جمادى الأول سنة ١٠٤٩هــ)[4]، ولكننا لا ندري هل تم نسخها في وقت فراغ ابن عمر من نظمها أم أن شاعرنا قد نظمها في وقت سابق لهذا التأريخ؟

يقول ابن عمر في بعض أبيات هذه القصيدة المئوية:

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٣٠ وما بعدها

[2] انظر على سبيل المثال الصفحات: (٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠) من كتابنا نبذة تاريخية عن التعليــم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير

[3] انظر ص١٣ على سبيل المثال من كتابنا القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره

[4] عن نسخة مصورة من هذه القصيدة المئوية لدى الباحث لقصيدة العلامة: محمد بن علي بن عمــر المــشهورة بالمئوية ويوجد أصلها المخطوط لدى الباحث أحمد محمد مشني ببلدة الشقيري، وقد صدّرت بهذه العبــارات:(هــذه القصيدة الفريدة المفيدة لحي سيدنا الفقيه العلامة...).

سؤالك سؤل المستنيب المراقب ... ومن يبتغي في الناس حسن العواقب
وفي طيبة إرشاد كل معاند ... إلى خير منهاج وأقوم لاحب
سمعنا هداةً للورى في صدورهم ... بحار علومٍ ماؤها غير ناضب
وهم للورى مثل الكواكب يهتدى ... بأنوارها في الأرض ذات المناكب

إلى أن قال في بعض مناقبهم:

همُ حفظوا ما قد رووا عن أئمة ... أطايب أخيار، رووا عن أطايب
إذا تلوا القرآن كانت دموعهم ... من الخوف تنهلّ انهلال السحائب
مفارشهم ليلاً جباة كريمة ... موشحةٌ بالمرهفات القواضب
أذاقوا العدى طعم الردى في وقائع ... لأهوالها تبيض سود الذوائب
وباعوا نفوساً في الجهاد نفائساً ... من الله مولاهم جزيل المواهب
وكلهمُ من حَيْرَةِ الجهل مَفْزَعٌ ... لمن أعوزته منجيات المهارب
وفي معجزات المصطفى ذكر بغية ... فكن في اتباع الحق أرغب راغب
ولا تتبع في الحق رأي ذوي الهوى ... ولا تستمع قول الغوي المناصب
وإن كنت قد أوتيت رشداً فأهده ... إلى قابل للنصح من كل صاحب
فما أنا فيما قُلْتُه متعصباً ... ولست بمنقاد لأول جاذب
وإني لتحرير الدليل لطالبٌ ... ولا مِلْتُ كل الميل إن لم أطالب
وقد لاح نور الحق فاتبعه طائعاً ... فما برقه للشائمين بخالب
فكن قابلا للنصح واتْبَعْ سبيله ... وحافظ على تقوى الإله وواضب
وإن تقف نهج (الشافعيِّ) و (مالك) ... فما أنت عن سُبُلِ الرشاد بناكب [1]

وقد لاحظت عدم تسلسل أبيات القصيدة فاجتهدت في ترتيب ما اخترته منها دون تصرف في ألفاظها أو عباراتها.

– أما العلامة: علي أبو زيد الحازمي فقد بدأ اهتمامه بالعلامة: (محمد بن علي بن عمر) مبكراً؛ فقد كتب عنه مقالاً نشره في مجلة المنهل عام ١٣٨٠هـ

---

[1] المصدر السابق.

بالعدد الصادر في جمادى الثانية ، ويحمل عنوان كتابه الذي نشره عام ١٤١٣هـ: (من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بن علي بن عمر) وهكذا استمر اهتمام الحازمي بـ (ابن عمر) مدة تزيد عن ثلث قرن؛ لذلك جاء كتابه برغم صغر حجمه مشتملاً على جوانب مهمة من حياة هذا العلم فقد تحدث فيه عن نسبه، وأسرته، وموطنه.. وتحدث عن نشأته، ورحلاته في طلب العلم ... وتحدث عن مشائخه، وإجازاته العلمية، وذكر بعض تلاميذه .. وأشار إلى مؤلفاته .. ثم تحدث عن شعره وأورد له ست قصائد تحمل العناوين الآتية :

١- (لاميته في الاستسقاء).

٢- وقصيدته: (في الظلم) حيث أورد منها ثمانية وعشرين بيتاً.

٣- قصيدته في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤- قصيدته في التوحيد.

٥- قصيدته في مدح إمام اليمن في عصره: (الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين)[*].

٦- قصيدة أو مقطع من قصيدة في مدح الأشراف (الحوازمة) [1].

---

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ١٧٥ - ١٧٦.

[1] الأشراف الحوازمة: هم أسرة هاشمية علمية ذات سؤدد وسيادة، قال العلامة الوشلي: (أسرة آل الحازمي: هم أهل علم وفضل ورياسة وشجاعة)، وقد أنجبت هذه الأسرة العلمية أعداداً كثيرة من العلماء والقضاة والمعلمين والوزراء على مر العصور كالعلامة الوزير الحسن بن خالد الحازمي (١١٨٠-١٢٣٥هـ) والعلامة الحسين بن عقيلي الحازمي (٠٠٠٠-١٢٣٤هـ)، والعلامة المُحَدِّثْ محمد بن ناصر الحازمي (٠٠٠٠-١٢٨٣هـ)، والعلامة يحيى بن موسى بن عباس الحازمي (١٣٢١-١٣٦٧هـ) وغيرهم من العلماء. وأسرة الحوازمة: من أسر المخلاف السليماني العريقة تحدث عنها وعن مكانتها وعن أعلامها جل المؤرخين وكتاب التراجم والنسابين، ولعلنا نشير إلى بعض من كتب عنها وعن بعض أعلامها من غير مؤرخي ونسابيّ المنطقة ومنهم: الزركلي في (الأعلام)، وكحّاله في (معجم المؤلفين)، والشوكاني في (البدر الطالع)، والوشلي في (نشر الثناء الحسن) ج٢ ص١٢١، وزباره في: (نيل الوطر) و (نزهة النضر) و (نيل الحسنيين) ص١٨، والأكوع في (هجر العلم ومعاقله)، والحجري في (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) ج١ ص٢١٢، والشامي في (رياح التغيير)، وعبد الرحمن الحضرمي في (تهامة في التاريخ)، ولطف الله الجحاف في (درر نحور الحور العين)، والنعمي في (تاريخ عسير) ص١٦٦، وأبو داهش في عدد من كتبه، وغيثان بن جريس في بعض كتبه، وعبد الرحمن-

وختم الحازمي كلامه عن ابن عمر وعن شعره بقوله: (وللعلامة ابن عمر قصائد أخرى ومناقب جمّة لو استطردناها لطال بنا الحديث، ولكن نكتفي بهذا القدر) [1] ثم أعقب ذلك بالفهارس ....

قلت: رحمك الله يا أبا زيد !! ليتك لم تكتف بهذا القدر .. وليتك زدتنا عن هذا العلم الشامخ!! وليتك زدتنا نماذج أخرى من شعره وبخاصة شعره الذي كان يطارح به شريف مكة (أبا نمي بن بركات وولده الحسن اللذَيْن كان يقضي في ضيافتهما بمكة المكرمة معظم أيام السنة حتى صار من خاصتهما .... وجلسائهما الملازمين) [2] .. بل ليتك أفضلت علينا بكل ما وجدت من شعره ومع ذلك فإنك تفردت في هذا الكتيب بذكر نماذج من شعره ،عزّت على من سبقك في الاهتمام بعلمنا، وعزت على كثير ممن تحدث عنه بعدك، ولأن الكتاب غير متوفر لكل المهتمين فلعلنا نختم هذه الورقات بذكر شيء من شعر علمنا: (ابن عمر الضمدي) مبتدئين باللامية التي وإن هي أخذت بعض الشهرة إلا أنها ما زالت مطلباً لكثير من المهتمين، ويتفق دارسا هذه القصيدة ومحققاها: عبد الله أبو داهش وعلي أبو زيد الحازمي في كتابيهما اللذَيْن نشراهما عن (ابن عمر ولاميته وبعض شعره) يتفقان على مناسبة هذه القصيدة نقلاً عن العلامة الحسن بن أحمد عاكش الذي أشار إلى مناسبتها في كتابه المخطوط (عقود الدرر) نقلاً عن مؤرخ القرن الحادي عشر العلامة عبد الله النعمان الضمدي حيث ذكر في كتابه المخطوط (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) مناسبة هذه القصيدة فقال: " بأنه في سنة ٩٧٣هـ اجتاحت المخلاف السليماني مجاعة شديدة بسبب انقطاع هطول الأمطار مات بسببها أغلب سكان المنطقة ومواشيهم وأنعامهم حيث عزّت الأقوات وأكل الناس العظام حتى سميت تلك السنة (سنة أم

=الجبرتي في (تاريخه عجائب الآثار)، و في كتاب:(النهضة الأدبية في اليمن وبيوتات العلم في صنعاء وتهامة والمخلاف السليماني) ج١ ص٥٠٧ – ٥١٨، وغيرهم وغيرهم من المؤرخين والنسابين وكتّاب التراجم.

[1] (من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بن علي بن عمر) لعلي أبو زيد الحازمي ص٤٤.

[2] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٣٠-٣٣٣.

العظام) وكثر السلب والنهب وقطّعت الطرق ورحل بعض من بقي حياً عن وطنهم الذي عمه الجدب وحين ساءت أحوال الناس تنادوا لصلاة الاستسقاء وكان إمامهم وخطيبهم العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي الذي ارتجل قصيدته اللامية البالغ عدد أبياتها سبعة وأربعين بيتاً) [1] وذكر بعض المؤرخين أن ابن عمر لم يكد يتم هذه القصيدة حتى أغاثهم الله فأنزل الأمطار الغزيرة وفيما يلي بعض أبيات من هذه القصيدة:

إن مسّنا الضرّ أو ضاقت بنا الحيل ... فلن يخيب لنا في ربنا أملُ
وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا ... رباً يحولها عنّا فتنتقل
الله في كل خطب حسبنا وكفى ... إليه نرفع شكوانا ونبتهل
من ذا نلوذ به في كشف كربتنا ... ومن عليه سوى الرحمن نتكل
وكيف يرجى سوى الرحمن من أحد ... وفي حياض نداه النهل والعَلَل
لا يرتجى الخير إلا من لديه ولا ... لغيره يتوقى الحادث الجلل
خزائن الله تغني كل مفتقر ... وفي يد الله للسؤال ما سألوا
وسائل الله ما زالت مسائله ... مقبولة ما لها رد ولا ملل
فافزع إلى الله واقرع باب رحمته ... فهو الرجاء لمن أعيت به السبل
وأحسن الظن في مولاك وارض بما ... أولاك ينحلّ عنك البؤس والوجل
وإن أصابك عسر فانتظر فرجاً ... فالعسر باليسر مقرون ومتصل
وانظر إلى قوله:(ادعوني استجب لكمُ) ... فذاك قول صحيح ما له بدل
كم أنقذ الله مضطراً برحمته ... وكم أنال ذوي الآمال ما أملوا
يا مالك الملك فادفع ما ألم بنا ... فما لنا بتولي دفعه قبل
وحل عقدة مَحْل حل ساحتنا ... بضره عُمّت الأمصار والحلل

---

[1] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني، للنعمان الضمدي – مخطوط الورقتان (٢٤١ و ٢٤٢) وانظر تأريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٣٠٨ وما بعدها، وانظر كتاب لامية ابن عمر الضمدي لعبد الله أبو داهش ص ١١ وما بعدها وانظر كتابه أيضاً الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ص١٦٢، وانظر كتاب من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد (محمد بن علي بن عمر) ص٢٣ وما بعدها لعلي أبو زيد الحازمي.

وقُطِّعَتْ منه أرحام لشدته ... فما لها اليوم غير الله من يصل
وأهمل الخل فيه حق صاحبه الأ ... دنى وضاقت على كل به السبل
فرب طفل وشيخ عاجز هرم ... أمست مدامعه في الخد تنهمل
وبات يرعى نجوم الليل من قلق ... وقلبه فيه نار الجوع تشتعل
أمسى يعج من البلوى إليك ومن ... أحواله عندك التفصيل والجمل
فأنت أكرم من يدعى وأرحم من ... يرجى وأمرك فيما شئت ممتثل
فاشمل عبادك بالخيرات إنهم ... على الضرورة والشكوى قد اشتملوا
واسق البلاد بغيث مسبل غدق ... مبارك مُرجحنٌ مزنه هطِلُ
سح عميم ملث القطر ملتعق ... لرعده في هوامي سُحْبِه زَجَلُ
تكسي به الأرض ألواناً منمنمة ... بها تعود لها أحوالها الأول
ويصبح الروض مخضراً ومبتسماً ... من النبات عليه الوشي والحلل
وتخصب الأرض في شام وفي يمن ... به وتحيا سهول الأرض والجَبَل
يارب عطفاً فإن المسلمين معاً ... مما يقاسون في أكبادهم شُعَل
وقد شكوا كل ما لاقوه من ضرر ... إليك يا مالك الأملاك وابتهلوا [1]

إلى آخر القصيدة التي مضى فيها الشاعر على هذا النسق الإيماني الصادق والتي اتجه فيها بقلبه وجوارحه إلى الله تعالى ملتمساً منه الغوث ونجدة الملهوفين وإنقاذ حياة الناس الذين أهلكهم الجدب وقلة الأمطار فأقبل على الله تعالى بإيمان ويقين وهتف بروح صادقة وتضرع وخشوع خالصين فأجاب الله دعاءه ودعاء المضطرين وأغاثهم سبحانه وتعالى.

أما قصيدة (ابن عمر): في الظلم ذات المطلع:

أرى ظلمات الأرض قد عمت الأرضا ... ولم أر منقاداً إلى العمل الأرضى

فقد سبقت الإشارة إليها وذكرت بعضها أثناء نقلي عن العلامة: الحسن بن أحمد عاكش لبعض ما ذكره من مناقب علمنا: (ابن عُمر) ومسيرته العلمية وبعض شيء عن شعره ..

---

[1] من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بن علي بن عمر لعلي أبي زيد الحازمي ص٢٣-٢٦.

وسوف أتجاوز عن ذكر قصيدته في مدح (الأشراف الحوازمة)(*)، تلك القصيدة التي قال في بعض أبياتها:

وبنـــو حـــازم كـــرام الـــسجايا　　　دُرَّةُ التـــاج مـــن بنـــي المُخْتـــار

لأنه سبق لي أن كتبت شيئاً منها في كتابي: (نبذة تاريخية عن التعلـيم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير) كما كتب عنهـا غيرنـا كالأسـتاذ محمد بن أحمد العقيلي في كتابه الموسوعي: (التأريخ الأدبي لمنطقة جـازان) ج١ ص٤٦٩؛ لذلك فسأكتفي بنقل شيء من الشعر الذي تفرَّد بذكره علي أبو زيـد الحازمي في كتابه: (من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بـن علي بن عمر) ومن ذلك قصيدة العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي التـي جعل الحازمي عنوانها: (في مدح النبي ﷺ) وقدم لها بذكر بعـض مـن مـدحوا الرسول الكريم ﷺ قائلا: (وهناك عدد كبير مدحوا الرسـول ﷺ ومـن ضـمنهم القاضي الأديب محمد بن علي بن عمر الضمدي فقد مدحه بقصيدة منها:

هو المصطفى المبعوث بالحق والهدى　　　هـو الآخـر المبعـوث والمتقـدِّم

....　　　.............. .... (١)

وقال له: سل، تعط، مـا أنـت طالـب　　　فجودي بما يرضـى بـه لـك ملـزم

ومـن بعـد هـذا كلـه لـك عنـدنا　　　مواهـب لا تحـصى بغيـر تكلـم

ورد العـدا بـالغيظ عنـه وحاطـه　　　وكـل عـدو عنـد نـاظره عـم

وأشـرقت الـدنيا بـأنوار دينـه　　　وفـي ذاك آيـات لأهـل التوسـم

وكـم معجـز بالنقـل صـحّ لأحمـد　　　وبرهـان حـق لـيس بـالمتكلم

وبشّر فـي التـوراة موسـى ببعثـه　　　وبشر في الإنجيل عيسى بـن مـريم

وإن لـه يـوم المعـاد شـفاعة　　　لدى الله عظمـى فـي مقـام معظـم

ينـال بهـا فـوزا عظيمـاً ونعمـة　　　مظاعفـة مـن خيـر معـطٍ ومـنعم

وتـوجـب سعـداً دائمـاً وكرامـةً　　　لمـن شـملته مـن فـصيح وأعجـم

(*) سبق التعريف بهذه الأسرة في هامش صفحتي (٢٦٠ ، ٢٦١).

(١) هكذا وردت نقاط مكان البيت الثاني في النسخة التي أصدرها الحازمي عن ابن عمر.

هو الحجة الكبرى على كـل جاحـد | هو النعمة العظمى على كـل مـسلم
نبيٌ، جميــع الرسـل تحـت لوائــه | بـأمر سـماوي مـن الله مُبـرم
ومــن ولــدت حـوّا وآدم كلهـم | يمـرُّون فـي إحـسانه المتقـسم
*** | ***
وزاد بها الـزاد اليـسير فقـسّمت | بقيتــه بــين الخمـيس العرمـرم
ورد بها عينا على الخد قـد جـرت | فلـم ينـتقص نـوراً ولـم يتـألم
كريم السجايا واصــل، فاضـل، لـه | إذا اضطر من نار الوغى بطش ضـيغم
*** | ***
أما خاطب السرحان رهبان ناصـحاً | لــه بمقــال للمخاطــب مفعـم
وكلم خير الرسل ضبٌّ، ولم يكــن | بأغرب من نطق الذراع المسمم[1]

وهي قصيدة طويلة كما يتضح من تقطع نفسها الشعري ومع ذلك فقد أتى فيها الشاعر (ابن عمر) بإثبات رسالة المصطفى ﷺ وأشار فيهـا إلـى بعـض المعجزات التي منحه الله وما خصه الله به من فضل على جميع رسله وأنبيائــه، كل ذلك بلغة بسيطة تصل إلى المتلقي فلا يجد عناء في فهم مراميها ومدلولاتها.

أما قصيدته الثانية فهي من بحر الرجز وتشرح عمليـاً معنـى (عقيـدة التوحيد الخالص) وقد جعل الأستاذ علي أبو زيـد الحـازمي عنوانهـا: (فـي التوحيد) وقدمها تقديماً حسناً حيث قال: (وهذه القصيدة تدل على قـوة عقيـدة الشاعر (ابن عمر) ورسوخ إيمانه، وصلته بالله .... بل وثقته بـالله سـبحانه وتعالى، فهو يرى أنه من العيب والذلة أن يمد الإنسان يده لغير الله)[2] فيقـول في اعتماد كلي على ربه سبحانه وتعالى:

في غير جُـود الله خـاب الآمِـلُ | وفـضله للعــالمين مُــسبَلُ

---

[1] من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد محمد بن علي بن عمر، لعلي أبو زيد الحازمي ص٣٩ ، ٤٠ ، ٤١.

[2] المصدر السابق ص٤٣

الله مـــولاي، ومـــالي أبـــداً إلا علـــى إحـــسانه مُعَـــوَّل
إن الـــذي شـــق فمـــي لـــضامنٌ بـــالرزق حتـــى يتقَـــضّى الأجـــلُ
إذا مـــددت نحـــو غيـــر خـــالقي أنـــاملي، فـــلهن الـــشلَل
وهل أرجّـــي نـــائلاً مـــن غيـــره وهو الذي يعطي، ألـــستُ أعقـــل
إن الـــذي يرزقـــه، يرزقنـــي وهو الكـــريم والجـــواد المفـــضل
وثقت بـــالله تعـــالى وهـــو لـــي معتمـــد ومفـــزع ومعقـــل
ومـــن يكـــن بـــالله عـــزَّ شـــأنه مستنـــصراً فإنـــه لا يخـــذل
هـــو الـــذي يفعـــل مـــا يريـــده قطعـــاً ولا يـــسأل عمـــا يفعـــل
أســـأله يرزقنـــي هدايـــة بها إلـــى الرضـــوان منـــهُ أمـــل
ورحمـــة لكـــل مـــن يُحبنـــي ومن أحِبُّ، في المعاد تـــشمل [1]

وهذه القصيدة برغم أن ابن عمر ســار فيهـا علـى طريقـة أصـحاب المنظومات العلمية إلا أنها اتسمت بموسيقاها الشعرية الهادئة و جاءت كل لفظة منها تحمل معنى عقائدياً قوياً يعيد الأمور إلى نصابها وينسب الأسباب والمسببات للخالق سبحانه وتعالى، فالقصيدة كما ترى تسير في نسق إيماني ظاهر يؤكد قوة صلابة عقيدة (ابن عمر) واعتقاده الجازم في أنّ الله وحده هـو المـانح، وهـو المانع وهو القادر على كل شيء وهو سبحانه الذي بيده مقاليد الأمور ..

أما النغم الذي سارت عليه هذه القصيدة فهوَ قريب من نغم المنظومـات العلمية متخذاً فيها أسلوب (الرجز) سلماً موسيقياً خفيفاً لتوصيل رســالته، ولا شك بأن الشاعر قد اختاره ليسهل على القارئ ترديده وحفظه ، فجعل نغمه يسير على هذه التفاعيل: (مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن،) ثلاث مرات فـي الـشطر الواحـد.

قلت: ولعل ابن عمر قصد إلى ذلك حرصاً علي انسيابية القصيدة وسهولة عباراتها لتقرب الفكرة وتبسطها بسهولة ويسر أمـام المتلقـين علـى اخـتلاف مستوياتهم وإن التزمت بمتانة اللفظة وجماليات التعبير .. وغزارة المعاني.

---

[1] المصدر نفسه ص٤٣ ، ٤٤.

أما المقطع الأخير الذي اخترته مما أورده الحازمي فقد جاء تحت عنوان:(وله قصيدة يمدح بها شرف الدين يحيى بن شمس الدين [*]): وهو الإمام العلامة الذي أجاز ابن عمر إجازة علمية مستحقة_ كما سبقت الإشارة إلى ذلك _ .. لكن الأبيات التي بين أيدينا ليس فيها مديح وإنما هي مقدمة (تشبيب) لم يصل فيها إلى ممدوحه (شرف الدين) ولم ينتقل منه إلى المدح أو ربما أن ابن عمر قد فقدت أبيات مديحه ولم تبق سوى أبيات التشبيب فحتى البيت الأخير نراه فيه ما زال يواصل الحنين إلى الأثيل وضاله مستروحا عطر أذيال الحبيب غير ملتفتٍ للوشاة ، والأبيات هي:

رام العذول سلوّ قلبي الواله	عمّن يحبّ فزاد في بلباله
وتطمع الواشي بأن أصغي له	سمعاً فما أصغيتُ نحو مقاله
أيلام في حمل الصبابة والهوى	ولهان، ما خطر السلوّ بباله؟
وإذا بدا ذكر الأثيل تدفقت	عيناه شوقاً للأثيل وضاله
ومنازل سحب الحبيب ذيوله	فيها فعطرها شذى أذياله [1]

وهذا المقطع لا يؤكد شاعرية ابن عمر فقط ولكنه يؤكد تمكنه من اللغة الشعرية الجزلة، ويؤكد أن له شعراً كثيراً فُقد أو ضاع، وأوله مديحه لهذا الإمام الذي أجازه، هذا المديح الذي لم نجد منه هنا إلا المقدمة (التشبيب).

وكذلك لم نجد مديحه لشريف مكة (أبي نمي وابنه) اللذين كرماه وقرباه وحققا طلبه في الاستشفاع لدى الخليفة العثماني في شئون المخلاف السليماني كما أننا لم نجد كذلك ثناءه على الخليفة العثماني الذي استجاب لوساطة شريف مكة في إعفاء وادي ضمد ووديان أخرى في المخلاف السليماني من

---

[*] سبقت ترجمته في هامش صفحتي: (١٧٥-١٧٦).

[1] من رجال العلم في ضمد ص٤١.

الغرامات والتكاليف الباهظة التي كانت تثقل كاهل المواطنين بنـاء علـى طلـب علامتنا (ابن عمر)، والأبيات السابقة برغم تدفقها وسلامة لغتها إلا أننا نلحـظ بعض تقطع في أنفاسها الشعرية الوجدانية مما يعني فقدان كثير من أبياتها .. أما الممدوح فلم تتصل به الأبيات التي نقلت إلينا ولكن توقف الـنص أو وقـف بنـا الموجود منه قبل نهاية التشبيب وهذا يدفعني إلى التـساؤل: أيـن بقيـة أبيـات القصيدة؟ بل وأين القصائد التي تطارح بها مع رفاقه فـي أيـام الطلـب؟ وأيـن قصائده الإخوانية كتلك الأبيات التي سبقت الإشارة إليها والتي طارح بها مضيفه العلامة الحسين بن محمد المسوري [*]"حين وفد إليه علمنا (ابن عمر) مع جماعة من أصحابه وأهل جهاته فأنزلهم المسوري أحسن نُزُل، وحين قدم لهـم الطعـام تمثل بقول الشاعر تواضعاً:

أوسِّعُ رحلي علـى مـن نـزل وإن لم يكن غير خبـزٍ، وخَـلّ
فأمـا الكـريم فيرضـى بـه وأمـا اللئـيم، فمـن لـم أبـل

فأجابه العلامة: محمد بن علي بن عمر الضمدي:

ليس الكريم الذي يأتيـك جفنتـه مملوءة ويكـون الفيـصل الفـصلا
إن الكريم الـذي تأتيـك جفنتـه على الدوام وفيها (إيش) ما حصلا"[1]

بل أين القصائد التي كاتب بها أشياخه الذين تلقى العلم على أيديهم فـي الحجـاز وفي اليمن؟ وأين مديحه لأشراف الحجاز الذين أكرموه وأدنوه منهم وجعلوه من خاصتهم ومن جلسائهم؟.

- ولا شك بأن من حق القارئ أن يتساءل عن شعر ابن عمر المفقود لأن هـذه القصائد الجميلة التي نفحنا بها الشيخ علي أبو زيد الحازمي[*] مـن شـعر هـذا

---

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٥٠ .

[1] مطلع البدور ومجمع البحور ج٣ ص١٩٧-١٩٨

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٥٥.

العلاّمة الشاعر والتي تمثل أغراضاً شعرية مختلفة، تعطي مؤشراً قوياً بأن للرجل شعراً غزيراً في كل غرض من هذه الأغراض؟، وربما في أغراض شعرية أخرى ، أليس هذا مما يضاعف علينا مسؤولية البحث الجاد عن نصوص أخرى من شعر ابن عمر لعلنا نعثر على المزيد من هذا الشعر الرائع الملتزم!!

رحم الله العلاّمة الشاعر محمد بن علي بن عمر الضمدي الذي ما زالت سيرته العطرة حديث الركبان ليس في منطقة جازان (المخلاف السليماني سابقاً) وحدها .. ولكن في الأوساط الثقافية التي عطرتها تلك السيرة الأدبية والفكرية .. في اليمن .. والحجاز ونجد وفي كل صقع وصلت إليه إبداعات (علمنا) الخالدة وأياديه البارة الماجدة.

من أعلام شعراء القرن العاشر الذين لم نجد إلا شيئا يسيرا من شعرهم أو وجد منه نزر يسير:

بقي أن نشير إلى انتساب عدد من شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري الى دوحة الشعر واعتراف بعض أصحاب كتب التراجم بشاعريتهم مع أنني حين بحثت عن شعرهم لم أجد إلا الصدى الجميل.

ومن هؤلاء الشعراء :

١- الشاعر : خراج بن حسن السليماني الجازاني (... - ...)

وهذا شاعر لم تذكر المصادر المحلية شيئا عنه وإنما جاء ذكره في كتاب: (السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر) حيث ذكر مؤلفه بأن الشاعر خراج بن حسن السليماني كان أحد الذين رثوا الشريف محمد بن بركات المتوفى سنة ٩٠٣هـ ، حيث قال (الشلّي): (وأنشد الشعراء المراثي الكثيرة ومنهم الشاعر خراج بن حسن السليماني الجازاني الذي رثاه بقصيدة مطلعها :

قلب سكاب وزرود عميد ولوعة ما برحت في مزيد) [(١)]

ولم يزدنا الشلّي شيئا عن هذا الشاعر ولا عن شعره ولم يتحفنا بأبيات من هذه القصيدة سوى بيت المطلع ،وكل ما استفدناه من هذه اللمحة السريعة أن هناك شاعرا مخلافيا ينتمي إلى شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري ممن فقد شعرهم وفقد كل شيء عنهم .

٢- الشاعر : سالم بن محمود الجازاني (...-...)

هذا شاعر آخر لانعلم شيئا عن تاريخ ولادته ولا عن مكان نشأته ولا عن تاريخ وفاته أو مكانها ، ورد ذكره في كتاب (السناء الباهر بتكميل النور السافر)

---

(١) السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، لمحمد بن أبي بكر الشلّي، ص٢٩.

وجاء فيه بأنه مدح العلامة : معروف باجمّال (٨٩٣-٩٦٩) بقصائد كثيرة منهـا قوله :

ياساكنين حمى قلبي عن الخيم   جنبتمُ النــوم عن طرفــي فلم ينم
سكنتمُ القلب مني فهو مسكنكم   عن الخيام فما قصدي الى الخيم[1]

٣- العلامة الشاعر: الصديق بن الدهل الحكمي (...-٩٥٢)

عالم وشاعر ورد ذكره في كتاب العقيق اليماني لكننا لم نجد من شعره سوى ستة أبيات في الزهد والرقائق منها قوله :

عليك بهم لاتعد عيناك عنهــمُ   فهـــم أنجم للإهتدا وشموس
وحبهمُ يهدي إلـــى كل مشهد   رفيع عظيـــم قــدره ونفيس
فآثرهمْ بالحب من دون غيرهم   فما مثلهم في العالمين أنيس[2]

ولعلنا نكتفي بأسماء هؤلاء الثلاثة الشعراء وما نقلناه عنهم وإلا فهنــاك أسماء أخرى هنا وهناك لم يبق لهم سوى شرف الوصف: بكلمة: (شعراء) أمــا شعرهم فقد طوته يد الإهمال.

(١) السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر لمحمد بن أبي بكر الشلّي تحقيق إبراهيم المقحفــي، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٥هـــ ص ٤٦٢.

(٢) العقيق اليماني للنعمان الضمدي الورقة ١٨٢ وانظر التصوف في تهامة لمحمد أحمد العقيلي ص ٢٠٠ وانظــر أهل تهامة المخلاف السليماني علي بن يعقوب لعبدالله أبو داهش ص ٣٠٨.

شعراء المخلاف السليماني

في القرن الحادي عشر الهجري:

توطئة:

كان القرن العاشر - كما رأينا - استثناءً لذلك الضمور الذي أصاب الحركة الثقافية في المخلاف السليماني خلال القرون السابقة ذلك الضمور الذي كاد أن يأتي على مسيرتها الإبداعية التي عرفت بها (جازان) في كل العصور؛ وذلك لظروف كثيرة أحاطت بالمنطقة وفي مقدمتها سوء الأحوال السياسية التي عصفت بها آنذاك وربما كان بعض تلك الظروف عائداً لقلة الراصدين لمسيرة الإبداع والمبدعين، وجاء القرن الحادي عشر فشهد حضوراً علمياً وأدبياً مكثفاً كنتيجة وثمرة طبيعية لتزايد أعداد المبدعين وأعداد الراصدين مما أدى إلى إبراز عدد كبير من الشعراء والمبدعين، وإن كان أغلب أولئك الراصدين من غير أبناء المخلاف السليماني باستثناء عبد الله النعمان الضمدي وكتابه الموسوعي المخطوط (العقيق اليماني) - على وجازة تراجمه وعدم اهتمامها كثيراً بالنماذج الشعرية - ومن أولئك الراصدين: أحمد بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢) صاحب كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) الذي ترجم فيه لعدد كبير من أعلام وشعراء المخلاف السليماني، و: (محمد أمين المحبي) (١٠٦٤هـ ـ ١١١١هـ)[1] صاحب كتاب: (خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر)، الذي ترجم كذلك لعدد وفير من علماء وشعراء المخلاف السليماني وأورد نماذج شعرية لبعضهم، و محمد بن أبي بكر الشلّي (١٠٣٠ - ١٠٩٣) صاحب كتاب : (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر) ومصطفى بن فتح الله الحموي (...-١١٢٣هـ) صاحب الكتاب الموسوعي (المخطوط): (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر) الذي تحدث فيه عن أعلام من شعراء المخلاف في هذا القرن لم يسبق إليهم، ثم أتى بعد هؤلاء المؤرخين وكتاب التراجم أجيال من العلماء والمؤرخين كالإمام الشوكاني، ومحمد محمد

---

[1] نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (لمحمد أمين المحبي)، تحقيق أحمد عناية، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٦هـ، المجلد الثالث ج٦ ص ٢٢٣.

زبارة، والأكوع، والحبشي وغيرهم؛ لذلك وجدنا في أثناء رصدنا لمسيرة الشعر والشعراء في القرن الحادي عشر وفرة كبيرة، ولمسنا استمرار عطاء بعض الأسر التي برز منها شعراء في القرون السابقة إلى جانب بروز شعراء من أسر أخرى وهكذا ظلت الأسر العلمية والأدبية في المخلاف تتناوب أدوارها الثقافية وتملأ سمع الزمان بشعر تتغنى به الأجيال، وكان لأسرة (آل النعمي) القدح المعلى في بروز عدد كبير منهم في هذا القرن الذي احتشد بعدد كبير من العلماء والشعراء وبخاصة من أعلام أسرة آل النعمي الذين برز منهم في هذا القرن وذلك نتيجة للتواصل العلمي الذي حصل بين العلامة مصطفى الحموي، والأديب الصبياني علي الهادي المنسكي، ومع كل ذلك فقد كانت لعوادي الأيام صولتها التي حرمتنا من أكثر إبداع شعراء القرن الحادي عشر ونتاجهم الفكري مع أنه قد وصل إلينا شيء منه لعدد من الشعراء، وبعضه رفيع القدر قد لا يكون فيهم من هو في مستوى بعض مشاهير شعراء القرن العاشر الهجري أو بعض مشاهير القرن السابع الهجري أو السادس لكنهم مع كل ذلك فقد كانت لبعضهم إلى جانب علمه الواسع إسهاماته الشعرية الوفيرة التي تناقلها أصحاب أمهات كتب التراجم في عصرهم والعصور التي تلته وبخاصة كتب مؤرخي القرن الحادي عشر الهجري، ومع بالغ تقديري لجهود أولئك العلماء من كتّاب التراجم وشدة إعجابي بما حفظته لنا كتبهم من شعر أعلامنا في القرن الحادي عشر الهجري إلا أنني ما زلت كغيري من الباحثين أتطلع للحصول على مصادر أخرى تمدني بمزيد من نتاج شعراء هذا القرن يتكافأ مع أعدادهم الكثيرة وشهرة بعضهم الكبيرة .. وذلك لأن ما وصل إلينا من شعرهم يؤكد أن أيادي الإهمال قد امتدت إلى كثير من تراثنا الأدبي بعامة والشعري على وجه الخصوص فحرمتنا من ثروة فكرية عظيمة، ومع كل هذا إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل أسماء عدد من شعرائنا في هذا القرن الذين حفظت لنا كتب التراجم نماذج جيدة من شعرهم الجميل خاصة وأن من أولئك الشعراء من ذكرت المصادر بأنهم من أصحاب الدواوين وبعضهم ممن كانت له شهرة واسعة بين أعلام وشعراء القرن الحادي عشر الهجري ليس في

المخلاف السليماني فحسب بل وفي الجزيرة العربية بعامة ومن هؤلاء الشعراء وأولئك:

١- العلامة الشاعر: أبو القاسم بن المهدي الحكمي (....-١٠٦٠هـ)،
٢- العلامة الشاعر: أحمد بن علي بن مطير الحكمي (....-١٠٧٥هـ)،
٣- العلامة الشاعر: أحمد بن محمد الأسدي (١٠٣٥-١٠٦٦هـ)،
٤- العلامة الشاعر: أحمد بن مهدي البهكلي (.....-١٠٣٨هـ)،
٥- العلامة الشاعر: حسن بن علي بن الحسن النعمي (....-١٠٦٣هـ)،
٦- العلامة الشاعر: حسن بن علي بن حفظ الله النعمي (١٠٢٩-١٠٧٩هـ)،
٧- العلامة الشاعر: الحسين بن محمد الضمدي (....-١٠٦٥هـ)،
٨- العلامة الشاعر: الحسين بن محمد النعمي (....-١٠١٩هـ) ،
٩- العلامة الشاعر: عبدالعزيز النعمان الضمدي (١٠١٣-١٠٧٨هـ)،
١٠- العلامة الشاعر: عبد الهادي بن المقبول بن عبدالأول (١٠٣٣-١٠٩٨هـ)،
١١- العلامة الشاعر: عز الدين بن علي بن الحسن النعمي (١٠٣٢-١٠٩٠هـ)،
١٢- العلامة الشاعر: علي بن الحسن بن محمد الحسني النعمي (٩٨٤-١٠٦٧)،
١٣- العلامة الشاعر: علي بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الحكمي (٩٥٠-١٠٤١هـ)،
١٤- الأديب الشاعر: علي بن الهادي المنسكي (....-....)،
١٥- العلامة الشاعر: محمد بن أبي بكر بن مطير (.... - ١٠٨٦هـ)،
١٦- العلامة الشاعر: محمد بن علي بن حفظ الله النعمي (.... - ١٠٧٩هـ)،
١٧- العلامة الشاعر: محمد بن عيسى الطفاري (.....- ١٠٢٧هـ)،
١٨- العلامة الشاعر: المطهَّر بن علي النعمان الضمدي (١٠٠٤-١٠٤٩هـ).

وفي الصفحات التالية سأتناول تراجم هؤلاء الأعلام مفيداً من تلك المصادر التي أشرت إلى بعضها آنفاً، باسطاً القول في علمين من مشاهيرهم مراعياً إعطاء الآخرين حقهم في التعريف بهم وبشعرهم حسبما تسعفني به

المصادر التي تهيأت لي، ومشيراً إلى بعض الشعراء الذين لم نجد لبعضهم سوى البيتين أو الثلاثة أو الأربعة آملاً أن أتمكن في المستقبل من العثور على مزيد من الشعراء وعلى نماذج حيّةٍ من شعرهم فإلى تراجم أولئك الشعراء:

١- العلامة الشاعر: أبو القاسم بن مهدي الحكمي

(....-١٠٦١هـ)

عالم كبير، وشاعر يمتح من بحر غزير، وناثر تطاوعه المفردة بجهد يسير، فهو علم من أعلام وشعراء المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري، وإن تجاهلته أغلب كتب التراجم التي تحدثت عن أعلام هذا العصر الذهبي للمخلاف السليماني، إلا أننا لم نعدم بعض المؤرخين المنصفين الذين تحدثوا عن علمنا.

- وممن تحدث عن علمنا (أبو القاسم الحكمي): مواطنه العلامة عبد الله بن علي النعمان الضمدي حديثاً مقتضباً جاء فيه: (الشيخ الكبير كبير آل الحكمي: القاسم بن علي بن أبي بكر الحكمي، معتقد أهل أبي عريش، وكان لهذا الشيخ مسكة في الأدب، وفيه ذكاء مفرط يبهر العقول، وله فصاحة عظيمة، وشعر رائق ونثر فائق، وله في كل فن من فنون الأدب مشاركة، قليل النظير في الذكاء والاطلاع، توفي سنة ١٠٦١هـ رحمه الله) [١].

وهي ترجمة موجزة - كما ترى - لم يحدثنا فيها النعمان عن تاريخ ولادته ولا عن نشأته ولا عن مشائخه ولا عن تلاميذه، ومع أنه ذكر بأن للحكمي (شعراً رائقاً ونثراً فائقاً) إلا أنه لم يتحفنا بنماذج من شعره أو نثره، وإن كان قد أشار إلى موطنه، وإلى مكانته الاجتماعية والدينية، كما ذكر تاريخ وفاته، كل ذلك في وجازة لفظ، واقتصاد في المعنى.

- أما العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي فمع أنه لم يذكر تاريخ ولادة علمنا (الحكمي) ولا تاريخ وفاته، ولم يحدثنا عن نشأته ولا عن معارفه أو نتاجه العلمي؛ وبرغم إشارته إلى تفوقه (شعراً ونثراً) إلا أنه لم يذكر لنا سوى نص

---

[١] العقيق اليماني الورقة (٤٠٥-٤٠٦).

شعري واحد كتبه باسم شيخه (محمد بن صلاح) [1] موجهاً إلى العلامة (الناصر بن عبد الحفيظ المهلا) [2]، - كما يقول الحموي في مقدمته للنص - ومع أنه النص الوحيد فقد أورده الحموي مبتوراً دون مقدمة كما هي عادة الشعراء في اتخاذ المقدمات الطويلة التي يستهلون بها قصائدهم وهذا النص من النصوص الشعرية الجيدة التي حفلت بجزيل اللفظ وقوة التراكيب وعذوبة الموسيقى الشعرية مما زاد تلهفنا للحصول على مزيد من شعر أبي القاسم الحكمي الجميل.. تلهفاً لا يقل عن تشوقنا لمطلع هذه القصيدة ومقاطعها الأولى.

ولأنه النص الوحيد الذي أتحفنا به العلامة الحموي لشاعرنا (الحكمي) مشفوعاً بنبذة يسيرة عن الشاعر وشعره فسنوردهما كما جاءا في كتابه(فوائد الارتحال .....) بغير تدخل ولا اختزال وإن كنا سنحاول أن نعرف ببعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا النص الجميل. فإلى ترجمة العلامة (مصطفى الحموي) التي قال فيها: (أبو القاسم بن المهدي الحكمي: هو من أدباء الدّهر الذين اطلعوا في أفق البلاغة بدوراً، وسكبوا في حدائقها من سلسل النظم والنثر نميراً، وأبدوا للعيون من ملايح القول رياضاً وزهوراً، نشأ (الحكمي) بأبي عريش واختص

---

[1] محمد بن صلاح: هو العلامة المحقق بدر الدين محمد بن صلاح بن سعيد بن القاسم السلامي الآنسي، عالم فاضل، وفقيه ماهر، كان رحمه الله زاهداً، برع في علم الكلام، وكان من أعيان دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وهو أول من بايعه بالإمامة توفي بمدينة ذمار في جمادي الآخرة سنة ١٠٦٢هـ. انظر ترجمته في: مطلع البدور ومجمع البحور ج٤ ص٣٢١-٣٢٣، وفي البدر الطالع ج٢ ص٢٠١، وفي طبق الحلوى ص٩٩وغيرها.

[2] الناصر بن عبد الحفيظ المهلا: (....-١٠٨١هـ) هو القاضي العلامة الناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا بن سعيد بن محمد بن علي القدمي النسائي الشرفي، أخذ العلم عن والده وعن عدد من العلماء، وأجازه شيوخه، وكان مرجع العلماء المجتهدين المحققين وله الأنظار الثاقبة في المباحث الدقيقة، وهو من أنبل العلماء وأحسنهم طريقة، واطلاعاً سكن قرية الشجعة من بلاد الشرف وبها توفي سنة١٠٨١هـ له مؤلفات كثيرة منها (المحرر والمقرر في القرآت) و(أرجوزة في الفقه) و (مختصر الأوائل)، والمختصر(الياقوت). انظر رجمته في: (المؤرخون اليمنيون) لحسين العمري ص٤٧، وفي (خلاصة الأثر) ج٤ ص٤٤٤، وفي هجر العلم ج٢ ص١٠٣١، وفي مصادر الفكر ص٢٧، ٤٣٧، وفوائد الارتحال للحموي (مخطوط)ج٣ ص٣٩٠.

بالسيد جمال الإسلام (محمد بن صلاح) الاختصاص المشهور، وكتب عنه لطائف المنظوم والمنثور، منه ما كتب به إلى القاضي الإمام الناصر بن عبد الحفيظ رحمه الله جواب كتاب كتبه إلى السيد رحمه الله يقول فيه:

يرى فيه خط لابن مقلة باهر ... وجوهر لفظ يطرب العين والإذنا
إذا ما سمعنا أو نظرناه لحظة ... طربنا، ومن فرط السرور به ملنا
ففاح عبير حين فاح وعنبرٌ ... كأنكمُ أمسستموه لكم ردنا
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... بخير كتاب جاء من خيرة الأصنا[1]
كريمٌ، وسيمٌ، محسنٌ، متفضل ... إذا سئل المعروف منٌ، وما منّا
وأقربهم وداً لنا، ومحبةً ... وألطفهم ليناً، وأحسنهم يُمنا
تراه لجفن العين في السلم كاسراً ... وإن سل سيفاً في الوغى كسر الجفنا
حماه إله العرش، من كل فتنة ... وبلّغه رب السما المطلب الأسنى
كتابك قد وافى إلينا، مُسلّماً ... وناهيك للتعظيم أنّا له، قُمنا
جعلناه فوق العين منا، مُكرّماً ... وقبلت أفراد السطور له مثنى
وكان على عز العلى، فيه حجة ... مبرهنة عنه، بتأكيد ما قلنا
بتفضيلنا(ربع العروش) [2]على التي ... تسمى (أزالاً)[3] في الفواكه والسكنا
فقال لسان الحال إذ ذاك منشداً ... ألقرنَ، لما أن عنيت بذا المغنى

---

(1) الأصناء: جمع صنو، والصنو في اللغة: هو الأخ الشقيق. انظر لسان العرب لابن منظور ج٢ ص٢٨. يريد أن يقول: إن ممدوحه من جملة إخوانه الأشقاء.

(2) (ربع العروش): المقصود بها: بير العزب، كانت روضة ومتنزهاً من متنزهات صنعاء آنذاك في الجنوب الغربي من صنعاء، لكنها اليوم قد غشيها شيء من التوسع العمراني وأصبحت إحدى حارات صنعاء الداخلية، وموقعها اليوم في ميدان التحرير امتداداً إلى قاع العلفي المعروف باسم قاع اليهود. انظر: (طبق الحلوى) لابن الوزير ص١٠٣، وانظر هامش ص١١٠ من كتاب (درر نحور الحور العين) للطف الله جحاف وغيرها.

(3) أزال: قال محقق كتاب (تاريخ اليمن): (المستشرق كاي) في هامش ص٣٤٥: كان اسم صنعاء في القديم (أزال) ولما فتحها الحبشة سنة ٥٢٥م وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة، ومعناها: حصينة فسميت: صنعاء.

فمن بات في ربع العروش معرشاً ... يرى ما يروق الطرف،أو يصقل الذهنا
فإن به الحور الحسان قواطن ... تراهنّ كالأغصان، تجنى، ولا تجنى
وإن به داني الجنا، في غصونه ... من الكرْم والرمان في الروضة الغنا
ترى عنباً فيه رساً، وسفرجلاً ... وخوخاً، وتفاحاً، زد الموز، والبَنّا
وأجّاصة، والعنبرود، وتوته ... عظيماً، وبُرّاً قد علا الذرة الدخنا
وفيه من الأزهار ورداً ونرجساً ... وأشياء لا (تسمى) لديهم ولا (تكنى)
سرى فوق مغناه حمامٌ صوادح ... وفي ربعه الظبي الأغن به غنى
فيا حبذا طيب الزمان الذي به ... ويا حبذا برد النعيم به الأهنا
بلاد إذا طاف اللبيب بأرضها ... وشاهد جناتٍ بها ظنَّها عَدنًا
فإنْ كنتُ بالمغنى غنياً فإنني ... وَحقّكَ عَنْ أعتَاب مَغناك لا أغنى
فعندي من الأصحاب خير عصابة ... يمنون، كل بالثنا لكمُ أثنى
وإني بفضل الله في خير نعمة ... وفضل إمامٍ بالمكارم، ماضَناً
وليس عجيباً ذاك؛ إن إمامنا ... (سليمان) يُغني الطير والإنس، والجنّا
فإن جفت الأعشاب عندي كلها ... ففي سَاقيَ الريح المباركة السفنا
وعندي عفريت من الجن مؤمن ... بشرق بلاد الشام قد علم الأخنا
يقرب لي كل الفواكه قبل أن ... أقوم، وأن يرتد طرف مضى وسنا
وقلتم لنا، قد سركم وصل (أحمد) ... فقد سركم ما زادنا للنوى حزنا
سررتم بما جِداً، سبانا فراقُهُ ... فذاكم صديقي، بل أخي، صِنْوِيَ الأدنى
وقد سركم من بعده وصل (ناصر) ... فذاك فتى، من كل علم، حوى فنا
إمام له في كل علم دقائق ... إذا رويت في عقله، صقلت ذهنا
وبالله قل للصنو أحمد ذي النهى ... تعجل (.....) [1]من فضله، إنا
إليها لمشتاقون والصحب كلهم ... وما في الورى قد حنّ شوقاً لها حنّا
.... [2]

---

[1] في المكان الذي وضعنا به هذه النقاط عبارة غير واضحة في صورة المخطوطة.

[2] لم نستطع قراءة مفردات هذا البيت الذي انطمست كثير من حروفه فوضعنا مكانه نقاطاً كما ترى.

وحاصل قــولي، والــسلام علــيكمُ بــأنكمُ لا تقطعــوا فــضلكم عنـــا)[1]

وبعد: فقد كنا نستمتع بشعر عذب اختار له الشاعر نغماً موسيقياً خاصاً كان رويّ النون فيه هو الذي حقق له هذه الغاية.. والقصيدة في مجملها لوحة فنية بديعــة اختارت الأصالة مهيعاً فتوفرت فيها بعض الجماليات، من صور رائعة، وتراكيــب جميلة، وموسيقى شعرية هامسة..

كل هذا تحقق لهذه القصيدة برغم أنها كانت مجرد مشاركة في موضــوع ليس من الموضوعات الجادة فقد كتبها الشاعر أبو القاسم الحكمي (إنابة) يعبــر بها عن موقف صديقه العلامة محمد بن صلاح السلامي الــذي أحــب مــشاركة شعراء وأدباء وقته في تلك المحاورات (الترفيهية) وكانوا قد أداروها حول مـــا يراه بعضهم من تفضيل (صنعاء) على منتزه (روضة بير العزب) وتباريهم في تدبيج القصائد الطنانة، وكتابة المقامات الرنانة، وانتصار كل فريق للموقع الــذي يراه يمثل له الجمال والإمتاع، ومحاولة كل فريق حشد الأنصار لتفــضيل مغنـــاه وإبراز محاسنه التي يرى بأن موقعه المفضل يتميز بها عن الموقــع الآخــر... فأناب عنه (الحكمي) للقيام بهذه المهمة.

ومع أن هذه القصيدة قد وجهت إلى علم من أعلام اليمن – آنذاك – وهو من هو علماً، وفكراً، وأدباً؟ إلا أنها مع شديد الأسف قد أتت مقطعــة الأنفــاس، مبتورة الرأس؛ من غير مقدمة ولا تمهيد، ولا تشبيب ولا تغريد، وكأن اليد التي نقلتها من مصدرها قد أصابتها (عِلّةْ)، فلم تخطها أنامل (ابن مُقْلَــة)؛ ففقــدت بسبب رداءة الخط جوانب الإحساس، وبعض مواسم الأعراس.... مع كــل هــذا وغيره إلا أننا لا نستطيع أن نغمض عيوننا عما حفل به هذا النص الجميل مـــن جماليات في لغته، وروعة في صوره، وعُذوبة فـــي موســيقاه، وجاذبيـــة فـــي

---

[1] فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر (مخطوط) لمصطفى بن فتح الله المكي الحمــوي، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة الدكتور عائض الردادي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية المحفوظـــة برقم ١٠٩٣ وتاريخ نسخها ١١٢٩هـــ، ج٢ الورقة ١٢٣.

تشبيهاته الجميلة: (تراهن كالأغصان) .. (الحور الحسان)، تواكبها تلك المحسنات البديعية: (يجنى، ولا يجنى)، (منٌ، وما منًا)، (جفن العين، وجفن السيف) إلى جانب ذلك التوظيف الأروع لما قصه علينا القرآن الكريم من معجزات نبي الله (سليمان) عليه وعلى نبينا (محمد) أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

وليس عجيباً ذاك، إن إمامنا (سليمان) يُفْتِي الطير والإنس والجنّا

وما تلا ذلك التوظيف من إشادة بممدوحه الذي أخدمه عفريت من الجن يقرب له فواكه الشام كما أخدمه سافيات الريح لتقوم له ببعض المهمات، ولم لا، وممدوحه قد آتاه الله – كما يقول – ما أكرم الله به نبي الله (سليمان) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وهكذا فقد عبر عن قدرة ممدوحه على الوصول إلى ما يريد مذكرا بما حقق الله لسيدنا (سليمان) من معجزات تسخير الجن والريح.... الخ، واستخدام عبارات شاعره توحي بالصور ولا تباشرها، وتعطي النص تدفقاً شعرياً يعوضه عما أصاب بداياته وبعض مراحل تناميه...

فرحم الله شاعرنا: (أبو القاسم بن المهدي الحكمي) ورحم الله العلامة المؤرخ (مصطفى بن فتح الله الحموي) الذي فتح نافذة جميلة على شعر شاعر متمكن من لغته الشعرية وإن حصر متعتنا في نص واحد لهذا الشاعر الفحل، مع أنه قد أشار بأن لصاحبنا (لطائف المنظوم والمنثور).

٢- العلامة الشاعر: أحمد بن علي بن مطير (....- ١٠٧٥هـ):

هو عالم غزير المعرفة، متنوع الاهتمامات، وشاعر متمكن من لغة الشعر وأساليبه يعتزُّ في شعره بدينه وبانتمائه إليه، ويعتز بأسرته العلمية (آل مطير) ويشيد بالتزامها بدينها وبإخلاصها في خدمة الكتاب والسنة، وكانت بينه وبين إمام اليمن في عصره العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم (.... - ١٠٧٩هـ) [١]مكاتبات أجاب عن بعضها الإمام المذكور[٢]

ترجم له عدد من المؤرخين ومن كتاب التراجم أمثال:

- العلامة المحبي: صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.
- والعلامة مصطفى بن فتح الله الحموي صاحب كتاب: فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر.
- والعلامة محمد بن علي الشوكاني: صاحب كتاب: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
- والعلامة: محمد محمد زباره: صاحب كتاب: ملحق البدر الطالع.
- والعلامة: عبد الملك بن أحمد آل حميد الدين: صاحب الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن.
- والدكتور عبد الله أبو داهش: صاحب أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما ...
- والعلامة: إسماعيل بن علي الأكوع صاحب كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن. وغيرهم من كتاب التراجم :

---

[١] العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم (....-١٠٧٩هـ): كان عيناً في الملوك والعلماء، وكان مهيب الجانب، شديد الوطأة على المردة، ملاحظاً لجانب العلم والعلماء، أخذ في العلوم على القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس وسمع في كتب التفاسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، وعلم الأصول، وعلوم النحو والصرف، والفرائض وغيرها، وكانت لديه مكتبة عظيمة، وله مؤلفات من أهمها: (شرح مرقاة الأصول) لجده، توفي سنة ١٠٧٩هـ انظر ترجمته في: كتاب: اللطائف السنية للكبسي ص٣٧٢، ٣٧٣.

[٢] تاريخ اليمن (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) لعبد الله بن علي الوزير، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم ص٢٣٨، دار المسيرة للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٥هـ.

وعلمنا: أحمد بن علي بن مطير شاعر مجيد يتسامى بشعره إلى تعميق الإيمان بوحدانية الله والحث على التصديق برسالة الإسلام مؤكداً من خلال هذا النص الشعري الوحيد الذي تفرد بذكره المؤرخان: (المحبي) و (الحموي) والذي سنورده أثناء حديثنا عن علمنا ابن مطير وسنلمس فيه شدة تمسكه بالمثل العليا والقيم الإسلامية الرفيعة.

وإذا كان جل الذين تحدثوا عن علمنا (ابن مطير) قد صبوا جل اهتمامهم في إضاءة الجوانب العلمية لعلمنا مشيدين بجهوده في إثراء المكتبة العربية بعدد من المؤلفات المتنوعة والنافعة فإنهم مع ذلك لم يشبعوا نهمنا بمزيد من إضاءة الجوانب الثقافية والإبداعية لدى ابن مطير، ولربما كان (المحبّي) ومعاصره (الحموي) أكثر اهتماماً بهذه الجوانب حيث تفردا في ترجمتهما لعلمنا (ابن مطير) بذكر بعض التفاصيل التي تحدثا من خلالها عن مسيرته الثقافية وتحدثا كذلك عن أسرته العلمية ومكانتها كما أشارا إلى مؤلفاته كاملة، وذكرا قصيدته الوحيدة التي تجاوزت أبياتها الثلاثين بيتاً كاملة ولم يكتفيا بذكر بعض أبيات منها كما فعل بعض من ترجموا لعلمنا من بقية كتّاب التراجم، فقد تعاونا على إثباتها حيث أورد المحبي منها ستة وعشرين بيتاً وأتى الحموي فأكملها ثلاثين بيتاً. وإن كان صاحب الروض الأغن قد رجع في ترجمته لعلمنا إلى مصادر كثيرة إلا أنه لم يذكر لنا شيئاً من شعره.

- ومما قاله المحبّي عن ابن مطير: (الشيخ أحمد أبو العباس بن علي بن محمد بن إبراهيم بن مطير الحكمي أحد علماء بني مطير الأكابر الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر [1] وبرعوا في سائر العلوم وكرعوا من مشاريع الفهوم واشتغلوا

---

[1] حين اطلعت على ثناء المحبي هذا وثناء الشلي كذلك على أسرة (آل مطير) خطر في بالي سؤال مشروع: ترى هل كان الشاعر المخضرم (الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي) (... - ١٦٩هـ) الذي عاصر الدولة الأموية والدولة العباسية هل كان أحد أجداد علمنا الذين وصفهم المحبي بالأكابر؟ إن كان كذلك فهي أسرة عريقة حقاً حيث وردت لهذا العلم تراجم عديدة فقد تحدث عنه ابن المعتز في كتابه: (طبقات الشعراء) و تحدث عنه الأصفهاني في كتابه: (الأغاني) كما تحدث عنه ابن عساكر في (تهذيبه) وتحدث عنه أيضاً كل من صاحب (الأعلام) و (معجم الأدباء) وغيرهم. وأفرده بدراسة أدبية كبيرة الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه: (الشعر-

بطاعة الله تعالى.. أخذ العلم عن والده، وأغناه عن التردد إلى غيره، وأجناه من ثمرات خيره، وألف المؤلفات المفيدة منها:

١- تسهيل الصعاب في علمي الفرائض والحساب.

٢- الروض الأنيف في النحو واللغة والتصريف.

٣- نظم كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار [1].

وقد أضاف له صاحب كتاب: (الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن) أضاف لعلمنا مؤلفات أخرى منها:

٤- شرح غاية السؤل في علم الأصول.

٥- رسالة في إدحاض حديث (افتراق أمتي).

وقد ختم (المحبي) ترجمته لعلمنا الحكمي بذكر قصيدته ذات المطلع:

جدد عهودك بالوادي وبالسند ... بين العقيق وبين السفح من أحد

تلك القصيدة الإيمانية التي يستسقي فيها (ابن مطير) ويطلب الغوث والمدد من خالقه وحده سبحانه في ضراعة وإخلاص عبرت عنها أبيات قصيدته هذه والتي أشار إليها جُلّ من ترجم له وبعضهم اختار منها بعض أبياتها، أما المحبّي والحموي فقد أورداها كاملة، وسوف أضعها بين أيدي القراء بعد أن أشير إلى بعض ما تحدث به مترجمو علمنا (ابن مطير الحكمي) - بمشيئة الله -:

- أما العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي فقد جاءت ترجمته تشبه ترجمة (المحبي) في كثير من الجوانب لذلك فسنكتفي بإشارتنا لها هنا دون الخوض في

=والشعراء) الذي نقل فيه بعض شعر ابن مطير هذا وإن كان ذلك الشعر الذي نقله للحسين ابن مطير لا يشي بأثر لبيئة المخلاف السليماني حتى وإن جاء فيه ذكر الدهناء كقوله:

أين أهل القباب بالدهناء ... أين جيراننا على الأحساء

جاورونا والأرض ملبسة نور الـ ... ـلأقاحي، تجاد بالأنواء

فربما كان يقصد بالدهناء: (صحراء الدهناء) خاصة وأنه قد ذكر بعدها جيرانه في الأحساء والله أعلم.

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج١ ص٢٥٢ وانظر الصفحات ١٣٩٣-١٣٩٦ من كتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣، وانظر ص٣٨٥ من كتاب مصادر الفكر للحبشي.

تفاصيلها الطويلة. وإن كان (الحموي) قد أتى بقصيدة ابن مطير كاملة، كما أنه قد أورد في آخر ترجمته لابن مطير ثلاثة أبيات، هجا بها أحد علماء صنعاء بسبب سؤال ابن مطير الذي وجهه للإمام محمد بن الحسن بن الإمام القاسم حول الفرق الثلاث والسبعين، ومن تلك الأبيات قوله:

فما المطر الوكّاف كالبحر إن طما   فكيف إذا حقّرته بـ (مطير)[1]

أما الأبيات التي أضافها الحموي إلى أبيات قصيدة ابن مطير فسنسجلها حسب تسلسلها في القصيدة مشيرين إلى مظانها في الهامش.

- كما تحدث عنه محمد محمد زباره في ملحق البدر الطالع فقال: (الشيخ العلامة أحمد بن علي بن محمد ابن مطير الحكمي، أخذ عن والده وغيره وبرع في فنون العلم، وألف المؤلفات النافعة منها:

١ - تسهيل الصعاب في علمي الفرائض والحساب.

ثم عدد بقية مؤلفاته التي ذكرناها سابقاً .. وختم كلامه عن علمنا بقوله: (مات في بلده من المخلاف السليماني بتهامة في سنة ١٠٦٨هـ وقيل سنة ١٠٧٥هـ رحمه الله وإيانا والمؤمنين آمين) [2].

- أما عبد الله أبو داهش فقد ذكر بأن العلامة أحمد بن علي بن مطير الحكمي (كان كثير التطواف في الآفاق، وكثير الترحال ومع ذلك فقد مات في وطنه بالمخلاف السليماني) [3]، ثم اختار له أبو داهش ثمانية أبيات غير مرتبة من قصيدته التي أشرنا إلى مطلعها.

- أما صاحب كتاب: (الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ....) فقد قال عن علمنا: (الشيخ الهمام العلامة أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن مطير الحكمي (أبو العباس) أحد علماء بني مطير الأكابر الذين ورثوا العلم كابراً

---

[1] فوائد الارتحال ونتائج السفر (مخطوط) للحموي الورقات ٣٥٩، ٣٦٠.

[2] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ص٤١.

[3] بتصرف عن كتاب: (أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبو داهش. انظر ص٣١٥.

عن كابر، وبرعوا في سائر العلوم وكرعوا من مشارع الفهوم، واشتغلوا بطاعة الله تعالى أخذ العلم عن والده، وتمتع منه بطارفه وتالده، وأغناه عن التردد إلى غيره، وأجناه من ثمرات خيره .... وهو عالم بالحساب والفرائض وله مؤلفات منها:

ثم ذكر كتبه الأربعة التي أشرنا إليها سابقاً غير أنه أرخ للرسالة: (رسالة في إدحاض حديث افتراق أمتي) بسنة ١٠٦٦هـ وذكر أنها توجد في مكتبة السيد العلامة محمد بن المنصور باليمن.

وختم ترجمته بقوله: (وله الشعر الحسن، ومن شعره قوله) [١]:

ثم اكتفى بذكر بيت المطلع والبيت الذي بعده فقط.

أمَّا القصيدة كما جاءت لدى (المحبي) في خلاصة الأثر ولدى (الحموي في مخطوطته: فوائد الارتحال ونتائج السفر) فهي:

جدد عهودك بالوادي وبالسند ... بين العقيق وبين السفح من أحد
ديار من حبهم فرض أدين به ... ومن لهم منزل قد شيد في خلدي
حيث النبوة حطت رحلها وثوت ... ومهبط الوحي والأملاك بالرشد
وراجياً من رسول الله (دعوته)[٢] ... محمد، أحمد المبعوث من أدد
اختصه الله بالإرسال مؤتمناً [٣] ... فهو الوسيلة بين الله والعُبُد
ما كان من قبله علم لأمته ... ولا له كان بالإيمان ثم هدى
فلا يُلم بنا أمرٌ نراع به ... إلا سألنا به من ربنا الأحد
تفريج كرب وكشف الضر في عجل ... وعادةُ الله فينا أجمل الأوَد
يا خالق الخلق يا من لا شريك له ... يا مالك الملك بالآزال والأبد
يا ملجأي في أموري كلها أبداً ... يا منجدي من مخوفات ومن كمد

إلى أن قال:

---

[١] الروض الأغن ج١ ص٦٣ .

[٢] في الأصل : (رحمته) والرحمة من صفات الله سبحانه، والرجاء لا يكون إلا منه تعالى.

[٣] هذا البيت والأبيات السابع، والثامن، والخامس والعشرون هي الأبيات التي أضافها الحموي إلى قصيدة ابن مطير انظر الورقات ٣٥٩، ٣٦٠ من (مخطوطته فوائد الارتحال....).

إليك أرفع كفي ضارعاً خجلاً ... وأخلص الدين إذ أدعوك يا سندي
وأخفظ الرأس منقاداً به وجلاً ... مستغفراً لذنوب جمة العدد
مستسقياً منك غيثاً مطبقاً غدقا ... سحاً هنيئاً مريئاً مصلح البلد
عاما دريراً مريعاً غير منقطع ... ولا مضر، ولا موذ، ولا نكد
تحيا به الأرض والأحياء كلهم ... واغفر لنا كل ذنب، وامحه، وجد
يا مفزعي يا إلهي يا ملاذيَ، يا ... مولاي، يا موئلي، هب لي،ومُدَّ يدي
يا عالم السر مثل الجهر يا أملي ... ارحم بجودك ضعفي واشددن عضدي
يا فرد، يا حي، يا قيوم، يا صمد ... يا ذا الجلال، وذا الإكرام، يا أحدي
مطالبي منك لا تحصى وعلمكها ... أحصى، وجودك تعطيه على الأبد
فآتنا كل ما نرجو ونطلبه ... واقبل دعاتا سريعاً، واحينا، وزد
وآتِ داعيك بي في كل حادثة ... تَنوبُه، سؤله، في الخير، إن ترد
فأحمد بن علي قد دعاك وقد ... عودته الخير فضلاً منك لم يبد
وكل آل مطير، لست تهملهم ... فهم عبيدك، فارحمهم، وعد، وجد
وأبق منهم لهذا الدين مضطلعاً ... يسمو بهم، وانصرنهم نصر منتجد
هم حافظوا السنة البيضاء تعرفهم ... أسفار صدق صحاح المتن والسند
هم حاملون كتاب الله تعصمهم ... آياته عن تآويل وعن أود
واحفظ بحفظهم من كان يصحبهم ... من أهل ودِّهمُ، من شر ذي حسد
واقرن صلاتك بالتسليم لا برحا ... على نبيك في يوم وكل غد
رسولك المجتبى الداعي إليك أتى ... لبيك، لبيك، آمنا بلا جحد
وعُمَّ آلاً، وأصحاباً، وتابعهم ... لديهم مقتد بالبِرّ، والرشد [1]

وهذه القصيدة الاستسقائية الجميلة تذكرنا في ضراعتها الإيمانية باستسقائية علامة وشاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري محمد بن علي بن عمر الضمدي المشهورة التي يقول في مطلعها:

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل ... فلن يخيب لنا في ربنا أمل

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج١ ص٢٥٢ ، ٢٥٣.

وإن كان ابن مطير قد دعا لنفسه ودعا لأسرته (آل مطير) بدعاء خاص ألح فيه على خالقه بأن يخصه بالمن والجود والكرم، وأن يبقي أسرته حفظة لدينه وكتابه وسنته، وهي ضراعات صادقة وإن كانت لها بعض الخصوصيات غير أن ذلك لم يؤثر على جو القصيدة العام بل تدفقت قصيدته كتدفق النهر في عذوبته وانسيابيته، كل ذلك بلغة شعرية جميلة تأخذ بمجامع الألباب، فقد أثنى فيها على ربه سبحانه وتعالى، وخالق كل شيء بما هو أهله من الثناء، ثم صلى على رسوله الكريم ﷺ ، ودعا لنفسه كما دعا لأسرته بالرحمة والغفران، ودعا للمسلمين قاطبة واستغاث لهم ربهم وطلب الحياة والغوث للأرض والإنسان والحياة والأحياء.

كانت وفاة علمنا: أحمد بن علي بن مطير الحكمي في سنة خمس وسبعين وألف [1] من هجرة رسولنا الكريم ﷺ .

فرحم الله ابن مطير الحكمي الذي شرق وغرّب وأبدع في تأليف العلوم المختلفة وظل وفياً لأسرته ولناسه ووطنه المخلاف السليماني يعتز بهم ويدعو لهم..

---

[1] المصدر والصفحات السابقة.

٣- العلامة الشاعر: أحمد بن محمد الأسدي (١٠٢٩-١٠٦٦هـ):

شاعر يمتلك ناصية لغة الشعر، وله القصائد الحسان، وناظم له الأراجيز والمنظومات العلمية المميزة، وهو قبل ذلك عالم من العلماء العاملين المؤثرين، وينتمي لأسرة علمية من أسر المخلاف السليماني التي اشتهرت بالعلم والصلاح هي أسرة (الأسديين)، استقر والده في مكة المكرمة وكان أحد علمائها البارزين لذلك فقد ولد علمنا محمد بن أحمد الأسدي في تلك الربوع المقدسة سنة (١٠٣٥هـ) كما ذكر المحبّي [١] أو في سنة (١٠٢٩هـ) كما ذكر الشلّي في كتابه (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر) [٢] وفي مكة نشأ علمنا (الأسدي) وبها تلقى تعليمه على علمائها وأولهم والده، وبعد أن تظلع من المعارف والعلوم تصدر للتعليم بالمسجد الحرام برغم صغر سنه شأن العلماء العاملين النابهين.

- ترجم لعلمنا (الأسدي) غير واحد من أصحاب كتب التراجم وأشادوا بعلمه وفضله وشاعريته ونبوغه، ومنهم علامة مكة المكرمة في أواخر القرن الثالث عشر الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير (١٢٨٥-١٣٣٥هـ) الذي تحدث عن الأسدي قائلا: (أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي، ترجمه الذهبي في النفحات فقال: إمام علم تقدم بمعلوماته، وهمام فضل، تميز بفصيح إملاءاته وتقريراته ضم إلى فقهه علوم الآلات حتى أدرك في ميادينه من الفنون والغايات، وانتفع به كثير من الطلاب، ونظم كثيراً من الأراجيز في بعض المسائل من العلوم) ثم نقل (أبو الخير) ترجمة ثانية لعلمنا الأسدي عن (الحموي) حيث قال: (وقد ذكره الحموي في النتائج فقال: كان إماماً، عالماً، أديباً، بارعاً، جامعاً، جمع بين علوم جمة: فقه، ولغة عربية، وغير ذلك من العلوم الشرعية والأدبية،

---

[١] خلاصة الأثر ، للمحبّي ج١ ص٣٢٧.

[٢] عقد الجواهر والدرر، للشلّي ص٢٨٩.

ثم ذكر للأسدي نماذج من شعره) [1]، وممن ترجم له العلامة محمد بن فضل الله بن محب الله بن محمد المعروف بـ (المحبيّ) فقد قال عن علمنا: (الشيخ أحمد بن محمد الأسدي المكي الشافعي، من فضلاء الزمان وظرفائه، ولد بمكة ونشأ بها، وأخذ عن والده عدة علوم وأخذ عن الشمس محمد بن علان[2] والإمام علي بن عبد القادر الطبري [3] والشيخ محمد الطائفي[4] وغيرهم، تصدَّر للإقراء بالمسجد الحرام وانتفع به جماعة كثيرون، وكان كثير العبادة محباً للعزلة، نظم شذور الذهب لابن هشام في أرجوزة سماها: (قلائد النحور بنظم الشذور). وله

---

[1] المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر لعبد الله مرداد أبو الخير ص٣٩ ، ٤٠، تحقيق: محمد سعيد العمودي وأحمد علي، من منشورات نادي الطائف الأدبي ط١ ١٣٩٨هـ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

[2] العلامة محمد بن علان : (٩٩٦-١٠٥٧هـ) هو العلامة محمد بن علي بن محمد بن علان ترجمه النعمان الضمدي في الورقة ٤٠٣ من كتابه المخطوط العقيق اليماني فقال: (الشيخ الأجل القاضي: جمال الدين محمد بن علان المكي كان له في كل فن من فنون العلم اليد الطولى، وله جاه واسع لدى السلطة العثمانية)، وترجمه المحبي في خلاصة الأثر فقال: (ولد في مكة المكرمة سنة ٩٩٦هـ ونشأ بها وحفظ القرآن بالقراءات وتلقى العلوم على علماء أعلام من أهالي مكة ومن العلماء الوافدين والمجاورين حتى أصبح مرجعاً لأهل عصره في جميع الفنون ألف أعداداً كثيرة من الكتب حتى قيل عنه: بأنه (سيوطي) زمانه؛ لكثرة مؤلفاته وتنوعها ومنها: (ضياء السبيل إلى معالم التنزيل) وكتاب: (فتح الوهاب بنظم رسالة الآداب)، و (درر القلائد فيما يتعلق بزمزم وسقاية العباس من الفوائد)، و (العلم المفرد في فضل الحجر الأسود)، وله أشعار وزهديات. توفي بمكة سنة ١٠٥٧هـ ودفن بمقبرة المعلاة انظر العقيق اليماني مخطوط للنعمان الورقة ٤٠٣، وانظر خلاصة الأثر للمحبي ج٤ ص١٨٤-١٨٩، والشعر الحجازي في القرن الحادي عشر للدكتور عائض الردادي.

[3] علي بن عبد القادر الطبري: (.... - ١٠٧٠هـ) سليل أسرة آل الطبري العلمية الشهيرة وأحد مؤرخي وعلماء مكة المكرمة البارزين في القرن الحادي عشر، ولد بها ونشأ، وحفظ القرآن وجوده، ولازم والده في الفنون العلمية وأخذ عمن عاصره من أكابر العلماء ثم صرف الهمة للقيام بالتدريس والافتاء، وصنف كتباً عديدة منها: (الأرج المسكي والتاريخ المكي) وله (فوائد النيل بفضائل الخيل) توفي سنة (١٠٧٠)، انظر: خلاصة الأثر ج٣ ص١٦١-١٦٦، الأعلام ج٤ ص٣٠١وغيرها.

[4] الشيخ محمد الطائفي: (١٠٠٤-١٠٥٢هـ): هو الشيخ العلامة محمد بن عبد المنعم الطائفي، ولد بمكة المكرمة سنة ١٠٠٤هـ وطلب العلم على مشائخ عصره وأذن له غير واحد منهم بالافتاء والتدريس بالمسجد الحرام وانتفع به كثير من طلاب العلم، كان حسن الأخلاق وفياً لأصدقائه ومحبيه، وكان يحب الفقراء. له مؤلفات كثيرة منها: (حواشي على شرح المنهج والنهاية للشمس الرملي)، توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة ١٠٥٢هـ انظر ترجمته في عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٢٦٢، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج٤ ص٣٣، فوائد الارتحال ونتائج السفر للحموي ج١ ص١٥٩.

أشعار كثيرة)[1]، وقال المحبي عن علمنا الأسدي: (الشبل بن الليث، والوبل بن الغيث اشتمل بالمجد الصراح، ولطفت ذاته لطف الراح) ومضى في الثناء على الأسدي إلى أن قال: (وقد ذكرت من شعره ما تعوذه بالسبع، وتَعَلَّمَ منه رقة الطبع ومن قوله:

دع المدامة يعلو فوقها الحبب رُضَابُهُ، وثناياه، لنا أرب [2]

ثم سرد المحبي بعد بيت المطلع بعض أبيات قصيدة الأسدي فأورد له منها أحد عشر بيتاً، إلا أنه توقف بعد البيت الثاني عشر من هذه القصيدة وهو:

كيف السُّلُوُّ؟ وعيني كلما نظرت لوامع البرق قالت زالت الحجب

ولم يتم بقية أبيات القصيدة كما فعل صاحب كتاب: (عقد الجواهر والدرر)!
كما أن المحبي أورد لعلمنا (الأسدي) قصيدة أخرى يمدح بها شيخه علي بن عبد القادر الطبري ويستجيزه فيها، غير أنه لم يذكر منها سوى ستة عشر بيتاً جلها في (النسيب) وكان البيت السادس عشر هو بيت (التخلُّص) فحرمنا المحبي من بقية أبيات القصيدة التي تتجاوز الثلاثين بيتاً وبخاصة الأبيات التي فيها يتجلى مدح الأسدي لشيخه الطبري واستجازته وما ختم به القصيدة (وذلك هو بيت القصيد) – كما يقال –.
ومطلع هذه القصيدة هو:

من أين للبدر جزء من محيّاك أم للصباح نصيب من ثناياك

وسأذكر القصيدتين – بمشيئة الله – في ختام الكلام عن علمنا (الأسدي) وعن حياته وشعره كما وردت عند راصدي مسيرته العلمية والثقافية وبخاصة ما اختاراه: الشلي والحموي..

---

(1) خلاصة الأثر ج١ ص٣٢٥ ، ٣٢٦).

(2) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي مجلد٢-جزء٤ ص٩٩-١٠١.

وبعد اختيارات المحبي من شعر الأسدي ختم ترجمته بكلام لطيف عن الأسدي تناول فيه تأريخ ولادته وتأريخ وفاته وتحدث عن أسرته: (آل الأسـدي) وعن موطنه: (المخلاف السليماني) وأثنى على شعره، ومما قاله المُحبّي: (وأشعار الأسدي كلها من هذا النمط مستعذبة لطيفة، وكانت ولادته في سنة خمس وثلاثين وألف وتوفي بمكة سنة ست وستين وألف، ودفن بالشبيكة.

والأسدي: نسبة إلى أسد بن عامر أحد الفقهاء العامريين، والأسديون مشهورون بالعلم والصلاح، وأصلهم من قبيلة يقال لها آل خالد سكنهم بنواحي جازان)[1].

- وترجم لعلمنا (الأسدي) كذلك معاصره العلامة: محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي باعلوي (١٠٣٠-١٠٩٣هـ) فجاءت ترجمته للأسـدي كثيرة الشبه بترجمة (المحبي) السابقة وإن اختلفا في تأريخ ولادة علمنا الأسدي وفي زيادة عدد أبيات القصائد التي أوردها (الشلي) من شعر الأسدي عنها لدى (المحبي) حيث جاء تاريخ ولادة الأسدي عند المحبي سنة (١٠٣٥هـ) وجاء تاريخها عند محمد الشلي سنة (١٠٢٩هـ) مع أن المحبي والشلي معاصران لعلمنا محمد بن أحمد الأسدي لكننا نعلم أن السابق إلى الكتابة عن ترجمة الأسدي منهما هو الشلي الذي ترجم له المحبي في الجزء الثالث من كتابه (خلاصة الأثر) ومما نقله المحبي عن المؤرخ الشلي حسب اعتراف المحبي نفسه الذي قال في كتابه مشيراً إلى الشلي: (صاحب التأريخين اللذين أنقل عنهما كثيراً)[2] وهذا اعتراف من المحبي بنقله عن الشلي رحمهما الله. ومع ذلك فقد سجلا عن هذا العلم ما يفيد الأجيال عن سيرته العلمية والأدبية العطرة، أما فيما يتعلق بتحديد مولد علمنا (الأسدي) فإن معاصره الثالث الحموي قد اتفق مع الشلي في تحديد اليوم والوقت حيث قال الحموي: (مولد الأسدي عصر يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة من عام تسع وعشرين وألف) [3]ومما قاله العلامة محمد بن أبي بكر

---

[1] المصدر السابق ص٣٢٧.

[2] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص٣٣٦.

[3] فوائد الارتحال ونتائج السفر (مخطوط) للحموي ج١ الورقة ٣١٤.

الشلي في ترجمته لعلامتنا الأسدي: (الشيخ أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي، أحد العلماء العاملين، والفقهاء العارفين، توفي بمكة سنة ١٠٦٦هـ ودفن رحمه الله بالشبيكة، ولد سنة تسع وعشرين وألف بمكة المشرفة ونشأ بها، وأخذ عن والده عدة علوم، وأخذ عن العلامة محمد بن علي علان والإمام علي بن عبد القادر الطبري والشيخ محمد الطائفي وغيرهم، وأجازه مشائخه وتصدر للإقراء بالمسجد الحرام وانتفع به جماعة كثيرون، وكان كثير العبادة ملازماً للسنن الشرعية والآداب النبوية ... لابساً ثوب العفاف قانعاً بالكفاف، ونظم شذور الذهب لابن هشام في أرجوزة سماها: قلائد النحور بنظم الشذور، عذبة الألفاظ سهلة المعاني، وله أشعار كثيرة منها قوله متغزلاً):[1] ثم أورد القصيدتين اللتين ذكرهما (المحبِّي) و (الحموي) مع بعض الإضافات، وبخاصة في القصيدة الثانية.

كما ترجم لعلمنا الأسدي العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي ترجمة وثيقة الصلة بترجمتي المحبي والشلي كثيرة الشبه بهما عدا شيء من الاختلاف البسيط في بعض الألفاظ وفي الاختيارات الشعرية ومما قاله الحموي: (أحمد بن محمد الأسدي المكي الشافعي، كان إماماً عالماً، وأديباً بارعاً، جمع بين علوم جمة: فقه، وعربية، ولغة، وغيرها، وكان عارفاً بمذهب الإمام الشافعي كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة) ثم أتى على ذكر مولده، وانتقل إلى تعداد شيوخه، وذكر بعض مؤلفاته، غير أنه حين ذكر أرجوزته: (قلائد النحور) قال: (وقد وقفت عليها عند ولده الفاضل محمد)، وحين اختار نصوصاً من شعر الأسدي أضاف بيتين إلى أبيات القصيدة الأولى ذات المطلع: (دع المدامة يعلو فوقها الحبب) سوف نذكرهما في مكانهما مع الإشارة إلى ذلك، أما القصيدة الثانية التي مطلعها: (من أين للبدر جزءٌ من محياكِ) فقد تساوى في عدد أبياتها الواحد والثلاثين مع الشلي إذ أن المحبي وقف عند البيت السادس عشر) [2]،

---

[1] عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر للشلي ص٢٨٩ ، ٢٩٠.

[2] فوائد الارتحال ونتائج السفر للحموي ج١ الورقة٣١٤، ٣١٥.

ويلاحظ تقارب ألفاظ وعبارات ترجمة علمنا الأسدي لدى (الحموي) و (المحبي) و(الشلي) وإن تميز بعضهم عن الآخر في عدد أبيات كل قصيدة أوردها من شعر أحمد بن محمد الأسدي إلى جانب الاختلاف - كما أشرنا - في تاريخ ولادة المترجم له بفارق زمني قارب ست سنوات لدى بعضهم.

أما القصيدتان فسنذكر ما وجدناه منهما لدى العلامة الحموي والعلامة محمد بن أبي بكر الشلي وذلك لزيادة عدد أبيات كل قصيدة لديهما عنها عند العلامة المحبي: يقول أحمد بن محمد الأسدي في القصيدة الأولى متغزلاً:

دع المدامة يعلو فوقها الحبب ... رضابه وثناياه لنا أرب
نزه فؤادك من راح الكؤوس وخذ ... راحاً من الثغر عنها يعجز العنب
شتَّان بين حلال، طيِّبٍ عذبٍ ... وحامض، يزدريه العقل والأدب
إذا تغزلتُ في خمر وفي قدح ... فما مراديَ إلا الثغر والشنب
لله در مدام بت أرشفها ... من في غزال إلى الأتراك ينتسب
أباحني وردُ خدٍّ، لو يشاهده الـ ... ـورد النصيبي لا استولى به النصب[1]
مهند اللحظ زنجي السوالف لم ... تحو الذي قد حواه العجم والعرب
قولوا لمن قال: إن البدر مكتسبٌ ... سنا من الشمس هذا باطل كذب
قالت مباسمه للبدر حين سرى ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
وبت أشدو على الغصن الرطيب لذا ... بيني وبينك يا وُرْق الحمى نسب
أفديه من رشإٍ نفسي به بلغت ... من أجل شامات في الخدين تلتهب
يقول لما رأى دمعي جرى ذهبا ... يا مطلباً ليس لي في غيره أرب
تبت يدا عاذلي عمن أعوِّذه ... بالناس من نفثٍ أو غاسقٍ يقب
إن (المحرم) سلواني لطلعته ... فقل (لشعبان) عني أنني (رجب)
كيف السلوُّ؟ وعيني كلما نظرت ... لوامع البرق قالت زالت الحجب
أم كيف أخلص والقلب الكئيب غدى ... عليه طيراً وفي أجفانه حنب
يا عاذلي لا تطل بل إن رحمت فسا ... عدني على وصبي، لا مَسك الوصب

---

[1] هذا البيت والبيت العاشر مما تفرد بهما الحموي في مخطوطة كتابه (فوائد الارتحال) عن ما أورداه: المحبي، والشلي. انظر الورقة ٣١٥ من هذه المخطوطة.

هذي دموعي جرت من طول هجرته   وما جرى في سبيل الحب محتسب[1]

والقصيدة كما رأينا تسير في نغم عذب أملته عاطفة متأججة لم تنسه ثوابته في التحريم والتحليل وإن ترك لمشاعره حرية التعبير عن خلجاتها في أحيان كثيرة، فهو وإن ترفَّع عن الخمر الذي يذهب العقل والدين إلا أنه لا يجد غضاضة في (رضاب) محبوبته الذي وجد فيه السحر الحلال فهو لا يبالي في سبيل ذلك بعذل أي عاذل ينكر عليه ولهه بغزاله الذي ينتسب إلى الأتراك بل يدعو عليه فيقول: (تبت يدا عاذلي ...).

والقصيدة لا تخلو من ومضات بديعية تؤكد قدرة الشاعر على إبراز مكنونه اللغوي والثقافي والإبداعي حيث وجدناه يستخدم الكناية في بيت واحد مع التورية لإثبات عشقه لأساليب لغته الشاعرة:

إن المحرم سلواتي لطلعته   فقل لشعبان عني إنني رجب[2]

أراد أن يقول: (قل للعاذل إنني أصَمٌّ عن عذله).

- وعلى ذكر اهتمام شاعرنا بالتورية فقد أورد له كل من: (المحبي) و(الشلي) و (الحموي) بيتين يورِّي فيهما باسم فتىً وصف بالمليح واسمه: بلال حيث يقول:

ومليح تكامل الحسن فيه   لشقاء المحب سمي (بلالا)
كلما رام منه نيل وصالٍ   لا تراه يجيب إلا بـ(لا لا) [3]

---

[1] عقد الجواهر والدرر للشلي ص٢٨٩، وانظر خلاصة الأثر للمحبي ج١ ص٣٢٥.

[2] والعرب تقول: (رجب الأصبّ) لأنهم كانوا يسمون الأشهر بأسماء مختلفة فيقولون لشهر المحرم: المؤتمر، وشهر صفر: ناجرا، وربيع الأول: خوانا ... الخ، أما شهر رجب فيسمونه: الأصبّ، ويسمون شعبان: العاذل، فأفاد من تلك الأسماء القديمة وكنى بها عن شدة تعلقه بالمحبوب فهو لا يسمع فيه عذل عاذل. انظر نفحة الريحانة للمحبي ج٤ ص١٠٠.

[3] خلاصة الأثر ج١، ص٣٢٥.

وتفرد المحبي فأورد للأسدي في ريحانته بيتين استخدم فيهما التضمين، وبيتين يلغز فيهما كعادة شعراء عصره، حيث قال: (فمن شعره ملغزاً أيضاً قوله في يوم شديد الحر:

ويوم حرٍ دهانا ... ما فيه طيب هواء
قالوا نهار قوي ... فقلت ما فيه (هاء) [١]

ومن شعره مضمناً قوله:

يا قلب غرك محبوب كلفت به ... حتى طمعت بوصل دونه الخطر
وإن غررت بما تهوى فلا عجب ... (ما أنت أول سار غره قمر) [٢]

أما قصيدة الأسدي الثانية فقد وجهها إلى شيخه علي بن عبد القادر الطبري [*] مادحاً له ومستجيزاً منه وفيها يقول:

من أين للبدر جزء من محيّاك ... أم للصباح نصيب من ثناياك
والبدر يزريه ما يعلوه من كلف ... والصبح يكفيه أن يدعى بأفاك
وهل حوى الكأس ما يحويه ثغرك من ... نفائس لم ينلها غير مسواك
قد غرّه عندما يعلوه من حبب ... قول الذي قال إلا خلته فاك
أنت البريئة من نقص تشان به ... حاشاك من وصمة حاشاك حاشاك
كل المحاسن في مرآك قد جمعت ... فجلّ من بحليِّ الحسن حلاّك
من علم الظبي أن يرنو بناظره ... وعلّمَ الغصن أن يهتز إلاّك
والبيض عن لحظك الفتان راوية ... والسمر تنقل ما ترويه عطفاك
يا كعبة الحسن بل يا ركن كعبته ... تبارك الله من أنسا وسواك
رقِّي لصبٍ فقيرٍ من تصبره ... بحق من بكنوز الحسن أغناك
منّي عليه بوصلٍ بات يرقبه ... فطرفه ساهر من صار يهواك

---

[١] نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي المجلد الثاني ج٤ ص١٠١، وخلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص١٦١.

[٢] المصدر والصفحة السابقين.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٩٣.

أقسمت بالميم مـن طـائيٍّ مبـسمها ... ونون حاجـب ذاك النـاظر الـشاكي
أن لا ملـيح سـواها فهـي واحـدة ... وما لها في البها، شِبهٌ، ولا حـاكي
أملى العذول سُلُوّى وهـو مؤتفـكٌ ... وعنـك شـنّعَ هجـري بعـد أمـلاك
كيف السلو وقلبـي مـا لـه شـغل ... إلا التفكـر فـي تحقيـق معنـاك
نعـم بحـضرة ذي الآلاء قـدوتنا ... رب المكـارم مولانـا ومـولاك
المفـرد العلـم النحريـر سـيدنا ... الجوهر الفرد فـي فهمـي وإدراكـي
عليٌّ ابن الإمام البحـر مـن ختمـت ... بـه الفـضائل عبـدا لقـادر الزاكـي
من حل فوق الثريـا منـزلا وسـما ... علـى الـسماك محـلاً فـوق أدراك
رعى حمى الدين بالهندي مـن سـنن ... مـن شـبهة يفتريهـا كـل أفـاك
غدت لهمته الجـوزاء حـين رمـت ... أطنابهـا فوقهـا أبعـدت مرمـاك
سرت معانيه فـي الآفـاق سـاطعة ... فقـال بـدر الـدجى لله مـسراك
من ذا يحاكيه في علـم وفـي كـرم ... هيهات ما الشرف المحكـي كالحـاكي
حُيِّيْتِ أم القـرى بـالخير إذ طلعـت ... شمس بـأنواره فـي أفـق مـسعاك
فقد فخـرت علـى الأقطـار قاطبـة ... بمـن بـه الله ذو الإحـسان أولاك
يا أيها البحر يـا بحـر العلـوم ويـا ... رحب العطايا وربح الـسائل الـشاكي
إليـك نظمـاً غـدا كالبـدر منتظمـاً ... لكنـه فاقـه فـي حـسن أسـلاك
قصدي به -دمت في عز وفي دعـة- ... إجازة منـك، يـا ذا النايـل الزاكـي
بكـل مـا لكـمْ حقـا روايتـه ... فجد بها منعمـاً مـن غيـر إمـساكي
ثم الصلاة على أزكى الـورى حـسباً ... محمـد خيـر أواه ونـساك
والآل والصحب والأتباع مـا رويـت ... من أين للبدر جـزء مـن محيـاك [1]

ونلاحظ في هذه القصيدة ولع شاعرنا بشعر النسيب وشدة اهتمامه بانتقاء الألفاظ الموحية بولعه بذلك المحبوب هذا الولع الذي يخرجه في بعض الأحيان عن وقاره فيقسم بـ (مبسم): المتغزل بها وبنون حاجبها كما نرى فـي هـذا البيت:

---

[1] عقد الجواهر والدرر للشلي ص٢٩٠، و خلاصة الأثر للمحبي ج١ ص٣٢٦، وانظر مخطوطة (فوائد الارتحال ونتائج السفر) للحموي ج١ الورقة ٣١٤، ٣١٥.

أقسمت بالميم من طائي مبـــسمها ونون حاجب ذاك الناظر الـــشاكي

وسواء أكان قسمه قد برَّ، حين جزم بعدم وجود شبيه في الجمال لفاتنته، أم أنه قد كفَّر عنه، فإن شاعرنا ما زال يهتف بها ملقباً لها بـــ (كعبة الحـــسن) بل: (ركن الكعبة) ذلك لأن (كل المحاسن في مرآك قد جمعت) فماذا بقي إذن؟؟

ومما يؤكد ميل شاعرنا لشعر النسيب منحه لهذا الغرض نصف أبيات هذه القصيدة التي يمدح بها شيخه الطبري ويستجيزه مع أن بعض الأبيات الأخيرة في الثناء على شعره: (إليك نظماً غدا كالبدر) أو ختام بالصلاة والسلام على خيـــر الأنام وآله وأتباعه .. مما قلّل نصيب شيخه الممدوح من عـــدد الأبيـــات التـــي خصصها لمدحه واستجازته!!

وقد نفحنا العلامة المحبي بنص ثالث لعلمنا (الأسدي) قالـــه معارضـــاً لإحدى قصائد الشاعر العباسي: (عبد الله بن المعتز) [*] التي يقول في مطلعها:

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

فقال شاعرنا أحمد بن محمد الأسدي معارضاً لتلك القصيدة:

ما ماس بان الحمى في نسمة السحر إلا وقـــد أسْـــمَعَتْهُ طيّـــب الخبـــر
بالله يا نسمة الأشـــجار هـــل خبـــر فإنني بالنبـــا أولـــى مـــن الـــشجر
ليلي بما طـــال لا آوي إلـــى ســـكن هذي نجوم السما تنبيك عن سهري
أباتُ أرعى السُها في الليل مكتئبـــاً وأدمعي في الثرى تربو على المطر
أفـــدي الـــذين أذاقـــوني مـــودتهم حتى إذا مـــا رأونـــي هـــائم الفكَـــر
ساروا بقلبي، وخلوني أسير هـــوى حيران لا أهتدي ورداً مـــن الـــصَدَرِ
والله إنَّ لهـــم فـــي القلـــب منزلـــة ما حلَّها قبلهم شخص مـــن البـــشر
بالله يا فوج صـــفني منعمـــاً لهـــمُ واذكر لهم طِبْقَ ما شاهدت من خبر
وقل لهم قد غدا في حـــبكم شـــبحاً يكاد يخفى على الـــرائين بالبـــصر
لعلهـــم أن يرقـــوا لـــي ويفتكـــروا تلك الذمام التي في ســـالف العُمُـــرِ

---

[*] سبقت ترجمته في هامش ص١٤٩.

ويرحموا مُدْنَفاً صبّاً بهم كلفاً   أسيرُ حُبٍ لهم في عالم الصغر
فالله يوليهمُ عزاً ويحرُسُهُم   مدى الزمان من الأسواء والغِيَرِ [1]

ولولا المكانة الأدبية العظيمة للشاعر العباسي الكبير عبد الله بن المعتز، وخشيتي من أن أُتّهم بالإقليمية الضيقة لحكمتُ فنياً لصالح قصيدة الأسدي: لغة وصوراً وموسيقا؛ فهي – حسب رأيي الشخصي – تتفوق في هذه الجوانب على قصيدة ابن المعتز صاحب الروائع الشعرية الكثيرة.

وبعد فقد كنا أمام نصوص شعرية قوية، لعالم شاعر، يمسك بتلابيب اللغة العربية التي نظم شذراتها، وحذق مفرداتها، وعب فراتها، فأخرج لنا بعض مكنوناتها، وأمتعنا بصور شعرية من درّياتها.

فرحم الله شاعرنا أحمد بن محمد الأسدي ورحم الله المحبي، والشلي والحموي وجزاهم الله خيراً؛ فقد أتحفونا بشيء من الشعر الرائع الجميل الذي يهز الوجدان لهذا الشاعر العالم الممسك بتلابيب لغته الشاعرة.

---

[1] نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانه للمحبي المجلد الثاني ج٤ ص١٠٠، وقصيدة ابن المعتز التي ذكر (المحبي) أن علمنا الأسدي قد عارضها بقصيدته السابقة هي التي يقول في بعض أبياتها:

سقى المطيرة ذات الظل والشجر   ودير عبدون، هطال من المطر
فطالما نبهتني في الصبوح لها   في غرة الفجر، والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم   سود المدارع، نعّارين في السحر

إلى أن يقول:

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

٤- العلامة الشاعر: أحمد بن مهدي البهكلي

(٠٠٠٠ - ١٠٣٨هـ):

عالم وشاعر، تميز بتبحره في الفقه وفي علم النحو، وكانت لـه صـلات علمية وأدبية بأدباء وعلماء اليمن كما كانت له صلات بأشراف مكة وأمرائهـا، وكانت له حظوةٌ لدى هؤلاء وهؤلاء..

(تلقى تعليمه في اليمن، ثم اتصل بأمراء مكة، وكان فقيهاً أديباً لوذعيـاً فقدر علمه وأدبه، ولازم بيوت الأشراف وتردد عليهم مراراً حيث نـال صـلاتهم وحبي بوافر عطائهم ونال منهم حظاً وافراً) [١].

وعلمنا (البهكلي) من أسرة ذات شأن علمي وأدبي متميز (هي أسرة آل البهكلي)، اتخذت مساكنها في هجرة ضمد وأصابت شهرة علمية مرموقة في هذا المخلاف، فقد نبغ من أفرادها أدباء وعلماء ومؤرخون صنفوا عدداً مـن كتـب الأدب والتأريخ، وأشتهر منهم آخرون بالفقه فوسد إليهم منصب القضاء في أبي عريش وصبيا وجازان من بلدان المخلاف السليماني) [٢].

وعلمنا واحد من تلك الكوكبة العلمية المتألقة، بل – ربما كان – من أوائل أعلام هذه الأسرة المباركة في القرن الحادي عشر الهجري (.... _١٠٣٨هـــ) هذا القرن الذي شهد كذلك ولادة أحد أعلام هذه الأسرة العلمية، بل أوحد عـصره قاضي صبيا وعالمها: علي بن عبد الـرحمن البهكلـي (١٠٧٣-١١١٤هــــ) صاحب كتاب: (العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمـد بـن غالب) المنشور عام ١٤١٠هـ بتحقيق محمد بن أحمد العقيلي .. كما شهد هذا القرن أيضاً ولادة علم ثالث من أعلام هذه الأسرة العلمية هو العلامة: الحسن بن

---

[١] العقيق اليماني في ذكر وفيات المخلاف السليماني لعبد الله النعمان الضمدي – مخطوط الورقـة ٣٧١، وانظـر ص١١١ من كتاب: أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان للعقيلي.

[٢] خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد تأليف العلامة عبد الرحمن البهكلي ص٥٥ .

علي بن حسن البهكلي (١٠٩٩-١١٥٥هـ) صاحب (المقامة الضمدية) المشهورة وقاضي جازان وأبو عريش وغيرها [1].

- وردت سيرة (علمنا) في عدد من كتب التراجم أمثال كتاب: (العقيق اليماني - مخطوط -) وكتاب (مطلع البدور ومجمع البحور) وكتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن) وكتاب (التأريخ الأدبي لمنطقة جازان) وغيرها..

- فقد تحدث عنه معاصره ومواطنه عبد الله بن علي النعمان الضمدي فقال: (الفقيه العالم الأديب المصقع أحمد بن مهدي البهكلي تلقى تعليمه بالجبال واتصل بأمراء مكة فلازم بيت الشريف هناك وتردد في مكة مراراً ونال منهم حظاً وافراً) [2] ومع هذه الصلة وذلك التواصل فلم يذكر لنا النعمان شيئاً من شعر علمنا (البهكلي) في تلك الفترة .. ومثله: إسماعيل الأكوع فقد اكتفى بوصف البهكلي بـ (شاعر) حين قال عنه: (عالم محقق في الفقه والنحو، وشاعر) [3] ولم يذكر لنا شيئاً من شعر ابن مهدي البهكلي ومثل إسماعيل الأكوع فعل محمد بن أحمد العقيلي فلم يورد لنا شيئاً من شعر البهكلي!!

ولعل ابن أبي الرجال كان على اتصال بعلمنا (البهكلي) فقد ذكر مشائخه من أئمة اليمن وصلاته بهم وذكر بعض شعره في مديحهم وهذه الأمور تفرد بذكرها ابن أبي الرجال دون الآخرين، ومما قاله عن علمنا: (الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن مهدي البهكلي التهامي، كان فقيهاً فاضلاً موصوفاً بالعلم ومن شيوخه السيد العلامة محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم[4]، والسيد

---

(١) المصدر السابق ص١٢٠ وما بعدها. وانظر الروض الأغن ج١ ص١٥٠.

(٢) العقيق اليماني .... للنعمان الضمدي الورقة (٣٧١).

(٣) هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٢٢٢.

(٤) العلامة محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم (٠٠٠-١٠١٦هـ) هو العلامة: محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن الأمير محمد بن الهادي بن إبراهيم بن المؤيد بن أحمد بن المهدي القطابري من علماء القرن الحادي عشر الهجري نشأ في أسرة علمية فوالده دعا لنفسه بالإمامة سنة ٩٩١هـ ثم توفي بالحرجة من بلاد قحطان وعلمنا محمد بن صلاح عالم وابن عالم وأب وجد للعلماء فهو والد العلامة أحمد بن محمد القطابري المترجم له في الجزء الأول من مطلع البدور وهو كذلك جد للسيد العلامة صلاح-

العلامة محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن القاسم [1] رحمهم الله، وله إليهما أبيات من بحر (الكامل).

ثم أورد القصيدة التي مدح بها البهكلي شيخيه: (القاسميين)[2] والتي أطلق فيها لنفسه ولشعره العنان فأهال عليهما من النعـوت والـصفات والمـصطلحات الصوفية التي لا نوافقه على كثير مما جاء فيها، مع أننا معنيون بإثبـات الـنص على علاته ليس لأنه النص الوحيد الذي وجد حتى الآن من شعر علمنا البهكلـي ولكن لهذا السبب ولأنه يمثل العصر والمرحلة التي قيل فيها، فإلى قصيدة أحمـد بن مهدي البهكلي التي مدح بها شيخيه القاسميين: (محمد بن إبراهيم، ومحمـد بن صلاح) والتي يقول فيها:

أمحمـــدٌ، ومحمـــدٌ، لله مـــن	جبلين يحمى كل من بكمـا احتمـى
هل عَطْفَةٌ بالوصل تـشفي غلتـي	ويلذ عيني حيـث كنـتُ، وكنتمـا
وتعود أعيـادي بطيـب وصـالكم	وأرد أنف مـن اعتـداني مرغمـا
قـد كنتمـا عيـشاً يمـدُّ ظلالـه	ستراً على مثلـي ويمطـر أنعمـاً
كـم عـمَّ بركمـا وأيـم الله مـن	كلف إليـه ونـال فـضلاً منكمـا
وغدت رياض النَّـاس روضـانية	بكمـا تشعـشع نورهـا مُتَبـسِّما
فـشربتما كـأس الوصـال رويـة	فـي حـضرة قدسـية جمعتكمـا
ولبـستما مـن عبقـري كرامـة	حلل الرضى، لا العبقـري المعلمـا
فـإذا الولايـة خلقـة مرموقـة	بكما، وعـز فـي سـموكما سـما

- ابن عبد الله القطابري، والعلامة محمد بن صلاح صاحب فضل كبير على عدد من طلاب العلم وله شعر تـساجل به مع إخوانه ومحبيه. انظر ترجمته في مطلع البدور لابن أبي الرجال ج٤ ص٣١٩-٣٢٠.

[1] من اسم هذا العلامة الذي ذكره ابن أبي الرجال من شيوخ البهكلي يتضح أنه أحد أقارب العلامـة محمـد بـن صلاح بن يحيى الذي سبقت ترجمته ولكن لم تسعفني المصادر التي بين يدي بترجمة له.

[2] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٤٨٥.

والهـدي تاجـاً للزمـان مرصـعاً بجـواهر العلـم الـذي علمتمـا
فمتى أعود إلى (قطـابر)[1] نـازلاً بالربع مـن ذاك الجنـاب مـسلّما
وأهـل بـالإحرام زائـر سـادة من زار تربتهم أهـل وأحرمـا!![2]
هي روضة مزجـت بتربـة طيبـة وسمت فناسبت الحطـيم وزمزمـا
وعراصها غنم الغنا، ومنى المنـى وخضمّ بحر في البريّـة قـد طمـا
وأبل خـدي بالـدموع لفقـد مـن بكت الأنام لهم كمـا بكـت الـسما
قمـران بالـذكر الجميـل تجمّـلا وتجلـلا وتـسربلا وتعممـا
فلذا، وذا: خلـقٌ أرق مـن الـصبا وألذّ من ماء العـذيب مـع الظمـا
فعليهما منى السلام ورحمة الرحمـ ـن ما صـلى الإلـه عليهمـا [3]

ومع ما في هذه القـصيدة مـن مبالغـات غيـر مستـساغة وإشـارات ومصطلحات مغرقة في الصوفية لا نقرُّ الشاعر عليها إلا أنها قـد حفلـت بلغـة شعرية لبست أثواب البيان وتوشحت بألوان البديع الزاهية: (غنم الغنا) (ومنـى المنى) (تعود أعيادي) (عيشاً يمدُّ ظلاله) ..... (بالذكر الجميل تجمـلا) ... (ألذ من ماء العذيب مع الظما) .... إلى آخر تلك العبارات المحملة بظلال فنيـة تضيء المساحات المعتمة من الجوانب الفكرية المهيمنة على النص.

وحتى نعثر على نص شعري آخر لعلمنا ستظل هذه القصيدة على ما فيها من شطحات صوفية شاهداً على شاعرية أحمد بن مهدي البهكلي وشـاعرية عصره وموطنه.

---

[1] قطابر: بلدة يمنية، قال عنها الحجري: (بلد مشهور من بني جماعة وأعمال صعدة) انظر كتابه: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ج٢ ص٦٥٥.

[2] في هذا البيت والبيتين التاليين مبالغات غير مستساغة، وإن عكست فكر العصر الذي قيلت فيه.

[3] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ص٤٨٥ ، ٥٨٦.

٥- العلامة الشاعر: حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي الحسني (٠٠٠٠ - ١٠٦٣هـ):

عالم فاضل وشاعر وأديب وصفه المحبي: (بأنه من فضلاء الزمن وأدبائه وعلمائه وشعرائه) [١] ووصفه النعمان الضمدي بـ (الأديب الأريب، الفصيح المفلق، الجواد الكريم، النجيب ابن النجيب، .... إلى أن قال: كان حسن بن علي النعمي من كرام الرجال، وله شهرة كبيرة بسبب الكرم في الحجاز وفي اليمن وعند جميع الناس) [٢] وقال عنه عبد الله أبو داهش: (وُصف حسن بن علي بن الحسن النعمي أن له نظماً فاخراً وبخاصة في إخوانياته وفي أغراضه الشعرية الأخرى، وإن ظهر عنده ميل للتقليد)[٣].

وكما رأينا فإن مواطنه ومعاصره: عبدا لله النعمان الضمدي لم يشر إلى تاريخ ولادة علمنا: حسن بن علي النعمي ولم يذكر شيئاً عن نشأته، ولا عن شيوخه في العلم، كما أنه لم ينقل لنا شيئاً من شعره.

- أما مصطفى بن فتح الله الحموي فقد قال عن علمنا: (السيد العلامة حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي: من فضلاء القرن الحادي عشر وأدبائه، وعلمائه، وشعرائه، له نظم فاخر، يزري بالنجوم السوائر، ولد بصبياء وبها نشأ وقرأ القرآن وأخذ عن والده علوماً جمة وقويت في طلب العلوم منه الهمة إلى أن صار إلى رحمة الله في مستهل شهر محرم الحرام سنة ثلاث وستين بعد الألف بمكة ودفن بالشبيكة) ...... إلى أن قال: (ومن شعره ما كتبه إلى الناصر بن عبد الحفيظ المهلا نائباً عن السيد جمال الإسلام محمد بن صلاح [*] يتشوق إليه بقوله:

---

[١] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٢ ص٣٤.

[٢] العقيق اليماني في ذكر أعيان المخلاف السليماني مخطوط لعبد الله النعمان الضمدي الورقة (٤٠٧).

[٣] أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما لعبد الله أبي داهش ص٣١٦.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٨٠.

(ألا بالله يا نفس الخيال ....) [1].

ثم أورد بقية القصيدة التي ذكرها المحبي في خلاصة الأثر مضيفاً إليها خمسة أبيات سنذكرها أثناء نقلنا لذلك النص.

- وتحدث عنه المحبي، فأفرد له ترجمة أعطتنا عن علمنا النعمي أشياء طيبة؛ فهو وإن لم يذكر تأريخ ولادته إلا أنه قد ذكر لنا مكانها وحدثنا عن شيوخه وأمتعنا بنماذج جيدة من شعره، ثم ختم ترجمته بذكر مكان وفاته وتأريخها وبكلام عاطر عن أسرة آل النعمي مع أن المحبي قد نقل أكثر هذه الترجمة عن الحموي ولأنها من أفضل ما كتب عن علمنا ولأنها تناولت جوانب مهمة عن حياته مع شيء من شعره فإنني في السطور الآتية سأنقل أكثرها ففيها صورة جيدة عن علمنا:

- يقول المحبي في ترجمته لعلمنا النعمي: (السيد حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي الحسني من فضلاء الزمن وأدبائه وعلمائه وشعرائه، ولد بصنعاء وبها نشأ وقرأ القرآن وأخذ عن والده علوماً جمة، وقويت في طلب العلم همته، وله نظم فاخر منه ما كتبه إلى القاضي الناصر بن عبد الحفيظ المهلا [*].... نائباً عن السيد جمال الإسلام محمد بن صلاح يتشوق إليه بقوله:

ألا بالله يا نَفَسَ الخيال ... أعد لي ذكر سالفة الليالي
وأتحفني بذكر أهيل نجد ... وما قد مرَّ في تلك الخلال
وهات الكأس صرفاً، صرخدياً ... بذكْرَاهُنَّ، لي، في كل حال [2]
فإني إن ذكرت زمان وصلي ... وما قد مرَّ من حسن اتصالي
بمن أهواه في عيش خصيب ... وأيام حلاها، قد حلا لي

---

[1] فوائد الارتحال للحموي (مخطوط) ج٢ الورقة ٢٠٨.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص٢٦٤.

[2] هذا البيت والبيتين الثاني عشر والثالث عشر والبيتين التاسع عشر والعشرين هي الأبيات التي أضافها الحموي زيادة عما أورده المحبي من هذه القصيدة انظر مخطوطة فوائد الارتحال للحموي ج٢ الورقة ٢٠٨.

أكاد أذوب من ولهي عليه ... وأضرب باليمين على الشمال
وأصبو للربوع وساكنيها ... وأبقى في افتكار واشتغال
وأرجو الله يجمعنا قريباً ... بذات النفس لا طيف الخيال
ونقضي للصبابة والتصابي ... لبانات التواصل والوصال
وبعد، فحث يا حادي المطايا ... قلوصك باهتمام واحتفال
وسر عجلاً هديت، ولا تأنى ... وجوزها الحضيض مع الرمال
إلى (البدوي) مع (حرض) وعجل ... وعرّسْ (بالمعرس) لا تبالي
ومَيِّلْها عن (اللجب) اعتماداً ... إلى أرض (المحرق) [1] ذي الظلال
وأطلعها إلى الجبل امتثالاً ... وحط الرحل في بلد بها لي
أخلاء وأحباب، وأهل ... وأصحاب علو رتب الكمال
وفيهم ناصر الدين المرجى ... لحل المشكلات من السؤال
تراه مدنفاً كلفاً بجمع ... لآثار النبي وخير آل
وإن أملَى، تَدفَّق مثل بحر ... تدفق بالجواهر واللآلي
وإن مَثُلَ اللبيب لديه أروى ... لغلته بمنطقه الزلال
فتىً قد فاق في حلم، وعلمٍ ... وحاز الباهرات من المعالي
ففي المعنى وفي المغنى عظيم ... جليل في المقال وفي الفعال
حباه الله منه بكل خير ... وفَضَّلَهُ على كل الرجال
وأرجو الله يحبوني قريباً ... بأن أضحى وعزمته قبالي [2]

وهكذا رأينا بأن هذا النص الذي بين أيدينا يمثل مقطعين أحدهما أقرب إلى الشعر، وهي العشرة الأبيات الأولى التي منح فيها الشاعر لخياله إعادة شريط الذكريات فأتحفه بذكريات الأحباب وأيامه الخوالي مع محبيه الذين يكاد يذوبه الحنين لهم وإن كانت تلك الصبابات قد تذكرها متأخراً فأخذ يتصابى لها:

---

[1] (البدوي)، و(حرض)، و(المعرّس)، و(اللجب)، و(المحرق) أسماء بلدان معروفة في جنوب المخلاف السليماني.
[2] خلاصة الأثر .... للمحبي ج٢ ص٣٤ ، ٣٥.

(ونقضي للصبابة والتصابي لبانات التواصل والوصال)

ثم التفت الشاعر بعد قضاء اللبانات أو تمني قضائها إلى غرضه الأساسي فاستأنف بعبارة هي أقرب إلى الخطابات النثريةبرغم نغمها الموسيقي الجميل حيث قال:

وبعد: فحث يا حادي المطايا قلوصك باهتمام واحتفال

ثم توالت الأوامر: (وسر عجلاً) (ولا تأنى) و (جوِّزها الحضيض مع الرمال) (وأطلعها إلى الجبل امتثالاً) .... وكان نصيب شيخه الممدوح خمسة أبيات فقط هي أقرب إلى الرسائل المباشرة وإن اتخذت الوزن والقافية أسلوب خطاب!

غير أن علمنا في النص الثاني الذي نقله لنا (المحبي) والذي مدح فيه بعض ولاة المخلاف السليماني كاد أن يقترب فيه من روح الشعر التي تنأى عن المباشرة وإن لم يسلم شاعرنا منها في الأبيات الأخيرة من هذا النص يقول المحبي مقدماً لهذا النص: (ومن شعره أيضاً قوله يخاطب السيد مساعد الحسني[1] وقد قدم من مكة والياً على (عِتْوَدْ)[2]،

---

[1] الشريف مساعد الحسني: الذي يذكر المحبي أن شريف مكة (زيد بن محسن) أرسله من مكة والياً على عتود وبيش وهي من الأجزاء الشمالية التابعة للمخلاف السليماني: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر، ويظهر أنه من أقارب الشريف زيد بن محسن ومعاونيه مع أن المصادر أيضاً لم تحدد لنا زمن امتداد ولاية شريف مكة على بعض أجزاء من المخلاف السليماني واكتفت بعض تلك المصادر بالقول إن هذا الشريف (قد امتد نفوذه فشمل الحجاز بما في ذلك المدينة، ووادي الصفراء، وبدر، وخيبر، وعَنَزَة، ونجد الأعلى كالطائف وما يتصل به من اليمامة إلى بيشة إلى بلاد البديع، إلى الصفدة، إلى حلي، إلى عتود وبيش) انظر: تاريخ اليمن لابن الوزير ص٢١١ ، ٢١٢.

[2] عِتْوَدْ: وادٍ معروف من وديان المخلاف السليماني وتنحدر مياهه من جبال عسير حتى تصب في البحر الأحمر مارة بقرى وأراض كثيرة من قرى وأراضي المخلاف السليماني تقع على ضفتيه وآخرها بلدة تسمى باسمه (عتود) وكانت مقر مركز عتود ثم تحول عنها وقد وصف ابن بهرام الدمشقي المتوفى سنة ١١٠٢هـ بلدة عتود-فقال: (عتود مكان تجمع للعربان على ساحل بحر السويس ويوجد بها سوق عظيم) وقد ذكرت بلدة عتود في خريطة إمارة البحر البريطانية وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب: (عتود قرية تقع في سهول عَثَّرْ)، انظر كتابه: جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير ص٢٥٨، من منشورات مركز حمد الجاسر الثقافي

(وبَيْش) [1] وأعمالها بأمر شريف مكة: زيد بن محسن [2] حيث قال:

شمس المحاسن قد لاحت من الحجب ... فأشرق الكون نوراً غير محتجب
وقد بسمن ثغور الشعب من عجب ... وماست القضب فوق الكثب من طرب
وغنت الورق في أفنانها طرباً ... والزهر يفترّ عن طلع وعن حبب
نسل الذين سما في المجد مفخرهم ... حتى علا فوق هام السبعة الشهب
(مساعد) الاسم، ميمون الصفات ومن ... يسقن أعراقه من مغرس الأدب
صافي النضار وميمون الفخار وعلوي ... النجار، وسامي النفس، والرتب
لم يعرف المجد إلا من أبوته ... مورثاً ما حواه عن أب، فأب
أهلاً وسهلاً، أقر العين مقدمكم ... ومرحباً يا سليل السادة النجب
تعطرت أرضنا، واخضرّ يابسها ... وافتر مبسمها عن لؤلؤ شنب

بالرياض سنة ١٤٢٨هـ، وانظر: صفة جزيرة العرب للهمداني ص٧٧، ١٨٨، وانظر: المعجم الجغرافي لمنطقة جازان للعقيلي ص٢٨٤، وانظر تاريخ اليمن لعمارة تحقيق المستشرق (كاي) ص٢٥٠.

[1] بيش: وادٍ من أشهر وأكبر أودية تهامة المخلاف السليماني وترفده عدد من الوديان الأخرى والشعاب ويقدر ما يسقيه من أراضٍ زراعية بأكثر من ستين كيلاً في عرض أكثر من خمسة أكيال، وتقع على ضفتيه الشمالية والجنوبية عدد كبير من المدن والقرى من أهمها مدينة بيش التي تسمت باسم الوادي، وهي مدينة كبيرة تمثل قاعدة محافظة بيش في وقتنا الحالي حيث تشملها الرعاية السعودية مثل بقية محافظات ومدن المملكة العربية السعودية، فتعيش نهظة تنموية شاملة، وكان يطلق عليها اسم (أم الخشب)، وصفها أبو بكر ابن بهرام بأنها بلدة كبيرة تقع على طريق الحجاز وقد ورد اسم بيش الوادي واسم بيش البلدة في كثير من كتب المؤرخين مثل: صفة جزيرة العرب للهمداني ص٢٥٩، وفي كتاب جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير لأبي بكر بن بهرام ص٨٨، وفي المعجم الجغرافي لمنطقة جازان للعقيلي ص٨٠-٨٣، وفي غيرها من الكتب والمعاجم كمعجم البلدان للحموي ومعجم ما استعجم للبكري ..... الخ.

[2] زيد بن محسن: هو الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي (١٠١٤-١٠٧٧هـ) ولد بمكة المكرمة وتربى في حجر والده ثم سافر معه إلى اليمن وبعد أن توفي والده بصنعاء عاد الشريف زيد إلى الحجاز ثم استقر بالمدينة حتى صدرت أوامر السلطان العثماني بتوليته على مكة فدخلها في ذي الحجة من عام ١٠٤١هـ ولما استقر بمكة حكم بشريعة الإسلام وأزال كثيراً من المنكرات، وأبطل ما خالف الكتاب والسنة، من المحرمات، واستمر في ولايته خمسة وثلاثين عاماً، وله آثار بينة، أثنى عليه الفضلاء، ووصفوه بالحلم، والصبر، والدهاء، والحزم، ومدحه الشعراء والأدباء، وكان محباً للعلماء مبالغاً في إكرامهم، توفي سنة ١٠٧٧هـ، انظر ترجمته في: عقد الجواهر والدرر للشلي ص٣٢٢، وخلاصة الأثر للمحبي ج٢ ص١٧٦ -١٨٦، وفي البدر الطالع للشوكاني ج١ ص٢٥٣، وتاريخ مكة للسباعي ص٣٧١-٣٧٤، و عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ج١ ص٥٢، الأعلام للزركلي ج٣ ص٦٠ وغيرها.

وماس مخلافنا في روضه وزها | تيهاً على (الغوطة) الغرّاء مع (حلب)
وفاح منه شميم الورد وابتهجت | منه النفوس لمرأى البدر في الكثب
وافيت للعدل فيما قد ندبت له | لله منتدباً من خير منتدب
ما كان ذا الملك المنصور منتضياً | من غمد دولته إلا لذي شطب
لا يبرح اليمن والتوفيق خادمه | ولا برحتَ لجمع الشمل والنسب
وُفِّقتَ في كل ما قد رُمتَ مرتقياً | مراتب العز والعلياء والحسب
واسلم، ودم في نعيم لا يكدره | صرف الزمان بما يبدي من النوب [1]

وهكذا جاءت هذه القصيدة وفيها غناء الشعر وابتسام الزهر وانثيال العطر، فالأرض قد اخضرت، والورق غَنَّت طرباً، والزهر تفتح وافتر مبسمه .. والمخلاف السليماني ماس تيهاً على غوطة دمشق وبواسق حلب الشهباء، وممدوحه: صافي النضار، وميمون الفخار، وعلوي النجار......الخ.

وقد ختم كل من (المحبي) و (الحموي) ترجمة علمنا النعمي بذكر مكان وفاة علمنا وزمانها والثناء على أسرة شاعرنا حيث قالا: (وكانت وفاته بمكة المكرمة في مستهل المحرم سنة ثلاث وستين وألف، ودفن بالشبيكة، وكلاهما أشار إلى أن (النعمي): نسبة إلى جد لهم اسمه (نعمة)، مع إشارتهما إلى أن أسرته: (سادة أشراف بيت علم وفضل وأدب وهم من ذرية الحسن المثنى ومقامهم بجهة صبيا) [2].

فهل أنصف المترجمان شاعرنا؟؟ ربما! وإن كنا ننتظر المزيد.

رحم الله شاعرنا النعمي رحمة واسعة وجزى الله (المحبي) و (الحموي) خير الجزاء على ما أتحفانا به من سير عطرة لعلمنا (النعمي) رحمه الله.

---

[1] خلاصة الأثر للمحبي ص٣٥ ، ٣٦.

[2] المصدر نفسه ص٣٦.

٦- العلامة الشاعر: حسن بن علي بن حفظ الله النعمي (١٠٢٩-١٠٧٩):

لسنا في حاجة إلى التذكير بمكانة أسرة شاعرنا العلمية والأدبية، ولكن بحسبنا أن نشير إلى أن شقيقه العلامة الشاعر: محمد بن علي بن حفظ الله النعمي قد وصف بأنه من أصحاب الدواوين الشعرية - كما ستأتي ترجمته بمشيئة الله - حتى أن (المحبي) في (ريحانته) تحدث عنهما وعن شعرهما وشاعريتهما مجتمعين مع أنه قد ترجم لكل واحد منهما بمفرده في كتابه: (خلاصة الأثر)؛ ومما قاله عنهما في نفحة الريحانة: (غُرتان من جبهة الزمن، أماطا عن وجه البلاغة البراقع) [1].

- وعلمنا: (حسن النعمي) شاعر رقيق الحاشية، وناثر سلس العبارة، وأديبٌ رضع أخلاف العلوم العربية والشرعية فكان جناها شعراً لا ينضب معينه الثر، ونثراً جلّى فيه على الأقران .

- تحدث عن علمنا وعن شعره ونثره عدد من أصحاب كتب التراجم وأشادوا بشاعريته المتدفقة، ولغته الجميلة ومنهم:

- صاحب كتاب: (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر) الذي تحدث عنه بإيجاز وكأنه اكتفى بترجمة أخيه: (محمد) التي توسع فيها قليلاً، أما عن علمنا (حسن) فقد آثر (الشلّي) جانب الاختصار أثناء حديثه عنه واختار من شعره بعض أبيات من نص واحد كما اختار من نثره أيضاً بضعة أسطر، ولم يتوسع في ترجمته ولا في نقل نصوص من شعره ونثره كما فعل أثناء ترجمته لشقيقه محمد بن علي بن حفظ الله النعمي، ومما قاله عن علمنا: (هو العلامة: حسن بن علي بن عبد الرحمن بن يحيى النعمي كان أديباً مطبوعاً على السجع والذكاء!! ولد سنة تسع وعشرين وألف، وتوفي في شهر رجب سنة تسع وسبعين وألف، وبين وفاته ووفاة أخيه (محمد) ثمانية عشر يوماً، وكانت بينه

---

[1] نفحة الريحانة المجلد الثاني ج٣ ص٢١٩.

وبين علي الهادي المنسكي[1] مودة كثيرة، ومن مكاتباته له قوله: (وقد جاء من تلقائه الكتاب الكريم الشافي، ووصل من نحوه المثال الفخيم الوافي، جلت طوالعه المهنئة حناديس الهموم، وحلت نوازعه فوارس البلاغة في يـوم مـشهود لـه الناس، وذلك يوم معلوم فما نزل به روح لمعانيه من بيان سماء بلاغته إلا لشفاء أوامي، ولا تدلى أمين يراعته على بيان بلاغته إلا لبرء أسقامي، فما أحلـى مـا شربت من زلاله المعين شافياً، وما ألذّ ما ارتويت من برد نميره المغيث صـافياً، وما أنور ما تبسم به ثغره عن لؤلؤ عتاب كريم، وما أعطر ما تنسم به فخره عن غفران من المولى وسلام قولاً من رب رحيم)[2]

ثم اختار من شعر علمنا (حسن النعمي) خمسة أبيات فقط قال مقدماً لها: ومنه قوله:

ما بعد كتبي عن الأحباب (سلوان)[3]	وقطع (وَصَلِهِمُ) [4] والله سـلوان
أو سـلوة بـسواهم لا (وحقِّهُـمُ)	إني على عهدهم بـاقٍ وإن بـانوا
وكيف أسلو وفي الأحشاء منـزلهم	والقلب ربع لهم والجـسم أوطـان
ومن إذا شمت برقـاً نحـو ربعهـم	بُلت مـن الـدمع أجفـان، وأردان
ومن إذا الطيف فيهم زارني عجـلاً	يشب في مهجتي جمر ونيـران [5]

وهذه الأبيات وكذلك النص النثري أوردهما المحبّي في (خلاصة الأثر) وأضـاف إليهما نصوصاً أخرى. ويلاحظ بعض اختلاف في روايـة بعـض الأبيـات لـدى (الشلي) عنها لدى (المحبي) وإن لم تغير شيئاً كبيراً في معانيها ..

---

[1] علي الهادي المنسكي: فاضل، أديب أريب نجيب، جمع من الفضائل والفواضل ما يعجز عن ذكـره الناقـل، ذو حسب وأدب وشرف ونسب وهو من أعيان تجار صبياء المنلسكة، وهو شاعر، وناثر وله مكاتبات ومطارحات مـع أعلام عصره وستأتي ترجمته مع ذكر نماذج من شعره في الصفحات: (٣٥٠-٣٥٦) من صفحات بحثنا هذا.

[2] عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر لمحمد بن أبي بكر الشلي ، ص٣٢٨.

[3]، [4] في خلاصة الأثر للمحبي وردت (نسيان) وفي الشطر الثاني من هذا البيت جاءت في خلاصة الأثـر بـدل (وصلهم): (وصلي لهم) انظر ج٣ من خلاصة الأثر ص٣٦.

[5] عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٣٢٨.

- أما صاحب (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فقد بسط القول في علمنا وترجم له ترجمة فيها شيء من التوسع ، بدأها بنسبه الذي وصل به إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم توسع في ذكر بعض النصوص التي لم ترد لدى صاحب (عقد الجواهر والدرر) ومما قاله المحبي: (السيد العلامة حسن ابن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عيسى النعمي الحسني ...) (ثم استكمل بقية النسب) وساق بعد ذلك نعوتاً أسبغها على علمنا النعمي ومنها: (بدر المحاسن الصاعدة العلية، ومصباح العترة النبوية، وحجة الأسرة من العصابة الفاطمية، من انحطت لمعاليه المشيدة طوالع الشهب، وقصرت عن أياديه المديدة هوامع السحب، ونطقت بمفاخره العديدة الآثار والكتب، وأحد الكملاء الفضلاء الذين تبوأوا من الطاعات داراً، واتخذوا من روضة الجمعة والجماعات سكناً وقراراً، وجعلوا أردية الفضل وأبنية الكرم والبذل شعاراً ودثاراً.

ولد سنة تسع وعشرين وألف بالدهناء من أعمال صبيا، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة: علي بن الحسن النعمي وغيره، وبرع في العلوم الشرعية والمحاضرات الأدبية، وله أشعار فائقة بديعة منها ما كتبه لعلي بن الهادي المنسكي معتذراً إليه في إبطاء كتبه عنه) [1]، ثم ساق النصين السابقين؛ إلا أنه بدأ بالأبيات الشعرية ثم ذكر بعدها النص النثري بخلاف ما فعله الشلي - كما أوردناه في الأسطر السابقة. وأضاف إلى ذينك النصين نصين شعريين آخرين حيث قال: (وكتب - حسن النعمي - إلى القاضي الحسين بن الناصر المهلا الشرفي [2] قوله متشوقاً:

---

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي ج٢ ص٣٦-٣٨.

[2] الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي اليماني: (.... - ١١١١هـ) عالم كبير من علماء الزيدية في اليمن ومحقق في النحو، والفرائض، والفقه، وهو سليل أسرة علمية مشهورة، وصف بأنه كان إماماً في العلوم وله، وهو أديب وشاعر ومن المهتمين بالتاريخ حيث أسهم ببعض المنظومات التاريخية وله مؤلفات كثيرة من أهمها: (المواهب القدسية بشرح البوسية) في ستة مجلدات و (مطمع الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سنّة الضلال) و (حسنة الزمان في أعيان الأوان) و (اقتباس الأنوار لجلاء الأنظار بمذاكرة الأخيار)-

لأنــت لمـــدلهم الأمـــر بـــدر | يضيء، وشمس معرفــة وبحــر
وطـــود مكـــارم، وســـبيل حــق | لليل دجى مــن الــشبهات فجــر
ونور هدى، لمــن يعــروه جهــل | ويــمٌ نــدى، لمــن وافــاه فقــر
وفضلك شاع في العلمــاء حتــى | تــداول ذكــره شــام، ومـــصر
بيــوت عــلاك شــامخة طــوال | وروض هــواك ناضــرهُ يــسرُ
وفضلك جــاءني فــاهتز عطــف | له منّــي، وطــاب بــذاك صــدر
علومك أصبحت عــسلاً مــصفى | وفـــي أنهارهـــا لـــبن، وخمــر
وحـــور حـــسانها متبختـــرات | تــدور بــشأنها، ولهـــن نـــشر
وأشـــبه بالنـــسيم الرطـــب شـــيئاً | عتـــاب فيـــه للمعتـــوب عــذر
لتـــأخير الرســـائل منـــك عنـــي | وذلـــك بـــين أهـــل الـــود فخـــر
وأنت حميت نـــور ســـواد عينـــي | ورق ولاي تحـــت ولاك حجـــر
فـــإن لكـــم لـــديَّ، بنـــي المهـــلا | وداداً لا يحـــول ولا يفـــرُّ
فجدلي، يا حسين بحـسن صـفح | فمــن يعفــو، لـــه فــضل وأجــر
عليـــك تحيـــة وســـلام ربٍّ | رحيم، ما أنــار وضــاء بــدر [1]

ثم ذكر المحبي نصاً شعرياً آخر لعلمنا (النعمي) قدمه بقوله: (ومما كتــب بــه إليه أيضاً- (أي إلى شيخه (المهلا)- يتشوق إليه ويتطلع إلى مروره بمحله):

منتظـــر القلـــب متـــى وصـــلكم | فحالنـــا شـــق بـــه الانتظـــار
والـــشوق منـــا لـــم يـــزل صـــالياً | جـــوانح القلـــب بجمـــر ونـــار
وربعنـــا تهتـــز أكنافـــه | شـــوقاً إلـــيكم يـــا خيـــار الخيـــار
لا زلـــتم للحـــق قوامـــة | وفـــي المعـــالي قـــادة، والفخـــار

-وغيرها، توفي شهيداً سنة ١١١١هـ، انظر ترجمته في: مصادر الفكر ص٢٢٥، البـدر الطـالع ج١ ص٢٣١، مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ص٢٨٨، معجم المؤلفين ج٤ ص٦٥، نشر العـرف ص٦٢٨-٦٣٠، هجر العلم ومعاقله ج٢ ص١٣١، والأعلام ج١ ص٢٧٤ وغيرها.

[1] خلاصة الأثر ج٢ ص٣٧.

وقد جعلت الناصر المرتضى أباك إذ ذاك الصفي النضار
معتصماً من هجركم سابقاً وملجأ من مثله مستجار [1]

وختم (المحبي) ترجمة علمنا بقوله: (وله غير ذلك، وكانت وفاته في رجب سنة تسع وسبعين وألف) وفي (نفحة الريحانة، ورشحة طلاء الحانة) أعاد المحبي بعض كلامه عن علمنا (النعمي) وأعاد اختيار بعض نصوصه ووصف شعر علمنا مع شعر أخيه (محمد) بقوله: (وشعرهما في غاية ما يكون، يحرك بالضرورة طرباً كل ذي سكون)[2].

أما صاحب كتاب: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما) فقد ذكر بعض ما قاله (المحبي) واختار من نصوصه الشعرية وقال عن شعر علمنا (حسن بن علي بن حفظ الله النعمي) ويشبه السيد حسن بن علي بن حفظ الله النعمي حسن بن علي بن حسن النعمي في الميل نحو التقليد الشعري واتخاذ الأغراض الشعرية المعهودة ميداناً لإسهاماته الشعرية) [3] (يقول هذا عبد الله أبو داهش مع أن النصوص التي نقل منها كلها تمتح من غرض شعري واحد – كما رأينا – فأين هي الأغراض الشعرية الأخرى؟.

أما كاتب هذه السطور فمع أنَّهُ لا يرى اتخاذ البحور الشعرية المعهودة مأخذاً على الشاعر... فقد وجد في شعر علمنا هذا مسحة جمالية راقية وبخاصة في مقدماته أو مطالع نصوصه التي بين أيدينا – كما أن هذه النصوص لا تخلو من لفتات بديعه كقوله: (لليل دجىً من الشبهات فجر) وكقوله: (وروض هواك ناضره يسر) وكقوله: (وأشبه بالنسيم الرطب شيء عتاب ....) وكقوله: (وربعنا تهتز أكنافه شوقاً ....) ألا يرى معي القارئ هذه اللفتات التي ربما لو أعاد

(1) المصدر نفسه ص٣٧-٣٨.

(2) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي المجلد الثاني ج٥ ص٢٢٠.

(3) أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبو داهش ص٣١٧ ، ٣١٨.

القارئ لهذا الشعر قراءة النصوص لا ستمتع بها وبمثيلاتها، وربما وجـد متعـة إضافية في الموسيقى التي حفل بها النص الأخير على قصره.

وبعد فرحم الله علمنا حسن بن علي بن حفظ الله النعمـي الـذي مازلنـا نتطلع إلى نصوص أخرى من شعره الجميل.

٧-العلامة الشاعر: الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي (١٠٢٢ - ١٠٦٦هـ):

عالم، وأديب، ومؤرخ، وشاعر، وحافظ، وراوية .. ولم لا يكون علمنا (الحسين بن محمد الضمدي) جامعاً لكل هذه المواهب والإمكانات؟ وهو أحد أحفاد العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٠هـ) نعم، لم لا يكون كذلك وهو أحد أعلام أسرة آل ابن عمر العلمية الشهيرة التي برز منها كثير من العلماء الأعلام والشعراء العظام !!

ولد علمنا: (الحسين الضمدي): سنة (١٠٢٢هـ) في ضمد، وتلقى العلم على علماء أسرته وعلماء بلده، كالعلامة المُطهَّر بن علي النعمان الضمدي وغيره، ثم رحل إلى صعده فدرس على علمائها الكبار والتقى خلال دراسته بها بدارسين وطلاب علم أصبحوا - فيما بعد - أعلاماً، كالعلامة أحمد بن أبي الرجال صاحب كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) الذي تحدث في مقدمة كتابه هذا عن حياته الدراسية وأشار إلى بعض رفقاء دربه وزملائه في الطلب ومنهم علمنا (الحسين بن محمد الضمدي) حيث قال: (ومنهم: العلامة المفيد الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي رحمه الله اجتمعنا بصعده ..... ولم تكن بصفة القراءة فمضينا على أكثر (مغني اللبيب) ونحن نظنُّ أن قراءة الحسين الضمدي على الفقيه مطهر بن علي ... الخ)[1].

- وقد ترجم لعلمنا: (الحسين بن محمد بن يحيى الضمدي) غير واحد، وممن ترجم له عبد الله النعمان الضمدي في كتابه الموسوعي: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) ومع صلة علمنا به وبأخيه (المطهر) إلا أنه لم يذكر لنا شيئاً ذا بال عن نشأته، ولم ينقل لنا شيئاً من شعره، مع أنه أشار إلى مكانته العلمية والأدبية ووصفه بالأديب الأريب المصقع حيث قال:(العلامة الأديب الفاضل الأريب المصقع الفصيح: بدر الدين الحسين بن محمد بن يحيى بن الشيخ

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٦٠.

الإمام محمد بن علي بن عمر الضمدي تغمده الله برحمته، ولد الفقيه(الحسين) سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ونال من العلم شيئاً كثيراً في كل فن طرفاً، وكان له شهرة وحَظْوَةٌ في عصره، اشتهر بالعلم، وبالعفة والكرم وحسن الأخلاق والشيم، توفي سنة ١٠٦٦هـ) [١].

- وتحدث عن (علمنا) صاحب كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فقال: (الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي: من أعلام المائة الحادية عشرة، شاعر وأديب، حفّاظة راوية للشعر والقصص والحكايات، وكان إذا تحدث أو تكلم لا يلحن في كلامه وله معرفة تامة بأخبار هجرة (ضمد) وأخبار علمائها، له أشعار كثيرة معظمها في الإلهيات ومدح الرسول العظيمﷺ[٢] .

- أما صاحب كتاب: (مطلع البدور ومجمع البحور) فقد تحدث عن علمنا بإفاضة وذكره وذكر بعض مواقف له حيث تكلم عنه في أماكن متفرقة من كتابه ثم أفرده بترجمة موسعة في الجزء الثاني من كتابه هذا؛ ففي متفرقاته عن علمنا يقول ابن أبي الرجال: (الحسين بن محمد الضمدي من أكابر علماء ضمد، وقد تلقينا عنه عجائب من أخبار علماء أهل ضمد الأحياء منهم والأموات وقد أضعنا من ذلك كثيراً مما أملاه ، وفاتني كثير مما حكاه لي إلا أنني سأكتب الباقي في الذاكرة حتى لا يلحق بالماضي فآفة العلم النسيان) [٣] وفي مقام آخر يقول عن علمنا حين كان يتحدث عن زملاء الدراسة: (ومنهم العلامة المفيد الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي - رحمه الله - اجتمعنا بصعده ... ولم تكن بصفة القراءة فمضينا على أكثر (مغني اللبيب) ونحن نظن أن قراءة الحسين بن محمد الضمدي على الفقيه مطهر بن على الضمدي) [٤] أما ترجمة علمنا الموسعة التي أفردها له ابن أبي الرجال في الجزء الثاني من كتابه

---

[١] العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني لعبد الله النعمان الضمدي (مخطوط) الورقة (٤١١).

[٢] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢٢٢.

[٣] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٣٦٩ ، ٣٧٧.

[٤] المصدر السابق ج١ ص٦٠.

الموسوعي هذا فقد قال فيها: (هو الفقيه العارف شرف الدين الحسين بن محمد ابن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي كان من أدباء الوقت، حُفَظَةَ نبيهاً في غاية النباهة، واسع الإملاء للأدبيات على أنواعها وأجناسها، يملي أدبيات المصرين ومقاطيعهم والقصائد الطنانة عن ظهر غيب واعية لذلك، ولما شابههُ من كلام المخالف والموالف في الأدب والقصص والكائنات، .. كان من أهل الوقار والتأني والرجاح، وكانت له في العبارات فصاحة وبلاغة كأنما يملي من صحيفة، ولقي أعيان بلده كالفقيه العلامة المطهر بن علي النعمان وكان يراسله بالفوائد إلى صعده ولقي العلامة الوجيه سيدنا عبد العزيز الضمدي قاضي بندر المخا، وهو من كملة الرجال من المصنفين، وقد مر له ذكر، وهؤلاء كلهم من بيت واحد قرابتهم وشيجة، وقرأ الحسين العربية والفقه، وكان ألمعياً ذكياً، وله أشعار كثيرة منها إلهيات ومنها نبويات وإخوانيات، ومنها مدائح، وله مواعظ...)[1].

ومع أن ترجمة ابن أبي الرجال لعلمنا من أوفى الترجمات باعتباره رفيق دربه بل باعتباره معاوناً له في تراجم علماء ضمد وما حولها، مع كل هذا ومع أنه قد أشار بأن لعلمنا (الحسين) أشعاراً كثيرة في الإلهيات، والنبويات، والإخوانيات، والمدائح، والمواعظ .... إلا أنه لم يذكر لنا سوى أربعة أبيات من شعره فقط !! حيث قال قبل ختام ترجمته: (ومن إلهياته " من البسيط "):

ماذا أقول لربي حين يسألني	عند الحساب ونار الله تضطرم
وقد أتيت بذنب ما يطيق على	حملِ له، يذبلّ كلاّ ولا نُقُمُ

ومنها:

يا من يقيل عثار المذنبين أقل	عثار عبد، به قد زلت القدم
قد قلت يا ربي ادعوني أستجب لكمُ	فقد دعونا سميعاً ما به صمم [2]

---

[1] المصدر السابق ج٢ ص٢١٩ ، ٢٢٠.

[2] المصدر نفسه .

وإذا كان القليل – كما يقال – يدل على الكثير فإن لغة علمنا التي تشير إليها هذه الأبيات الأربعة تؤكد بأن له شاعرية وتمكناً ليتنا نظفر بشيء منهـا فـي بقيـة أغراضه الشعرية فمع استمتاعنا بهذه الأبيات لغة وفكراً وحـسن بيـان وجمـال تصوير وروعة تعبير وانسياب أنغام إلا أننا مع كل هذا قد زاد تشوقنا لبقية أبيات هذه القصيدة أولاً ثم إلى بقية القصائد التي تمتح من نهرها كما زاد تلهفنا لبعض ألوان شعر علمنا التي أشار إليها رفيق دربه: (إخوانيـات، نبويـات، مـدائح، مواعظ ...... الخ) فهل تسعفنا بذلك جهود الباحثين في الأيام القادمـة؟ لعـل، وعسى، وليت!!

٨-العلامة الشاعر: الحسين بن محمد بن الحسن النعمي (....-١٠١٩هـ):

من أعلام أسرة (آل النعمي) في القرن الحادي عشر الهجري، ومن العلماء العاملين الذين عرفوا في المخلاف السليماني وفي غيره بعلمهم وفضلهم..

فهو عالم نذر نفسه للتعليم والفتيا بعد أن تضلع من العلم، تلقى العلم على بعض علماء بلاده وربما كان العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي من أبرزهم ثم رحل إلى صعده فدرس على علمائها، ولا يبعد أن يكون قد التقى ببعض علماء الحرم المكي حين قصد مكة حاجاً.

رويت له أشعار جلها في مديح الرسول الكريم ﷺ ترجم له ابن أبي الرجال، وترجم له الأكوع وتحدث عنه معاصره ومواطنه عبد الله بن علي النعمان، وأشار إليه العقيلي في التاريخ الأدبي، وفي أحد هوامش نفح العود.

- ومما قاله عنه النعمان: (السيد العلامة الجليل الحسين بن محمد بن الحسن النعمي، كان عالماً عاملاً فاضلاً، يصدع بالحق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قرأ في صعده وتفقه بها ، سافر إلى مكة المكرمة وحج بيت الله الحرام ، لازم الفتيا والتدريس حتى لقي الله تعالى وتوفي سنة ١٠١٩هـ) [1].

- واختصر ترجمته الأكوع فقال: (الحسين بن محمد النعمي: عالم اشتغل بالتدريس والإفتاء توفي سنة ١٠١٩هـ) [2].

- ومثله فعل العقيلي حين أشار إليه بإيجاز فقال: (درس في صعده، وكان عالماً يصدع بكلمة الحق آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ولازم الفتوى والتدريس إلى أن أدركته الوفاة) [3].

---

(١) العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني(مخطوط) لعبد الله النعمان الضمدي الورقة ٣٥٢.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٢ ص٦٣٦.

(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ج١ ص٣٧٩ وانظر هامش ص١٢ من كتاب نفح العود للبهكلي تحقيق العقيلي.

- أما معاصره ومجايله العلامة أحمد بن أبي الرجال فقد ترجم له بإسهاب حتى أنه ذكر بعض مواقفه في الورع مع بعض أهل موطنه المخلاف السليماني، كما ذكر بعض محاوراته العلمية مع بعض علماء اليمن، وتحدث عن شعره وغزارته وأنه سمع منه كثيراً ..... ومما قاله ابن أبي الرجال عن علمنا: (السيد العلامة الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي، كان عالماً عاملاً حاوياً لعديد المفاخر، جامعاً لحميد المآثر، قد توسم فيه أهل زمانه الدعوة، وكان من أهل الورع الشحيح الذي لا يلحق، بل كان على طريقة والده في الورع وإن كان فيما أحسب قدم الحسين في العلم أثبت، ومما أظنه أثر عنه في الورع أنه لم يشرب من ألبان إبل أهل المخلاف السليماني)

- لأسباب ذكرها ابن أبي الرجال - ثم واصل ترجمته فقال: (وكان مولعاً بالفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر وحق له ذلك، ووقعت بين العلامة الحسين النعمي والسيد العلامة علي الناصري مراجعات حضر بعضها العلامة محمد بن علي بن عمر، وكان العلامة الحسين النعمي إذا جاء ذكر أم المؤمنين (عائشة) يترضى عنها - مخالفاً بذلك مذهب من يقيم بين ظهرانيهم -؛ فلذلك يعتب عليه السيد علي الناصري ويقول للعلامة (الحسين): (حق لك أن ترعى غنماً، العلم في صدر هذا الشيخ) يريد العلامة (ابن عمر) غضباً على السيد الحسين النعمي الذي محله في العلم مكين) [1]. ومضى ابن أبي الرجال في شرح وتوضيح تلك الموقف وبعض مواقف العلماء منه بإسهاب - لا يقتضينا المقام ذكر تفصيلاتها - إلى أن قال: (وللسيد الحسين النعمي أشعار منها قصائد نبوية قرئت بالحجرة النبوية الشريفة نحو قصيدته (من الكامل) التي أولها:

دعها تحن إلى العقيق وترزم   فبها من الأشواق شيء يؤلم

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور ج٢ ص٢٩٢.

وقد سمعت من قصائده كثيراً لكني لم أعتن بالنقل، وهذه القصيدة نبوية أنشدنيها الفقيه المحب.... السبعي[1] الشافعي من صبيا، وكتبها لي بخطه (من الخفيف):

هــذه الــدار فاتئــد يــا حــادي ... وأنـــخْ ظـــافراً بنيـــل المـــراد
عفِّر الخــد مــن ثراهــا عــسى ... تــذهب منــه وســاوس الأحقــاد
جاء فيها (ما بين هــذا وهــذا) ... روضة من رياض خيــر المعــاد
حــرم آمــن، وهجــرة نــصر ... ومقـــر، للعـــاكف المرتـــاد
وبها بورك القليــل مــن الطعــم ... فـــأغنى جمعـــاً مـــن التعـــداد
وبهـــا اخــضرّ يــابس إن هــذا ... لحـــديث مخـــالف المعتـــاد
درت الشاة، ردت العين من مــسّ ... لها، ســال ماؤهــا للــصوادي)[2]

ومنها بعد أربعين بيتاً:

يا نبــيّ الهــدى أتيتــك صــفراً ... لــم أقــدم لمــوقفي مــن زاد
قد تولى الــشباب والعمــر فمــا ... أقـــبح أن أرى بـــلا اســـتعداد
وعلـــت كـــاهلي ذنـــوب ثقـــال ... لـــم تطقهـــا ثوابـــت الأطـــواد
حـــسَّنتها نُفَيْـــسَةٌ ذات شـــرٍ ... لم تــزل فــي مهالــك وازديــاد
علقــت أمرهــا بعــل، وســوف ... بئـــسما جَمَّعَـــتْ مـــن الأضـــداد
آه مما جنيت في سالف العمــــ ... ـــر ومن طاعتي لهــا وانقيــادي
ليت شعري ماذا يكــون جــوابي ... يوم أُدعى في مضجعي ورقــادي
ويقوم العباد في موقف الحــشـ ... ـــر لـــربٍّ مهـــيمنٍ نقـــاد

ومنها:

رب إنا فــي ســوح أحمــد مــن ... أرقيتـــه كـــاهلاً لـــسبع شـــداد

---

[1] جاءت نقاط هكذا (......... بين كلمة (المحب) والاسم (السبعي) ولم يوضح المحقق من هو الـسبعي فهـل هو العلامة الهادي بن عثمان السبعي (....- ١٠٦٣) هـ الذي نعته النعمان بأنه (الأديب الأريب الشاعر الفصيح ... الخ) ربما! انظر الورقة ٤٠٩ من مخطوطة العقيق اليماني.

[2] مطلع البدور ج٢ ص٢٩٣.

قد حللنـــا راجــين عفــواً وبــراً ... منـــك يـــأتي بعـــصمة وســـداد

فبـــك المـــستعاذ ممـــا دهانـــا ... من أمــور، والحادثـــات البـــوادي

قد دهتنـــا مـــن الزمـــان خطــوب ... أشـــرقت بـــالإبراق والإرعـــاد

أطف منها حرارة خالق الخلـــــ ... ـــق بأمن، في مصرها، والبـــوادي

وعلـــى عبـــدك البـــشير صـــلاة ... وســـلاماً جمعـــاً بـــلا إفـــراد

وعلـــى آلـــه، وأصـــحابه الغـــر ... الأولى أظهروا منـــار الرشـــاد [1]

ومع طول هذه القصيدة كما أشار العلامة أحمد بن أبي الرجال ومع كثرة ما اختاره منها إلا أننا نلحظ في بعض المقاطع المختارة تقطع في نفسها الشعري يشير إلى فقدان بعض أبيات المقاطع المختارة، ومع كل ذلـــك فالقـــصيدة تؤكـــد رسوخ قدم علمنا الشعري وصفاء لغته وعذوبة موسيقا هذا الشعر الذي اختار له نغماً جميلاً ظل متدفقاً كالجدول المنساب حتى آخر أبيات القـــصيدة .. رحـــم الله علمنا الحسين بن محمد النعمي، ورحم الله ابن أبي الرجال الـــذي تفـــرد بهـــذه الإفاضة وأتحفنا بشيء من شعر هذا الشاعر المتمكن فأغنانا في بعض تفصيلاته عن غيره من المصادر وأمتعنا بهذا الشعر الجميل الذي جعلنـــا نتطلـــع للمزيـــد ونرجو أن يصل إليه بحثنا أو بحث غيرنا عنه فمثله جدير بالبحـــث المتواصـــل وحري بالتنقيب. والله المستعان.

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٢ ص٢٩١-٢٩٥.

٩- العلامة الشاعر: عبد العزيز بن محمد النعمان الضمدي (١٠١٣-١٠٧٨هـ):

سليل أسرة آل النعمان العلمية المعروفة على مستوى جنوب جزيرة العرب بعامة والمخلاف السليماني على وجه الخصوص، وهو عالم، وشاعر، وقاضٍ، وصاحب خط جميل، ومصنف غزير العلم، تحدث عنه عدد من كتاب التراجم والسير وأشاروا إلى مكانته العلمية، وإلى بعض مؤلفاته، وأشار بعضهم إلى شعره وشاعريته، وممن تحدث عن علمنا:

- العلامة: أحمد بن أبي الرجال: (١٠٢٩-١٠٩٢هـ).
- والعلامة: مصطفى بن فتح الله الشامي المكي الحموي (....-١١٢٣هـ).
- والعلامة: عبد الله بن علي الوزير (١٠٧٤-١١٤٧هـ).
- والعلامة: محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ).
- والعلامة: إسماعيل بن علي الأكوع، والعلامة: عبد الله الحبشي وغيرهم.

ولعل ابن أبي الرجال كان من أكثرهم اهتماماً بعلمنا (عبد العزيز النعمان) فقد تحدث عنه في مواضع كثيرة من كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور)، وذلك أثناء كلامه عن العلامتين: أحمد بن جناح الضمدي، وأحمد بن قنبر الضمدي، وآخرين، وأفرده بترجمة في الجزء الثالث. قال فيها عنه: (العلامة عبد العزيز بن محمد النعمان الضمدي، قاضي القضاة، عين الأوان، المتضلع من العلوم، شيخ المعقول والمنقول، كان من أفراد وقته، ولي القضاء بتهامة المخلاف السليماني، ودخل زبيد [1] مراراً وولي بها القضاء ثم تركها لأمر استنكره،

---

[1] زبيد: مدينة يمنية ذات تاريخ سياسي وعلمي واجتماعي عريق، تقع في سهل تهامة، إلى الجنوب من ميناء الحديدة أسسها (محمد بن زياد) سنة ٢٠٤في القرن الثالث الهجري وكانت تعتبر قاعدة تهامة اليمن وعاصمتها السياسية.معجم البلدان ج٣ ص١٨١،ومعجم المدن والقبائل اليمنية ص٣٦٦ نشر الثناء الحسن ج١ ص١٠٩،طبق الحلوى ص٥٨.

واستمر على القضاء ببندر (المخا) [1] المحروس، وحمدت طريقته وعفته ؛ فإنه كان من ذلك بمحل، وكان حليف القرآن، يؤديه بتأدية تسهي القلب، وله مشائخ كثيرون، وأكثر قراءته بصعده، وكان حسن الخط، ولما ضربت يده اليمنى من بعض المردة في الطريق عند (المعنق) [2] وهو متوجه إلى صعده للقراءة تعذرت عليه الكتابة بيمينه فكتب بيساره وأجاد وأحسن. له مؤلفات كثيرة منها : (شرح على الخبيصي شرح الكافية) سماه البغية، وله (السلّم على معيار الأصول) للإمام المهدي، و(تخريج أحاديث الشفا) وأجاد فيه وأراد شرحه أيضاً، وله عدة رسائل ومقالات [3].

– وتحدث عنه ابن أبي الرجال مرة أخرى في الجزء الثاني من كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور)، فقال: (العلامة الصدر وجيه الإسلام عبد العزيز النعمان، من كبار العلماء، وصدور الحكام، إليه قضاء زبيد المحروسة، وبندر المخا عمرها الله بالعدل، وهو من عباد الله الصالحين، وفضلاء الكملاء، بليغ مجيد، متضلع في العلوم، وله مؤلفات منها: (شرح على الموشح) سماه البغية، ومنها: (السلم في أصول الفقه شرح المعيار) كتاب الإمام المهدي... ومنها (تخريج أحاديث الشفاء) في الحديث من كتب المحدثين، وعزو كل حديث إلى كتاب من كتبهم ..... وقد اعتنى أيضاً بحاشية على الشفاء. كان وحيد الزمان، كامل الصفات، لقيته بصعده، وهو من عيون العلماء، وأنا إذ ذاك حدث السن، وله تلاوة وخشوع وصفات حميدة، وله عدة رسائل في أمور متعددة

---

[1] المخا: بفتح الميم والخاء: مدينة يمنية مشهورة وميناء مهم على ساحل البحر الأحمر تقع غرب مدينة تعز وتبعد عنها حوالي ٩٥ كيلا وكانت تسمى قديماً (موزا) وتعتبر إحدى محافظاتها، وكانت لها أدوار تاريخية، واشتهرت بتصدير (البُنّ) وانظر: معجم المدن والقبائل اليمنية لإبراهيم المقحفي ص٣٦٧، ٣٦٨، ومجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد بن أحمد الحجري ج٢ ص٦٩٤، ٦٩٥.

[2] المعنق: لعلها بلدة المخنق التي ذكر الهمداني بأنها في الساحل الجنوبي للبحر الأحمر، وربما كان (جبل مطلق) الواقع شرقي بلدة (الزهرة) والطريق إلى صعده ربما كان يمر قريباً منه انظر هامش ص٣٢ من نشر الثناء الحسن للوشلي ج٣ وص٥٠ ج٤ من نشر الثناء الحسن

[3] مطلع البدور، ج١ ص٢٥٩ ، ٢٦٠.

منها: رسالة في المقامات المعروفة عند الكعبة، ومنها رسالة ينحو فيها منحى الملاعمة للأقوال، ورسالة أرسلها إليَّ فيما يأخذه الإمام من الرعية) [1]، ثم روى عن علمنا رؤيا منام رواها له وذكر بأنه أعطي أو (أُمْلِيَ عليه خلال تلك الرؤيا ثلاثة أبيات وثلاثة أبيات وهي:

يا نائماً كم قيام الليل تتركه ... وأنت في نومك الموفور لم تدرِ

لله درُّ أناس خوطبوا فلهوا ... واستيقظوا حين كان الليل بالسحرِ

إن الزمان تقضى وانتهى عجباً ... والذَّنْبُ أضحى كعدّ الرمل والحجر

---

[1] وقد أجابه ابن أبي الرجال برسالة ممثالة سماها: (الجواب الشافي للصدي إلى عبد العزيز الضمدي) وهذه الرسالة قد أوردها المؤرخ: (المطهر الجرموزي) كاملة في الجزء الأول من كتابه: (تحفة الأسماع والأبصار) وأورد في الجزء الثاني من كتابه هذا رد ابن أبي الرجال على هذه الرسالة، ورسالة العلامة عبد العزيز النعمان طويلة اشتملت على قصيدة شعرية بلغت أبياتها واحداً وأربعين بيتاً كما اشتملت على نثر بليغ كالجواهر، ولعلنا نكتفي ببضع أبيات من تلك القصيدة محيلين إلى مضانها للراغبين في المزيد ومنها قوله:

سؤالٌ إلى أعيان أهل المذاهب ... ومن عنده فهم لقصد المذاهب

ومن غاص في بحر الأصولين فانتهى ... إلى المنتهى منها وأعلى المراتب

ومن كان في علم الحديث مُبَرِزاً ... وحاز من التفسير جم الغرائب

إلى أن قال في ختامها:

وحلوا لنا ما حل في القلب شبهة ... تصير علينا حجة للنواصب

وإلا فقولوا الحق هذا تعارضٌ ... يُوَفَّق فيه من حضي بالغرائب

ثم أردف قصيدته برسالة نثرية طويلة أجاب فيها على بعض التساؤلات وأورد فيها بعض ردود الإمام على أشياء من تلك التساؤلات. انظر الصفحات ٥١٦-٥٣٦ من الجزء الأول من كتاب تحفة الأسماع والأبصار للجرموزي.

أما رد ابن أبي الرجال على رسالة العلامة النعمان فقد أورده الجرموزي في أول الجزء الثاني من كتابه هذا وقد جاء ذلك الرد مشتملاً على الشعر الرائق والنثر الفائق حيث جاء في مطلع رده الشعري ما يلي:

ألذ وأشهى من زلالٍ لشاربِ ... ومن رشفاتٍ من رضاب الربارب

كتابٌ أتانا بالعبير مضمخٌ ... فعطّر أقصى شرقنا والمغارب

عليه جمالٌ من أنامل منشئٍ ... له رتبة تربى على كل كاتب

إلى أن قال قبل ختامها:

ولسنا نرى في ذا الزمان جحاجحاً ... كراماً كأصحاب النبي الأطايب

ولكننا نرجوا الإله بفضله ... وإحسانه الأهنا، حسان العواقب

ثم أردف ذلك بردود نثرية طويلة على رسالة القاضي عبد العزيز النعمان رحم الله الجميع. انظر الصفحات ٥٣٧-٥٩٦ من الجزء الثاني من كتاب الجرموزي (تحفة الأسماع والأبصار).

أما الثلاثة الأبيات الثانية فهي:

ارجن على طاعة الرحمن واصـطبر   واذكر منازل أهل الفـضل والنظـر
فليس يـدرك إلا مـن لـه سـبقت   عناية مـن ذوي الألبـاب والفكـر
اجعل حياتك فـي الـدنيا منغـصةً   تعلو بذلك في الأخرى على البشر [1]

وهذه الأبيات كلها تدور في فلك الرؤيا الصالحة وهي أقرب إلى منامات الصوفية، لأن فيها تذكير بطاعة الله وتوجيه إلى سلوك مسلك الصالحين.

- وترجم له علامة اليمن ومؤرخه في القرن الحادي عشر يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في كتابه: (عن الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر) وهي الفترة التي تحدث عنها في كتابه: (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) فقال: (وفي السنة (١٠٧٨هـ) أو التي بعدها مات القاضي العلامة عبدالعزيز بن محمد النعمان الضمدي، كان المذكور عارفاً، مشاركاً في كل فن وله مصنفات منها: في الأصول (السلم) على معيار الإمام المهدي، ومنها في النحو: (حاشية على الخبيصي) في مجلد قدر حجم الخبيصي أو أزيد منه، ومنها ما كان شرع فيه من تخريج أحاديث (الشفاء) ولم يتم له ذلك) [2]

- كما ترجم الإمام الشوكاني لعلمنا النعمان فقال: (عبد العزيز بن (أحمد) النعمان: أحد العلماء الموجودين في القرن الحادي عشر، له مؤلفات مشهورة، منها: (حاشية على شرح الخبيصي على الكافية) ...... ثم ذكر بقية مؤلفاته إلى أن قال: (تولى القضاء بمواضع من الديار اليمنية كزبيد والمخا، ولم أقف له على تاريخ مولده ولا وفاته، ويقال أن والد المترجم له (محمد) لا (أحمد)[3]. ولم يتحدث الشوكاني عن شعره ولا عن نثره.

---

[1] مطلع البدور ج٣ ص٤٦، ٤٧.

[2] الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للعلامة المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد تحقيق د. أمة الغفور بنت عبد الرحمن الأمير ج٢ ص٦٨٤، من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية صنعاء ١٤٢٩هـ.

[3] البدر الطالع ج١ ص٣٥٧ ، ٣٥٨، وإذا كان الشوكاني قد فاته تاريخ ولادة علمنا (عبد العزيز النعمان) وتاريخ وفاته فقد ذكرها الحموي وأنها سنه ١٠١٣هـ.

- أما صاحب: (طبق الحلوى) فقد اكتفى بـذكر وفاتـه ضـمن وفيـات عـام (١٠٧٨هـ) وإن كان قد لقبه بـ (المفتي) وأشار إلى بعض مؤلفاتـه حيـث قال: (وفيها أوفي التي بعدها توفي القاضي، العلامة، المفتي: عبد العزيـز بـن محمد بن عمر النعمان الضمدي وله كتاب: (السلم شرح معيار الإمام المهدي) و (حاشية الموشح للخبيصي)، وهي معروفة متداولة في قدر حجم الموشح، ومـا كان شرع فيه من تخريج شفا الأمير الأعظم الحسين بن بدر الدين ولم يتم)[١].

- وأشار إليه الحبشي في مصادر الفكر ثلاث مرات قال في إحداها:

(عبد العزيز بن محمد النعمان الضمدي، ولي القضاء بالمخلاف السليماني ودخل زبيد مراراً، وولي بها القضاء ثم تحول إلى المخا وتسلم بها زمام القضاء والفتيا، وقد أصيب في يده على إثر طلقة نارية أصابته من قبل قطاع الطرق فتعطل عـن الكتابة،توفي سنة ١٠٧٨هـ).

ثم أشار إلى كتابه (تخريج أحاديث الشفاء) ومضان وجوده في المكتبة الغربيـة بجامع صنعاء، ورقمه بها ٣٣ الخ [٢].

- أما العلامة إسماعيل الأكوع فقد اختصر تلك التراجم وأضاف إليها قوله:

(عبد العزيز بن محمد النعمان الضمدي: قاضي القضاة، عالم مجتهـد، محـدث، نحوي، أصولي، له خط حسن. أقام في مدينـة صـعده مـدة طويلـة للـدرس والتدريس...... وذكر يحيى بن الحسين في بهجة الـزمن أن العلامـة النعمـان اعترض على الإمام المتوكل إسماعيل في أخذ الأدب الذي يجـري علـى النـاس عموماً في سبب خاص من بعضهم، وكثرة الاسترسال في المجابي) .... إلى أن قال: (توفي سنة ١٠٧٨هـ)[٣].

---

[١] تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر المسمى (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) لعبد الله بن الـوزير، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم ص٢٣٢، دار المسيرة بيروت ١٤٠٥هـ.

[٢] مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن للحبشي ص٥٦، وانظر عنه في الصفحات ٢٢١، ٣٨٥.

[٣] هجر العلم ومعاقله ج٣ ص١٢٢١.

ولعلنا نختم هذه النقولات بترجمة العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي لعلمنا: (النعمان) أو ببعضها فهي من أوفى تلك التراجم وأوفرها حضاً في الإضافات التي كتبت عن علمنا كما أنها اشتملت على نص شعري جديد لم تسبق إليه.. حيث يقول مصطفى الحموي في مخطوطه الكبير الجميل: (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر) إضافة إلى ما ذكره ابن أبي الرجال في ترجمته السابقة التي بدأنا بها حديثنا عن النعمان مضيفاً تفاصيل أخرى مهمة سنقتصر على ذكرها، إضافة إلى النص الشعري الذي ختم به تلك الترجمة والذي يندرج تحت باب الإخوانيات مع أن به مسحة فنية لا بأس بها ربما أعطت صورة لبعض شعر العلماء، وبخاصة الذين يجيدون التعامل مع لغة الشعر الهامسة، فتلمس في شعرهم نكهة الإبداع وإن لم يتوسعوا في ذلك.

يقول الحموي في ترجمته لعلمنا النعمان: (عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي قاضي القضاة، الإمام العلامة طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالك أزمة التأليف، والتصنيف، الباهر بالرواية، والدراية الرافع لخميس الكلام أعظم راية، وأحد قضاة العدل باليمن الميمون، ومن الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، ولد بوادي ضمد سنة ١٠١٣هـ وبه نشأ، وأخذ باليمن عن القاضي أحمد بن يحيى حابس الصعدي [١] وبمكة عن العلامة المحدّث محمد بن علي بن علان[*]، ورحل إلى العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي

---

[١] أحمد بن يحيى حابس: (.... – ١٠٦١هـ): هو: القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس؛ أحد مشاهير العلماء في اليمن فهو عالم كبير، وإمام شهير، برع في علوم عدة، وقد تتلمذ على كبار مشائخ عصره، كان بهجة المحافل وزينة المجالس والمدارس، ومن رجال الدين والدنيا، تولى القضاء بصعدة، وولي الخطابة والإمامة ونشر العلوم، وكان يضرب به المثل في سعة الصدر والاحتمال، تعلم على يديه خلق كثير، فهو شيخ لكثير من علماء اليمن وبعض علماء المخلاف السليماني له شعر قليل، وله مؤلفات كثيرة من أهمها: (شفاء الأسقام شرح تكملة الأحكام) و (شرح الشافية لابن الحاجب) و (المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن) وغيرها، توفي يوم الاثنين رابع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وألف. انظر ترجمته في: مطلع البدور ج١ ص٥١٠–٥١٣، والبدر الطالع ج١ ص١٢٧، والأعلام ج١ ص٢٧٠، والمؤرخون في اليمن ص٤٧ – ٤٨، ومصادر الفكر ص٢١٩، وطبق الحلوى لابن الوزير ص١٧، ومصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ص٢٦٦ وغيرها.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص٢٩٣.

المدني[1] لازمه بالمدينة سنتين وأشهُرْ، وأجازه بجميع مروياته وأجازه عامة شيوخه، تضلع من علوم المعقول والمنقول، وكان من أفراد وقته ....) إلى أن قال: (وكان الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن القاسم أمر القاضي الفاضل الحسين بن ناصر المهلا [*] حين اجتمع به بمدينة السودة [2] المحروسة عقب عودته واتفاق أهل الحل والعقد على إمامته أن يكمل ما بيض له القاضي (النعمان) من تخريجه فتيسر له كثير من ذلك وأرسله إلى الإمام وعرض عليه في إرسال ما بقي،وله نظم ونثر حسن ،ومن شعره ما كتبه إلى السيد أحمد بن صلاح[3] قوله:

إني من الوجد والتبريح في قلق	وناظري من غزير الشوق في غرق
شوقاً لأهل ودادٍ ما ذكرتهمُ	إلا شرقت بريقي غاية الشرق
حملتُ من حبهم ما لو تحمله	جبال (رضوى) على التحقيق لم تطق
أهواهُمُ، والهوى عذب لذائقه	فاطعمه، تلق الذي استحليته، وذُق

---

[1] أحمد بن محمد القشاشي المدني: هو العلامة أحمد بن محمد بن يونس القشاشي صفي الدين الدجاني المدني، أحد كبار علماء المدينة المنورة في القرن الحادي عشر، كان شاعراً متصوفاً، رحل به والده إلى اليمن، والتقى بعدد من علمائها، فكان على صلة بأئمة اليمن وبعلمائها، عاد من اليمن إلى مكة المكرمة، ثم إلى المدينة المنورة، وكان كذلك على صلة قوية بعلماء مكة وعلماء المدينة وخاصة المجاورين بهما، وله مؤلفات كثيرة تجاوزت خمسين مؤلفاً كما يقول المحبي من أهمها: (شرح الحكم العطائية)، و (السمط المجيد) وغيرهما، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٧٢هـ. انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج١ ص٣٤٣-٣٤٦، وفي طبق الحلوى لابن الوزير ص١٨٣، وفي فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ٣٤٠، وفي الأعلام ج١ ص٢٢٨، وفي معجم المؤلفين ج٢ ص١٧٠.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص٢٩٩.

[2] السُودة: بالضم مدينة شهيرة تقع في الشمال الغربي من (عمران وصنعاء) وتبعد عنها حوالي ٤٤ كيلاً، وهي مدينة جبلية، يقال لها: (سودة شظب) أو (سودة المعافا) انظر طبق الحلوى هامش ص١٢٨، وانظر معجم المدن والقبائل اليمنية ص٢١٦، ونزهة النظر لزبارة ص٥٢.

[3] أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي: (٩٧٥-١٠٥٥هـ)، ترجمه ابن أبي الرجال فقال: كان خاتمة المحققين، فصيحاً، بليغاً، مطلعاً، شديد الفهم، وكان جليل القدر في نفوس العامة والخاصة، وكان من أعيان أصحاب الإمام القاسم، وتولى له، ثم صحب ابنه الإمام المؤيد بالله، له مؤلفات كثيرة وله شعر جيد، توفي سنة ١٠٥٥هـ. انظر ترجمته في مطلع البدور لابن أبي الرجال ج١ ص٤٤٢-٤٤٣، وفي مصادر الفكر للحبشي ص١٢٧، وفي طبق الحلوى ص٨٠.

تـــالله لا ملـــتُ قلبـــاً عـــن محبـــتهم ... يوماً، ولو لم تدع منهم سوى رمقـــي
ولي إلـــيهم حنـــين (الـــسقب) [1]أفـــردَهُ ... عن أمه (السَوْم) في محلولك الغـــسق
يـــا عـــاذلي فـــيهمُ، دعنـــي مطاولـــة ... فإن عذلك لـــي، مـــن أعظـــم الحمـــق
واستعمل العـــيس فـــي البيـــداء طاويـــة ... صحف الفلا بـــسريع الوخـــد والعنـــق
يمّم بهم ســـاحة الـــسادات فـــي شـــرف ... أعني صفي الهدى والدين، خير تقـــي
لله مـــن ســـيد، قـــد نـــال مرتبـــة ... فاقت علينـــا، بـــلا ريـــب ولـــم تفـــق
يا (أحمد بن صلاح) أنت فـــي شـــرف ... أعلى، وفي الشرف الأعلى لذي حـــذق
فَخُصَّ لي الناصر[*] المشهور من شمخت ... به الفضائل فـــي مجـــدٍ بـــذاك وُقـــي
كذاك عبد الحفيظ [2] البحر مـــن ظهـــرت ... له المكارم مثل الـــشمس فـــي الأفـــق
أســـنى الـــسلام، وأســـناه وألطفـــه ... يحف من فضله كالعارض الغـــدق)[3]

وبنظرات عجلى في أبيات هذا النص تتضح لنا قدرة الشاعر النعمان على استخدام لغة الشعر ليس فقط لاستعماله الصور البيانية أو المحـــسنات البديعيـــة ولكن لهذا ولاستخدامه أيضاً للصور المركبة كوصف حاله بحال ولد الناقة حديث الولادة الذي يُفرد عن أمه بغرض بيعها، فهو كما رأيناه يغلب لغة الـــشعر التـــي تجعل القارئ يستمتع بصور متنوعة جميلة، وقد تولى الرد والإجابة على علمنـــا النعمان: العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا بقصيدة مطلعها:

ما بال قلبيَ لا ينفـــك فـــي قلـــقِ ... وما لعينيكَ طول الليـــل فـــي أرقِ

رحم الله العلامة مصطفى الحموي الذي أمتعنا بهذا النص الجميل لعلم من أعلامنا ظلت شهرته في بقية كتب التراجم عالماً وقاضياً فحسب لكننا بعـــد قـــراءة هـــذه القصيدة الجميلة قد أصبحنا أكثر تلهفاً للمزيد من شعر علمنا النعمان.

---

[1] السقب: ولد الناقة (الحديث الولادة) حيث لا يستغني عن حليبها، كيف لا؟ وقد عزلوا عنه أمه بغرض البيع.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٨٠ .

[2] عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا الشرفي: (....-١٠٧٧هـ) كان إماماً في علوم الاجتهاد وكان يحفـــظ فـــي كـــل العلوم مؤلفات عديدة مع شروحها وله أجوبة على مسائل عديدة وردت إليه من علماء عصره، ورسائل بليغة، وله خطب رائقة، وأشعار فائقة، وفضائل، وفواضل. توفي في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٠٧٧هـــ. انظـــر: ملحـــق البدر الطالع لزبارة ص١١٢.

[3] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ١٤٠.

١٠- العلامة: عبد الهادي بن المقبول بن عبد الأول الزيلعي (١٠٣٠-١٠٩٨):

عالم وأديب واسع الاطلاع، غزير المعرفة وشاعر وصف بأن (له أشعاراً حساناً)[١].

من مواليد مدينة جازان سنة ثلاثين وألف ونشأ بها، حيث قرأ القرآن الكريم على شيخه مقبول القرشي، ثم ترحل لطلب العلم بدءاً بمدن المنطقة وهجرها حيث درس على علماء صبيا وعلماء بلدة الحجرين وغيرهما ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز فتتلمذ على بعض علماء مكة وبعض علماء جدة ثم رحل إلى اليمن فدرس على بعض علمائه ثم عاد إلى جازان .. واستجاز من شيوخه الذين تلقى عليهم العلم كما استجاز بالسماع من علماء اليمن وغيرهم فكانت حياته للعلم وفي العلم حتى أدركته الوفاة ببلدته بندر جازان في أواخر عام ١٠٩٨هـ ترجم له المحبي في (خلاصة الأثر) كما ترجم له محمد محمد زبارة في (ملحق البدر الطالع).

ومما قاله المحبي عن علمنا: (أحد العلماء الزهاد، جمع بين العلم والعمل والأدب الغزير مع اطلاع وافر وذكاء وفطنة وسؤال عما أشكل في مواضع الإفادة بحيث لا يمر على المشكل إلا بعد أن ينحلَّ عقده ويتضح معناه ويظهر دليله وله مسابقة إلى التماس الفوائد ... ولد العلامة عبد الهادي بجازان سنة ثلاثين وألف، وبها نشأ قرأ القرآن وَجَوَّدَهُ على الفقيه مقبول القرشي [٢]، وقرأ بالحجرين (قرية غربي صبيا) مختصر أبي شجاع وشرحه لابن قاسم الغزي على الفقيه محمد بن

---

[١] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص٩٥.

[٢] الفقيه مقبول القرشي: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر ولربما كان أحد معلمي القرآن الكريم الذين كان يطلق عليهم لقب (الفقيه)، وقد يكون علماً معروفاً في زمانه ومكانه وليس فقط في (المعلامة) بل في المجتمع الذي يقدره حق قدره لاهتمامه بالقرآ الكريم.

صديق الديباجي [1]، وقرأ بصبيا شرح المنهاج للمحلي على الفقيه أحمد بن علم الدين شافع [2]، وقرأ على الفقيه إسماعيل بن محمد المحلوي [3] شرح الأجرومية لخالد الأزهري وشرح الرحبية لأبي مخرمة، ثم رحل إلى الحرمين وقرأ بجدة على عبد القادر بن أحمد الخلي [4] وأخذ بمكة عن شيوخ كثيرين منهم: المحدث

---

[1] الفقيه محمد بن صديق الديباجي (٠٠٠٠-١٠٤٦هـ):هو القاضي العلامة: محمد بن صديق بن موسى الديباجي أحد علماء أسرة آل الديباجي الشهيرة ببلدة الحجرين الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة صبيا بالمخلاف السليماني فوالده صديق كان أحد أعلام القرن العاشر وعلمنا شيخ لعدد من طلاب العلم في المخلاف السليماني تولى القضاء ووصف بتحري العدل والورع والزهد توفي سنة ١٠٤٦هـ. انظر شيئاً عنه في العقيق اليماني (مخطوط) للنعمان الورقة ٣٨٧، والتاريخ الأدبي للعقيلي ج١ ص٣٨٤، وأهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش ص١٩٨.

[2] الفقيه أحمد بن علم الدين شافع (٠٠٠٠-١٠٦٣هـ) هو: العلامة أحمد بن علم الدين شافع سليل أسرة علمية توارثت العلم والتعليم ورئاسة الإفتاء بالمخلاف السليماني فوالده (عَلَمُ الدين) كان حاكماً لصبيا ومفتياً بها كما ذكر النعمان ولد علمنا (أحمد) بصبياء، وتلقى العلم على علماء أسرته آل شافع ثم رحل بعد ذلك لطلب العلم إلى بلدان كثيرة ولما عاد تولى الافتاء والتدريس في وطنه صبياء، وصفه النعمان الضمدي بأنه: (عينُ شافعية المخلاف السليماني) توفي رحمه الله سنة ١٠٦٣هـ. انظر ترجمته في (العقيق اليماني) للنعمان الضمدي الورقة ٤٠٨، وفي كتابنا (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني ص٤١)، وفي كتاب (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) للعقيلي ج١ ص٣٨٩، وفي كتاب (أهل تهامة المخلاف السليماني) لأبي داهش ص١٩١.

[3] الفقيه إسماعيل بن محمد المحلوي (٠٠٠٠-١٠٥٥هـ):هو العلامة الأديب الكاتب المنشئ السبّاق في مضمار الفصاحة، المعدود من أهل الرجاحة، العلامة إسماعيل بن محمد بن عبد القادر المحلوي كان ملازماً لأمير المخلاف السليماني الشريف أحمد بن حسين الخولجي وكان كاتبه، (وهو النائب عنه في رسائله وجواباته وحين توفي الشريف استمر المحلوي كاتباً لأولاده) - كما أشار إلى ذلك العمودي في كتابه تحفة القارئ والسامع -، توفي رحمه الله سنة ١٠٥٥هـ. انظر ترجمته في (العقيق اليماني مخطوط) الورقة ٤٠١، وفي تحفة القارئ والسامع للعمودي ص١٥٢، وفي (العقد المفصل بالعجائب والغرائب) للبهكلي تحقيق العقيلي هامش ص١١١، وفي مصادر الفكر للحبشي ص٣٨٧.

[4] عبد القادر بن أحمد الخلي: ذكر المحبي أثناء ترجمته للعلامة عبد الهادي بن المقبول بأن من شيوخه الذين أخذ عنهم العلم في جدة العلامة: عبد القادر بن أحمد الخلي وقد بحثت عن هذا العلم (الخلي) بحث استقصاء في جميع المصادر التي توفرت لدي فلم أعثر على ترجمة لعلم بهذا الاسم، وإن كان المحبي قد أشار في كتابه (نفحة الريحانة) ج٤ ص١١٣ إلى علم آخر من آل الخلي اسمه: أحمد بن أبي القاسم الخلي ولم يذكر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، واكتفى بذكر نماذج من شعره، كما تحدث عن شقيقه: (محمد بن أبي القاسم الخلي) ولم يذكر شيئاً عن نشأته كذلك. وأورد له أيضاً شيئاً من شعره، وأشار المحبي أيضاً في كتابه: (خلاصة الأثر) ج٢ ص٤٣٥، إلى علم آخر هو: أحمد بن محمد الخلي وذكر بأنه تتلمذ على العلامة عبد القادر ابن أحمد بن محمد بن فرج-

الكبير محمد علي بن علان (*) والشمس البابلي[1]. وعبد الله بن سعيد باقشير [2]، وصحب العارف بالله تعالى مهنا بن عوض بامزروع الحضرمي [3] .... ثـم

-الشافعي المتوفى سنة عشر بعد الألف، وقد وجدت في أحد هوامش كتاب عائض الردادي: (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر) ترجمة موجزة لأحمد محمد الخلي هذا أشار فيها إلى أنه ولد سنة ١٠٥٤هـ كما وجدت في صفحتي ١٦ – ١٧ من كتاب: (المختصر من كتاب نشر النور والزهر) لعبد الله مرداد ترجمة أيضاً لأحمد محمد الخلي هذا تؤكد بأن ولادته سنة ١٠٥٤هـ بثغر جدة وأنه نشأ بمكة، وأن له ديواني شعر أحدهما في مدح النبي ﷺ وكل هذه المصادر التي تحدثت عن أحمد محمد الخلي اتفقت على تاريخ ولادته وأنه ١٠٥٤هـ ولم تذكر تاريخ وفاته، فهل أحمد الخلي هذا من أقارب شيخ علمنا (عبد الهادي)؟ أم أنا اسم ذلك العلم قد أصابه شيء من التصحيف ربما وربما ولكننا ما زلنا نتطلع لمعرفة شيء عن عبد القادر بن أحمد الخلي شيخ عبد الهادي بن المقبول.

(*) المُحدث محمد بن علي بن علان: سبقت ترجمته في هامش ص ٢٩٣.

(1) الشمس البابلي (١٠٠٠-١٠٧٧هـ): هو العلامة محمد بن علاء الدين أبو عبد الله البابلي ترجمه العلامة الشلّي في كتابه (عقد الجواهر والدرر) ترجمة طويلة امتدت على أربع صفحات نقتطف منها قوله: (شيخ الإسلام، وعمدة الأنام، علامة العصر والزمان، المغني بشهرته عن الوصف والبيان، العلامة محمد بن علاء الدين البابلي الشافعي الأزهري ولد سنة ١٠٠٠هـ بقرية بابل من أعمال مصر، تتلمذ على عدد لا يحصى من مشائخ العلم وجاور بالأزهر، واجتهد في طلب العلم حتى بلغ أعلى المنازل وأجازه مشائخه في الافتاء والتدريس، فدرّس في كل علم نفيس وأصبحت وفود طلاب العلم تقصد حلقته في الجامع الأزهر. زار بيت الله الحرام وجاور بمكة نحو عشرين سنة وتتلمذ عليه بها وبالمدينة المنورة عدد كبير من طلاب العلم، انتهت إليه رئاسة تدريس العلوم الشرعية والعقلية توفي رحمه الله سنة ١٠٧٧هـ. انظر ترجمته في عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٣٢٣-٣٢٦.

(2) عبد الله بن سعيد باقشير المكي: (١٠٣٠-١٠٧٦هـ): ترجم له الشلّي فقال (العلامة عبد الله بن سعيد باقشير شيخ الأئمة في جميع العلوم، مالك أزِمّة علوم الفقه والحديث والتفسير، ومالك زمامي النظم والنثر، إمام المعقول والمنقول أديب، وشاعر، وحافظ للقرآن الكريم ولد بمكة المشرفة سنة ١٠٣٠هـ وبها نشأ فجد في طلب العلم درّس بالمسجد الحرام، وجال في ميادين علوم الأدب، أخذ عن أساطين العلماء الفحول حتى أصبح من عجائب الدهر، كتب الكثير وحشّى الحواشي وله الفتاوى العجيبة، تتلمذ عليه خلق كثير من أهل مكة واليمن والشام والعراق وصنف التصانيف الكثيرة منها: (شرح الإرشاد)، واختصر (نظم عقيدة اللقاني وشرح نظمه) واختصر (بريق الزنجاني) و (نظم الحكم وشرحه) و (نظم آداب الأكل وشرحه) توفي رحمه الله سنة ١٠٧٦هـ عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٣١٦-٣١٨، وخلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص٤٢، وفي المختصر من كتاب: (نشر النور والزهر) ص١٦٥.

(3) مهنا بن عوض با مزروع الحضرمي (١٠٠٤-١٠٦٩هـ): هو العلامة مهنا بن عوض بن علي بن أحمد با مزروع الحضرمي عالم ومؤلف وشاعر، وعابد زاهد، من أعلام القرن الحادي عشر الهجري وعلمائه ولد في حضرموت سنة ١٠٠٤هـ وبها نشأ وتعلم العلم ثم رحل إلى الحجاز والتقى بعلمائه وأفاد منهم له مؤلفات كثيرة منها: (غوامض الأسرار وكواشف الأستار) مخطوط ورسالة في (الطريقة الشطارية) و له (حديقة الواردين في ذكر الهدايا والمراسلات ووفادة السلاطين) وغيرها من المؤلفات توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٦٩هـ. انظر-

رجع إلى اليمن وقدم اللحية، وصحب عارف زمانه الفقيه مقبول بن أحمد المحجب[1] وكان يجله ويعظمه .... ورجع إلى بلدة جازان وصحب بها الشيخ سعيد با دهمج [2] أثناء إقامته بها معتكفاً بمسجد بني عبد الأول وكان له عنده مقام رفيع، وشيوخه بالسماع والإجازة كثيرون منهم عالم اليمن القاضي حسين المهلا[*]..... وبينه وبين العلامة السيد يحيى الشرفي[3] وغيره من الأكابر مكاتبات ومراسلات، وله أشعار حسان).

ثم ذكر نموذجاً من شعر علمنا – سنذكرهُ نقلاً عنه في ختام الترجمة –وختم ترجمة علمنا بقوله: (وكانت وفاته سلخ ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وألف بجازان) [4].

– وترجم له العلامة مصطفى الحموي في كتابه الموسوعي الجليل: (فوائد الارتحال ونتائج السفر) ترجمة قريبة الشبه بترجمة المحبي مع إضافات بسيطة

=ترجمته في الأعلام ج٧ ص٢١٦، وفي معجم المؤلفين ج١ ص٩٢٧، وفي خلاصة الأثر ج٤ ص٤٤٢، وفي مصادر الفكر ص٤٣٨.

[1] الفقيه مقبول بن أحمد المحجب (٩٩٠-١٠٧٢هـ): هو العلامة الشيخ مقبول بن المحجب أحمد بن مقبول الزيلعي العقيلي، ولد بمدينة اللُحَيّة المدينة الساحلية باليمن سنة ٩٩٠هـ وبها نشأ وتعلم لازم الطاعات وطلب العلم فانتفع به خلق كثير. حج بيت الله الحرام مراراً وأخذ عن جماعة من أهل العلم وأخذوا عنه وكان شريف مكة (زيد بن محسن ١٠١٤-١٠٧٧هـ) يجله ويعظمه، كان كريماً سخياً وكان من كبار علماء الصوفية توفي رحمه الله سنة ١٠٧٢هـ. انظر ترجمته في عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٣٠٤، ٣٠٥.

[2] سعيد با دهمج: (...-١٠٦٥هـ): ترجم النعمان الضمدي في الورقة ٤١٠ من كتابه (العقيق اليماني) لعلم اسمه سعيد الحضرمي، ذكر بأنه من أعلام الصوفية وأنه أقام ببندر جازان واتخذ سفينة كان يسافر فيها ففتحت عليه الدنيا في آخر عمره وتوفي سنة ١٠٦٥هـ.

قلت: لعل (سعيد الحضرمي)هذا هو سعيد با دهمج شيخ علمنا عبد الهادي ما دام زمن إقامته يتوافق مع عصر علمنا عبد الهادي، والله أعلم.

[*] الحسين المهلا: سبقت ترجمته في هامش ص٢٩٩.

[3] العلامة السيد يحيى الشرفي: (....- ١٠٨٩هـ): هو العلامة السيد يحيى بن أحمد بن محمد الشرفي اليمني، عالم الزمن وفقيه اليمن أخذ العلم عن كثير من الأشياخ والأئمة. كالعلامة عبد الحفيظ المهلا وولده الناصر وغيرهما من الآكابر، وله مباحث وأشعار رائقة، توفي ببلدة (القويعة) في الشرف الأعلى سنة ١٠٨٩هـ. انظر ترجمته: في خلاصة الأثر ج٤ ص٤٦٤، وفوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٤١٥-٤١٧.

[4] المصدر السابق ج٣ ص٩٤-٩٦.

حيث تحدث عن مكاتباته لأئمة اليمن في عصره وصلاته الوثيقة بهم كما أشار إلى تعلقه الشديد بالعلم وأهله وتحدث عن صلته الشخصية بعلمنا فقال: (وقد اجتمعت به في بلدة اللُحَيَّةْ وتذاكرت أنا وإياه، واقتبست من نور مشكاة علمه ما استنار به القلب وارتضاه، وأجازني بمروياته، ومقروءاته، ومسموعاته وله أشعار حسان، منها رثاؤه للسيد يحيى الشرفي) ثم ذكر الأبيات التي أوردها المحبي دون زيادة، غير أنه قال في ختامها (وهي طويلة، وله مراسلات.) [1].

- وترجم له (زباره) في ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع فقال: (القاضي العلامة عبد الهادي بن المقبول بن عبد الأول بن أبي بكر بن عبد الأول بن عيسى بن عبد الغفار بن عبد الأول بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللحية من تهامة، ولد ببندر جازان سنة (١٠٣٠هـ) وأخذ عن الفقيه مقبول القرشي ومحمد بن الصديق الديباجي، وإسماعيل المحلوي، ورحل إلى الحجاز فأخذ عن جماعة من الأعلام، ثم رجع إلى اليمن وقدم اللحية ثم رجع إلى جازان، وشيوخه بالسماع والإجازة كثيرون)، ثم ذكر أربعة أبيات من قصيدة قالها في رثاء العلامة يحيى الشرفي ثم قال بعد ذلك: (ومات القاضي عبد الهادي ببندر جازان في سلخ ذي القعدة سنة ١٠٩٨هـ)[2].

ومع أن المحبي قد ذكر بأن لعلمنا (أشعاراً حساناً) إلا أنه لم يورد لنا من أشعاره سوى نصٍّ واحدٍ مقطع الأنفاس تكررت فيه رغم قصره عبارة:(ومنها) حيث جعل يكررها بعد كل بيتين مع أن كلّ الأبيات التي نقلها من هذا النص ثمانية أبيات فقط والقصيدة كما هو معلوم _ قالها في رثاء ... العلامة (يحيى الشرفي) والنص هو:

أفل البدر من سماء السعود	واختفى النور عن سناء السعيد
وغدا الدهر لابساً ثوب حزن	أسفاً منذ غاب عين الوجود

---

[1] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ١٩٣.

[2] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ص١٤٢-١٤٣.

لا رعـــى الله لليـــالي ذمامـــا		إذ دهتنـــا بكـــل حتـــف ســـديد
حين وافت عين الخطـوب بخطـب		ومـــصاب مُـــشيِّبٍ للوليـــد

ومنها:

وعلـــى الـــدهر والليـــالي ســـلام		بعد فقـد الحبيـب زاكـي الجـدود
صـــفوة الآل والمكـــارم (يحيـــى)		معـدن الفـضل والوفـا بـالعهود

ومنها:

كل صعب ســوى مـصابك ســهل		لـيس فيمـا أقـول مـن ترديـد
غيـــر أن المـــراد لله فيمـــا		شاء في الخلق من جميع العبيد [1]

رحم الله العلامة عبد الهادي بن المقبول بن عبد الأول صاحب التطواف الجميـل في طلب العلم الشريف .. وكم كنا نتمنى لو أضاف (المحبـي) – رحمـه الله – إلى معرفتنا شيئاً من أشعار (علمنا) الحسان !! ولكن هذا النص علـى قـصره يؤكد تفوق لغة علمنا وحسن تأتّيه وربما دلّ على الكثير المفقود.

---

[1] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص٩٦، وانظر فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ١٩٢.

١١- العلامة: عز الدين بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي الحسني (١٠٣٢-١٠٩٠هـ):

عالم فاضل، وأديب نحرير، وشاعر مشهور، تحدث عنه وعن شعره عدد من معاصريه وشيوخه ومجايليه، وتحدث عنه وعن علمه وأدبه عدد من مؤرخي الأدب وكتّاب التراجم..

- فمن شيوخه الذين تحدثوا عنه العلامة أحمد بن أبي الرجال الذي قال عنه: (السيد العلامة عزالدين بن علي بن الحسن النعمي من نجباء السادة وفضلائهم وله شعر متين) [(١)].

- ومن معاصريه الذين تحدثوا عنه بإفاضة العلامة: المحبي فقد ترجم له ترجمة وافية تتبع فيها ولادته ونشأته ومشائخه وذكر له نماذج متنوعة من شعره ومما قاله عن العلامة عز الدين النعمي: (السيد العلامة العارف بجميع العلوم، والكارع من مشارب الفهوم، ولد سنة(١٠٣٢هـ) بِعِتْوَدْ، ونشأ بالدُّهَنَاء، وعكف في محاريب الفنون كلها لاسيما الأدبية، وحاز من تلك المزايا أسمى المفاخر، وسار في الآفاق صيت فضله، ارتحل في أول طلبه للعلم إلى صعده، وأخذ الفقه عمن بها، ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن العلامة القاضي أحمد بن أبي الرجال [(٢)] فنوناً عديدة.

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٢٢٢.

(٢) أحمد بن أبي الرجال: (١٠٢٩-١٠٩٢هـ): هو: العلامة المؤرخ: أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال، عالم مبرز في الفقه. والفرائض، وعلوم العربية، واسع الاطلاع على الأخبار والتواريخ، أديب وشاعر، ولد في جبل ذرى بالأهنوم سنة ١٠٢٩هـ...... كان من أعيان رجال الإمام المتوكل (إسماعيل بن إمام القاسم)، يكتب له رسائله وخطبه ويرد على ما يفد إليه من أسئلة مختلفة، ألّف ما يقارب خمسة عشر كتاباً من أهمها كتابه الموسوعي المعروف (مطلع البدور ومجمع البحور) ومنها (الجواب الشافي للصدي أبي عبد العزيز الضمدي) وغيرها من الكتب المتنوعة النافعة، توفي سنة ١٠٩٢هـ. انظر ترجمته: في خلاصة الأثر ج١ ص٢٢٠، وفي البدر الطالع ج١ ص٥٩، وفي الروض الأغن ج١ ص٤٣، ٤٤، وفي مصادر الفكر ص٢٢٢، وفي مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ص٢٨٠، وفي معجم المؤلفين ج١ ص٢٥٣، وفي الأعلام ج١ ص١٣٨، وغيرها.

وعن العلامة محمد بن إبراهيم السحولي [1]، وأخذ عن السادة آل جحاف [2]....).
ومضى (المحبي) في ترجمته الموسعة لعلمنا إلى أن قال: (استمر النعمي قاضياً للحج من سنة ١٠٦٧هـ إلى سنة ١٠٨٢هـ فعرض له العمى فعزل)[3]. ثم أورد المحبي لعز الدين النعمي ثلاثة نصوص شعرية جميلة سنأتي على ذكرها – بمشيئة الله – في ثنايا عرضنا هذا عن النعمي وشعره.

– وترجم له الحموي في كتابه المخطوط (فوائد الارتحال ونتائج السفر) ترجمة تتماهى مع ترجمة المحبي له في كثير من جوانبها وفي النصوص التي أوردها من شعر (عز الدين النعمي) عدا أن الحموي أضاف في ترجمته نصاً آخر لعلمنا (النعمي) ذكر بأنه قد كاتبه به بعد أن اجتمعا في بلدة (اللُّحَيَّةْ) باليمن عام ١٠٩٦ وهذا يعني أن تاريخ وفاة علمنا النعمي ليس كما ذكر المحبي ١٠٩٠، أما النص الذي أضافه العلامة مصطفى الحموي في مخطوطته فلعلنا نبادر بذكره هنا قبل استكمال بقية التراجم حيث يقول الحموي: قال عز الدين النعمي:

يا من غدا للفضل فوق جبينه ... روض تبسم بالسماحة والوفا
وغدا به جيد المعارف حالياً ... ولجملة الفضلاء أضحى مؤلفا
يا مصطفى أهل الزمان ومن كسا ... شخص المكارم من علاه مطرفا

---

[1] العلامة محمد بن إبراهيم السحولي: (....-١١٠٩هـ): هو: العلامة محمد بن إبراهيم السحولي الشجري، ولد بصنعاء وأخذ علومه على جماعة من العلماء، ثم تولى الخطابة بجامع رداع، كان أحد علماء اليمن المبرزين، والأدباء المجيدين، خصوصاً في علوم الآلة والأدب، وله شعر جيد، وله مؤلفات كثيرة منها: (النسمة السحرية والنسبة الشجرية) وله (أسلاك الدرر منظومة) وغيرها، توفي برداع سنة ١١٠٩هـ.انظر ترجمته في: الأدب اليمني للحبشي ص٣٨٣، وفي نشر العرف لزبارة ج٢ ص٣٨٦، وفي نفحة الريحانة للمحبي ج٣ ص٢٣١، وفي مصادر الفكر ص٤٤٣ وغيرها.

[2] أسرة آل الجحاف: من الأسر العلمية الشهيرة في اليمن، برز منها عدد كبير من العلماء والمؤرخين الأعلام منهم: (لطف الله جحاف) صاحب الكتاب المشهور: (درر نحور الحور العين) قال عنهم الحجري: (آل الجحاف من علماء اليمن، منهم فقهاء مشاهير، وترجم العلامة (الأكوع) في كتابه: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) لأكثر من خمسة وسبعين عالماً من علماء هذه الأسرة، انظر شيئاً عن هذه الأسرة: في هجر العلم ومعاقله ج٢ ص٤١٣، ٤٣٩ ، وفي مجموع بلدان اليمن وقبائلها لمحمد أحمد الحجري ج١ ص١٧٩ وغيرهما.

[3] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٣ ص١١١.

أنت الذي طابــت مغارســه ومــن بالفتح (فتح الله) سمي: (مــصطفى)

مــاذا تكافيــك المحامــد بالــذي فيهــا نــسجت مطــرزاً ومُفَوَّقــا

من حسن تلميح وتوضــيح ومــن تبيــين أوصــافٍ لأربــاب الــصفا

الله يعلــم أنــك العــدل الــذي أضحى لأربــاب الفــضائل منــصفا

ســمعت مــسامعيَ الــذي أرَّخْتَــه فكــأنني منــه شــربت القرقفــا

لله مــا رصَّــعْتَهُ مــن جــوهر لا فض فوك، فقــد أجــاد وشــنفا

وجــزاك عــن ذكــراك آل محمــد والعارفين من الجنــان الرفرفــا (1)

– كما ترجم لعلمنا (النعمي): محمد محمد زبارة في ملحق البدر الطالع فقــال: (السيد العلامة التقي عز الدين بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبــد الرحمن ابن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي الحسني ولد سنة ١٠٣٢هــ ورحل إلى مدينة صعده فأخذ عن علمائها ثم رحل إلى مدينة صنعاء فأخذ عن القاضــي أحمد بن صالح بن أبي الرجال....) واستمر في سرد شيء من سيرته العلميــة والعملية إلى أن أتى على قصة إصابته بالعمى وقصة عزله عن القــضاء بــسبب ذلك ثم أورد بعض أبيات من قصيدته التي استشفع بها طالباً عدم عزله ليــستمر في أداء رسالته ومطلعها:

إليك يداً ذا العــرش مــن مــتظلم رمته قسي البين من غير ظالم (2)

وترجم لعز الدين عبد الله أبو داهش فقال: (السيد عز الدين بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيــسى النعمــي أحــد الشعراء المغمورين في القرن الحادي عشر الهجري وهو من شعراء المخــلاف السليماني بتهامة) (3). إلى أن قال: (وله قصيدة أنشأها حين ذهب بصره وخشي

---

(1) فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٣٩٠ ، ٣٩١.

(2) ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ج٢ ص١٤٦ ، ١٤٧.

(3) بتصرف عن كتابه (أهل تهامة المخلاف السليماني) انظر الصفحات ٣١٩ – ٣٢٣.

انقطاع معاشه سنة ١٠٨٢هـ وقد كان من قبل قاضياً للحج)، ثم ذكر بعد ذلك قصيدته في الاستعطاف التي أشرنا إلى مطلعها آنفاً.

كما نقل عن صاحب خلاصة الأثر قصيدة أخرى يشكو النعمي فيها إلى إمام اليمن آنذاك الحسن بن الإمام إسماعيل المتوكل [١] طالباً نجدته من والي بيش: (سالم المهنا) [٢] في زمنه ومن الشريف أبو طالب الخواجي [٣] أمير المخلاف في صبيا آنذاك اللذين أرسلا عسكراً فعبثوا بشئون المواطنين وعم ضررهم وبلواهم صاحب الجرم وغير صاحب الجرم ....) [٤].

ولعلنا نبدأ بذكر هذه القصيدة التي أتى صاحب كتاب (خلاصة الأثر) على أكثرها ونقلها عنه عبد الله أبو داهش وفيها يقول النعمي:

أمثلك يا ابن بجدتها ينام ... على حال يضام به الأنام

يسامون التي فيها هوانٌ ... وذلك لا يقاس به أثام

---

[١] الحسن بن الإمام إسماعيل المتوكل: (١٠١٩-١٠٨٧هـ): هو الإمام الحسن بن الإمام إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد، عالم محقق في فقه الهادوية، ولد في بلدة شهاره باليمن سنة ١٠١٩هـ وهو من أسرة العلم والإمامة والسيادة، ذكر الأكوع في كتابه هجر العلم: بأن لهذا الإمام مواقف مع علماء عصره، حيث كانت له أحكام جائرة عارضه فيها جل علماء زمانه، كما ذكر بأنه كان مولعاً بجمع الكتب، حيث جمع منها ثروة عظيمة بلغت نيفاً وثلاثين ألف كتاب، له مؤلفات كثيرة منها: (شفاء الصدور من داء البهت والزور) و (تفتيح أبصار القضاة إلى إبصار المسائل المرتضاة) و (البرهان الساطع بنور الفائدة في حكم الطلاق المتتابع) وغيرها، توفي سنة ١٠٨٧هـ. انظر ترجمته في خلاصة الأثر ج٣ ص١١٣، وفي نزهة النظر لزباره ص٧٧، وفي نشر العرف ج١ ص٥٥٩، وفي هجر العلم ج٢ ص١٠٧٥.

[٢] سالم بن مهنا: لم تسعفني المصادر التي بين يدي بترجمة لهذا العلم الذي ورد ذكره في قصيدة العلامة عز الدين النعمي، التي وجهها لأحد الأئمة يشكو فيها من تسلط: (سالم المهنا) الذي كان والياً على مدينة (بَيشْ) أيام ولاية الأمير (أبو طالب بن حسين الخواجي) على المخلاف السليماني سنة ١٠٥٤هـ حيث أرسل (المهنا) عسكره فلم يميزوا بين البريء والظالم. انظر شيئاً عن هذا الحدث في خلاصة الأثر ج٣ ص١١٢.

[٣] الشريف: أبو طالب الخواجي: (.... - ١٠٥٤هـ): هو أمير المخلاف السليماني في أوائل النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري: أبو طالب بن حسين بن أحمد بن حسين الخواجي، تولى إمارة المخلاف السليماني بعد وفاة والده، ولم تطل مدته حيث شهدت ولايته بعض القلاقل، قال عنه النعمان الضمدي: (كان رئيساً كريماً ولي الأمر في المخلاف السليماني بعد وفاة والده ولم تستمر ولايته على المخلاف سوى بضعة أشهر حيث توفي سنة ١٠٥٤هـ بعد عودته من الحج انظر ترجمته في: العقيق اليماني (مخطوط) الورقة ٣٩٨.

[٤] المصدر السابق ص٣٢٢، وانظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٣ ص١١٢، ١١٣.

ويؤخذ سالمٌ منها، بجانٍ ويترك من به منهم سقام
أليس لذي الورى منكم ذمام أليس وراء ذمتكم ذمام
وقد وصلوا بمال من دعي متاناً، ما لعروتها انفصام
فلا ترضوا بمال من دعي يصادر، إنكم قوم كرام
نقيبان، ببلدتنا أناخا مناخاً لا يسد به انثلام
رأوا مالا يرى حسناً، ومالوا إلى غير الذي شرع الإمام
وهل إلا بكم تحمى الرعايا ويأمن منهمُ يمنٌ، وشامَ
بمثل علاك يعتصمون يوماً يكون لباسه فيهم ضرام
فأنت البدر يهدي من ضلال ويستجلي بطلعته الظلام
وسيف للإمام أبي المعالي ومهدي الزمان فلا يضام
فَكُفَّ أَسِنَةَ الأجناد عنهم فإن الجند أشرار طغام
وما المهديّ إلا خير هادٍ وسيرته على الناس الغمام
تعيش به البرية فاستغيثوا لهم بالعدل منه، والسلام [١]

وشاعرنا النعمي في هذه القصيدة لا يعبر عن معاناته الشخصية ولكنه يتلمس معاناة مجتمعه في المخلاف السليماني وما تعرضوا له من تعسف الأجناد الذين تسلطوا عليهم بأمر من ولاتهم آنذاك: أبو طالب الخواجي أمير المخلاف السليماني في صبيا، ووآلِي بيش من قِبَلِه: (سالم المهنا) اللذين أطلقا العنان لأجنادهما فبطشوا بصاحب الجرم كما بطشوا بمن لا جرم له من المواطنين ولسنا معنيين بالمبالغات التي حفلت بها تلك الأبيات فمقام الشكوى والتظلم يقتضيان من الشاعر بأن يستعطف من يطلب منه النجدة بكل عبارات الاستعطاف التي تحرك فيه دواعي الاستجابة لرفع الظلم عن المواطنين حتى وإن لم يكن صاحب سلطة مطلقة؛ لذلك فقد جاءت قصيدة النعمي هذه رصداً حياً لبعض الأحداث الاجتماعية

[١] المصدر السابق ج٣ ص١١٢ ، ١١٣.

والسياسية في عصره وكانت نفثة مصدور صورت بعض ما حاق بمجتمعه آنذاك من شرور أولئك الأجناد حيث سجلت هذا الحدث الأليم الذي عمت بلواه الجميع وعبَّرَتْ عما أملاه الموقف من استنجاد ببعض ملوك المسلمين ليرفعوا عنهم ذلك الظلم الفادح الذي لولا قصيدة النعمي هذه لما عرفنا عنه وعن آثاره شيئاً لذلك فهذه القصيدة تعتبر وثيقة تاريخية لحقبة مظلمة في تاريخ المخلاف السليماني سجلها القاضي النعمي رحمه الله.

ولعل قصيدة النعمي الأخرى التي أثبتها له المحبي في كتابه: خلاصة الأثر، والحموي في مخطوطته: فوائد الارتحال ونتائج السفر لعل تلك القصيدة التي أنشدها النعمي في مدح ابن الإمام نفسه قد جاءت أقوى لغة وأحكم نسجاً وأقوى سبكاً ربما لأسباب موضوعية أملت عليه ذلك وربما لأنه نسجها وألقاها بحضرته كما ذكر ذلك المحبي حيث قال: (وكتب إلى السيد الحسن بن الإمام إسماعيل وهو بمدينة حبور وكان إذ ذاك بحضرته بها:

بقيت أبا يحيى على النجم واطياً	وبالنصر مخدوماً، وللدين حاميا
وبدراً لهالات المعارف ساطياً	وبحراً لطلاب العوارف طاميا
دعانا إلى علياك فضل أرى له	روائح في هذا الورى وغواديا
فأيقظت آمالي، وما كُنَّ غُفَّلاً	وكلفتها طوداً تناجي الدراريا [1]
أقول لنفسي وهي تركب روعها	وقد بلغت مما تلاقي التراقيا
وقد قصرت عن قلة النيق بغلتي	وأعوزني حالي إلى المشي راقيا
(مديحن) [2] لا تعييك منه تميمة	ولا ذو رقىً، إن تطلبنْ لك راقيا
وما كنت أخشى أن تعاطي ركوبه	ولا أن تلاقي منه تلك الملاقيا
فقالت: إذا كانت مراقيه تنتهي	إلى (حسن)، أحْسِنْ بهنَّ مراقيا
إلى ملك يستسهل الصعب والسرى	إليه، ويرمي بالنفوس المراميا

[1] هذا البيت مما أتفرد به صاحب مخطوطة فوائد الارتحال ج٣ الورقة ٢٩٤.

[2] (مديحن) اسم عقبة تتوسط الطريق إلى مدينة ممدوحه: (حبور اليمنية)، وهي إحدى مدن محافظة حجة وتقع إلى الشمال منها، انظر: تاريخ اليمن لابن الوزير هامش ص٦٢.

ويمتـــاح للآمـــال مـــن عتباتـــه   رغائب ينقعن القلوب الـصواديا[1]

فمع أن المخاطب في القصيدتين واحد هو: حسن بـن الإمـام إسـماعيل المتوكل إلا أن اللغة والأسلوب والنفس الشعري في النص الأخير نحت منحىً آخر فرأينا الشاعر ينتقي لممدوحه ألفاظاً جزلة ذات جرس موسيقي مؤثر: (هـالات المعارف)، (طلاب العوارف)، (روائح وغواديا)........ الخ.

ووجدناه يزاوج بين أنواع البديع فكلمة (راقيا) ختم بها ثلاثـة أبيـات، بيتان منهما متتابعان ولكنها تلبي في كل بيت منها معنى مغايراً لسابقه يتطلبـه السياق حتى اسم ممدوحه الذي أتى به الشاعر في بيت (الـتخلص) أتـى بـه بصورة بديعة زاد من جمالها أسلوب التعجب الذي أتى بعد الاسم: (أحسِنْ بهنّ) أما البيتين الأخرين فقد لخص فيهما غرضه الشعري غير متخلٍ عـن جماليـات اللغة (يستسهل الصعب) (يرمـي المراميـا) (يمتـاح للآمـال) (القلـوب الصواديا)... الخ والقصيدة برغم اهتمام الشاعر بلغتها إلا أنها فـي مجملهـا لا تخرج عن مسارات شعراء المديح ومبالغاتهم.

أما القصيدة القضية لشاعرنا عز الدين النعمي فهي قصيدته التي وجهها كما يقول المحبي: (إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسـم يـستعطفه حينما عزل عن القضاء بعد أن كُفَّ بصره) [2]. أجل، إنها قصيدته (التي أنشأها حين ذهب بصره وخشي انقطاع معاشه سنة ١٠٨٢هـ وقد كان من قبـل ذلـك قاضياً للحج) [3]، وهي قصيدة طويلة غرضها الشعري الاسـتعطاف وسـأوردها

---

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٣ ص١١٢ ، ١١٣ .

[2] المصدر السابق ص١١٢.

[3] أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما لعبد الله أبو داهش ص٣١٩، وانظر عن هذا النص وصاحبه الصفحات (٢٠٦-٢١٦)من حوليات سوق حباشة التي يصدرها أبو داهش نفسه عدد (٤) ١٤٢٠هـ من منشورات نادي الباحة.

كاملة لجمالها وحسن تأتي الشاعر فيها مع ترابطها وتسلسل أفكارها حيث يقول فيها شاعرنا:

إليك يداً ذا العرش من متظلم ... رمته قسيّ البين من غير ظالم
يمد يداً منه ويبسط أنملاً ... يبيح بشكوى من أسى وجهائم
ومن عقد أنت اللطيف بحلها ... وما نفثت فيها ذوات التمائم
تبصّرت الأيام منّيَ خلسة ... فصالت على جسمي برمحٍ وصارم
وأشلت على صرمي بنيها تعمداً ... فعفت بديوان الصلات معالمي
محت منه آمالي، وما لي، وما رعت ... خلافة مهدي تَسمّى بقاسم
خلافة مهدي علت بركاته ... على النجم، حمّالٌ لثقل المغارم
وما جاز في دين الخلائف أنهم ... يعودون فيما عَوّدُوا من مكارم
وما استرقت منهم على حين غفلة ... عيون العدى، إلا رموا برواجم
يرد مثير السوء عن مقعد الندى ... ذميماً، ومن يسعى بقطع العلا، صمي
فعطفاً أمير المؤمنين، ومنّةً ... على العبد من تغيير وصل ملازم
فإني أرى العادات منك كريمة ... وأكرمها عادات أهل المواسم
لهم كل عام منك سيب إلى منى ... بمحكم ديوان جزيل المغانم
وقد كان لي فيه عطاء مخلدٌ ... برسم كريم رازق غير حارم
فإن يكن الأمر الذي أصبحت به ... عيوني في قلبي محا اسمي وخاتمي
وألقى عن الظهر النحيف علائقاً ... لفصل القضا والرسم مفروض حاكم
فهبه، فهلا كان في سعة الندى ... لفاقد عينيه إقالة راحم
وإجراء مالي، من نوالٍ، مدفتر ... تخب به نحوي حداة الرواسم
وما راش ذو سهم، سهام ابن حرة ... بريش أخيه من حديث وقادم [١]

ومع أن طلب الشاعر واستعطافه كان عادلاً إلا أننا قد نلمس في ثنايا قصيدته مبالغة في التأكيد على حقه حتى كاد أن يحول نصه الشعري إلى تقرير

(١) أهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، وخلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص١١٢ ، ١١٣.

تفصيلي، ومع ذلك فإننا لا ندري هل استجاب الممدوح لطلبه أم ذهبت ضـــراعاته أدراج الرياح!!.

رحم الله شاعرنا (النعمي) الذي كان برغم حلاوة لغته الـــشعرية يهـــتم بالتفاصيل الصغيرة في شعره مما ساهم في تكبير الـــصورة لديـــه إلـــى درجـــة التشتيت.. ومع ذلك فقد كانت عنايته بلغته الشعرية معبراً لاقتحام المنبر الشعري باقتدار.

١٢- العلامة الشاعر: علي بن الحسن بن محمد النعمي (٩٨٤-١٠٦٧هـ):

عالم واسع الاطلاع، اشتهر بقوة الحفظ، فقد كان حافظاً لقصص الأولين وأخبار الماضين، شاعر مجيد، وناثر في القول سديد، ولي القضاء في صبيا مدة طويلة وموطنه وموطن أسلافه الدهناء، بلدة قريبة من مدينة صبيا، فهو من أسرة كريمة أنجبت عدداً كبيراً من العلماء المشهورين، قال صاحب كتاب: عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر عن هذه الأسرة: (والنعميون هؤلاء سادة أشراف، بيت علم وفضل وأدب ينسبون إلى جدهم (نِعْمه) وهم من ذرية الحسن المثنى وهم بجهة صبياء)[1].

وعلمنا النعمي عالم فاضل كان أحد قضاة المنطقة المشهورين وله مشاركات شعرية جيدة.

ترجم له مؤرخو عصره (كالمحبي) في كتابه: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) و (الحموي) في كتابه المخطوط: (فوائد الارتحال ونتائج السفر) وتحدث عنه: أحمد بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢) في كتابه: (مطلع البدور ومجمع البحور) وترجم له عبد الله النعمان الضمدي (....-١٠٧٨هـ) في كتابه الموسوعي المخطوط: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) وأشار إلى ترجمته إسماعيل الأكوع في كتابه: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) كما ترجم له: (محمد محمد زباره) في: (ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني).

---

[1] عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر للعلامة محمد بن أبي الشلّي ص٢٩٣.

وكلهم أجمعوا على أدبه وفضله وقوة حافظته كما أشاروا إلى ما من الله به عليه من صلاح الأبناء حيث رزق اثنا عشر ولداً ذكراً كلهم علماء عاملين ومنهم قضاة وبعضهم شعراء وبعضهم من أصحاب المؤلفات العلمية[1].

– ترجم له عبد الله النعمان فقال: (السيد العالم العلامة المدرة الصمامة نور الدين علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي ، اجتمعت في هذا السيد من خصال الكمال ما لم تجتمع في غيره من الرجال ، كان فقيهاً أديباً عالماً فصيحاً سليم الطبع كثير النفع للمسلمين باذلا نفسه لهم ليلاً ونهاراً بالحكم والفتيا والشفاعات بنفسه وبكتبه، ولما تصدّر لذلك نفذت كلمته من مكة المشرفة إلى عدن؛ كان في زمنه آيةً من آيات الله الباهرة) [2] ومع هذه الإفاضة إلا أن المؤرخ عبد الله النعمان لم يشر إلى شعره.

– أما ابن أبي الرجال فقد ترجم لعلمنا فقال: (السيد العلامة علي بن الحسن الحسني النعمي رحمه الله، قاضي المخلاف، وعماد إقليمه، كان سيداً سرياً، فاضلاً كاملاً يهتز للأدب والعلم، ويحفظ الأخبار والآثار .... وعُمِّر فانتفع به أهل الإقليم .... حيث كان عليه مدار ذلك المخلاف وكان واسع الصدر له فصاحة، ومن شعره قصيدة نبوية) [3].

....

إلا أنه لم يذكر شيئاً من شعره لا القصيدة النبوية ولا غيرها، واكتفى بالإشارة لأبنائه وتبريزهم في العلم والأدب والشعر.

– ومثله صنع الأكوع الذي قال في ترجمته: (علي بن حسن بن محمد بن حسن بن عبد الرحمن النعمي، عالم محقق في الفقه، شاعر أديب، تولى القضاء في

---

(1) انظر على سبيل المثال: (خلاصة الأثر) للمحبي ج٣ ص١٥٤، وكتاب: (فوائد الارتحال ونتائج السفر) (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٢١١ وما بعدها، و(مطلع البدور ومجمع البحور) لابن أبي الرجال ج٣ ص١٢٢، و(هجر العلم ومعاقله في اليمن) للأكوع ج٢ ص٦٣٧.

(2) العقيق اليماني للنعمان الضمدي الورقة ٤١٣.

(3) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٢٢٢.

صبيا وأعمالها وأنجب اثنا عشر ولداً كلهم شعراء وأدباء) وذكر له أبياتاً من قصيدة مدح بها شرح الأزهار ومطلعها:

درسة الشرح نزهة للنفوس　　　وبها مرهم لداء النفوس

ثم ختم الترجمة بقوله: (مولده سنة ٩٨٤ ووفاته في ذي الحجة سنة ١٠٦٧هـ) [1].

- أما صاحب (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فقد ترجم له بإفاضة تامة وأورد له مقطوعتين شعريتين .. وقطعة نثرية .. وتحدث عن أبنائه الاثني عشر واحداً واحدا .. ولأنها ترجمة وافية فسأورد هنا أكثرها.

ومما قاله المحبي عن علمنا في هذه الترجمة: (ضياء الدين علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى النعمي الحسني ... كان عالماً فاضلاً شاعراً، ولي القضاء بصبيا وفاق أقرانه بالتحقيق، وألف المؤلفات العديدة والرسائل الشهيرة، ورزق الحظوة التامة في البنين حتى أعقب اثني عشر ولداً ذكراً، كلهم علماء أدباء شعراء، وكان يهتز للأدب والعلم ويحفظ الأخبار والآثار ويطلع على القصص المتقدمة والمتأخرة، وكان يأتي على كتاب: (الكشاف) غَيْباً، وانتفع به أهل الإقليم، ومسكنه جهة سلفه الدهناء من أعمال وادي بيش والمحلة، واتخذ بيتاً بعتود، وكان عليه مدار المخلاف وكان واسع الصدر مهيباً جليلاً، أحنفي الحلم، حيدري البأس والعلم) [2]، وقد أضفى عليه نعوتاً أخرى في كتابه (نفحة الريحانه) ومنها: (ذو النسب الطاهر والحسب الظاهر، فيه شمائل نسمات نجد، وله كلف بالمعلومات ووجد، نشأ في بيت الفضل والنعمة)[3] له نظم ونثر جيدان فمن نظمه قوله في مدح شرح الأزهار:

---

[1] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٢ ص٦٣٦ ، ٦٣٧.

[2] خلاصة الأثر ج٣ ص١٥٣.

[3] نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانه للمحبي ، المجلد الثاني ج٣ ص٢١٨.

(سرحة الروض) [1]نزهة للنفــوس ... وبهـــا مــرهم لـــداء النفـــوس
وهي أشهى لإلفِهــا مــن سُــلاف ... قد أُديرت علـــى نـــدامى الكـــؤوس
ولهـــا صـــورة بمنظـــر قلبـــي ... هي أبهى من صـــورة الطـــاووس
وصــــلها للأديـــب أعظـــم قـــدرا ... مـــن وصـــال لغـــادة عيطمـــوس
فاستمروا في درســـها، فالمعـــالي ... تتهـــادى فـــي حالكـــات الـــدروس
والمعـــاني: مهـــورهن مغـــانِ ... واردات عـــن صـــفوة القـــدوس
فافتضاض الأبكار دون افتـــضاضِ ... لعـــذارى مُخَبَّـــآت الطـــروس [2]
وجلـــيس مـــذاكر فـــي رشـــادِ ... خيـــر خـــل، وصـــاحب، وجلـــيس
فـــإذا لـــم يكـــن فـــصحبة سـفر ... هـــي عنـــد اللبيـــب خيـــر أنـــيس
واستمدوا فـــضلاً مـــن الله يـــأتي ... فيه نورٌ، يفوق ضـــوء الـــشموس
واستعينوا بالصبر كيمـــا تفـــوزوا ... بخـــلالِ عظيمـــــة النـــــاموس
واتبعـــوا طاعـــة الإلـــــه ففيهـــا ... ســـر فـــضل مبـــاركِ مـــأنوس
وســـــلام علـــــيكمُ مـــــستمر ... ما همى عارض الغمام الـــرجيس[3]

ثم أورد له المحبي مقطوعة أخرى فقال: ومن شعره أبيات يخاطب بهـــا العلامة السيد شرف الدين الحسن بن عقيل يقول فيها:

قل للأديـــب ســـليل كـــل جليـــل ... خدن العفـــاف، مقـــر كـــل جميـــل
نجل الميامين السراة ومن لهـــم ... أصناف مجـــدِ فـــي الأنـــام أثيـــل
يمم هديت مدارج السلف الألـــى ... نشأوا علـــى التفريـــع والتأصـــيل
واسلك سبيلهم فإنك فـــرع مـــن ... ســـاس الـــورى، بـــدلائل التنزيـــل

---

(1) هكذا ورد مطلع هذا النص في: (نفحة الريحانة) للمحبي ج٣ ص٢١٨. أما في: (مطلع البدور) وفي: (هجر العلم) فقد ورد المطلع: (درسة الشرح).

(2) هذا البيت أضافه الحموي في (مخطوطة) فوائد الارتحال انظر ج٣ الورقة ٢١١.

(3) خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر لأمين المحبـــي ج٣ ص١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤، وانظـــر مخطوطـــة فوائد الارتحال للحموي ج٣ الورقة ٢١١.

طه عليه الله صـلى مـا سـرى   برق وما أجرى معـين النيـل [١]

ثم اختار (المحبي) لعلمنا النعمي بعد تلك المقطوعة رسالة نثرية وجهها إلى أحد فقهاء عصره فقال المحبي: (وله من رسالة كتبها إلى الفقيه أبي القاسم ابن محمد الوهم [٢] في مسألة حصل بينهما فيها نزاع قال فيها: (وقد كان الأولى رفع النفس عن مجاراتك في جهلك، والالتفات إلى فرطات عقلك، وكف اليد عـن جوابك، وقطع المدد عَن عَتابك، غير أني أعلم أنك لا تعدّني بالإعراض متكرمـاً، ولا بالازورار عنك متحلماً، بل تقدر مع ذلك أنك قد أصبت معظم الصواب من هذا البحث، وأنك قد أخذت بمقالك الأقبح الأرفث، وأيضاً فإن من محكم كلام الجليـل: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)[٣] ومن قول حكـم الـشعر: (المتنبّي):

إذا أتت الإسـاءة مـن وضـيع   ولم ألُم المسيءَ، فمـن ألـوم؟

وبعد هذا فاعرف موضع قدمك قبل المسير، وتبصر فـي الأمـور أيهـا الجاهل الغرير، وقف عند انتهاء قدرك، وانظر في إصلاح أمرك، فالأولى لـك أن تكون متعلماً لا معلماً، وأن تكون متفهماً لا مفهماً وليس لك فيما سلكت جمل ولا ناقة، ولا تذكر مقدمة ولا ساقة) [٤].

ثم أعقب هذه النماذج الشعرية والنثرية بقوله: (وله غير ذلك)[٥] وأخـذ يتحدث عن أسرة آل (النعمي) وأفخاذهم وأماكن سكناهم .... ومكانتهم العلمية

---

[١] المصدر والصفحات السابقة.

[٢] لعل أبي القاسم هذا يقصد به:(عبد الله الوهم) (....-١٠٢٤هـ)الذي ترجم له النعمان فقال هو: عفيـف الـدين عبد الله بن أبي القاسم الوهم الصبري البكري الصلهبي الأصل، كان من أهل العلم فـي زمنـه ولازم خدمـة أولاد الإمام القاسم سفراً وحضَراً، توفي سنة١٠٢٤هـ.انظر ترجمته في: كتاب العقيق اليماني(مخطوط) الورقة ٣٥٥.

[٣] سورة الشورى: الآية ٤١.

[٤] خلاصة الأثر للمحبي، ج٣ ص١٥٢-١٥٤.

[٥] المصدر نفسه.

مفيداً من كتاب الحموي (فوائد الارتحال) الذي سجل فيه ما كتبه لـــه العلامـــة (علي الهادي المنسكي الصبياني) عن مواطنيه آل النعمي فكانت ترجمة المحبّي متماهية في كثير من الجوانب مع ترجمة الحموي لعلمنا والتـــي سنـــشير إليهـــا بإيجاز.

- أما العلامة مصطفى الحموي صاحب كتاب: فوائد الارتحال (مخطوط) فقد أفاض في ترجمته كذلك لعلمنا: (علي بن الحسن النعمي)، وذكر شيئاً من شعره ونثره ومما قاله عنه: (ضياء الدين علي بن الحسن بن محمد بن الحسن ...... النعمي الحسني، الإمام العلامة الدراكة الصمصامة، طود المعارف، وخـــضم العـــوارف، قاضي القضاة بجهة صبيا، ولد - فيما كتبه إليَّ صاحبنا علي المنسكي - بمدينـــة الدهنا سنة أربع وثمانين وتسعمائة، كان من أجلائها، ورؤسائها، وأكابر سراتها وعلمائها، ومن أعلام السادة الفضلاء الكملاء الجواهر، أعيـــان القـــادة النـــبلاء البدور الزواهر، أسباط الأئمة الخضارمة البحور الزواخر، وارثي سلفهم الطاهر، كان إماماً محققاً، فاق أهل عصره......) إلى أن قال: (وله مؤلفات مفيدة، فـــي فنون عديدة، وكان يهتز للعلم والأدب، ويحفظ الأخبار والآثار، وله أشعار كثيرة، ومسكنه جهة سلفه (الدهنا) من أعمال وادي بيش والمحلة ......) ثم تحدث عن أبنائه الاثنى عشر واحداً واحدا حيث قال: (ومات عن اثني عـــشر ولـــداً وهـــم: محمد، وحسن، وأحمد، وعبد الرحمن، ويحيى، ومحسن، وحسين، وعز الـــدين، وإبراهيم، وشبير، وإسماعيل، وشمس الدين)[1] ثم أشار إلى بعض شعرهم مثبتاً بعض نصوص من شعرهم ونثرهم أما النصوص الشعرية التي أوردهـــا لعلمنـــا (علي بن الحسن النعمي) فهي النصوص نفسها التـــي أوردهـــا (المحبـــي) و (الشلي) مع زيادة بيت أو بيتين في بعض النصوص سنشير إليها في مكانها.

---

[1] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٢١٠-٢١٥.

- كما ترجم لعلمنا محمد محمد زبارة في ملحق البدر الطالع فقال: (السيد العلامة التقي علي بن الحسن بن محمد ..... النعمي الحسني ... أخذ عن علماء عصره، وكان عالماً فاضلاً شاعرا .... له مؤلفات عديدة ورسائل شهيرة ..) [1]

ثم ذكر له ثلاثة أبيات من قصيدته في مدح شرح الأزهار التي سبق أن ذكرنا شيئاً منها، وختم ذلك بذكر تاريخ وفاته الذي اتفق عليه الجميع.

- وأشار إلى علمنا (النعمي) صاحب كتاب: (تهامة في التأريخ) إشارة عابرة حيث قال: (ومن أشهر علماء صبياء العلامة علي بن الحسن النعمي تولى القضاء بها وتوفي سنة ١٠٦٧هـ) [2].

- أما صاحب كتاب: (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر) فقد اشترك مع المؤرخ صاحب كتاب: فوائد الارتحال الحموي في إضافة نص شعري آخر لعلمنا (النعمي)، وقد تحدث (الشلي) عن علمنا حديثاً ضافياً فحين تحدث عن نسب علمنا بلغ به إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أشاد بأسرته العلمية المباركة ومما قاله عنها: (والنعميون هؤلاء سادة أشراف، بيت علم وفضل وأدب ينسبون إلى جدهم (نعمه) وهم من ذرية الحسن المثنى وهم بجهة صبياء) وذكر بأن علمنا (النعمي) (كان قاضي القضاة بجهة صبياء وأنه كان إماماً محققاً فاق أقرانه وأن له مؤلفات عديدة ورسائل شهيرة وأن له نثراً وشعراً) إلى أن قال: ومن شعره قوله مجيباً على أبيات وجهها إليه بعض أصدقائه:

شهدنا جواباً مستطاباً منمقاً	من البدر أو قرن الغزالة أشرقا
يفوق عقود الدر في جيد غادة	ويفضح زهر الروض نوراً ورونقا
أتى يتهادى في غلائل حسنه	كبدر تمامٍ في الدجى قد تألقا
تلوحُ أسارير البلاغة والذكا	به فله عنق المكارم أعنقا

---

[1] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ج٢ ص١٦٢

[2] تهامة في التأريخ لعبد الرحمن عبد الله أحمد صالح الحضرمي (١٩٣٣-١٩٩٣م)، ص٢٧٤، من منشورات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى دمشق ٢٠٠٥م.

سفحن أهاضيب الوداد بطيه — فأصبح أملود المسرات مورقا[1]
ولا عيب فيه غير مدح امرئ غدا — عن الباقيات الصالحات معوقا
إذا استعرضته فكرةً أجوديةً — رأته من الزاد المبلغ أملقا
توزع بين النفس، والحرص، والهوى — فأرعد في صنع المعاصي وأبرقا
فآهٍ على عمرٍ تقضى شبابه — ولما يكن مستوضحاً لقم البقا
فأسأل من عمت أيادي نواله — منار نجاة، ينتجيه محققا
أتى من أخي ودٍ صحيحٍ مبرهنٍ — شمائله أضحت من النَّدِّ أعبقا
فرحتُ لاجمال الوصال مبرهناً — به صار هطال الفوائد مغدقا
وترجمت للأشواق حالاً وشاهداً — بذاك فؤادي فاتئد مترفقا
فيا من لسبل المجد أصبح عامراً — ومن في صميم السبعة الغر معرقا
بقيت على هام السماكين قاعداً — ومتّعنا فيه المهيمن بالبقا
ودم في نعيمٍ لا يكدر صفوه — وكن بنياط العلم والفضل مونقا
كذلك بالأمجاد ما ارْقَضَّ عارض — وما طائرٌ في مهمه البيد غرنقا [2]

وختم الشلّي ترجمة علمنا بذكر الرسالة النثرية القوية القاسية التي سبقت الإشارة إليها والموجهة إلى أبي القاسم بن محمد الوهم، وقد تساوى الشلي مع الحموي في نقل نص هذه الرسالة.

فرحم الله شاعرنا (النعمي) ورحم الله كل من أفاض في الحديث عنه وعن شعره، وفي مقدمتهم المؤرخ (الحموي) الذي نقل ما كاتبه به (المنسكي) عن شعراء آل النعمي وفي مقدمتهم علمنا المفضال (علي بن الحسن النعمي) بأمانة، وعنه نقل (المحبّي) في كتابيه: (خلاصة الأثر) و (نفحة الريحانة) وربما أفاد منه كذلك جل من ترجم لعلمنا كالعلامة (الشلي) وغيره فرحم الله

---

[1] الأبيات: الخامس، والسابع، والعاشر، انفردت بذكرها (مخطوطة) فوائد الارتحال للحموي انظر الورقات ٢١٠-٢١٥.

[2] عقد الجواهر والدرر للشلي ص٢٩٠-٢٩٢، وانظر: فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٢١٠-٢١٥، حيث أضفنا بعض أبيات من مخطوطة الحموي لم يذكرها الشلي (سبقت الإشارة إليها).

الجميع وجزاهم خيراً على تلك المختارات الجميلة التي زينوا بها كتبهم فأصبحت مراتع خصبة لأقلامنا وأبصارنا، ولأقلام الباحثين والدارسين على مر التاريخ.

١٣- العلامة الشاعر: علي بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن أبي القاسم ابن مطير الحكمي (٩٥٠ - ١٠٤١هـ):

عالم موسوعي وصاحب مؤلفات كثيرة متنوعة، وشاعر تسري في مفرداته الشعرية التي تتبعناها في قصيدته الوحيدة التي وصلت إلينا أنسام الربيع المعطرة بأزهار الرياض، وشجون الغرباء التي تترجم عنه مطوقة الأيك، وحنين المشتاقين من عباد الله الصالحين إلى الروضة الشريفة، وصفه المُحبِّي بأنه: شاعر، ونحن نضيف إلى هذا الوصف بأن ابن مطير شاعر كبير كما توحي لنا مفرداته الشعرية في هذه القصيدة، وقال المحبي بأن له شعر كثير وإن لم يذكر لنا من شعره سوى قصيدة واحدة هي قصيدته في مدح الرسول ﷺ، أسرته: (بنو مطير) أسرة علمية عريقة وصفها المحبي بأنها: (أسرة علم وصلاح) مشهورون، عالمهم مرجع للعلماء، وحمى لمشكلات الحكماء، لا يتعصبون للمذهب، ولا يخرجهم عن الحق غضب، عقيدتهم في الله تعالى حسنة، وعصمتهم بالكتاب والسنة) وقال عنهم أيضاً: (وبنو مطير: نسبة إلى مطير بن عثمان الحكمي، وكان مطير من أعيانهم، وغالبهم في المكان المعروف بالحضن من المخلاف السليماني) [١] (وعلمنا) ابن مطير أحد أعلام هذه الأسرة المباركة، وصفه جل من ترجم له بـ (العلامة المحقق).

- ترجم لعلمنا عدد من أصحاب كتب التراجم ومنهم العلامة الزركلي الذي تحدث عنه قائلاً: (علي بن محمد بن مطير فقيه شافعي له علم بالتفسير واللغة والأدب توفي بعبس الحضن من المخلاف السليماني، له (الإتحاف) و (الديباج على المنهاج) و (كشف النقاب شرح ملحة الإعراب) [٢].

---

[١] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص١٨٩ ، ١٩١، وترجم له المحبي أيضاً في: نفحة الريحانة وأشاد كثيراً بأسرته (آل مطير).

[٢] الأعلام ج٥ ص١٣.

- ووصفه الحبشي بأن (له شهرة كبيرة، وأنه تفوق في عـدة علـوم كاللغـة العربية، والحديث، والتفسير، والفقه) [1].

- وترجم له (العلامة محمد زبارة) في كتابه: ملحق البدر الطالع فقال عن ابـن مطير: (الشيخ العلامة علي بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن أبي القاسم ... بن مطير الحكمي، مولده سنة (٩٥٠هـ) وأخذ العلم عن بعض العلمـاء وكـان متفنناً، وله مؤلفات مفيدة، منها: ثم ذكر أسماء خمسة كتب من مؤلفاته إلـى أن قال: ومن شعره يمدح النبي ﷺ بقصيدة أولها:

متيم إن سرت ريح الشآم صـبا ومستهام إذا مرت عليـه صـبا
وذو شجون وما غنـت مطوقـة تبكي على الإلف إلا دمعه سـكبا

ثم قال زباره: (ومات ابن مطير في ذي القعدة سنة (١٠٤١هـ) بعـبس مـن المخلاف السليماني بتهامة رحمه الله تعالى [2].

- أما المؤرخ عبد الله النعمان الضمدي فقد اكتفى بذكر مكانة (ابن مطير) العلمية وبتاريخ وفاته دون الإشارة إلى شعره وشاعريته، أو إلى مؤلفاته، وممـا قالـه النعمان: (علي بن محمد بن مطير شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، كان المنتهى إليه في فروع الشافعية والحديث وسائر علوم الآداب، وله في علوم الأوائل يد طولى توفي سنة ١٠٤١هـ) [3].

- وترجم لعلمنا: عبد الرحمن الحضرمي (١٩٣٣- ١٩٩٣م) في كتابه: (تهامة في التاريخ) فقال: (العلامة علي بن محمد بن أبي بكـر بـن مطيـر الحكمـي (٩٥٠- ١٠٤١هـ) عالم وشاعر ومن مؤلفاته: شرح ملحة الإعراب ... كـان شاعراً، ومن شعره قصيدته التي يقول في مطلعها:

متيم إن سرت ريح الشآم صـبا ومستهام إذا مرت عليـه صـبا

---

[1] مصادر الفكر للحبشي انظر الصفحات ٢٧، ٢١٦، ٢٨٩.

[2] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زبارة ج٢ ص١٧٦ ، ١٧٧.

[3] العقيق اليماني للنعمان الورقة ص٣٧٧.

وقد اكتفى الحضرمي بذكر بيت المطلع والبيت الذي يليه ثم قال بعدهما: (توفي بعبس في المخلاف السليماني سنة (١٠٤١هـ) [١].

- غير أن في ترجمة (المحبي).. لعلمنا: (علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير) إضافة يستحقها ابن مطير وتستحقها أسرته العلمية، ومما قاله عنه: (هو علامة بني مطير المشهورين بالعلم والخير، الصارفين نفائس أوقاتهم في خدمة الحديث النبوي، والملازمين الاتباع للشرع المصطفوي، فضلهم مشهور ولا يحتاج إلى بيان كالشمس لا تحتاج إلى دليل وبرهان) ثم توسع في ذكر فضائل آل مطير إلى أن قال: (ولد العلامة: علي بن محمد بن أبي بكر ..... بن مطير سنة خمسين وتسعمائة، وحفظ القرآن واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن شيوخ كثيرين ومنهم الفقيه عبد السلام النزيلي [٢]وآخرون...... وألف المؤلفات النافعة الكثيرة الشهيرة منها:

١- الإتحاف مختصر التحفة لابن حجر.
٢- الديباج على المنهاج للنووي.
٣- كشف النقاب بشرح ملحة الإعراب للحريري.
٤- خلاصة الأحرى في تعليق الطلاق على الإبرا.
٥- تكملة تفسير جده إبراهيم بن أبي القاسم بن مطير من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن، المسمى بالضنائن.

---

[١] تهامة في التاريخ لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي ص٢٧٧.

[٢] الفقيه عبد السلام النزيلي: ترجمه العلامة مصطفى الحموي فقال: (هو العلامة عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي، كان فتى قومه، له المروءة التامة، والإحسانات العامة، والفقه الغزير، قرأ صحيح مسلم في ثلاثة أيام، وكان وجّاداً للمسائل مجيباً للسائل بأحسن جواب وأوضح دلائل، كان له الشعر الحسن، والبلاغة العجيبة، والنظر الدقيق في الاستدلالات ونشر العلم، كان تالياً لكتاب الله قواماً آخر الليل، هاجر إلى هجرة (حفاش) ورده الشيخ علي بن محمد بن مطير فرجع إلى بيته بهجرة (القريبي) ومات بها سنة ١٠٣٥هـ) انظر: فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ١٧٩.

٦- شرح قصيدة جدّه (إبراهيم) [١] المذكورة في التصوف سماها: (الفتح المبين في شرح قصيدة الإمام ضياء الدين، وغير ذلك من المؤلفات...)[٢].

- وترجم لعلمنا (علي بن محمد بن مطير) العلامة المؤرخ مصطفى الحموي ترجمة تقترب كثيراً من ترجمة (المحبي) وربما تشابهت بعض ألفاضها ومما قاله الحموي عن علمنا: (علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن مطير الحكمي: علامة بني مطير المشهورين بالعلم والخير، الصارفين نفائس أوقاتهم في خدمة الحديث النبوي، والملازمين للإتباع للشرع المصطفوي، فضلهم مشهور لا يحتاج إلى بيان، كالشمس لا تحتاج إلى دليل وبرهان، كان تحفة الزمن، ومنحة الله لأهل اليمن، النجم الزاهر، مجدد القرن العاشر، راسخاً في كل فن من الفنون، إليه رئاسة العلم يمناً وشاماً، رزقه الله محبة الخاص والعام، ولد سنة ٩٥٦هـ وحفظ القرآن، واشتغل بالعلوم الشرعية والآلية، وأخذ عن شيوخ كثيرين...... وله المؤلفات الكثيرة النافعة في أصول الفقه والدين نظماً ونثراً.......) وبعد أن تحدث الحموي طويلاً عن (ابن مطير) وعن مؤلفاته ذكر بأن له شعراً كثيراً غير أنه اكتفى بذكر القصيدة التي أوردها المحبي في خلاصة الأثر وعدد أبياتها ثلاثة وثلاثون بيتاً دون زيادة ولا نقصان) [٣].

---

[١] جده (إبرهيم): (٨٨٨ - ٩٥٩هـ): هو: برهان الدين إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن مطير كان فقيهاً، محدثاً، مفسراً، نحوياً، فرضيا، أصولياً، وكان شاعراً، تلقى العلم على والده وعلى علماء بلده وكانت له إجازات علمية من بعض العلماء، وهو أحد علماء الصوفية المشهورين في القرن العاشر، وله مكاتبات، ومطارحات شعرية مع أقطاب الصوفية في عصره، كالعلامة الطاهر الأهدل المتوفى سنة ٩٩٨هـ وغيره، وله مؤلفات منها: (الإرشاد إلى الإعتقاد) و (سلم الوصول إلى علم الأصول) ويسمى (الدرة الموسومة في شرح المنظومة) شرح فيه منظومته المشهورة التي شرحها أيضاً عدد من العلماء ومنهم حفيده علي، وله كتاب: (تهذيب الأحاديث في علم المواريث) حققه ونشره الباحث محمد محسن الديباجي. انظر ترجمته في: مصادر الفكر ص١٢٤، ١٦٠، وفي الروض الأغن ج١ ص١٩، نشر الثناء الحسن للوشلي ج٣ ص١٤٢.

[٢] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص١٨٩-١٩١.

[٣] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقات ٢٣٥-٢٣٦.

وكلاهما قال عن شعره: (وله شعر كثير منه قوله يمدح النبي ﷺ:

متيم إن سرَتْ ريح الشآم صبا   ومستهام إذا مرت عليه صبا
وذو شجون وما غنت مطوقة   تبكي على الإلف إلا دمعه سكبا
يبكي ويدمعُ، لو فياض مدمعه   من جوده، جاد يوماً، طوقها سلبا
وإن تذكر أياماً له سلفت   مع الأحبة في أوطانهم، جذبا
روّى الربيع مغانيهم ومربعهم   وعمم الغيث منها السهل والحدبا
وأزهر الروض منها والحمام غدت   مغردات عليه تمتطي العذبا
وكلما رام يبغي نحوهم طرقاً   يعمي السبيل عليه أينما ذهبا
سبحان من نفذت فينا مشيئته   فما يسهلْ له، يسهلْ، وما صعبا
ما زلت أقرع أبواب الرجا، ورجا   نفسي تفوز بجود شامل، وحبا
وعمني الله بالإحسان مرحمة   فضلاً من الله، لا فرضاً ولا سببا
وإن تغلقت الأبواب عن أملي   قصدت من طاب فرعاه، وطاب أبا
محمد العاقب الماحي الذي اختتمت   به النبوة، بل أعلى الورى رتبا
فهو الذي ملأ الأكوان أجمعها   نوراً، وفتح فينا الشخص والحقبا
يا من علا فوق متنٍ للبراق ويا   خير الخلائق قاصيهم، ومن قربا
وجئت بالسنة البيضا جُعلتُ فدا   لحافظيها،ومن في درسها دأبا
ولم تزل فرقة من تابعيك على   نهج الهدى، لم يضرهم قول من كذبا
فهم شموس، ولم تأفل منافعها   ولن يزال بها نفع وما غربا
وكم معاجز؟ لا تحصى، بعثت بها   عنها نجوم العوالي ضُمنت كتبا
يا سيد الخلق!! يا مفتاح يوم غد   تولى الشفاعة يوم الحشر إذ صعبا
أنت الذي يوم بعث الخلق شافعنا   سبقاً، وأثبتهم إذ ألزموا رهبا
يا سيدي يا رسول الله يا سندي   إليك جئت لما قد خفته رهبا
سميُّ صِنوِكَ، حاشا أن تُضيِّعَهُ   تكفي (السّمَايَةُ) عند السادة النجبا
يا خاتم الرسل يا مختار من مضر   بالله ربك قل ما قلته وجبا
وإن تقدمت بالعظمى ليوم غد   لله ربك مقبولاً ومحتسبا
فقل فروع (مطير) سيدي حسبوا   عليٌّ، فاز الذي من حزبهم حسبا
وعمهم رحمة، يا سيدي وندى   يا ملجأ طاب للاجين والغربا

واشفع ليبقى بهم ما منكمُ ورثوا : العلم، والنور، لا البيضاء والذهبا
والمسلمين أنل كلاً مطالبه في الخير منهم جميعاً، واكشف الكربا
ثم الصلاة مع التسليم دائمة على المُشَفَّعِ ما أمَّ الوفودُ قبا
والآل، والصحب ما غنَّت مُطوقة على أراك، فأضحى الدمع منسكبا [1]

ومهما أعدت قراءة هذه الأبيات لا بد أن تشعر بالمتعة الأدبية التي لا نفاد لها إنه نص شعري لـ (ابن مطير) جميل جميل، يؤكد رسوخ قدم الحكمي شعرياً كرسوخ قلمه مؤلفاً في عدة فنون، وأديباً له (أدب كأنه روض مطير) كما يقول عنه المحبي. والقصيدة برغم طول المثبت منها والذي بلغ ثلاثين بيتاً إلا أن قارئها يحس أثناء قراءته ببعض القفزات ويلمس تقطع بعض أوصالها الذي أدى إلى اهتزاز نفسها الشعري وإن ظلت بعض مقاطعها مترابطة متناغمة تأسر القارئ بجرسها العذب الجميل.

وهي مع ذلك قصيدة ذات بعد إيماني عميق وإن اختلفنا مع صاحبها في تلك المبالغات في التوسل برسول الله ﷺ الذي يصل به أحياناً إلى طلب القبول ونيل المطالب!! وهي أمور تطلب من الله وحده.

على أن القارئ المتعجل قد يفهم من مطلع هذه القصيدة توله شاعرنا وهيامه بالحبيب الذي جعله (متيماً) و (مستهاما) لكنه حين يعيد قراءة القصيدة ويستمتع بموسيقاها الشعرية الحزينة وجماليات اللغة الشعرية فيها يدرك بأن شاعرنا يحن حنين الهيم إلى طيبة الطيبة (موطن الأحباب، (محمد ﷺ) وآله والأصحاب) ويتوله لمهبط الوحي ومثوى الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات، ومع إيماننا بشفاعة رسولنا الكريم في المحشر التي خصه الله بها دون بقية الرسل إلا إننا لا نقر تلك الضراعات الواردة في ثنايا القصيدة والتي لا ترفع إلا لله تعالى وإن التمس لها الشاعر تأويلات بعيدة أو قريبة، على أنني أكبرت

---

[1] خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص١٨٩، ١٩١، و فوائد الارتحال للحموي (مخطوط) ج٣ الورقات ٢٣٥-٢٣٦.

للشاعر دعاءه لذويه (فروع مطير) بأن يبقي الله في ذرياتهم إرث النبوة: (العلم) مستثنياً حطام الدنيا (فضته وذهبه).

رحم الله ابن مطير ورحم الله (المحبي) و (الحموي) اللذين أمتعانا بهذا النص الجميل لعلمنا (ابن مطير) وإن كنا نتمنى لو أضافا لنا نصوصاً أخرى لشاعرنا مع أنهما قالا عنه بأن له شعر كثير مما جعلنا نتطلع لمزيد من شعره.

١٤- الأديب الشاعر: علي بن هادي المنسكي (...-...):

أحد أعلام المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري الذين كانت لهم بصمات واضحة في وطنهم فكرياً وأدبياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً - فهو من أصحاب الأعمال الخيرية الجليلة التي شملت أجزاء كبيرة من مبرات المخلاف السليماني في عصره كالآبار، وتوسيع الطرق، وتحبيس الأراضي الكثيرة على هذه المنافع وعلى الفقراء وعلى الأعمال الخيرية الأخرى، ولا زالت أسرته الكريمة (آل المنسكي) في بلدة (الباحر) التابعة لمحافظة صبيا، تحتفظ بوثائق كثيرة من مساهمات هذا المحسن الكبير في أعمال الخير والبر[١]، وبرغم تجاهل المصادر المحلية له عدا إشارة بسيطة وردت في مخطوطة السلاف للنمازي وعنها نقل العقيلي كلاماً عن أول اختطاط صبيا في موقعها الحالي [٢] إلاّ أنه قد ورد اسمه مراراً في بعض المصادر الشامية واليمنية المطبوعة والمخطوطة، تلك المصادر التي تحدثت عن أعلام القرن الحادي عشر مثل: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) [٣] لمحمد أمين (المحبي) (١٠٦٤-١١١١هـ)، و (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر) لمحمد بن أحمد الشلي (١٠٣٠-١٠٩٣هـ) [٤] وغيرها، ومن الصيغ التي جاء فيها ذكر هذا العلم (المنسكي) في بعض تلك المصادر هذه العبارة التي وردت أثناء حديثهم عن الشاعر (حسن بن علي بن حفظ الله النعمي) (١٠٢٩-١٠٧٩هـ) [٥] حيث قالوا: (وله أشعار رائقة بديعة منها ما كتبه (لعلي الهادي المنسكي) معتذراً إليه في إبطاء كتبه عنه وهو قوله من كتاب:

---

[١] ولدى الباحث صور لبعض تلك الوثائق.

[٢] انظر تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٣٠٠.

[٣] خلاصة الأثر للمحبي ج٢ ص٣٦.

[٤] عقد الجواهر والدرر للشلي ص٣٢٨.

[٥] سبقت ترجمته بتوسع مع بعض شعره في أوراقنا هذه بالصفحات: ٣١٣-٣١٨.

(ما بعد كتبي عن الأحباب نسيان   وقطع وصلي لهم والله سلوان)[1]

وبرغم تكرار الإشارة إلى الشاعر (المنسكي) في تلك المصادر المطبوعة التي عاصر أصحابها علمنا، إلا أنني لم أجد فيها ترجمة وافية له أو شيئاً عن حياته وإنما اكتفت تلك المصادر بذكر اسمه فقط، ثم حاولت البحث في مصادر أخرى لبعض علماء القرن الحادي عشر والقرن الذي يليه، تحدثت عن أعلام معاصرين له أمثال: (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢هـ) و (العقيق اليماني في ذكر وفيات المخلاف السليمان) - مخطوط - لعبد الله النعمان الضمدي (....-١٠٧٨هـ) و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) للإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) .... الخ، فلم تسعفني بشيء عن حياة (علي بن الهادي المنسكي) أضعه في هامش تلك الشذرة التي جاء فيها ذكر علمنا (المنسكي) بالمصدرين اللذين أشرت إليهما في السطور السابقة، لكن الله هيّأ لي بمنه وتوفيقه الحصول على صورة مخطوطة نادرة أفضل بها عليّ - مشكوراً ومقدراً - عضو مجلس الشورى السعودي الأستاذ الدكتور عائض الردادي جزاه الله خير الجزاء وهي نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب القومية المصرية في القاهرة المحفوظة برقم (١٠٩٣) (تاريخ) وكتبت هذه النسخة في عام ١١٢٩هـ وهذا المخطوط النادر هو كتاب: (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر) للعلامة مصطفى بن فتح الله الحموي ثم المكي (....-١١٢٣هـ) وهو كتاب نفيس جداً يقع في ثلاثة مجلدات كل مجلد تتجاوز صفحاته (٩٠٠) صفحة وقد تناول فيه الحموي رحمه الله تراجم أعلام الحجاز وأعلام الشام وأعلام مصر وأعلام اليمن وبعض أعلام المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري وهو سفر ضخم جمع فيه الحموي فأوعى وتحدث فيه عن علماء هذه البلدان،

---

[1] خلاصة الأثر ج٢ ص٣٦ وما بعدها، وانظر: عقد الجواهر والدرر ص٣٢٨ .

وأوليائها، وكبرائها، وأمرائها، وشعرائها فكان بهذه الشمولية من أهم المصادر التي تناولت تاريخ تلك الفترة في هذه البلدان.

وقد وجدت فيه تراجم لأعلام وشعراء من المخلاف السليماني لم تتحدث عنهم مصارد تراجم رجال القرن الحادي عشر التي كنت أعول عليها – بعد الله – المطبوع منها والمخطوط.

ومنهم علمنا: (علي الهادي المنسكي) الذي تحدث عنه (الحموي) حديث معرفة وتواصل؛ فقد التقى به وكاتبه شعراً ونثراً وبادله الكتب والهدايا، ومما قاله (الحموي) عن علمنا: (اجتمعت به في ثغر جده المحروس، وحصل بيني وبينه مودة أكيدة، ومراسلات عديدة....) إلى أن قال: (وطلبت منه أن يكتب لي ما تيسر من أخبار العصريين) [1] وقد رد المنسكي على مكاتبات العلامة مصطفى الحموي شعراً ونثراً، وكتب له (ما تيسر من تراجم معاصريه ومنهم بعض الأعلام النعميين) في جهة صبياء كما وردت الإشارة لذلك في رسالته الجوابية التي أوردها الحموي أثناء ترجمته لعلمنا (المنسكي) بل إن الحموي قد كرر الإشارة إلى ما كتبه المنسكي له من تراجم بعض شعراء وعلماء المخلاف السليماني كرر ذلك أثناء نقله لتراجم بعض أعلام المنطقة التي زخر بها كتابه القيّم: (فوائد الارتحال) هذا؛ كقوله أثناء ترجمة للعلامة: محمد بن علي بن حفظ الله النعمي: (ولادته كانت فيما كتب إليّ صاحبنا الأديب (علي بن الهادي المنسكي) عام ست وعشرين بعد الألف) [2] ومثل هذه الإشارة قد وردت في عدد من تراجم بعض أعلام المخلاف السليماني كما أشرنا على أن الحموي قد خص المنسكي بترجمة موسّعة تحدث فيها عن أسرة (المنسكي) الصبيانية ومكانتها الاجتماعية والتجارية وتحدث عن اهتمام علمنا علي الهادي المنسكي بالعلم والأدب وأنه صاحب مكتبة عامرة يعير منها الكتب للباحثين وطلاب العلم

---

[1] فوائد الارتحال ونتائج السفر ج٣ الورقة ٢٣٣.

[2] المصدر السابق ج١ الورقة١٩٥.

وأنه كان على صلة قوية بعلماء وشعراء وأدباء وقته برغم مشاغله التجارية وبخاصة بعض أعلام المخلاف السليماني الذين كتب تراجمهم والختار شيئاً من شعرهم ونثرهم ثم بعثها للعلامة مصطفى الحموي استجابة لطلبه، كما أشار الحموي إلى الصلة المتينة التي كانت تربطه بعلمنا المنسكي وذكر له نماذج من شعره ونثره، الذي تبادله معه كل هذا وغيره قد ورد في ترجمته الموسعة (للمنسكي) التي شملت جوانب كثيرة من مشواره العلمي والأدبي والاجتماعي والتجاري وجوانب أخرى ليس منها شيء عن نشأته ولا عن شيوخه الذين تلقى عليهم معارفه ولا عن تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، وإن كان قد أشار إلى بقاء (المنسكي) على قيد الحياة حتى بعد سنة إحدى وتسعين وألف، ومع كل هذا فإننا سنضع تلك الترجمة بين يدي القارئ كاملة بما في ذلك نصوص المنسكي الشعرية والنثرية دون اختصار، باعتبارها مما تفرد به الحموي، غاضين الطرف عن الحكم على المستوى الفني لشعر المنسكي القليل الذي وجدناه في هذه الترجمة اليتيمة، أما نثره الذي نقله (الحموي) في هذه الترجمة على قلته فإنه ينتمي إلى مدرسة النثر الفني في أخريات العصر العباسي؛ مدرسة القاضي الفاضل وما بعدها فإلى تلك الترجمة الموسعة التي يقول فيها الحموي:

(علي بن الهادي المنسكي:

فاضل أديب أريب نجيب جمع من الفضائل والفواضل ما يعجز عن ذكره الناقل، ذو حسب وأدب وشرف ونسب، وحوى من الكمال ما لم يحوه أحد من أمثاله من الطائفة المناسكة، وهم من أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة المشهورين في اليمن بمدينة صبيا، ولما حججت سنة إحدى وثمانين وألف (١٠٨١هـ) اجتمعت به في ثغر جده المحروس وحصل بيني وبينه مودة أكيدة ومراسلات عديدة، فمما كتبته إليه استدعي منه إعارة القاموس في أبيات مطلعها:

أيا عليَّ الرضا ذا المجد والحسب   وزاكي الخلق والأخلاق والنسب

ومنها:

وبعد..لم يبق عندي الدهر من كتب   وما رأيت سوى مولاي من يجب

فابعث لعبدك قاموساً يراجعه   يا أيها السيد المولى على كثب

ومنها:

واسلم ودم راقياً أوج السيادة يا   فريد (صبيا) وفخر السادة العرب

فأجابني بديهة:

وافت صفاتك يا من ساد بالنسب   يا مالكاً لزمام العلم والأدبِ
بك اصبحت طرق العلياء واضحة   من بعد أن درست في سائر الحقبِ
يا مصطفى الاسم والأخلاق من شهدت   له الفضائل بالعُليا من الرتبِ
سألتَ رق الولا ما أنت مالكه   بل هو، وما ملكت يمناه من أدب
في خدمة السيد العالي الجناب ومن   حوى الفضائل من عجم ومن عرب
فهاك بحر علوم فانف درراً   فغصه، واستخرج الشفاف عن كثب
واعذر أخيّ رقيق اللفظ من خصر   ما قط عانى قريضاً منذ كان صبي

ثم لما حججت مرة أخرى سنة إحدى وتسعين وألف (١٠٩١هـ) بلغه وهو بمدينة صبيا وصولي إلى مكة المشرفة فأرسل إليّ كتاباً مشتملاً على أبيات حسنة فقدت مني وهدية جزيلة فأجبته بأبيات في ضمن الكتاب لا تحضرني وطلبت أن يكتب لي ما يتيسر له من أخبار العصرين من أهل اليمن ومن الأئمة وغيرهم من فضلائها وشعرائها لأثبته في مجموعة جمعتها، فكتب إليّ كتاباً مطلعه:

يا صادق العهد القديم ومن له   في طيّ أحشائي وضمن سرائري
ود أكيد لا يكدر وردَهُ   رنق العبادَ ولا تقادمُ غابر
يا أيها البدر الرئيس ومن إذا   ذكر الأفاضل فالختام لذاكرِ
وافى جوابك ضمنه الدر الذي   زان العقود بجيد ظبي نافرِ
وبديعُ لفظ رصعته أنامل   وقريحة جادت بنظم باهرِ
فقرّ يكلُّ معارضٌ إن رامها   إن بات من منشورها بأزاهر
فلقد نعشت الروح يا رب الذكا   يا ريح نفحات النسيم الحاجرِ

أهديت من نشر التحية عـاطراً — من عرف مكة من عظيم مشاعرِ
وذكرت عهداً للتـصابي غالـه — ما غال قيسُ، صريع ابنة عامرِ
جـددت شـوقاً زائـداً لمتـيم — ما زال شخصك منه قيد النـاظر
فالرق للأعتاب رام بـأن يكـن — سطر اليكم كف مـولى ظـاهر
والله أسـألُ أن يقـدر جمعنـا — وأقول يا بشرى بقـرَّة نـاظري
وعليك أضعاف التحية ما شـدا — ورق الحمام بفرع غصن ناضـرِ
لا زلت في أوج العـلا متـسنماً — لذرى المحامد بالمليـك القـادرِ
مترقيـاً قمـم المعـالي مالكـاً — لزمام مكرمـة وفـضل سـائرِ

من رضع أخلاف الأدب والسيادة، وربى في حجر أعلى المراتب والسعادة، وأهل للمحامد وهو بالمهد، ونودي في الأقاليم أنه الفرد، رب خورنقها والسدير، ومملك تاج ولايتها والسرير، من إذا نثر بدّدَ عقد كل ناظم، وإذا نظم عكف عليـه الصادح والحائم، وشهد له بالفضل كل عارف، وانعقد علـى معرفتـه المخـالف والموالف، شيخ الفضلاء المحققين وقدوة العلماء الراسخين:

إمامٌ رست للعلم في بحر صدره — جبال جبال الأرض في جنبها قفر

سيدي المولوي ذو الفضل الباهر: المصطفى بن فتح الله العلم الزاهر، فتح الله في أيامه الغر النواظر، ورقاه أعلى رتب السيادة والمفاخر، إنه الكريم الجواد القادر، وبعد: فقد ورد المنشور الكريم، والمرسوم العالي الفخيم المقابل بواجـب التعظيم، فكان به لذي الرق غاية الحبور، ومزيد البهجة، وعظيم السرور، وقبّلَهُ المولى ألفاً ألفا، وقام على قدميه قيام الملائكة صفّاً صفّا، والله سبحانه يعيد على المالك ضعف تحيته الحسنى، ويجمع بكريم عزمه بجمع ومنى، والحمد لله علـى عافيتكم التي هي المسؤول، وصحتكم غاية المأمول، والمملوك لم يـزل متمـسكاً بذيل الولا، قائماً بوظيفة الدعا للمولى، زاده الله رفعة وعُلا، وما التمس سـيدي من جهة التعريف والنقل لما تيسر لنا من معرفة بسادات اليمن وجمع شيء مـن أقوالهم وتاريخ ولادتهم ووفياتهم ممن هو من أهل العصر لكونكم في جمع تاريخ

لذلك، فلا يخفى على شريف علمكم أنّا بجهة أرض صبيا وهي بعيدة عن المواضع التي بها رؤوساء الزمان من الأئمة الأعيان، ومع البعد لم نتحقق أقوالهم ومواليدهم ووفياتهم، والذين بجهتنا، أفضل من بها سادة أشراف، بيت علم، وفضل، وأدب، يقال لهم: السادة النعميون، والمشهور منهم الآن أهل بيت يقال لهم: (آل محمد بن عيسى وأخيه أحمد بن عيسى).

ثم ساق ذكر جماعة منهم ذكرتهم في محلهم، وكتبت إليه مرةً أبياتاً مطلعها:

فخر الصبا عالي الأكناف من يمن المنسكيّ الذي للخير أولانا
شفا بشعر له، قلباً نما مرضاً من شدة الشوق للأوطان هيمانا

وهي طويلة فأجابني بقوله:

ما قط تفخر إلا بلدة حظيت بسيد ذي علومٍ فاق أقرانا
بالمصطفى، وابن فتح الله من شهدت له الفضائل حقاً حيثما كانا
واليه كنوه فالتيسير صار له في كل ما رام أفضالاً وإحسانا)[1]

وهكذا تفرد العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي فأمتعنا بشيء من شعر ونثر علمنا الأديب علي بن الهادي المنسكي، وإن كان قد فقد بعضه كما أشار الحموي إلى ذلك، فرحم الله (الحموي) وجزاه الله خيراً، ورحم الله (المنسكي) الذي لم تصرفه أعماله التجارية عن الأدب وعن أهله ومحبيه، وعن أعمال البر والإحسان التي لا زال بعضها ماثلاً للعيان حتى يوم الناس هذا.

---

[1] فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر لمصطفى الحموي مخطوط انظر ج٣ الورقات (٢٣٣-٢٣٤).

١٥- العلامة الشاعر: محمد بن أبي بكر بن مطير
(.... - ١٠٨٦هـ):

أحد علماء أسرة آل مطير العلمية الشهيرة الذين جمعوا بين العلم والعمل به، وقد سبقت الإشارة إلى مكانة هذه الأسرة أثناء حديثنا عن العلم السابق (علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير)، وهو أحد أقارب علمنا الذي كان عالماً فاضلاً، وشاعراً مجيداً.

- تحدث عنه (المحبي) في كتابه خلاصة الأثر، وخصه بترجمة ضافية سنأتي على أكثرها، حيث تحدث المحبي عن بعض جوانبه العلمية، وذكر بأن له الأشعار الصالحة ومنها ما هو مشهور، إلا أنه لم يورد له إلا نصاً واحداً من شعره قد نضطر إلى حجب بعض أبياته التي تطغى فيها المبالغات غير المستساغة، مع تحفظي على بعض المصطلحات الصوفية التي اشتمل عليها ذلك النص حتى وإن كانت تعبر عن عصر قائلها وعن بعض الإتجاهات الفكرية السائدة به آنذاك.

- يقول المحبي في ترجمته لعلمنا: (العلامة محمد بن أبي بكر بن مطير، أحد أجلاء علماء اليمن الذين لازموا تقوى الله، وجمعوا بين العلم والعمل، وتحروا في تحقيق مسائل العلم، واشتهر ذكرهم شهرة القمرين، وجمعوا بين الشرفين، أخذ عن والده، وعمه عبد الله بن إبراهيم وغيرهما حتى برع واشتهر وألف وصنف، وله من الأشعار الصالحة ما هو مشهور ومن ذلك قوله مادحاً لأحد علماء آل الحشيبر:

مالِيْ أراكَ كثيرَ الهمِّ والحزن؟	ولَهَان، من شِدَّة الأهوال والمحن
وذاهلاً، هائماً، والقلب منك غدا	خالٍ، من العقل، والتدبير في الزمن
وسرت تقفو بعيد الدار عن وهنٍ	والقوم قد أدلجوا والله بالرَسَن
كانت مضاجعهم بالليل عن جنب	لا يسئمون خطاب الله في الدجن

إلى أن قال:

إن العناية في علم لهم سبقت	من الإله على التقدير بالحسن
آل (الحشيبر) من عدنان إنهمُ	نجوم أهل الثرى للعارف الفطن

باالله يـا نـسله كونـوا علـى نهـج — من الشريعة والتقوى مـدى الـزمن
إنـا لجيـرانكم والجـار حرمتـه — قديمة ذُكـرت فـي الـذكر والـسُّنن
أرعوا لنـا ذممـاً كانـت لنـا قـدما — من أجل سالفنا فـي سـالف الـزمن
آل (المطير) لهم فـي حقكـم نجـم — أهيل علم سـموا فـي أرفـع القـنن
بالعلم والدين والتحقيـق مـا برحـوا — في خدمة الشرع والأديـان والـسنن
وعنـدكم سـيدي عقـد لـسالفنا — علـى الأمانـة أدّوه لكـل بنـي
ونحـن أبنـاؤكم، والكـل يطلـبكم — ما عندكم من عظيم الفـضل والمـنن
من كان في سوحكم من كل ذي نفس — فحقه واجـب، فـاحموه مـن عطـن
وسامحوه على ما كـان مـن خطـأ — فبحركم واسـع والكـل لـيس غنـي
عن منتهى جودكم فـي كـل حادثـة — فـالله أولاكـمُ مـن كـل ذي حـسن
ثم الصلاة على المختار مـن مـضر — محمد المصطفى المبعوث من عدن[1]

والقصيدة طويلة تتجاوز أبياتها الأربعين بيتاً حشد فيها الـشاعر بعـض مصطلحات الصوفية والمتصوفين، وقد تحاشينا ذكر بعض أبياته التي يصل فيهـا الإغراق في تلك المصطلحات إلى درجة غير مستساغة في عصرنا، ولعل قـارئ ما اخترناه من هذا النص الجميل يلمس مقدرة الشاعر اللغويـة ويـدرك مـدى اعتزازه بأسرته العلمية (آل مطير) حتى وهو يتحسر على حالها وما آلت إليـه من مآل.

– أما المؤرخ مصطفى الحموي فقد تحدث عنه حديثاً موسعاً لعلنا نختار منه ما يلي حيث يقول: (العلامة محمد بن أبي بكر الحكمي أحد أجـلاء علمـاء اليمن الذين لازموا تقوى الله في السر والعلن وجمعوا بين العلم والعمل، واشتهر ذكرهم شهرة القمرين......، أخذ عن والده وعن عمه عبد الله وغيرهمـا حتـى برع واشتهر عند البدو والحضر، وألف وصنف، وسبق وما تخلف.......،) إلى أن قال: (توفي ثالث عشر شوال سنة ستٍ وثلاثين بعد الألف بمدينة الزيدية في

---

(1) خلاصة الأثر للمحبي ج٣ ص٣٣٤ – ٣٣٦.

اليمن، وله من الأشعار الصالحة ما هو مشهور منها:) ثم أورد النص الذي ذكره المحبي في خلاصة الأثر مع إضافة بيتين فقط سقطا عند المحبي وبذلك أصبح عدد أبيات هذه القصيدة اثنين وأربعين بيتاً تعج بالمصطلحات الصوفية التي كانت مرعية لدى بعض شعراء تلك الفترة والبيتان هما:

أمن فراق أناسٍ كنتَ تصحبهم | في الدين كانوا كمثل الطود في السكن
وعلمهم طافحٌ بل كان شغلهُمُ | حب الإله مع التمكين في المؤنِ)[1]

ولا نملك في ختام هذه النبذة الموجزة عن هذا الشاعر وشعره إلا أن ندعو الله بأن يهيئ لنا المصادر فيما نستقبل من الأيام التي تمدنا بمعلومات وفيرة عن هذا العلامة الشاعر وعن شعره. رحم الله علمنا الشاعر العلامة محمد بن أبي بكر بن مطير الذي يذكر كل من (المحبي) و (الحموي) بأن له من الأشعار الصالحة ما هو مشهور، كما ذكرا بأن وفاته كانت في الثالث عشر من شوال سنة ست وثمانين وألف[2].

---

[1] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج١ الورقة ٥٦.

[2] خلاصة الأثر. ج٣ ص٣٣٤-٣٣٦.

١٦- العلامة الشاعر: محمد بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن الحسني النعمي (١٠٢٦-١٠٧٩هـ):

عالم كبير، وأديب شهير، وشاعر بارز من أصحاب الدواوين الشعرية، جمع شعره ابن أخيه: أحمد بن الحسن بن علي بن حفظ الله النعمي كما يقول الحموي في مخطوطته: (فوائد الارتحال) رواية عن الأديب علي الهادي المنسكي الذي يذكر الحموي بأنه كاتبه بذلك [1]، ونقل لنا منه (المحبي) في خلاصته نماذج جيدة وشاركه في نقل بعضها (الشلي) في كتابه: عقد الجواهر والدرر، حيث اختار درراً من شعر علمنا النعمي.

وشعر (علمنا): محمد بن علي النعمي كما وصفه العلامة المحبي: (من الشعر الرايق) [2]؛ فألفاظ شعره رشيقة، وعباراته أنيقة، وحاشيته رقيقة، وبخاصة في الغزل الذي نجد فيه بعض المعاني المبتكرة، وله فيه بعض الصور الشعرية المعبرة الجميلة.

- ينتمي شاعرنا إلى أسرة (آل النعمي) وهي أسرة العلم والعلماء، والأدب والأدباء، والشعر والشعراء الذين تعطرت بسيرهم ذاكرة الأيام، فقد اشتهر في كل عصر منهم عدد كبير من العلماء الأعلام، والشعراء العظام، وفي عصر (علمنا) برزت من أسرته كوكبة علمية وشعرية فأخوه العلامة الشاعر: الحسن بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن النعمي (١٠٢٩-١٠٧٩هـ) وابن أخيه العلامة الشاعر: أحمد بن الحسن بن علي بن حفظ الله النعمي الذي جمع ديوان (علمنا)، إلى جانب من وقع عليهم اختيارنا من آل النعمي فتحدثنا عنهم في هذه الورقات ضمن أعلام القرن الحادي عشر ومنهم: العلامة الشاعر: حسن بن علي بن حسن النعمي (.... - ١٠٦٣هـ) والعلامة الشاعر: علي بن الحسن بن محمد

---

[1] انظر: (مخطوطة) فوائد الارتحال ج٣ الورقة ٢١٤، وقد ترجمه الحموي ترجمة موسعة في الجزء الأول من مخطوطته هذه انظر الورقات ١٩٥-١٩٦.

[2] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (للمحبي) ج٤ ص٥٧.

الحسني النعمي (٩٨٤-١٠٦٧هـ) والعلامة الشاعر: عز الدين بن علي النعمي (١٠٣٢-١٠٩٠هـ) وغيرهم من الأعلام الكثيرين الذين احتشد بهم هذا القرن مثل بقية القرون وتعطرت بسيرهم وشعرهم أمهات كتب التراجم، وبالجملة فشاعرنا (محمد بن علي النعمي) من بيت علم وأدب، وعلم وصلاح..

- ترجم لطمنا عدد من أصحاب كتب التراجم وفي مقدمتهم العلامة: (المحبي) في كتابه: (خلاصة الأثر)، وترجم له محمد بن أبي بكر الشلي في كتابه: (عقد الجواهر والدرر)، وأشار إليه محمد محمد زباره في (ملحق البدر الطالع) [1]، كما أشار إليه عبد الله أبو داهش في كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما) وكلهم أورد له شيئاً من شعره، وإن كان الحموي و المحبي قد أمتعانا بذكر نماذج شعرية جيدة له توسعا في بعضها.

- قال عنه الشلي: (محمد بن علي بن عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عيسى النعمي، كان فاضلاً أديباً شاعراً مفلقاً، ولد سنة (١٠٢٦هـ) كان جمال العلماء، وتاج الحكماء، سيداً جليلاً وأديباً نبيلاً، توفي سنة (١٠٧٩) بمدينة صبيا) [2]. ثم أفاض في ترجمة النعمي قليلاً واختار من شعره نماذج مختلفة [3].

- وأشار العلامة محمد محمد زبارة إلى مشاركة شاعرنا (محمد بن علي النعمي) في رثاء قريبيه العلامتين: علي بن حسن بن عقيل النعمي الذي توفي في أثناء رجوعه من الحج ووالده حسن النعمي الذي توفاه الله حزناً على ابنه الوحيد وأثبت زباره جزءاً من قصيدة النعمي في رثائهما ومطلعها:

صدم الدهر طود مجد أثيل ووهى الدين بالمصاب الجليل [4]

---

[1] ملحق البدر الطالع ج٢ ص١٦٣.

[2] عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر لمحمد بن أبي بكر الشلي ص٣٣٠.

[3] المصدر السابق صفحتي ٣٣٠ ، ٣٣١ .

[4] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ج٢ ص١٦٣.

- كما أشار إلى علمنا النعمي صاحب كتاب: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما) فقال: (أما الشاعر محمد بن علي النعمي فقد أسهم بقصيدةٍ في رثاء السيد العلامة علي بن حسن بن عقيل النعمي ووالده إثر وفاتهما) ثم أورد أربعة أبيات من قصيدة محمد بن علي النعمي في رثائهما .. وختم ذلك بالتعليق على تلك الأبيات وعدها تمثل مكانة أدبية خاصة عبر من خلالها الشاعر محمد بن علي النعمي عن مشاعره وصوَّر أحاسيسه الذاتية...)[1].ولعل العلامة مصطفى الحموي هو صاحب السبق - فيما أظن - إلى ترجمة علمنا (محمد بن علي النعمي) ليس فقط لتشابه ألفاظ ترجمته مع ما جاء في خلاصة الأثر للمحبي وما في عقد الجواهر والدرر للشلي برغم ما ورد لديهما من نصوص هي أكثر في عدد أبياتها مما ورد عند الحموي ولكن لما ذكره الحموي في مقدمة ترجمته لعلمنا والتي قال فيها: (وتاريخ ولادة محمد بن علي بن حفظ الله النعمي- فيما كتبه إليَّ صاحبنا علي الهادي المنسكي- سنة ست وعشرين وألف)، والمنسكي الذي كاتب الحموي من أكثرهم قرباً من علمنا النعمي ومن آل النعمي؛ لذلك نجد الحموي في ترجمته هذه قد أفاض على النعمي بنعوت أدبية كثيرة ومنها وصفه بأنه:(شاعر مفلق، وناظم وناثر،عالم فاضل)[2]. ثم ذكر له بعض النصوص التي اشترك معه في ذكرها: الشلي والمحبي.

- أما العلامة (المحبي) فقد ترجم لعلمنا محمد بن علي النعمي ترجمة ضافية جاء فيها: (العلامة السيد محمد بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عيسى الحسني النعمي، وتقدم ذكر بقية النسب في ترجمة أخيه (حسن بن علي بن حفظ الله النعمي)[3] .. كان السيد محمد بن علي النعمي المذكور جمال العلماء، وتاج الحكماء، سيداً جليلاً، وأديباً نبيلاً، علم المعاني

---

(1) بتصرف عن كتاب: (أهل تهامة المخلاف السليماني..... لعبد الله أبي داهش ص٣١٤ ، ٣١٥.

(2) فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ٢١٣، ٢١٤.

(3) انظر ترجمته في الجزء الثاني من خلاصة الأثر للمحبي ص٣٦ ، ٣٨.

الحسان، والناسخ من وشي البلاغة ما يقصر عنه بديع الزمان، وله الشعر الرايق، والنثر الفائق).

ثم انتقل بعد هذه العبارات الجميلة التي دبَّج بها ترجمة (علمنا) إلى اختيار نماذج من شعره توسع فيها على غير العادة فجاءت تمثل معظم الأغراض الشعرية التي غمس فيها شاعرنا ريشته الصناع، وتؤكد بأن هذا الشاعر محظوظ؛ حين اهتم الحموي والمحبي بشعره كل هذا الاهتمام - ربما - (لأنه توفر له ديوان شعري جمعه ابن أخيه أحمد بن الحسن بن علي بن حفظ الله النعمي) [1].

وسنبدأ اختياراتنا بقصيدة غزلية رقيقة بدأها شاعرنا النعمي بالوقوف على الأطلال كعادة بعض شعراء العربية ثم التفت إلى المحبوبة فأسبغ عليها من النعوت السائدة في عصره، وظل يمني النفس بوصلها المتعسر، وختم قصيدته باعترافات أكد فيها على معاناة المحبين ووقوعهم في أسر ذل الحب وأدواء السقام التي تصيب بعض المحبين تلك الأدواء التي يعجز عنها كل دواء .. كما يقول شاعرنا محمد بن علي النعمي:

من لقلب مزاجه الأهواء	وعيونٍ أودى بهن البكاء
لشجيّ، مُتَيَّم، مستهامٍ	عمَّهُ النوح دائماً والأساء
يا خليليّ بالبكا ساعداني	في عراصٍ ربوعهنّ خلاء
دار ليلى ودار نعمٍ وهند	وديار تحلها أسماءُ
وقفا بي هديتما لو فواقاً	فوقوفي على الطلول شفاءُ
أيها الرسم هل تجيب سؤالاً	لمشوق أودت به البرحاءُ
كاتياً عن وداد ليلى بهندٍ	وبنعمٍ، وشوقه أسماءُ
وكذا كل مولع بحبيب	يَتَكَنَّى، وهل تفيد الكُناءُ
بح غراماً، إن كنت حلس وداد	وقل اللوم في الحسان هذاءُ

---

[1] فوائد الارتحال (مخطوط) للحموي ج٣ الورقة ٢١٤.

أنا حلف الغرام في كل حين ... وفؤادي من السلوّ هواءُ
كلما أزْمَعَ الفؤاد سلواً ... ذكرتني وهنانةٌ هيفاءُ
ذات قدٍّ كأنه غصن بانٍ ... جلّلته غمامة سوداءُ
وعيونٍ فواترٍ ساجياتٍ ... رسل الموت بينها كَمّنَاءُ
قائلاتٍ لمن تمنى لقاها ... لا بقاءً، مع اللقا، لا بقاءُ
وقدودٍ بميلها تتثنى ... ظامياتٍ، أكفالهن رواءُ
يُطمِعُ الصبُّ لينها بلقاها ... وهي للصب صخرة صماءُ
لم أنلها بالعين إلا اختلاسا ... ردَّ عيني عن الصفات الضياءُ
وعداني عن ازدياري حماها ... رقباها، وصدها الرقباءُ
فتراني أهوى الممات طماعاً ... لازدياري منها ويئس الرجاءُ
أو أرجي يوم النشور لقاها ... وكثير من الرجاء هباءُ
إنما الحب ذلة وغرور ... وسقام يكل عنه الدواء (١)

وغير خافٍ ما اشتملت عليه هذه الأبيات من اضطرام لهيب الأشواق التي أجّجتها نيران الحنين؛ فالشاعر لا يجد حرجاً من البوح بغرامه لأنه: (حلف الغرام) (وفؤاده من السلوّ هواء) وهو يعترف في نهاية المطاف بأن الحب يقود إلى المذلة والسقام والغرور: (إنما الحُبّ ذلة وغرور، وسقام ....).

لذلك فقد بلغ الأمر به إلى تمني الموت لِيجد فيه الخلاص من تلك المعاناة: (فتراني أهوى الممات طماعاً) ولعله تمنى الموت ليستوهبِ من محبوبه الحياة الهانئة على أن ذلك كثير على علمنا وإن كان للشعراء أن (يقولوا مالا يفعلون).

وفي المديح نقرأ لعلمنا النعمي النص التالي وإن لم يذكر لنا المحبي اسم ممدوحه ولا مناسبة ذلك ومثله فعل صاحب كتاب (عقد الجواهر والدرر) الذي

---

(١) خلاصة الأثر، للمحبي ج٤ ص٥٧، ٥٨. وانظر الورقات ٢١٣، ٢١٤ في ج٣ من مخطوطة فوائد الارتحال للحموي.

أورد منه ثلاثة أبيات فقط [1] من أبيات النسيب ولم يصل إلى بيت التخلص الـذي توجه فيه الشاعر إلى ممدوحه قائلاً:

وإليك يـا سـبط المكـارم حلـوة   عـذرا تـضوّع عنبـراً للناشـق

كما أنه لم يذكر مناسبة النص ولا غرضه، والنص كما سنرى يبدأ بغزل رقيق على عادة شعراء عصره وعصور سابقيه حيث يثني فيه الشاعر علـى وصـال الحبيب الذي جاد به بعد تَأَبٍّ وشُحٍّ وصدودٍ، ويصف لحظات اللقاء وظروفها وما رافقها من ضم وعناق أنعم به ذلك الشادن الغنج الذي ملك عليـه فـؤاده بدلـه ودلاله ويستمر في ذكر بعض تفاصيل ذلك اللقاء حتى يصل إلى الممدوح الذي لم يسمه وكان نصيبه الثلاثة الأبيات الأخيرة من هذا النص الجميل الذي يقول فيـه شاعرنا محمد بن علي النعمي:

سمحت بوصل المـستهام العاشـق   هيفـاء خـصت بالجمـال الفـائق
بيضاء صـامتة الموشـح طفلـة   تزري القضيب بلـين قـدٍّ باسـق
من بعد ما شحت بطيـب وصـالها   نحوي ولم تـسمح بطيـف طـارق
وافت، وثوب الليل أسـود حالـك   في ثوب عاشـقها وزي الـسارق
باتت ذوائبهـا الحـسان قلائـدي   وموسـدي نعـم الـذراع الرائـق
نشكو الجوى ونبث سـرّ غرامنـا   في غفلـة الرقبـا ونـوم الرامـق
لله مـن وصـل هنالـك نلتـه   في جـنح ليـل غيهبـي غاسـق
فـي ليلـة ظلمـا كـأن نجومهـا   فـي لـج بحـر أوثقـت بوثـائق
من شادن غـنج أغـن مهفهـف   أحوى العيون، بديع صنع الخـالق
ملـك الفـؤاد بدلـه، ودَلالـه   فجـوانحي كجنـاح طيـر خـافق
تـالله لا أنـساه ليلـة قـال لـي   لا تنس منـي محـض ودٍّ صـادق
وأسأل فؤادك عـن فـؤادي إنـه   ينبيك عمـا جـن قلـب الوامـق

---

[1] عقد الجواهر والدرر لمحمد أبي بكر الشلي ص٣٣١.

وإليك يا سبط المكارم حلوة ... عذرا، تضوع عنبراً للناشق
ألقت إليك زمامها منقادة ... وتبرزت نحو اللبيب الحاذق
فاجعل إجازتها الجواب فإنه ... طب الفؤاد المستهام العالق [1]

والقصيدة – كما رأينا – لا تخلو من ومضات شعرية أخاذة كتشبيه سواد الليل الذي وافت فيه المحبوبة، بسواد جسم عاشقها من شدة آلام الوجد ولم يكتف بهذه الصورة المعنوية حتى أردفها بصورة حسية هي: (زيّ السارق) المتخفي، وكتشبيه خفقان جوانحه سروراً وطرباً بلقاء الحبيب بخفقان جناحي طير محلق يخفق جناحاه طرباً، وإن كانت الصورة الأخيرة قد أضعفها قوله: (واسأل فؤادك عن فؤادي.......) لتقليديتها ومباشرتها كما ترى.

وفي الرثاء نقرأ لشاعرنا محمد بن علي النعمي من قصيدة رثى بها السيد العلامة علي بن حسن بن عقيل النعمي الذي توفي أثناء رجوعه من الحج وحين علم والده العلامة: حسن النعمي بذلك الحدث الجسيم انفطر قلبه حزناً وفجيعة على وحيده ثم مات بعده بعشرين يوماً [2] والوالد وابنه كلاهما تولى القضاء بصبيا فرثاهما قريبهما الشاعر محمد بن علي النعمي بقصيدة طويلة مطلعها: [3]

صدم الدهر طود مجد أثيل ... ووهى الدين بالمصاب الجليل
ونجوم الهدى هوت وأغيضت ... أبحر الجود بعد نجلي عقيل
قمري أفقها، وطودي علاها [4] ... وعمودي نوالها المأمول
جبلي أمنها إذا ناب خطب ... وجمال الورى لحمل الثقيل

---

[1] ينظر خلاصة الأثر، للمحبي ج٤ ص٥٨، وانظر: كتاب الأدب اليمني لعبد الله الحبشي ص٢٢٧، طبع الدار اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء ١٤٠٦هـ.

[2] ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ج٢ ص١٦٣، وانظر عقد الجواهر والدرر ص٣١٣.

[3] المصدر والصفحات السابقة.

[4] (علاها) هكذا وردت في كتابي ملحق البدر الطالع لزباره، وأهل تهامة المخلاف السليماني لأبي داهش ص٣١٤، أما كتاب: عقد الجواهر والدرر فقد أتت كلمة: (هداها) بدلاً عن كلمة (علاها).

وســـلام علـــى ضـــريحين ضـــما نخوة الملتجي وكهــف النزيــل [1]

ويلاحظ بأن الشطر الأول في البيت الرابع قد جاء بروايتين أثبت الأولى منها: (زباره) والرواية الثانية أثبتها (الشلّي) ولعله في هذه القصيدة التي قال عنها صاحب (عقد الجواهر والدرر) بأنها طويلة ولم ينقل لنا منها سوى أربعة أبيات لعل الشاعر قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره وما ألم به من حزنٍ شديد على فقــد هذين العلمين البارزين كما عبر عن مشاعر وأحاسيس مجتمعه الذي عمه الحزن والأسى لفقدهما وما خلفاه من فراغ وثلمــة يــصعب تجاوزهــا إلا بتوفيــق الله ورحمته.

وقبل أن نعود إلى شعر الغزل وذكر ما نقله لنا (المحبي) من شــعر علمنــا (النعمي) في الغزل سنورد نموذجاً من شعره الذي أثبته له: (المحبي) في المدح كما أثبته له: (الشلي) كذلك مع أن ما أثبتاه يمثل اختياراً من تلك القصيدة التي مدح بها الإمام محمد بن الحسن بن الإمام القاسم [*]حيث يقول شاعرنا محمد بن علي النعمي فيها:

سقى المنحنى صوب من المزن هاطــل وسحت على كثــب العقيــق المــسائل
فألبــسها مــن حلــة النبــت سندســاً ومــاس غــضاها تزدهيــه الغلائــل
منــازل أنـــس للأوانـــس حبـــذا لدى الصب هاتيــك الربــا والمنــازل
وملعـــب غـــزلان ومـــسرح ربـــرب وما الدار؟ شجو الصب لولا الأواهــل
فيا من لــصب تيمــت قلبــه النــوى وجار الهوى فيه، وما البــين عــادل
تحامتـــه أحـــداث الزمـــان لأنـــه بأكناف عــز الــدين، والملــك نــازل
ومـــا اشـــتبهت يومـــاً لديـــه قـــضية مـــن الأمـــر إلا ظافرتـــه الـــدلائل
ولـــم ينـــأ جبـــار عليـــه بجانـــب مـــن الأمـــر إلا قربتـــه الـــصواهل

---

[1] المصدر السابق.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٢٨٥.

تلاقي العطايا والنوائب والوغى (ووجهك وضاح وكفك باذل) [1]
لذلك لا يلفى ببرك سائل وكيف يلاقي حضرنا وهو سائل
وحسبي من التفصيل ما أنت أهله وفي النيل للمرتاد شرب ونائل
ودمت لهم بل للبرية عن يد وعلمك مأهول، ومالك راحل [2]

وإذا كان صاحب كتاب: (عقد الجواهر والدرر) قد اختار من هذه القصيدة تسعة أبيات فقط فإن صاحب: (خلاصة الأثر) قد أثبت منها أحد عشر بيتاً ومع ذلك فإن القارئ لهذه الأبيات التي أثبتاها من هذه القصيدة يدرك تقطع أنفاسها باختلاف مقاطعها، ففي الخمسة الأبيات الأولى نسيب مازالت عواطف صاحبه متأججة، وحنينه لاهثاً، لم يُبَرِّد لوعته ولم يَقض لباناته حيث ينتقل بنا البيت الخامس والسادس ليضعانا في رحاب الممدوح في انتقال فُجائي يفتقر إلى السلاسة وحسن التخلص، ثم جاءت بقية الأبيات مديحاً متقطع الأنفاس والأفكار والموضوعات ومع كل ذلك فقد منحتنا هذه الأبيات المختارة صورة لا بأس بها لشعر المديح لدى الشاعر وعصره.. وأبرزت بعض القيم التي يبحث عنها الشاعر لدى ممدوحيه، وإن كان البيت الذي قبل الأخير قد رغب عن التفصيل في ذكر محامد الممدوح:

(وحسبي من التفصيل ما أنت أهله)

ولعلنا نختم اختياراتنا من شعر (علمنا) محمد بن علي النعمي بمقطوعة غزلية قصيرة ربما كانت جزءاً من مقدمة قصيدة لعلمنا النعمي في المديح، ثم

---

[1] في الشطر الثاني من هذا البيت يبدو تأثر الشاعر بقول المتنبي وهو يمدح سيف الدولة الحمداني حين خاطبه قائلاً:

وَقَفتَ وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وفي الشطر الأخير من البيت الثاني يبدو التناص واضحاً.

[2] خلاصة الأثر للمحبي ج٤ ص٥٩، وعقد الجواهر والدرر للشلي ص٣٣٠ ، ٣٣١ .

نُردفها بقصيدة غزلية مما أثبته له (المحبي) من اختياراته الجميلة التي كـادت أن تأتي على معظم الأغراض التي نظم فيها شاعرنا (النعمي...).

أما المقطوعة الشعرية القصيرة التي سننقلها هنا ففيها يقول شاعرنا النعمي:

تيمَّتني ذات الخدود الرهاف ... وبرتني ذات القدود اللطاف
طفلة تفضح القضيب قواماً ... تسبل الليل فوق رمل الحقاف
صوَّر الله شخصها من ضياءٍ ... ولجين، ولؤلؤ الأصداف
أعلى من هوى لتلك ملام؟ ... لا. وربِّ (الحديد) و (الأحقاف)[1]

وعلى قصر هذه المقطوعة إلا أنها قد رسمت صورة متيمته وبعض تفاصيل جمالها وحسنها بدءاً من قوامها إلى صفاء لونها إلى وصف عجيزتها وكذلك شعرها ورهافة خدودها.... الخ.

أما قصيدته الغزلية الأخيرة التي سأختم بمختارات منها فقد ذكرها: (المحبي) في خلاصته، وقبله ذكرها الحموي في كتابه المخطوط: فوائد الارتحال وهي – كما يظهر لي – خالصة لوجه الغزل؛ فقد جاءت بوصف محاسن المحبوبة المبالغ فيها وفي تقليديتها، فالمحبوبة (ذات فرع كأنه جنح ليل) (وجبين يحكي ضياء الهلال) (وسواج ينفثن سحراً مبينا) ومع ذلك فهي لم تخل من إلماعات فنية تؤكد تمكن شاعرنا من إجادة الصياغة، وحسن اختيار صوره، وجمال لغته كما سنرى، يقول النعمي في هذه القصيدة:

تيمتني بجيدها والدلال ... وأباحت دمي بغير قتال
ذات فرع كأنه جنح ليل ... وجبين يحكي ضياء الهلال
وسواج ينفثن سحراً مبيناً ... وهي للعاشقين أيّ نبال
ولها الحاجب الأزجّ قسيّ ... إن قتلي ما بين تلك النصال
غَضَّةٌ، بضة رداح شموع ... برزت في صفاتها والخصال

---

[1] خلاصة الأثر ج٤ ص٦٠.

تسلب الخشف جيده ورناه   وتضاهي في الأفق بدر الكمال
جل من خصها بحسن بديع   وبراها شخصاً بغير مثال
روضة للعيون بين رياض   عللت بالمجلجل الهطال
عذل العاذلون لي عن هواها   ليس يصغى سمعي إلى العذال
لست أنسى منها لياليَ ودٌ   إن لله درَّها من ليالي
يوم أعطتنيَ الوداد دهاقاً   وسقتني من ثغرها السلسالي
من شنيب، كأنه عقد درٌ   شيب بالخمر والمعين الزلال
في خلاء عن الرقيب، وواشٍ   ساعدي فرشها، وفرش الدلال
فلئن أسعدت على الوصل غيري   وحمتني اللقا وطيب الخيال
فلكم فزت باللقاء قديماً   في ليبلاتنا القدام الخوالي
فمن المبلغ السلام إليها   من كئيب حذته حذو النعال
وأذابته بالصدود، وخلت   مدمعيه تفيض فيض السجال
وعليكم أحباب قلبي سلام   كل يوم، ما مال فيء الظلال
أو تذكرت وصلكم فشجاني   أو سفحت الدموع في الأطلال [1]

وبعد: فإن قارئ هذه النماذج المتنوعة من شعر محمد بن علي النعمي سيقرأ من خلالها شعر المرحلة التي يمثلها الشاعر النعمي، بل سيقرأ فكر المرحلة في ثنايا ذلك الشعر وسيجد فيه المهتمون بالجوانب الاجتماعية جوانب مهمة .... وقبل كل هذا وذلك سيستمتع فيه القارئ بشعر صافي المورد ينضح بعبق الماضي الجميل، فرحم الله شاعرنا النعمي ورحم الله الحموي والمحبي والشلّي، ورحم الله قبلهم (العلامة على الهادي المنسكي) الذي كان له بشعر علمنا وبشعراء أسرة آل النعمي مزيد اختصاص.

---

[1] المصدر نفسه ص٥٩ ، ٦٠؛ وانظر الورقة: ٢١٤ من مخطوطة فوائد الارتحال للحموي.

١٧- العلامة الشاعر: محمد بن عيسى الظفاري

(....-١٠٢٧هـ):

أحد علماء و شعراء المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري والربع الأول من القرن الحادي عشر، تتلمذ أولاً على والده العلامة عيسى بن يوسف الظفاري (... - ٩٥٦هـ) الذي كان أحد العلماء البارزين في زمنه، حيث كان يفتي، ويدرّس بمسجد الصدر في أبي عريش، وهو إلى جانب علمه وفضله كان رجلاً صالحاً يسعى لإصلاح ذات البين بين الناس وكانت شفاعته ووساطته محل قبول ورضى من حوله [١].

أما ابنه علمنا: محمد بن عيسى بن يوسف الظفاري: فقد كان شاعراً من الشعراء البارزين في عصره، مدح ملوك وأعيان عصره في الجزيرة العربية، ورثى كثيراً من أعلامها وعلمائها وإن لم يصل إلينا حتى الآن من شعره سوى قصيدة طويلة واحدة ومقطوعة قصيرة واحدة فأما قصيدته فهي التي رثى بها علامة ومفتي المخلاف السليماني في عصره العلامة: عمر بن عبد القادر بن محمد بن صديق الحكمي (٩٥٣-٩٩٩هـ) ومطلعها:

من لكشف المسائل المشكلات … أو لصرف النوازل المعضلات

تلك القصيدة التي بلغت أبياتها ستة وسبعين بيتاً - كما أثبتها عبد الله بن علي النعمان [٢] في أحد فصول كتابه التوثيقي الموسوعي المعروف باسم: (العقيق اليماني بذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) مع أنه حين تحدث عن علمنا ترجم له ترجمة موجزة لم يحدثنا فيها عن تاريخ ولادته ولا عن نشأته ولا عن حياته إلا أن بعض ما وجد من شعر علمنا (الظفاري) قد أكد على شاعريته وذيوع صيته وانتشار شعره بين معاصريه.

---

[١] العقيق اليماني الورقة ٢٠٢.

[٢] المصدر السابق ٣٣٠ ، ٣٣٣، وانظر الورقة ٣٤٦ من المصدر نفسه.

ومما قاله النعمان في ترجمته لعلمنا الظفاري: (وفي السنة السابعة والعشرين بعد الألف توفي الفقيه الأديب العلامة الفاضل الأريب الفصيح المصقع المفلق الذي لا يجارى في مضمار ولا يشق له غبار جمال الدين محمد بن عيسى الظفاري العريشي الأصل، الصبياني الدار والوفاة كان شاعراً مداحاً، مدح ملوك الشحر والأتراك وأشراف مكة وأكثر الرؤساء وغيرهم) [1]. وشاعر بهذه المثابة شرق بشعره وغرب لابد أن يكون لديه شعر كثير ربما كون ديواناً شعرياً كبيراً إلا أننا لم نظفر من شعره ذلك الذي مدح به (ملوك الشحر والأتراك، وأشراف مكة وعلماء ورؤساء المخلاف السليماني) كما ذكر النعمان بشيء حتى الآن عدى قصيدته التي أشرنا إليها قبل قليل والتي رثى بها شيخه: (عمر ابن عبد القادر الحكمي).

- أما محمد بن أحمد العقيلي فقد ترجم لعلمنا الظفاري ترجمة ضافية واعتبره شاعر المخلاف السليماني في عصره، ومما قاله عنه: (محمد بن عيسى الظفاري المتوفى سنة: ١٠٢٧هـ شاعر مرموق من شعراء المخلاف السليماني - منطقة جازان - ولد بمدينة أبي عريش في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري، وتلقى مبادئ الفقه والنحو على والده الفقيه عيسى الظفاري ثم أتم تحصيله في مدرسة المفتي الشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي، كما درس الأدب وتوسع في العربية على الأديب النحوي محمد بن عبد القادر المحلوي، وبعد ذلك تفرغ للشعر والأدب، وانتقل إلى مدينة صبيا فكان الشاعر الأول في المنطقة، وكعادة شعراء عصره ومن قبلهم أخذ في التكسب بشعره ما بين الحجاز وحضرموت فمدح:

- علماء ووجهاء المخلاف السليماني.
- وأمراء الأتراك.
- وأمراء الحجاز.

---

[1] المصدر السابق الورقة (٣٥٨).

- وأمراء الشحر - ساحل حضرموت - .

إن شاعراً استقطب إعجاب أمراء عصره واستهوى بفنه أدباء وقته لهو جدير بأن يطلق عليه اسم شاعر المخلاف السليماني) [1] وقد أورد قصيدته في رثاء العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي شبه كاملة في كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) واختار منها مقاطع في كتابه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) إلى جانب قصيدة رثائية أخرى في الشيخ صديق بن علي الحكمي نسبها العقيلي للظفاري وذكر أن مصدرها هو كتاب: (العقيق اليماني ....)[2] وحين عدت إليه وجدته لا ينسب تلك القصيدة إلى شاعر بعينه وإنما قال النعمان: (وقد رثاه بعضهم بقصيدة وبناها على الجناس فقال) : ثم أورد تلك القصيدة ومطلعها: .

أبا قاسم إني أسيف لفقدكم أبارح في الأغصان كل حمام

- أما عبد الله أبو داهش فقد أشار إلى قصيدة محمد بن عيسى الظفاري في رثاء شيخه عمر بن عبد القادر الحكمي ذات المطلع:

من لكشف المسائل المشكلات أو لصرف النوازل المعضلات

ثم نقل عن العقيلي القصيدة التي قيلت في رثاء الشيخ صديق بن علي الحكمي والتي أشرنا إلى عدم صحة نسبتها للظفاري وقد ظنها أبو داهش من شعر الظفاري الذي رثى به العلامة الحكمي وأورد منها ستة أبيات أصدر من خلالها حكماً نقدياً على الشاعر الظفاري ومطلع القصيدة:

أبا قاسم إني أسيف لفقدكم أناوح في الأغصان كل حمام

---

(1) أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي ص١٨ ، ١٩ ، وانظر كتابه: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٧٤.

(2) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٧٤-٢٧٧ و ص٢٧٨ ، ٢٧٩.

حيث قال في ختامها: (ويلاحظ أن هذا الشاعر قد عمد إلى التكلف الأسلوبي والعمل البديعي إذ ماثل بين أحرف قوافي قصيدته عبر أبياته جميعها، فتراه يعمد إلى التورية والجناس التام في كل قافيتين متتاليتين وفق حرف روي واحد) [1] أما كاتب هذه السطور فإنه يشك في نسبة هذه القصيدة للشاعر الظفاري وذلك لاختلاف أسلوبها عن أسلوب الظفاري ولأن صاحب العقيق اليماني لم ينسبها إلى الظفاري – كما أشرنا – وإنما قال في سياق ذكرها بعد ثناء عاطر على العلامة (صديق الحكمي) (وقد رثاه بعضهم بقصيدة وبناها على الجناس) ثم أورد تلك القصيدة التي مطلعها سبقت الإشارة إليه.

فمن هو (بعضهم؟؟) هل هو المؤلف النعمان نفسه الذي رثا العلامة صديق الحكمي أم شاعر آخر؟ ربما كان المؤرخ النعمان هو صاحب هذا الرثاء، وأشدد على (ربما) لأنه بعد أن ختم هذه القصيدة أتى بقصيدة أخرى مُدح بها صديق الحكمي في حياته وذكر بأنها من شعر العلامة أحمد بن المقبول الأسدي ومطلعها:

يا بارقاً شوقني برقه	يلمع ما في لمعه تبطيه

ثم عاد المؤرخ النعمان للثناء على العلامة (صديق الحكمي) وذكر بعض مناقبه وختم ذلك الثناء المستحق بمقطع يمثل خمسة أبيات من قصيدة في رثائه نسبها النعمان لعلمنا محمد بن عيسى الظفاري وهي غير تلك القصيدة التي لم يذكر النعمان اسم قائلها فقال: وقد رثاه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين محمد بن عيسى الظفاري بقصيدة طويلة منها قوله:

عجبا للزمان ذي الاغتيال	ولما حاكه من الاحتيال
دب في خفية إلى المجد حتى	أمكنت فيه فرصة المحتال
فرماه عن قوس هلك بسهم	ليس يخطى نباله في النبال
قصد المطلب السني فغطا	ضوء مصباحه المضيء اللآلي

---

[1] أهل تهامة المخلاف السليماني لعبد الله أبي داهش ص٣١٢ ، ٣١٣.

هذ عرش الكمـــال حتـــى تـــداعت منه للأرض قاعـــدات الكمـــال (١)

فهل يعقل أن يغفل النعمان اسم علمنا (الظفاري) عند ذكر القصيدة الأولـــى ولا يذكر اسمه إلا حين اختار لنا من قصيدته الطويلة هذه الخمسة الأبيات؟ كـــلا فهذا لا يعقل، وإذاً فالقصيدة الأولى: (أبا قاسم إنـــي أسـيف لفقـدكم..........) ليست للشاعر الظفاري وإنما هي لشاعر لم يسمه المؤرخ (النعمـــان) وحينمـــا أراد إثبات شيء من شعر الظفاري في رثاء الحكمي قال: (ورثاه ...... الظفاري بقصيدة طويلة منها قوله: ثم أورد له الخمسة الأبيات السابقة.. فلمَن هـــي تلـــك القصيدة؟ سيظل السؤال قائماً حتى نجد من يجليه بإذن الله ربمـــا فـــي مـــصادر أخرى.

وبعد: فشاعرية محمد بن عيسى الظفاري التي مكنته من (مديح ملوك الشحر والأتراك وأمراء المخلاف السليماني) ليست في حاجة إلى نسبة شعر من غيـــر سربها وإنما هي بحاجة إلى البحث الجاد عن مضان ذلك الشعر الذي مـــدح بـــه هؤلاء وأولئك وعن شعره الذي رثى به أشياخه وأعلام عصره ومحبوبيه وعـــن شعره في الأغراض الأخرى ولعلنا نتلهى عن هذا وذلك في الوقت الحاضر بتأمل قصيدته الطويلة التي رثى بها شيخه العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي على ما فيها من شطحات ومبالغات قد لا تكون في عصره كذلك.. والتي يقول فيها:

من لكـــشف المـــسائل المـــشكلات ولـــصرف النـــوازل المعـــضلات
من يجلي وجه المهمـــات يغـــشى ليلهـــا بـــالهموم والكربـــات
من به نـــستقي إذا أجـــدب الأفـــق وحطَّـــتْ كلاكـــل الأزمـــات
مـــن إذا اشـــتد حـــل عقـــد مهـــم للـــورى حُـــلّ منـــه بالهمـــات
من يجيب الـــصريخ لبيـــك فـــوراً فتوافيـــه أســـرع الغـــارات
بعد قـــالوا شـــيخ المـــشايخ أودى عمـــر الفـــرد صـــاحب المنقبـــات

---

(١) العقيق اليماني الورقة ٣٤٥.

والشجاع الجسور في ظلم الليل ... على الهول منه والموحشات
والمصلي حين الأنام هجوع ... والمجلّي في حلبة الغايات
والذي عمره الجميع كيوم ... صامه وانتهى إلى الميقات
ليس ينفك مقريا للعلوم ... وأخا الذكر أو قرين الصلاة
كل آن منه كليلة قدر ... أو كيوم العيدين والجمعات
سوحه للأنام منهل ظام ... وربيع لجملة السائمات
كم عليه من الرجال حزين ... وكئيب يتابع الزفرات
كم عليه مرائر شققتها ... حسرات من أوجع الحسرات
وعليه كم للدروس حنين ... وأنين كأنه المقلات
وعيون الفنون تبكي عليه ... بدموع سحّاحة ثَرّات
فاقدات تحريره للعبارات ... وماله من التنقيحات؟
كم عليه في الأفق من وحشات ... واسوداد عليه في النيرات
بكت الأرض فقده والسماوات ... وحيّتْ تصاعد الطاعات
شكر الحافظون ما كتبوه ... عنه من طاعة ومن حسنات
ألفوه والنور يألفه النور ... وما فارقوه من مقلات
بل أتاه أمر الإله فلبىّ ... داعي الله بالوفا للوفاة
فتلقت ملائك الله روحا ... منه قد طهرت بطهر الزكاة
رحم الله ذلك الوجه ماذا ... فيه من بهجة ومن طلعات
من رآه رأى السعادة فيه ... والبهى ظاهراً على البشرات
فاز والله من تشرف منه ... بإخاء أو خدمة أو وصاة
شهد الله أنه حبر علم ... بارع في العلوم والأدوات
وإليه الفتوى تحمل منها ... مثقلات عظيمة ناهضات
وكفاها وقام بالحق فيها ... بسداد وعصمة وثبات
باذلاً نفسه بغير كفاء ... بل لوجه الإله ذي الرحمات

قائماً وحده بغير معين — لم يخف من ملامة اللائمات
هكذا دأبه إلى أن تقضى — عمره وانتهى لوجه الممات
فجزاه خير الجزاء إله — بجنان مرفوعة الدرجات
وأقيموا ولو فواقاً عليه — فلديه مراهم العلات
من عليه أقام أو مرَّ يوماً — شملته عناية البركات
ويجاب الدعا لديه ويمحو — زائروه كبائر الزلات
وصلاة الإله تترا على من — خصه الله منه بالصلوات
وعلى الآل والصحاب جميعاً — ما تغنت حمائم الأيكات [1]

وهكذا بكى شاعرنا الظفاري شيخه الحكمي، وتباكت معه مناقب شيخه ومآثره العظيمة بكت كلها على ذلكم الطود الشامخ الذي خر من عليائه، وكان الظفاري في قصيدته هذه يستجيب لعواطفه الجياشة بلغة شعرية جميلة وتصوير للمواقف والأبعاد، ويعبر عن مشاعر بعض أفراد مجتمعه الذين تألموا لفقده.

وبعد هذا التطواف الجميل من خلال هذه القصيدة الطويلة لا نستطيع إلا أن نؤكد على شاعرية (علمنا الظفاري) بغض النظر عن مبالغاته التي لا نقره عليها وما تضمنته قصيدته من مصطلحات الصوفية وقيمها السائدة في عصره والتي ربما كان فيها مصوراً لفكر عصره ومعبراً عن بعض الرؤى التي يعايشها في مجتمعه آنذاك.

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٢٧٤-٢٧٧.

١٨- العلامة الشاعر: المطهر بن علي بن محمد النعمان الضمدي (١٠٠٤-١٠٤٩هـ)

عالم موسوعي كبير، ومفكر ذو نزعة استقلالية، وشاعر مجيد،وناثر جيد العبارة في طراز فريد، ولا غرابة في ذلك فهو متنوع المعارف متعدد المواهب وهو سليل الأسرة العلمية المرموقة: أسرة آل النعمان الشهيرة التي أنجبت علماء أعلام، على مر العصور، والمطهر معدود في كبار شعراء المخلاف السليماني في عصره نظم الشعر في أغراض شعرية مختلفة كالغزل، والإخوانيات، وفي الألغاز الشعرية، والرثاء، وغيرها .. وهو صاحب مؤلفات متنوعة ومفيدة في مختلف العلوم.. ترجم له كثيرون من كتّاب التراجم في عصره وفي العصور التي تليه، وكتب عنه وعن شعره الكاتبون ومنهم: ابن أبي الرجال في: (مطلع البدور ومجمع البحور) الذي أفرد له ترجمة مطولة في الجزء الرابع وأشار فيها إلى شيء من شعره، وتحدث عنه في أماكن متعددة من أجزاء كتابه المذكور.. وتحدث عنه المحبي في: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) وذكر نماذج من شعره ونثره، وترجم له الإمام محمد بن علي الشوكاني في الجزء الثاني من كتابه الشهير: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) وتحدث عنه شقيقه عبد الله بن علي النعمان الضمدي في مخطوطه الموسوعي: (العقيق اليماني في ذكر وفيات أعيان المخلاف السليماني) وأكد أنه معمول برأيه لدى علماء المخلاف، وذكر قراءاته ومما أضافه إلى مؤلفاته كتاب في الفقه سماه: (روض الأزهار ولباب الأفكار) وذكر بأنه بلغ فيه إلى كتاب الحج [١]. كما أشار إلى مقروءاته ومشائخه ومؤلفاته، إلا أنه لم يذكر لنا شيئاً من شعره ولم يتوسع في ترجمته كما فعل ابن أبي الرجال وكما فعل المحبي غير أنه ذكر بأن له مختصراً مفيداً في علوم الحديث.

---

[١] العقيق اليماني، لعبد الله النعمان الورقة ٣٩١.

وتحدث عنه إسماعيل الأكوع في كتابه: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) وذكر نماذج من شعره .. كما تحدث عنه بإيجاز شديد محمد بن أحمد العقيلي في كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) [1]. واكتفى بأن أورد أسماء بعض مؤلفاته حيث ذكر أربعة منها .. وأشار إليه عبد الله أبو داهش في كتابه: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما) وأورد له شيئاً من شعره [2]. كما تحدثت عنه وعن أسرته في كتابي: (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير) [3].

ووصفه العلامة الزركلي بأنه (مفسر و أديب) وأشار إلى بعض مؤلفاته فقال : (ومن كتبه الفرات النمير في تفسير القران) [4]

- أما العلامة أحمد بن أبي الرجال فإنه تحدث عنه في مواضع كثيرة من كتابه الموسوعي: (مطلع البدور ومجمع البحور)، فقد تكلم عنه في المجلد الرابع وأفرد له فيه سبع صفحات، وتحدث عنه في مواضع متفرقة من المجلد الثاني وأطال فيه الحديث ومما قاله عنه: (الفقيه العارف الفصيح المتفنن مطهر بن علي النعمان قرأ على مشائخ أجلاء، ... وكان له ولع بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فعظمها وأجلّها وأنزلها منزلة الدليل المحرّم والمحلل. وله مطارحات أدبية ومفاكهات حسنة مع أدباء وعلماء آل المؤيد وله قصائد جليلة القدر منها قصيدة حسنة جامعة لسور القرآن الكريم أولها:

بفاتحة الكتاب أجب دعائي وزهراوي كتابك والنساء

ثم أورد له نماذج من شعره سوف أذكر شيئا منها قبل أن أختم حديثي الموسع عنه بإذن الله تعالى.

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص٣٨٦.

[2] أهل تهامة المخلاف السليماني .... لأبي داهش ص٢٨٣.

[3] نبذة تاريخية عن التعليم لحجاب الحازمي ص٧٨.

[4] الأعلام للزركلي ج٧ ص٢٥٣.

وقبل أن ينهي ابن أبي الرجال نقولاته الجيدة من شعر(المطهر) قال: (ولولا خوف الإطالة لذكرنا مقاطع أخرى من شعره سُكَّرُهَا نباتيّ، قد روّقها الشاعر بزلال صافي، فله في ذلك كل معنى حسن).

ومما قاله عنه ابن أبي الرجال في موضع آخر: (العلامة الحافظ: بهاء الدين مطهر بن علي النعمان الضمدي، كان من صدور العلماء ووجوه الزمان وقوراً حافظاً للشريعة وآدابها .. وبينه وبين العلامة الصلاحي مفاكهات، وكانت بينهما مراجعات واجتمعا في بعض الأيام فحررا مسألة حررها الفخر الرازي وقالا نوردها على القاضي العلامة (أحمد بن حابس) [*].

وللفقيه المطهر مسائل في الاعتقاد جانب بها أهل المقالة)، وأضاف ابن أبي الرجال قائلاً في ترجمته للمطهر: وللفقيه (المطهر) عدة كتب منها:

١- كتاب في الطب [1].

٢- كتاب سماه النفحات المسكية في الأفعال الثلاثية اختصره من الضياء.

٣- المنقح شرح الموشح.

٤- القرات النمير تفسير الكتاب المنير، كتاب فيه عبارة حسنى، وتكلم في وجوه من الإعراب والبلاغة .

ثم أشار إلى أن (المطهر) انتقد في تفسيره هذا كتاب (الكشاف للزمخشري) وختم ترجمته باختيار نماذج من شعره بدأها بقصيدته التي مدح بها العلامة صلاح الدين المؤيد ومطلعها:

إن كان أحبابنا بالهجر قد طابوا   قلباً فسيان أعداء وأحباب

ثم اختار ابن أبي الرجال من شعر المطهر أبياتاً من قصيدة غزلية يقول فيها:

ويلاه من جفنه السَّقيم   وخده الأبلج القسيم

---

[*] سبقت ترجمته في هامش ص ٣٣٢.

[1] انظر: ص٤٩٦ من كتاب: مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن للحبشي.

يلــوح صـــبح الجبــين منـــه تحـــت دجـــى شـــعره البهـــيم
كأنمـــا الخـــد مـــن نظـــار والثغـــر مـــن لؤلـــؤ نظـــيم
كأنمـــا اللحـــظ منـــه موســـى يجـــرح فـــي قلبـــي الكلـــيم
إذا رآه الوشـــــاة قـــــالوا تبـــارك الله مـــــن حكـــيم
يقـــول إن رمـــت وصـــله مـــا لظـــالم قـــط مـــن حمـــيم
(معتزلـــي) (رافـضـــي) لهـذا لا يـــعرف (الجبـــر) للنـــديم[1]

واكتفى من هذه القصيدة بهذه الأبيات ثم قال: (وهي طويلة حضر عند الرقم هذا اليسير، والقليل إلى الكثير يشير) [2]

وروى له بيتين قالهما المطهر حينما دخل مدينة عدن يقول فيهما:

تقول عِيسي وقد وافيت مجتهـداً لحجاً، ولاحت لها الأعلام من عدن
أمنتهى الأرض يا هذا تريـد بنـا فقلت: كلا، ولكن منتهـى الـيمن

أما صاحب: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فإنه وإن حصل عنده خطأ أو تصحيف في اسم علمنا في أحد كتبه حيث ورد عنـده باسم (مصطفى) في كتابه هذا إلا أنه في كتابه: (نفحة الريحانـه ورشـحة طلاء الحانه) قد أتى باسمه صحيحاً بل وأضفى عليه نعوتاً مستحقة حيـث قال: (اسمه مُطهَّر ومسماه طاهر، وفضله وأدبه كلاهمـا زاه وزاهـر) [3] ومضى في تعداد مناقبه حتى لقد تفرد في ترجمته بذكر تفصيلات لم يذكرها شقيق (علمنا)، فقد ترجم له المحبّي بإفاضة وتحدث عن مشائخه وعن إجازاته

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٤ ص٤١٦-٤١٧، وانظر كتاب الروض الأغـن فـي معرفـة المؤلفين باليمن لعبد الملك آل حميد الدين ج٣ ص١٢٧.
[2] المصدر السابق ج٤ ص٤١٧ .
[3] نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانه للمحبي المجلد الثاني ج٤ ص٢٦٠ ، ٢٦١.

العلمية .. وأشار إلى مؤلفاته .. كما تحدث عن شعره وشاعريته وأورد له نماذج شعرية مختلفة ومما قاله: (المحبي): (المطهر بن علي النعمان الضمدي، عالم شهد بفضله العالم، وسلم له كل مناضل وسالم، محله في الفضل معروف لا يُنكر، وقدره في العلم معرفة لا يُنَكَّر، ملأ صيته كل موطن وقفر فغنى به حضر، وحدا به سفر، إلى جانب أدب ما أميط عن مثله نقاب، ولا نسقت بمثل فرائده قلائد رقاب، ولد بوادي ضَمَدْ من أعمال صبيا وحفظ القرآن وجوَّده على الشيخ العلامة عبد الرحمن اليمني [1] وقرأ عليه شرح الجزرية للقاضي زكريا، وقرأ الأزهار على الفقيه عبد الله الوهم [2] وبعض شرحه على القاضي سعيد الهبل [3] وأكثره على أخيه أحمد بن علي النعمان [4] وعلى الفقيه

---

[1] عبد الرحمن اليمني: (.... – ١٠٥٤هـ): هكذا ورد اسمه في كتاب خلاصة الأثر للمحبي، دون ذكر نسبه، وبعد بحث طويل عن عبد الرحمن اليمني هذا وجدت ابن أبي الرجال يترجم لعلم يقترب تاريخ وفاته من تاريخ وفاة علمنا (المطهر) وهو كما يذكر ابن أبي الرجال من أهل العناية بكتاب الله مما يجعلنا نتوقع أن يكون هو شيخ علمنا (المطهر) في القرآن الكريم ومما قاله عنه ابن أبي الرجال: (القاضي العلامة: عبد الرحمن بن عبد الله بن صلاح بن سليمان الخولاني (.... – ١٠٥٤هـ)، كان نبيلاً فاضلاً، وكان فقيهاً عارفاً، حسن التلاوة للقرآن العظيم، مؤدياً تأدية حسنة، ولي القضاء للإمام المؤيد وتوفي قبل سنة ١٠٥٤هـ). بتصرف عن كتاب: مطلع البدور لابن أبي الرجال ج٣ ص٣٩.

[2] سبقت ترجمته في هامش ص٣٣٨.

[3] سعيد الهبل: (.... – ١٠٣٨هـ): هو: العلامة المحقق الفقيه المدقق مرجع علماء الزيدية في علم الفروع سعيد بن صلاح الهبل، علامة فاضل سكن في صعدة وتتلمذ عليه كثيرون ثم رجع إلى الأهنوم باليمن، توفي سنة ١٠٣٨هـ. انظر ترجمته في: العقيق اليماني الورقة ٣٧٠، وفي ملحق البدر الطالع ص٩٦، وقد جعل وفاته في عام ١٠٣٦هـ.

[4] أحمد بن علي النعمان: (.... – ١٠٤٩هـ): هو: العلامة أحمد بن علي بن محمد النعمان سليل أسرة علمية عريقة والده علي بن محمد النعمان شيخ لكثير من طلاب العلم في المخلاف السليماني وأخوه العلامة عبد الله بن علي النعمان العالم المؤرخ المشهور صاحب الكتاب الموسوعي العقيق اليماني وغيره المتوفى سنة١٠٧٨هـ، وعمه أحمد بن محمد النعمان أحد العلماء المعروفين من هذه الأسرة، (كان العلامة أحمد بن علي بن محمد النعمان فقيهاً، عالماً، محققاً، فقد قرأ على عدد من علماء بلده وأحكم الفروع إحكاماً صالحاً، توفي سنة ١٠٤٩هـ) انظر ترجمته في: كتاب العقيق اليماني لشقيقه عبد الله النعمان الورقة ٣٩٤.

إبراهيم المتميز [1]، وقرأ البحر الزخار على القاضي أحمد بن حابس [*]، وبعضه على السيد أحمد المهدي المؤيدي [2].

وله إجازات من شيوخه بالكتب الستة، وسيرة ابن هشام، وأمالي أبي طالب، وأمالي أحمد بن عيسى، والجامع الكافي ...... الخ.

وله تصانيف شهيرة منها ومن أجلها: (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير) أحسن فيه العبارات، وجوَّد فيه الرمز والإشارات قال في آخره: (آخر ما قصدناه، ومنتهى ما أردناه من تأليف هذا السفر الخطير المسمى (بالفرات النمير) فدونك رخيصاً ثميناً، خميصاً بطيناً، حوى من أصداف التفاسير لآليها، وأنار من مشكلات الأقاويل لياليها، ولن يسعد بحل رموزه، ويظفر بكشف كنوزه إلا من برز في علم البيان وأشير إليه في معرفة صحيح الآثار بالبنان، وراض نفسه على دقائق مقاصد السنة والقرآن، هذا مع لطافة جسمه فكم حوى من لطائف، ومع حداثة سنه فكم حدث بظرائف، ومع رشاقة قده فكم رشق من مخالف، وكم مشكل أوضحه قد أغفله الأولون، وكم من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون فالحمد لله الذي وفقنا لتفسير كتابه، وأهلنا لإيضاح معاني خطابه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه) ... وقد حظي هذا التفسير بالقبول لدى الفحول

---

[1] إبراهيم المتميز (.... – ١٠٣٧هـ): هو العلامة إبراهيم بن يحيى المتميز الصعدي، كان من أهل التقوى، وكان من أهل القرآن، كان فقيهاً عالماً، وعاملاً ورعاً، انتفع به عدد كبير من طلاب العلم، توفي سنة ١٠٣٧هـ. انظر ترجمته في: العقيق اليماني الورقة ٣٦٩، ومطلع البدور لابن أبي الرجال ج١ ص٢٣٣.

[*] سبقت ترجمته في هامش ص٣١٦.

[2] أحمد المهدي المؤيدي: (.... – ١٠٤٤هـ): هو: الإمام العلامة أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين الحسن المؤيدي وصفه النعمان الضمدي فقال: (كان رجلاً كريماً، سيداً، عالماً، رئيساً، نبيلاً، جليلاً) وإذاً فطمنا المؤيدي من بيت السيادة والإمامة والعلم، جده الإمام عز الدين الحسن وهو من العلماء القائمين بأعمال الرئاسة والإمارة، فقد كان كما ذكر ابن أبي الرجال من كملاء الرجال البارعين في الرياسة، وكان عالماً بالفروع، وكان واسع الأخلاق، موصوفاً بالحلم والكرم والشجاعة، أفاد من علمه كثيرون، توفي سنة ١٠٤٤هـ. انظر ترجمته في: مخطوطة العقيق اليماني الورقة ٣٨٤، وفي مطلع البدور لابن أبي الرجال ج١ ص٤٨٣ ، ٤٨٤.

ومدحه كثير من العلماء بالأشعار الرائقة والمدائح الفائقة ومنهم السيد العلامة صلاح الدين بن أحمد المؤيدي [1] الذي قال في مدح (الفرات النمير):

هذا الفرات، فرد مشارع مائه ... تجد الشرائع أُودعت في سطره
كشاف كل غوامض ببيانها ... أسرار منزل ربنا في سره
لا عيب فيه سوى وجازة لفظه ... والاحتواء على الكمال بأسره [2]
حبس المعاني الرايقات برقة ... والحق أطلق، والضلال بأسره[3]

ثم قال (المحبي) بعد هذه الإفاضة: (وله نظم ونثر سائران فمن ذلك قوله مورّياً بالمذاهب الفقهية وبعض المذاهب والنحل يقول المطهر:

من (شافعي) نحوكم (يحنفكم) ... إليَّ (يا مالكي) فأحمده
(زَيَّدتني) حين صِرتَ (مُعتَزلي) ... وجداً لحر الجحيم أبرده
يا (رافضي) أنت (ناصبي) للهوى ... ما كنت قبل الفراق أعهده [4]

وهذا النوع من الشعر الذي يستعرض فيه بعض الشعراء معارفهم العلمية سواء عن طريق التلميح أو التصريح معروف على مر العصور؛ فلابن هتيمل

---

(1) صلاح بن أحمد المهدي المؤيدي: (١٠١٠-١٠٤٤هـ): هو: السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين بن عز الدين الحسن، وصفه النعمان الضمدي بأنه مجتهد العصر، وقال عنه: (كان إماماً جليلاً في كل فن مجتهداً وكان فارساً، شجاعاً، كريماً رئيساً، كاتباً فصيحاً شاعراً، وله في كل فن اليد الطولى) وتحدث عنه ابن أبي الرجال فقال: (كان منقطع النظير في كل فضيلة، وفي فصاحة منطقه، وسعة حفظه، وعلو همته، اناف على الشيوخ طفلاً، حقق وقرر وناظر وناضل، وكان فهمه جذوة قبس، عُمّر تسعة وعشرين عاماً كانت حافلة بجلائل الأعمال، وصنف عدداً من المصنفات منها: شرح شواهد النحو، و اختصار شرح العيني لشواهد التلخيص، وشرح الفصول، وله ديوان شعر، توفي سنة ١٠٤٤هـ). انظر ترجمته في: مطلع البدور ج٢ ص٤٤٨ – ٤٦٩، والعقيق اليماني الورقة ٣٨٥، والأعلام ج٣ ص٢٠٧، والبدر الطالع ج١ ص٢٩٣ وغيرها.

(2) خلاصة الأثر، للمحبي ج٤ ص٤٠٣-٤٠٤.

(3) هذا البيت أضافه الحموي في (مخطوطته) فوائد الارتحال ج٣ الورقة ٣٧٦. ويلاحظ (الجناس التام) في عبارة: (بأسْرِه).

(4) خلاصة الأثر ج٤ ص ٤٠٥ .

شاعر القرن السابع تبريز في هذا النوع من الشعر ولدى شعراء القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر مزيد اهتمام بهذا اللون الشعري، فهاهو أحمد بن عمر بن عثمان أحد شعراء الشام في القرن الثاني عشر يبالغ في وصف محبوبه ولا يكتفي بالتورية بالمذاهب الفقهية بل يلجأ أيضاً لتقوية حجته بالتضمين فيقول:

تَمكّنَ مني حبه فهو (مالكي) بنعمان خدِ (شافعي) وهو سالبُ
فدعنيَ من غي الكلام وخلني فما كل حينٍ تستباح المآرب
تخذت هواه دون قومي مذهبي (وللناس فيما يعشقون مذاهب) [1]

ويلاحظ على مقطوعة شاعرنا (المطهر) التي سبقت هذه الأبيات قدرته على التلاعب بمفردات اللغة وتطويعها في ذكر المصطلحات الفقهية والمذهبية واستخدام الجناس والتورية في قوالب شعرية جميلة .

ومما اختاره (المحبي) لعلمنا (المطهر) كذلك قوله ملغزاً بقهوة البُنّ :

وجارية سوداء إن هي أسفرت يقبلها أهل المروءة والنهى
إذا ما اشتهى ظلم الحبيبة عاشق فمجموعها ظلم لعمري مشتهى
إذا بردت أحشاؤها طال مكثها وإن أصبحت محمومة طاب صَبُها
وإن ذكر الأحباب طيب أصولهم ليفتخروا فالرشق بالقلب أصلها
وإن سقيت من خالص المحض شربة تسارع فيها الشيب وابيضّ جسمها[2]

أما (التنباك) أو (التتن) فقد شارك بالرأي في حكمه فلم يكن من المحرمين له ولا من المفتين بحله ولكنه كان من أصحاب الرأي الوسط الذين رأوا فيه شبهة، وقد شارك برأيه عن السؤال الدائر حوله شعرا أفرد له أربعة أبيات هي أقرب إلى النظم، وقد آثرنا عدم ذكرها.

---

(1) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦هـ ج١ ص١٨٥ .

(2) خلاصة الأثر.. ج ٤ ص ٤٠٥

ومن إخوانياته كذلك مطارحاته مع العلامة صلاح الدين مفتخراً برقة بنات تهامة وعفتهن حيث قال مداعبا:

تـــزوّجْ هـــديت، تهاميـــة ... تروقك فـــي المئـــزر المطـــرف
ودع عنـــك بيـــضاء نجديـــة ... ولو برزت في بهـــا (يوســـف)
عليـــها قميص، وســـــروالة ... وليـــستْ تَـــرِقّ لمـــستعطف [1]

ومن مداعباته لأصدقائه قوله:

تظنـــــــوني مرتاحـــــــــاً ... ومـــن أيـــن لـــيَ الراحـــه
إذ الراحـــــة فـــــي الكـــيس ... وليس الكـيس فـــي الراحـــه [2]

ويلاحظ أن ترجمة (المحبي) قد حاولت الإلمام بجوانب مهمة مـــن حيـــاة علمنا (المطهر) العلمية والأدبية وقدمت نماذج من شعره في أغراض مختلفة – وإن لم تتوسع كثيرا إلا أنها تفوقت على سواها من الترجمات – كما أنها قـــدمت نموذجاً من نثره يتمثل في خاتمة كتابه في التفسير تلك الخاتمة التي نقلت بعضها في السطور السابقة .

– وترجم له العلامة مصطفى الحموي في كتابه الشهير: (فوائد الارتحال ونتائج السفر.....) مخطوط فأتى في ترجمته على أكثر ما أورده عنه المحبي كما أشار إلى بعض ما ذكره عنه ابن أبي الرجال وخاصة فيما يتعلـــق بـــصلاته العلميـــة والأدبية ببعض علماء وأدباء عصره، وذكر شيئاً من شعره ونثره، وأشـــار إلـــى مؤلفاته، وذكر بأنه اطلع على كتاب (المطهر بن علي النعمان) في الطب الـــذي سماه: (الطرفة في علم الطب) ووصفه بأنه يقع في مجلد صغير[3] – أما صاحب

---

[1] خلاصة الأثر.. ج٤ ص٤٠٥.

[2] نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانه للمحبي المجلد الثاني ج٣ ص٢٦١.

[3] بتصرف عن كتاب: فوائد الارتحال (مخطوط) انظر الورقات ٣٧٥-٣٧٧.

مطلع البدور ومجمع البحور فقد أورد (للمطهر) نماذج شعرية أخـرى اختـرت منها قوله مخاطبا للعلامة الصلاحي(*) في قصيدة يهنئه فيها:

إن كان أحبابنا بالهجـر قد طـابوا
قلبـاً فسيّـان أعـداءٌ وأحبـاب

وهل يريد بك الأعـداء أقتل مـن
هذا المصاب الذي من دونه الصاب

شدوا المطايا غـداة البين فانزعجت
نفـس كأن غـراب البين أقتـاب

وثارت العيس بالأضعان راغية
يـوم النوى، فاستوى راغ ونعَّاب

لله روحي وقلبـي بعـد بعدهم
ورحمـة لعيوني غب ما غابـوا

فالروح طير، وهذا القلب قد فتحت
سمـاؤه فهـي يوم البين أبواب

والعين كالعين من بعد الرحيل فما
ينفـك من جفنها فيض وتسكاب

وكـل جارحـة مجروحة بسكـا
كيـن الفـراق كأنّ البين قصَّاب

أحبابنـا!!، إن نأت عنـا دياركم
وقوضت من خيـام الوصل أطنـاب

فالقلب قد ضربت فيه خيامـكم
ومـالكـم عنه طول الـدهر إضراب

(*) يقصد بالعلامة الصلاحي السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي الذي سبقت ترجمته في هامش ص ٤٠٠.

وكيف يسلو أخلاء الصفاء وقد

شبوا الجوى، ولمحض الود، ما شابوا

وإن أهل جنان الخلد في غرف

مبنيـــة تحتهـــا نخـــل، وأعنـــــــاب

لهم فواكه مما يشتهون، ومن

صافـــي الشـــراب، أباريـــق وأكواب

يطوف غلمانهم بالراح بينهمُ

وعندهم (قاصرات الطـــرف أتـــراب)

وكـــــل ذلك لا يسليهمْ أبدا

عـــن اجتماع بإخـــوان لهم طابـــــوا

واقرأ على عُذّلي القرآن يستمعوا

في(الرعد)،و(الطور)،و(التطفيف)ماعابوا[1]

والقارئ المتذوق يدرك بأن القصيدة مازال نهرها متدفقاً لولا أن، (ابـــن أبي الرجال) توقف بنا عند هذا الحد ليجعلنا نتطلع لبقية أبيـــات هـــذه القـــصيدة الجميلة وكم كنت أتمنى لو أتمّها، حتى نستكمل تفاصيل المتعة الأدبية ..

على أنني لست في حاجة إلى التذكير بجماليات لغة شاعرنا (المطهر) في هذه القصيدة، فهو كما رأينا قد حلاّها بألوان البديع: كالطباق، والجناس، والتورية وغيرها .. وجمّلها بحِلل سندسية حين اختار لها أجمل التراكيب وأسلس العبارات إلى جانب اقتباسه واغترافه من معين الكتاب المبين الذي لا ينضب والذي أضاف إلى روعتها روعة وجمالاً.

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٢ ص٤٥٨ ، ٤٥٩

كما اختار ابن أبيَ الرجال لشاعرنا (المطهر النعمان) في الجزء الثاني من كتابه الموسوعي نصا آخر في رثاء الإمام العلامة صلاح بن أحمد (*) بن المهدي المؤيدي يقول فيه المطهر النعمان:

مصاب جلَّ في كل النَّواحي ... فلم نملك به غير النُّواح
ورزء فت أفئدة البرايا ... ولاسيما قلوب ذوي الصلاح
أردنا أن نكتمه احتساباً ... فلاح لأهل حي على الفلاح
هي الأيام تخفظ كل عالِ ... وتلطم بالمسا وجه الصباح
شغلنا عنَ مصابَ أبي صلاح ... بَموت أبي محمدِ الصلاحي
فتىً، فات الورى علماً وحلماً ... وأشجع من مشى يوم الكفاح

قال ابن أبي الرجال:(والقصيدة طويلة لم يحظرني منها إلا هذا القدر)[1]

أمَّا حين رجعت إلى الجزء الرابع الذي ترجم فيه ابن أبي الرجال لعلمنا (المطهر النعمان) فقد وجدته يذكر قصيدته التي خمس بها قصيدة العلاّمة محمد ابن علي بن عمر الضمدي (في التَّشَيُّعْ الذي كان يميل إليه كبعض معاصريه ثم عدل عنه إلى مذهب أهل السنة والجماعة) والتي يقول المطهر في بعض أبياتها:

لُذْ بالقروم البُزَّل ... في كل أمر معضل
أتباع آل الرسل ... أشياع زيد بن علي

ابن الحسين بن علي

هم البدور الطلع ... هم الغيوث الهمع
هم حتف من يبتدع ... هم الذين اتبعوا

سنة خير مرسل

ثم يقول ابن أبي الرجال بعد ذلك: (لكنه عدل بعد هذا إلى مطالعة أسفار فيها سُمّ الأراقم، ومناقب مطالعتها هي عين المناقم، فمما ولع به: كتب ابن تيمية

(*) سبقت ترجمته في هامش ص ٤٠٠.

(1) المصدر السابق ج٢ ص٤٦٥

وتلميذه ابن القيم فعظمها وأجلها، وأنزلها منزلة الدليل المحلل والمحرم ...)[1].

أراد ابن أبي الرجال بأن (المطهر قد ولع بمطالعة كتب ابن تيمية فعدل عن التشيع ومنهج أصحاب التشيعّ.

وممن تحدث عن (علمنا): إسماعيل الأكوع فقال: (المطهر بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الضمدي مولده كما جاء عند (بروكلمان) سنة ١٠٠٤هـ ، عالم محقق في الفقه، لغوي مفسر، نحوي، طبيب، شاعر مال إلى القراءة في كتب السنة، كما قرأ كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فنفر منه علماء الهادوية في اليمن. من شعره قصيدة حسنة جامعة لأسماء سور القرآن المجيد ضمنها الدعاء إلى الله ومطلعها:

بفاتحة الكتاب أجب دعائي ... وزهراوي كتابك والنساء

وقال مرتجلاً يذم عبداً اسمه (سُوّاد) كان يقدم القهوة في منزل صلاح ابن أحمد بن المهدي للحاضرين وأبطأ في تقديمها للمترجم له وكان أسود اللون فقال المطهر هاجيا له:

جَمَعْتَ سوادَ الوجه والقلب يا فتى ... فمن أجلِ ذا سمّاك أهلك (سُوّادا)[2]

- أما المؤرخ: المطهر الجرموزي صاحب كتاب: (بناء الدولة القاسمية في اليمن) فقد تحدث عن علمنا: (المطهر النعمان) في مواضع كثيرة من كتابه هذا، ففي المجلد الأول تحدث عن علمنا قائلاً: (الفقيه العالم الفصيح البليغ المتكلم، عين الأدباء، فخر الدين المطهر بن علي النعمان الضمدي التهامي، كان عارفاً

---

[1] المصدر السابق ج٤ ص٤١٤

[2] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٩ - ٢٠.

بليغاً سيما في علم الأدب وله فيه بل وفي غيره مصنفات معتمدة) [1] وفي هامش الصفحة نفسها ترجم له المحقق – كذلك – بتوسع وسرد مؤلفاته ومما قاله عن النعمان: (عالم محقق في الفقه، لغوي، مفسر، نحوي، طبيب وشاعر، مال إلى قراءة كتب السنة فقرأ كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومن شعره قصيدة جامعة لأسماء سور القرآن المجيد، مولده كما جاء عند (بروكلمان) ١٠٠٤هـ ووفاته بضمد سنة ١٠٤٨هـ من كتبه: ثم عدد من مؤلفاته ستة كتب).

– كما تحدث الجرموزي عن علمنا (المطهر النعمان) في أماكن أخرى من كتابه ففي المجلد الثاني منه أورد للنعمان قصيدة في مدح الإمام المؤيد (محمد بن القاسم) تزيد أبياتها عن الستين بيتاً بدأها بالتشبيب – كعادة الشعراء – وهي برغم طول نفسها تسير في نغم جميل متدفق، وبناؤها متنامي، فالشاعر صاحب قدرة عالية وسنختار شيئاً من هذه القصيدة نضيفه إلى اختياراتنا السابقة من شعر (المطهر) استمع إليه وهو يقول في بعض أبياتها:

مرامي فيك أن تهوى ملامي	فلي مرمى بعيد في المرامي
لقيت العاذلين بود خِلٍّ	لأن العذل حقق لي غرامي
ومن شوقي إلى نجدٍ، وغورٍ	ظهرت بزي نجديٍّ، تهامي
وصاحبت الهوى طفلاً وكهلا	نقي العرض من دَنَسٍ وذام
وسل عن عفتي حزوى ونجدا	وربّات الملاحة والوشام
فإن رُمْتَ الهوى فاسلك سبيلي	فهذا الحب يؤخذ عن إمام
وحاذر أن تميل إلى خلافي	فتبلى بالبواتر والسهام
وها أنا قد محضتك صفو نصحي	فهبه رمية، من كف رامي

---

[1] بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم (٩٩٠-١٠٥٤هـ) للمطهر الجرموزي ج١ ص٣٤١، تحقيق الدكتورة أمة الملك بنت إسماعيل بن قاسم الثور، من منشورات مؤسسة زيد بن علي الثقافية– صنعاء، ١٤٢٩هـ.

فألحـــاظ الغـــواني قـــاتلات
تعـــادي كـــل صـــبٍّ مـــستهام

ولا تَكَلّـــفْ بأجفـــانٍ مـــراضٍ
يُمـــيلْنَ الـــصحيح إلـــى الـسُقام

وأحـــوى أهيـــفٍ تحلـــو قوامـــا
وحتف الـــصب فـــي ذاك القـــوام

تروقك فـــي التمايـــل والتمـــشي
وتمعن فـــي التجنـــي والـــصرام

وإن لم تركـــب الأخطـــار شـــوقاً
فـــلا تنـــزل بتيـــاك الخيـــام

ولا تلمُـــم بغـــزلان المـــصلى
فـــإن لحاظهـــا مثـــل الحـــسام

فـــإن جراحـــة العجمـــا جبـــارٌ
ومالـــك، والتعـــرض للحِمـــام

عليك الصمت واخلص من هواهم
وحـــدِّثْ عـــن كرامـــات الإمـــام

أميـــر المـــؤمنين أبـــي علـــيٍ
(محمـــد المؤيـــد) بـــاعتزام

مجلـــي ظلمـــة النُـــوَبِ العظـــام
وكاشف أزمـــة الكـــرب الجـــسام

وعـــين مـــن عيـــون الله يهـــدي
إلى الـــنهج القـــويم بـــلا انكتـــام

هو البـــر الـــرحيم بمـــن يـــوالي
وللأعـــداء كالـــداء العقـــام

أمات الجور في شـــرقٍ وغـــرب
وأحيا العـــدل فـــي يمـــنٍ وشـــام

وسل على العـــدا ســـيفاً حـــرازاً
فلـــم أر مثلـــه ســـيف انتقـــام

يـــروع بـــه الطغـــاة إذا انتـــضاه
ويغمـــد ذاك فـــي قلـــلٍ وهـــام

فأبـــدل خوفنـــا أمنـــاً وأبقـــى
بقاع الأرض من وصـــم اللـــئام

وأزعج (حيدراً) عن عقر صنعا
وأنقـــذها مـــن القـــوم الطغـــام

فيـــا صـــنعاء طيبـــي واطمـــئني
فقـــد شُـــرِّفتِ بـــالغُرِّ الكـــرام

وعين المُدْنِ (أنتِ)، فإن تباهي
فأنـــت الخـــود واضـــعة اللثـــام

وإن قالوا: (العروس) لعـــسقلانٍ
فأنـــت خريـــدة ذات ابتـــسام

إلى أن قال:

رأيت الفتح فـــي نـــومي قـــديماً
وهذي يقظتـــي صـــدقت منـــامي

ووافانا البشير فقلت هذا   أبو ذرٍّ يصدق في الكلام

وختمها بقوله:

أبا يحيى قوام الدين حقاً   وهل دينٌ يقوم بلا قوام
فمذ فتح الإله أجل فتحٍ   بكَرْتَ مهنئاً، لك في نظامي
بقيت لنا أبا يحيى ملاذاً   نلوذ به ونقهر من يسامي [1]

ومن الواضح أن علمنا (المطهر) قد كتب الشعر في مختلف الأغراض .. وأن الذي وصلنا من شعره نزر يسير ولكنه يؤكد على تدفق شاعريته وحسن استخدامه لقاموسه اللغوي حسب الموقف وحسب الموضوع .. وكم تمنيت لو أن ابن أبي الرجال أو الأكوع قد ذكرا قصيدته التي جمع فيها أسماء سور القرآن الكريم كاملة، وتمنيت لو أنهم أضافوا لنا مزيدا من شعره الجميل!.

– وكان الإمام الشوكاني قد ترجمه في كتابه: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) فقال: (المفسِّر النحوي مصنف المنقح على شرح الخبيصي للكافية، ومؤلف التفسير المسمى: (الفرات النمير)، وهو تفسير مفيد جداً مع اختصاره يدل على قوة ملكة صاحب الترجمة في العلوم، ورسوخ قدمه في فنون عدة، وكان مشهوراً بالذكاء والفطنة وجودة الحفظ، وله شعر سائر في غاية الجودة ومنه:) [2]. ثم أورد بعض الأبيات التي سبق أن نقلناها عن (مطلع البدور و مجمع البحور)، ومطلعها:

ويلاه من جفنه السقيم   وخده الأبلج القسيم

إلى أن قال الشوكاني في ترجمة علمنا: (توفي بضمد في سنة تسع وأربعين وألف، أرّخ موته أخو صاحب الترجمة (عبد الله بن علي النعمان

---

[1] المصدر السابق ج٢ ص٦٥٦-٦٦٣.

[2] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٢ ص٣١٠ ، ٣١١ .

الضمدي) .. وذكر من جملة مؤلفاته أيضاً: (جلاء الوهـوم مختـصر ضـياء الحلوم) في مجلد ...) [1].

قلت وشهادة الإمام الشوكاني صاحب الكتاب الشهير في التفـسير (فـتح القدير) وصاحب المؤلفات المختلفة، شهادة الإمام الـشوكاني لـشاعرية علمنـا (المطهر) ولكتابه في التفسير الذي سماه: (الفرات النمير) شهادة من الـوزن الثقيل (ولا ينبئك مثل خبير).

رحم الله المطهر النعمان صاحب المؤلفات المتنوعة والإبداعات الجميلة.

---

[1] المصدر والصفحات السابقة.

من أعلام شعراء القرن الحادي عشر الذين لم يصلنا شيءٌ من شعرهم أو وجد نزر يسير منه:

بقي أن نشير إلى أن هناك أعلاما من أعيان وعلماء المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري، وصفوا بأنهم شعراء مجيدون، وأن لهم أشعاراً رائقة، لكننا حينما حاولنا العثور على شيء من شعرهم أقفر أمامنا الدرب، وحجبت عنا صفحات إبداعاتهم، ولم تسعفنا مصادرنا التي بين أيدينا بشيء من شعرهم أو – ربما – أسعفنا بعضها بشيء قليل من شعرهم، ومنهم:

١- العلامة الشاعر: أبو القاسم بن محمد الحكمي (...-١٠٦٦)

نعت بالذكاء المفرط وأن له شعرا رائقا ووصف بأنه كان صاحب اطلاع واسع [١] ومع وصفه بالشاعر والثناء على شعره إلا أن مصادرنا لم تسعفنا بشيء من شعره.

٢- العلامة الشاعر : أحمد بن أبي القاسم الضمدي (.... – ١٠٢٦هـ):

هو أحد أعلام المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري وينتمي إلى أسرة العلامة علي بن يحيى بن هذيل الضمدي وهو فقيه عالم، وشاعر بليغ، صنف من شعراء المديح، وقيل بأنه اختص بمدح أحد أئمة اليمن في عصره قال عنه العلامة النعمان الضمدي: (هو العلامة أحمد بن أبي القاسم ابن صلاح بن موسى بن الفقيه العلامة علي بن يحيى بن هذيل [*] العالم المشهور كان شاعراً مختصاً بمديح الإمام القاسم بن محمد (٩٦٧-١٠٢٤) توفي أبو القاسم الضمدي سنة ١٠٢٦هـ) [٢].

---

[١] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ج١ ص ٣٩٠ وانظر: أضواء الأدب والأدباء للعقيلي ص ١٠٨.

[*] العلامة علي بن يحيى بن هذيل: سبقت ترجمته وذكر بعض شعره في الصفحات: (١٦٠-١٦٤) .

[٢] العقيق اليماني لعبد الله النعمان ، الورقة ٣٥٩ .

- وقال عنه ابن أبي الرجال: (الفقيه البليغ المقول العارف: أحمد بن أبي القاسم الضمدي، كان من عباد الله الصالحين، وكان أحد أعيان وقته، صحب الإمام القاسم بن محمد وله فيه أشعار حسنة بليغة، فيها الحماسة والمدح [1].

وكما نرى فقد اتفق ابن أبي الرجال مع المؤرخ النعمان على وصف علمنا بالشاعر وذكرا بأن له شعراً حسناً مدح به الإمام محمد بن القاسم، غير أنهما لم يذكرا لنا شيئاً من شعره.

- أما المؤرخ المطهر الجرموزي (١٠٠٣-١٠٧٦هـ) فبعد أن ترجم لأبي القاسم الضمدي ترجمة موجزة تفرد بذكر نص من شعره قاله متفائلاً بخروج الحسن ابن ممدوحه (الإمام القاسم بن محمد) من الأسر حيث قال: (وقال الفقيه الفاضل أحمد بن أبي القاسم الضمدي قبل خروج الحسن بن الإمام القاسم من السجن على سبيل التفاؤل واستعجال الفرج:

الحمد لله، هذا ما نؤمله	فنحن في نِعَمٍ غُرٍّ، وفي طيب
يا ابن الإمام الذي فاق الأنام عُلاً	حلف التقى، والنقا، والمجد والطيب
فَالْوُرْقُ ساجعةٌ، والسُّحْبُ هامعةٌ	والناس آمنة، من كل مرهوب
بفضل (قاسمنا) المنصور حين دعا	إلى الإله، دعاءً غير محجوب
بأن يرد بألطاف له (حسناً)	كرد (يوسف)، فضلاً نحو (يعقوب)
فقد أجاب إله العرش دعوته	وقد أعاد إليه خير محبوب
فهو الذي نصر الرحمن دعوته	لما دعاه، حباه خير مرغوب
فجاهد العجم والأعراب منذ دعا	فكم قتيلٍ على الخدين مكبوب) [2]

وهي قصيدة متوسطة تمتح من نمير شعر العلماء الذي لا يخلو من بعض اللمحات والإشارات الجميلة حتى وإن وجد في بعض أبياتها شيء من التكرار.

---

[1] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص٤٠٦.

[2] بناء الدولة القاسمية في اليمن للجرموزي ج١ ص٤١٠-٤١٢.

٣- العلامة الأديب الشاعر : علي بن المهدي الحكمي (٠٠٠٠-١٠٤٧)

تفرد بذكره النعمان الضمدي وقال عنه بأنه : (كان عالماً، أديباً، شاعراً، وله نظم عظيم) [١]، غير أن النعمان الضمدي لم يذكر لنا شيئاً عن تاريخ ولادة هذا الشاعر ونشأته، كما أنه لم يؤرد لنا شيئاً من شعره ولا من نظمه الذي وصفه بالعظيم.

٤- العلامة الشاعر: محمد بن عيسى بن شجاع الشُّقَيْقي(...-...):

هو أحد أبناء المخلاف السليماني وعلمائه والشقيق التي نسب إليها من بلدات المخلاف السليماني المشهورة وتقع غرب بلدة درب بني شعبه، وعلمنا (الشقيقي) ذكره أحمد بن أبي الرجال في غير موضع من كتابه: (مطلع البدور ومجمع البحور) حيث أشار إلى رفقته في الطلب معه ومع الحسين الضمدي [٢] وذكره ابن أبي الرجال مرة ثانية ووصفه بالعلامة المحقق وذلك أثناء ترجمته للعلامة صلاح المؤيدي(١٠١٠-١٠٤٤) حيث ذكر للمطهر النعمان الضمدي قصيدة في رثاء العلامة صلاح المؤيدي مطلعها :

مصاب جل في كل النواحي فلم نملك به غير النُّواح

وقال في ختام ما أورده من هذه القصيدة : (وهي طويلة نسج على منوالها العلامة المحقق محمد بن عيسى بن شجاع الشقيقي التهامي)[٣]، ولم يذكر لنا ابن أبي الرجال شيئا من قصيدة محمد بن عيسى الشقيقي هذا التي أشار إليها.

٥- العلامة الشاعر: الهادي بن عثمان السبعي (...-١٠٦٣)عالم، وأديب، وشاعر، من أدباء وعلماء المخلاف السليماني أسرته آل السبعي علمية

---

[١] العقيق اليماني، الورقة ٣٨٩ .

[٢] مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج١ ص ٦٠.

[٣] المصدر السابق ج٢ ص ٤٦٥.

معروفة منازلهم في العالية والملحا، وبيش وقد تحدثت عن أدبه وشعره بعض المصادر، قال عنه صاحب العقيق اليماني: (الأديب الأريب الشاعر الفصيح الهادي بن عثمان السبعي، كان في أدبه وفصاحته صاحب خطْب عظيم) [1]، وقال عنه محمد بن أحمد العقيلي: (عرف بحسن الخُطَبْ، مع الأدب والشعر والبيان) [2] ووصفه العلامة إسماعيل الأكوع بأنه (عالم فاضل، وشاعر وأديب) [3] ومع كل هذه النعوت إلا أن أيا من هذه المصادر لم يثبت لنا شيئا من شعر هذا الشاعر .

٦- الشاعر الأديب : يحيى بن مهدي المنسكي (١٠٦٠-١٠٩٢)

ولد بالدهناء من أرض صبياء ، وكانت بينه وبين الأديب العربي (مصطفى ابن فتح الله الشامي) [4] مكاتبات، ومنها ما كتبه إليه يستدعي تاريخا في أبيات حيث بعث المنسكي إليه أبياتا منها قوله :

ربما لا يفوت صادقة الـ ... ـرأي بأن الضياء سر الهلال
وأرى البحر عنده الجوهر الشفـ ... ـاف لكنه يريد منه اللآلي [5]

---

[1] العقيق اليماني للنعمان الضمدي الورقة ٤٠٩ وانظر ص ٣١٤من كتاب: تهامة المخلاف السليماني لعبدالله أبو دهش.

[2] التاريخ الادبي لمنطقة جازان، للعقيلي ج١ ص ٣٩٠.

[3] هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١١٥٦.

[4] مصطفى بن فتح الله الشامي: (.... - ١١٢٣هـ): تحدث عنه الدكتور عائض الردادي في كتابه: (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر) فقال: (من المجاورين الذين أقاموا بمكة زمناً طويلاً، وهو أديب، وشاعر، ومؤلف، له كتاب سماه (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر) يعتبر من أهم المصادر في تاريخ مصر، والشام، والحجاز، واليمن. ثقافة، واقتصاداً، وسياسة، ترجم فيه لبعض علماء هذه البلدان وكبرائها، وأمرائها، وشعراءها)، وفي ص١٣١ من كتاب الردادي تحدث عن (مصطفى بن فتح الله الشامي) مرة أخرى فقال: (هو حموي الأصل، مكي الاستيطان، يمني التردد، ذكر بأنه ولد بمصر، وتربى بدمشق، وأكثر إقامته ببيت الله الحرام)، بتصرف عن كتاب: (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري) لعائض الردادي ج١ص١٣١ ، ١٣٢.

[5] انظر عقد الجواهر والدرر للشلّي ص٣٨٠ .

شعراء المخلاف السليماني

في القرن الثاني عشر الهجري

توطئة:

ربما كانت إشارة المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي إلى (أن القرن الثاني عشر الهجري كان منعطفاً لعودة الحياة الأدبية إلى الوجود في منطقة جازان)[1].

ربما كانت تلك الإشارة واقعية في مجال التأليف، والنثر الأدبي ولكنها في مجال الشعر – ومع شديد الأسف – لم تكن كذلك، فلقد جفت ينابيعه، وصَوَّحَتْ أزهاره وقل وارده؛ فلم تنقل لنا المصادر سوى عدد يسير من أسماء الشعراء الذين حفظت لنا بعض شعرهم في هذا القرن، فمع أنه قد شهد بالفعل حركة علمية جيدة إلا أنها لم تواكبها حركة الشعر ولم ترق إلى مستواها – ربما – لقلة الراصدين في هذا القرن لمسيرة الشعر والشعراء، وربما لانصراف العلماء إلى مجالات التأليف، وربما لاهتمام الأدباء منهم بالنثر الأدبي دون الشعر، حيث طغى في هذا العصر فن المقامات، وظهرت على مقدمات الكتب التي ألفت في هذا القرن تلك المسحة الأدبية الشفافة، بل كانت جل المؤلفات التأريخية في هذا القرن ذات اهتمام كبير باستخدام الأساليب الأدبية الراقية وعناية خاصة بالشواهد الشعرية في بعض المواقف التاريخية، أما الإبداع الشعري فقد كان حظه ضئيلاً من تلك الطفرة الأدبية التي حظي بها النثر، وكان عدد الشعراء الذين حفظت لنا المصادر شيئا من شعرهم في هذا القرن قليلاً جداً إذا قيس بعدد الشعراء في القرن الحادي عشر أو القرن العاشر؛ مما يجعلنا نتهم عوادي الإهمال بأنها – ربما – عصفت بشعر هذا القرن الذي لا تقل حركته العلمية في المنطقة عن الحركة العلمية التي شهدتها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين؛ قد تكون أحوال التقلبات السياسية أكثر سوءاً في القرن الثاني عشر لكن ذلك لا يكفي لدفع تهمة تقصير راصدي مسيرة الشعر في تلك الفترة، فقد شهد القرن الثالث عشر أحداثاً جساماً – وإن حصل فيه شيء من الاستقرار في عهد الشريف حمود وربما في عهد علي بن حيدر – لكن الله قيض له ولأعلامه مؤرخين راصدين ، وكان في

---

[1] التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ج١ ص٣٩٥.

مقدمتهم: عالم مؤرخ، راصد منصف، هو العلامة المؤرخ: الحسن بن أحمد عاكش – رحمه الله – الذي حفظت لنا كتبه التاريخية والأدبية والعلمية إلى جانب ما حفظت لنا من سير الأعلام والعلماء حفظت لنا أسماء كوكبة كبيرة من الشعراء الأعلام ونماذج من شعرهم الأمر الذي يجعلنا نؤكد ما قلناه في مقدمة كلامنا عن أعلام شعراء القرنين الثامن والتاسع الهجريين من تكالب عوادي الأيام على تراثنا الشعري إلى جانب ضعف الرصد الذي حرمنا الاستمتاع بثروة فكرية لاشك في ثرائها المعروف عن المنطقة على مر التأريخ ..

ولعل القارئ بعد هذه المقدمة يلتمس لنا ولشعراء هذا القرن بعض العذر فذلك ليس لقصور منهم .. ولا بسبب ضعف اهتمام منا:

لا الزند كابٍ، ولا الآباء مقرفة ... وليس بالباع عن نيل العُلى قصر

وفي الصفحات التالية سنستعرض كوكبة من شعراء القرن الثاني عشر الهجري، هم قلة في العدد ، لكنهم يشيرون إلى أعداد أخرى طواها النسيان ، فإلى أعلام هذا القرن :

١- العلامة الشاعر: إسماعيل بن علي البهلول الحازمي (....-١٢٠٧هـ):

لم يكن سبب اعتبارنا له من أعلام القرن الثاني عشر الهجري كونه توفي في مستهل القرن الثالث عشر فقط ولكن إضافة إلى ذلك فلأننا لا نعرف تحديد زمن ولادته ، فربما كان من مواليد النصف الأول من القرن الثاني عشر، وحتى لو كان ممن ولد في نصفه الثاني، فهو في رأينا أحق بالانتساب إلى أعلام القرن الثاني عشر، والحازمي من خلال النص الشعري الذي اختاره له عاكش، شاعر صاحب مفردة شعرية جميلة، وهو كما وصفه: (عالم مدقق في العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ومعاني، وصاحب باع كبير في علوم الأصول والفروع) وإنه لكذلك كما يتضح لنا من لغته الشعرية الجزلة، يؤكد ذلك عاكش فيصفه: (بأنه لا يساويه أحد من معاصريه من أهل جهته إذا تكلم في علوم العربية أو علوم الفروع فإذا تكلم في مباحثها أسكت كل قائل) [١].

- تفرد بالحديث عنه العلامة: الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ) في كتابه: (عقود الدرر) وترجم له ترجمة جيدة لم يذكر مصدرها مع أن علمنا توفي قبل ولادة عاكش بما يقارب خمسة عشر عاماً وإن كان قد أشار إلى ثناء شيخه (عبد الرحمن البهكلي) على علمنا (الحازمي)؛ ولأنها الترجمة الوحيدة. فقد نأتي على أكثرها.

يقول عاكش في ترجمته لعلمنا : (هو من السادة الأحازم الميامين، رأس العلماء المحققين، أحد مشايخ وقته في الفقه والنحو، وحقق فيهما، وارتحل إلى مدينة صعده وأخذ عن مشايخها في ذلك الوقت، ورجع إلى وطنه قرية الظبية (قرية من أعمال وادي صبيا) وقد حاز علماً واسعاً، وسار بعد ذلك إلى مدينة

---

[١] عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر للحسن بن أحمد عاكش ج١ ص٢٢٤، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة معدة حاسوبياً للطبع تحقيق الدكتور إسماعيل البشري.

زبيد ولاقى أكابر علمائها كالسيد الحافظ: سليمان بن يحيى الأهدل [1]، والشيخ المحقق : عبد الخالق بن علي المزجاجي [2]، واشتغل بعلوم الآلة من نحو وصرف، ومنطق ومعان، وأصول حتى برع في جميع ذلك وصار المرجع في الجهة في هذه العلوم؛ سمعت شيخنا الحافظ القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي يطيل الثناء عليه بالتحقيق في هذه العلوم، وأنه لا يساويه أحد من العصريين من أهل جهته فيها، ولقد عثرت له على رسالة أرسلها للوالد في (حكم الشفعة)، ولقد أشعرت له بقوة باعه في الاستنباط بحسن عبارة، ومعرفة تامة بوجوه الاستدلال على نمط آداب أهل البحث ......)، ومضى في وصف دقته في البحث إلى أن قال: (وكان للمترجم له يد في الأدب طائلة فقد رأيت له تربيعاً على قصيدة والدنا العلامة محمد بن علي بن عمر – رحمه الله – التي امتدح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) [3] ثم أورد لعلمنا الحازمي قصيدته تلك التي ربَّع بها قصيدة العلامة ابن عمر سنختار منها قوله:

ليث المعارك في الدهماء ذو لبد شبل الإغارة في فيحاء ذي قرد

---

[1] سليمان بن يحيى الأهدل: (١١٣٧-١١٩٧هـ): هو العلامة: سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي ولد بمدينة زبيد ونشأ بها وتلقى العلم على جماعة من أعيان علمائها وفي مقدمتهم (والده)، ثم رحل إلى مكة ولقي بها عدداً من العلماء، وقد برع في العلوم العقلية والنقلية، ثم عكف على التدريس فأخذ عنه الطلبة من أهل بلده وغيرهم وصار محدّث الديار اليمنية غير مُدَافَع توفي في زبيد سنة ١١٩٧هـ انظر ترجمته في: البدر الطالع للشوكاني ج١ ص٢٦٧-٢٦٨، وفي مصادر الفكر للحبشي ص٦٥.

[2] عبد الخالق بن علي المزجاجي (....-١٢٠١هـ): هو العلامة عبد الخالق بن علي المزجاجي، أحد علماء اليمن في القرن الثاني عشر نشأ في مدينة زبيد، وتلقى العلم على علمائها، ثم رحل إلى الحرمين ولقي بهما عدداً من العلماء، قال عنه إسماعيل الوشلي في كتابه: نشر الثناء الحسن ناقلاً لجزء من ترجمته التي كتبها عنه تلميذه الأهدل في كتابه: النفس اليماني ما يلي: (علامة التحقيق، وفهامة التدقيق، ذو التآليف النافعة، والعلوم المتكاثرة الواسعة، وجيه الإسلام عبد الخالق بن علي المزجاجي، مناقبه مشهورة، وفضائله معروفة مأثورة، تتلمذ عليه علماء أعلام كثيرون، وله مؤلفات كثيرة منها: (الفتح الرباني شرح قطر ابن هشام)، (وإرشاد الحذّاق إلى تحقيق الاستغراق)، (فتح ذي الجلال والإكرام في حذف (الآل من الصلاة والسلام) وغيرها، توفي سنة ١٢٠١هـ. انظر ترجمته في: نشر الثناء الحسن للوشلي ج٣ ص١٩٦، ١٩٧، وفي مصادر الفكر للحبشي الصفحات ٦٦، ١٣٨، ٣٨٩.

[3] عقود الدرر ج١ ص٢٢٥، في النسخة الحاسوبية بتحقيق البشري.

وقاصم الكفر في (بدرٍ)،وفي (أحـــد) وفي (حنين) ببيض الهنـــد والأَسَـــل

الصادق الفعل والأرماح شاجرة
الحازم الحرب والأفكار حائرة
والثابت الجـــأش والهيجـــاء ثـــائرة والرمح يخطر بين الخيـــل والخـــول

كم أطعم الوحش من لحم العدا وسقى
وما بها الطير مسفوحاً لها غدقا
وممطر الأرض في يوم الوغى علقا من بحـــر كـــل كمـــي ماجـــد بطـــل

من عز بالعزم والأحلام داهشة
يوم الخنادق هل في ذا مناقشة
والثابت الجأش والألبـــاب طائـــشة إذ أقبلت عُصب الأحـــزاب كالظلـــل

لهم وثاب، وإرهاب ومختطف
والخيل تقدمهم والقوم تزدلف
فكرٌ منهم مكـــرّ الليـــث فانـــصرفوا بغـــيظهم وكـــساهم حلـــة الخجـــل

ولّى ضرار وقد نادى فناجزه
ونوفلاً طاح مذعوراً فأجهزه
وخرَّ عمرو صـــريعاً حـــين بـــارزه جهلاً وقد كـــان فـــيهم أيّمـــا رجـــل

فنفّس الكرب عن أحجاء قد صعدت
إلى الحناجر بل طفّت بما وعدت
من بعد ما زاغت الأبصار وارتعدت فرائص الأسد من رعب ومـــن فـــشل

وكم لحيدرة في الله من رتب
تنفّر الروع عما كان في رهب
وفتح خيبـــر أعيـــا كـــل منتخـــب من الصحابة أهل الفضل عـــن كمـــل

من بعد إيلائهم لكن ذاتهم

قساور غُلبٌ، زرق عيونهم

فكان فاتح ذلك الباب دونهم بعد اختصاص له من خاتم الرسل

إن العقاب له بالفتح منجزة

وكان هذا لخير الخلق معجزة

وجاءه (مرحبٌ) يبغي مبارزة فذاق كأس المنايا منه في عجل

مولاه أولاه ما أولى وأنحله

بالجد والمجد والأنجاد أكمله

كم موطن شهد الحرب الزبون له بأنه لم يخم عنها ولم يمل

وهي قصيدة طويلة تسير على هذا المنوال الجميل لغة ونغماً حتى آخر بيت فيها، وقد اخترنا أقل من نصفها ليس فقط بسبب ما فيها من مبالغات – أحياناً – ولكن رغبة في الاختصار، وقد ختمها الحازمي بقوله:

ثم الصلاة على خير الأنام، ومصبا ح الظلام، وهادي أوضح السُبُل [1]

قال عاكش: وكانت وفاة العلامة: (إسماعيل الحازمي) سنة سبع ومآئتين وألف، وقد رثاه والدنا القاضي العلامة أحمد بن حسن البهكلي (١١٥٣-١٢٣٣هـ) [2]

---

[1] المصدر السابق ص٢٢٥-٢٣٠.

[2] أحمد بن حسن البهكلي: (١١٥٣-١٢٣٣هـ) هو أحد علماء وشعراء وقضاة أسرة آل البهكلي العلمية الشهيرة ترجمه الوشلي في نشر الثناء الحسن ترجمة وافية جاء فيها: (من أكابر العلماء الجامعين بين علوم العربية والأصول والحديث والتفسير والفقه، وله رسائل ومسائل، وله أشعار رائقة...... وهو من أحسن الناس مذاكرة، وأملحهم محاضرة مع ظرافة ولطافة وجودة تعبير، ودقة ذهن وقوة فهم.) وقال عنه عاكش: (هو من القضاة المشهورين والعلماء المبرزين ولد ببلدة ضمد سنة ثلاث وخمسين بعد المائة والألف وارتحل في طلب العلم إلى زبيد وصنعاء ونال الحض الوافر من كل فن من الفنون العلمية نقلاً وعقلا، وكان له الذهن الوقاد، والخاطر المنقاد، فنال من العلم في الزمن القصير ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير....... تولى القضاء بمدينة صبيا

بهذه المرثية العظيمة المفصحة عما حواه من الخصال الكريمة: ثم أورد تلك القصيدة الرثائية التي تعتبر من عيون شعر الرثاء وقد نسجها البهكلي على وزن وروي قصيدة الشاعر المخضرم: أبي ذؤيب الهذلي[1] الشهيرة التي قالها في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون فحزن عليهم حزناً شديداً والتي يقول في بعض أبياتها:

إني لريب الدهر لا أتزعزع　　والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك ناحلاً　　منذ ابتذلت و مثل مالك ينفع
فأجبتها أن ما لجسمي ؟ إنه　　أودى بنيّ من البلاد فودّعوا
أودى بنيَّ، فأعقبوني حسرة　　بعد الرقاد وعبرةً ما تقلع

مدة ثم ترك ذلك وسكن بلده هجرة ضمد، واستفاد به عالم من أهلها له رسائل عديدة في فنون من العلوم وله مراجعات في مسائل علمية بينه وبين علماء عصره نظماً ونثراً........) انظر ترجمته في مخطوطة نزهة الظريف في سيرة أولاد الشريف لعبد الرحمن البهكلي الورقة١٢ وما بعدها. وفي عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث للحسن بن أحمد عاكش ج١ ص٦٨-٧٣ وغيرها.

[1] أبو ذؤيب الهذلي: هو: خويلد بن خالد بن مُحرّث بن زُبيد بن مخزوم بن صاهله بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل أحد المخضرمين؛ فقد أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم وحسن إسلامه، كان شاعراً فحلاً من شعراء هذيل البارزين وممن رثى رسول الله ﷺ بقصيدة يقول في بعض أبياتها:

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها　　وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها　　ونخيلها، لحلول خطب مفدح

وكانت عينيته التي رثى بها بنيه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون قبل وفاته بعام كامل كانت هذه القصيدة من أسباب شهرته وهي التي يقول في مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجع؟　　والدهر ليس بمعتب من يجزعُ

وفي أيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج أبو ذؤيب غازياً في جند عبد الله بن سعد بن سرح وكان أحد المجاهدين الذين شاركوا في فتح قرطاجِنّه، فبعثه ابن سرح مع عبد الله بن الزبير ليبشروا عثمان بن عفان بالفتح ولما وصلوا إلى مصر مات أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله.

انظر ترجمته في: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج٦ ص٢٦٥-٢٧٩، وفي طبقات الشعراء لابن سلام ص٤٣٥-٤٣٧، وفي تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) لشوقي ضيف ص٧٣ ، ٧٤ وغيرها.

إلى أن قال:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم   وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيتَ كل تميمة لا تنفع [1]

وقصيدة البهكلي هذه التي قالها في رثاء العلامة إسماعيل الحازمي طويلة سنختار منها قوله:

سهم المنية صائب لا يدفع   والمرء في دنياه حيٌّ مولع
والناس في لهو هناك وغفلة   والدهر في حشد يروع ويقرع

إلى أن قال:

العالم النحرير أفضل ناسك   في العصر، مولانا التقي الأروع
الندب:(إسماعيل) نجل علي،من   أعراقه شرفت فطاب المنبع

إلى أن قال في مرثيته للحازمي:

من للغوامض يا همام مجلِّيا   إن أعوزت يوماً فأنت المرجع
أحرزت علم النقل تحقيقاً فما   يخفى عليك من المباحث موضع
وكذاك علم العقل أنت إمامه   فعلاً بلا كدّ إليه تسرع
لك في العلوم مدارك قد نلتها   وسواك في تحصيلها لا يطمع

وختمها بالدعاء له قائلاً:

فسقى ضريحا ضم جسمك وابل   في كل وقت عاديات تهمع [2]

قلت: وسقى الله ضريحاً ضم البهكلي قائل هذه الأبيات بوابل الرحمات ورحم الله الحسن بن أحمد عاكش الذي نفحنا بهذه السيرة العطرة لعالم وشاعر جدير بتخليد ذكره وذكراه هو العلامة إسماعيل بن علي الحازمي رحمه الله .

---

[1] تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) لشوقي ضيف ص٧٣، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٣م، وانظر: الأغاني ج٦ ص٢٦٥ وما بعدها.

[2] عقود الدرر لعاكش ج١ ص٢٣١.عن النسخة الحاسوبية بتحقيق البشري، وانظر الورقة (٥٠) من مخطوطة دار الكتب بصنعاء.

٢- العلامة الشاعر: الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي (١٠٩٩-١١٥٥هـ):

سليل أسرة علمية عريقة اشتهر من رجالاتها العلماء والأدباء والقضاة والمؤلفون والشعراء، فهو شاعر مفلق، وناثر مبدع، وبليغ مجيد، (شعره في الطبقة العليا وله شعر عزيز النظير من إخوانيات، ومراسلات)[١]، وله وجدانيات يتشكى فيها من الزمان و من بعض أهل زمانه، وفي شعره تبرز ثقافته وعمق تجربته، ونثره لا يقل روعة عن شعره، فهو صاحب المقامة الضمدية المشهورة [٢] وكفى بروعتها، وهو صاحب الإبداعات الجميلة.

- ترجم لعلمنا عدد من الباحثين وكتاب التراجم، وأولهم: ابنه المؤرخ العلامة: عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي الذي ترجم له ترجمة وافية تناول فيها حياته وأعماله وشعره ونثره ، ومما قاله عن والده: (سيدي الوالد العلامة المحقق، الفهامة المدقق، عين الأعيان، وبديع الزمان، بدر الإسلام، قاضي قضاة الأنام، صدر القضاة والحكام: الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي، ولد بوطنه هجرة ضمد في عام تسع وتسعين بعد ألف، ورُبِّيَ في حجر والده رحمه الله على الطهارة والعفاف وسلوك سبيل صالحي الأسلاف وقرأ عليه القرآن الكريم ثم انتقل إلى خاله ، والده وشيخه العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي فقام بتربيته وتهذيبه وأحسن تأديبه وتخريجه حتى تضمخ من طيب أخلاقه بغوالي طيبه واستصحبه حضراً وسفراً، واعتنى به أشد الاعتناء حتى فاق أقرانه والنظراء: (ذاك أبو الروح لا أبو البدن)، ولما ارتحل إلى صنعاء صحبه في تلك الرحلة، وأكَبَّ هناك على طلب العلم الشريف حتى استنارت له سبله، وأقام بعد وفاة خاله مدة مديدة وظفر من فوائد العلوم بكل فريدة، وبرع في علوم العربية،

---

[١] خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، لعبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي (والمؤلف ابن المترجم له) انظر الصفحات ١٢٠ وما بعدها.

[٢] المقامة الضمدية للمترجم له (الحسن بن علي البهكلي) وحققها ونشرها عبد الله أبو داهش.

والأصول الفقهية، والقواعد الفروعية على العلماء الجلة كالسيد الإمام هاشم بن يحيى الشامي [1]. والسيد العلامة النبراس عبد الله بن علي الوزير [2]: وغيرهما من العلماء المبرزين.

ثم رحل من صنعاء إلى هجرة كحلان للقراءة على السيد العلامة صلاح ابن الحسين [3]، ثم عاد إلى صنعاء للتطلع من العلوم وتردد منها إلى حج بيت الله الحرام أعواماً (وأقام بمكة المكرمة أعواماً عديدة)[*] ثم عاد إلى وطنه هجرة ضمد .... ثم تولى قضاء بندر جازان ثم انتقل إلى أبي عريش لتولي القضاء بها وكان العين الناظرة بالمخلاف السليماني .... ولم يزل قائماً بشرائف الوظائف والمعالم متصفاً بأحسن الخلائق حتى انتقل إلى دار رضوان الخالق في اليوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٥٥هـ ودفن بأبي عريش).

---

[1] العلامة: هاشم بن يحيى الشامي:(١٠٨٧-١١٥٨هـ): هو:العلامة هاشم بن يحيى بن محمد بن أحمد بن علي بن حسن الشامي، عالم كبير، وسياسي شهير، وأديب وشاعر ومؤلف، ولد في قرية حدَّةْ جنوبي غرب صنعاء سنة١٠٨٧هـ ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والعلماء فكان(علمنا)من أبرزهم حتى وصف بأنه آية في العلم باهرة، تلقى علومه بمدينة صنعاء على جماعة من العلماء، وعرف بذكائه المفرط، تولى القضاء والخطابة، له مؤلفات كثيرة منها:(تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان)و (إرشاد الأقارب في بعض ما ورد في حق الصاحب)وغيرهما من المؤلفات،وله شعر جيد توفي سنة ١١٥٨هـ،انظر ترجمته في البدر الطالع ج٢ ص٣٢٣، وفي هجر العلم ج١ ص٣١٦، وفي الأعلام ج٨ ص٦٧، وفي معجم المؤلفين ج٤ ص٥٣، وفي الأدب اليمني للحبشي ص٢٩٦ وغيرها.

[2] عبد الله بن علي بن محمد الوزير: (١٠٧٤-١١٤٧هـ): علامة يمني كبير، أديب ومؤرخ شهير، ومن رجالات التعليم والإفتاء، ولد بصنعاء من أسرة علمية عريقة تهتم بالعلم والثقافة فعبّ من معينها حتى أصبح من أعلامها ومن رجال الفتيا فيها، شاعر ينتمي إلى شعراء مدرسة البديع، وله مؤلفات كثيرة منها: (جامع المتون في أخبار اليمن الميمون) و (كشف اللثام عن حقيقة الأعلام) و (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) و (أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبير العزب) وغيرها من المؤلفات توفي سنة ١١٤٧هـ، انظر ترجمته في: البدر الطالع ج١ ص٣٨٨، مصادر الفكر ص٣٤٤، والأدب اليمني (عصر خروج الأتراك من اليمن) للحبشي ص٦٠١-٦٠٦، و الأعلام ج٤ ص١٠٧، و الروض الأغن ج٢ ص٧٣، نشر العرف ج٢ ص١١٣، وغيرها.

[3] العلامة صلاح بن الحسين بن شرف الدين الكحلاني: (.... – ١١٦٨هـ): من علماء هجرة كحلان باليمن، كان عالماً بالفروع، تولى القضاء بكحلان وكان إلى جانب ذلك يقوم بالتدريس لمن قصده من طلبة العلم، توفي رحمه الله في كحلان سنة ١١٦٨هـ، انظر ترجمته في: نشر العرف لزبارة ج١ ص٨٠٣، وملحق البدر الطالع ص١٠٧، وهجر العلم ومعاقله ج٤ ص١٨١٩ وغيرها.

[*] من مقدمة محقق كتاب خلاصة العسجد ص٥٧.

ثم أفاض في الحديث عن شعر والده ونثره وذكر بأن له تأريخ منظوم في حوادث أيامه لا يعرف تاريخ ابتدائه ولا تاريخ انتهائه وذكر نماذج من شعره مشيراً إلى مقامته المشهورة (المقامة الضمدية) وإلى شرح العلامة أحمد محمد النمازي لهذه المقامة وختم ترجمته بالقول: (وبالجملة فلسان العلم كليل عن الإحاطة بجميع وصفه الجميل وكثير من شعره ونثره مدون بأيدي من يتعلق بالأدب من أهل الجهة) [1].

- وتحدث عن علمنا: (البهكلي) محمد بن أحمد العقيلي فقال: (ولد في بلدة ضمد وقرأ مختصرات المتون على خاله علي بن عبد الرحمن البهكلي ولازم حلقة دروسه في ضمد ثم في صنعاء، كما رافقه في رحلته إلى صنعاء وهناك طلب العلم على علمائها حتى برع في علوم العربية والأصول والفقه وتردد بين صنعاء ومكة المكرمة أعواماً ثم استقر في بلدته ضمد إلى أن أسندت إليه وظيفة القضاء بمدينة جازان ثم نقل إلى وظيفة قضاء مدينة أبي عريش وبقي فيها إلى أن وافته المنية سنة ١١٥٥هـ رحمه الله).

ثم ذكر بعض شعره في كتابيه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) و (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١) وأشار فيهما إلى مؤلفه: (المقامة الضمدية) وذكر نموذجاً منه [2].

- وترجم له صاحب (الروض الأغن) ترجمة موجزة فقال: (الأديب القاضي الحسن بن علي بن حسن البهكلي ولد بضمد سنة سبع وسبعين وألف (والصحيح أنه ولد سنة تسع وتسعين وألف كما ذكر ابنه عبد الرحمن في خلاصة العسجد) ورحل إلى صنعاء فأخذ عن علمائها ثم رجع إلى بلده فأسندت إليه وظيفة القضاء

---

(١) بتصرف عن كتاب: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد للعلامة عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي انظر ترجمة والده في الصفحات ١٢٠-١٢٧.

(٢) أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان للعقيلي ص ١١٣ ، ١١٤ وانظر ج١ ص٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ من كتاب: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي كذلك .

بجيزان وأبي عريش وله مؤلف : (المقامة الضمدية) وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين) [١].

- وتحدث عنه عبد الله أبو داهش في مقدمة تحقيقه للمقامة الضمدية حديثاً مستفيضاً وأورد بعض نماذج من شعره ونثره ومما قاله عنه: (هو الحسن بن علي بن حسن البهكلي يعود نسبه إلى أسرة آل البهكلي العلمية الشهيرة بتهامة .... وكانت ولادة هذا العالم الجليل في مدينة ضمد سنة تسع وتسعين بعد الألف (١٠٩٩هـ) تلقى تعليمه الأولي على يد والده إذ نشأ في حجره على الطهارة والعفاف ..... ثم انتقل إلى خاله العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي (١٠٧٣-١١١٤هـ) فقام بتربيته وتهذيبه وأحسن تأديبه وتخريجه حتى تضمخ من طيب أخلاقه بغوالي طيبه واستصحبه حضراً وسفراً، واعتنى به أشد الاعتناء، حتى فاق أقرانه والنظراء؛ فقد أخذ عنه في مدينة ضمد وقرأ عليه فيها مختصرات المتون، ثم لازم حلقات العالم نفسه في مدينتي ضمد وصبيا، وارتحل من بعد ذلك في طلب العلم إلى صنعاء وكحلان ومكة المكرمة، إذ صحب شيخه علي بن عبد الرحمن البهكلي إلى صنعاء وتلقى تعليمه فيها على أشهر علمائها .....) [٢].

ثم ذكر بعد ذلك مشائخه الذين تلقى عليهم العلم .. وذكر عودته إلى بلده وسمى الوظائف القضائية التي أسندت إليه في مدينة جازان وأبي عريش إلى أن قال: (اتسم الحسن بن علي البهكلي بالروح الأدبية إلى جانب مكانته العلمية فقد كان فصيحاً شاعراً بليغاً مفلقاً ناظماً ناثرا) [٣]، وشرع أبو داهش بعد ذلك في ذكر بعض مناقبه وخلاله إلى أن قال: (لقد أسهم الحسن بن علي البهكلي بشيء من

---

[١] الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن لعبد الملك حميد الدين ج١ ص١٥٠، وقريب من هذا الكلام ما قاله الحبشي عن علمنا في ص٣٤٦ من كتابه: مصادر الفكر.

[٢] مقدمة المقامة الضمدية تحقيق عبد الله أبو داهش انظر ص٤٩-٥٨ من كتاب حوليات سوق حباشه للمحقق عدد ١٠ سنة ١٤٢٦هـ مطابع البتراء للأوفست الرياض، وانظر الصفحتين ٣٢٣ ، ٣٢٤ من كتاب أبي داهش: (أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما)

[٣] المصدر والصفحات السابقة.

نتاجه الشعري في الميدان الأدبي بالمخلاف السليماني في القرن الثاني عشر الهجري إذ كانت له أشعار غزيرة من أجوبة ورسائل ومراسلات ...) [1].

ومضى أبو داهش في الإشادة بمشاركات علمنا: (البهكلي) الشعرية والأدبية والعلمية إلى أن قال عن شعره: (ومن الواضح أن شعر الحسن بن علي البهكلي يسير في اتجاهين: شعره الوجداني، وشعره التقليدي الذي تمثل في التخميس والمعارضات وغيرهما) [2].

ثم ذكر بعد ذلك نماذج من شعر علمنا البهكلي .. مستكملاً بعض سيرته الأدبية حتى قاده السياق للحديث عن مقامته الأدبية المشهورة.

- وأشار إليه صاحب : (هجر العلم ومعاقله في اليمن) فقال عنه: (الحسن بن علي بن الحسن البهكلي عالم محقق في الفقه، أديب وشاعر، رحل إلى صنعاء فأخذ عن علمائها ثم عاد إلى بلده فتولى القضاء في جيزان وأبي عريش، مولده في ضمد سنة ١٠٩٩هـ ووفاته فيها في ١٢ ذي القعدة سنة ١١٥٥هـ.

من آثاره الأدبية: المقامة الضمدية وقد حققها عبد الله أبو داهش ولها شرح لأحمد محمد النمازي) [3].

وبعد: فكل هذه النقولات التي سقناها عمن ترجم لعلمنا الحسن بن علي البهكلي لا تغنينا عن الاستمتاع بما وصل إلينا من شعره الجميل على قلته فقد ساق لنا ابنه عبد الرحمن البهكلي بعض شعره خلال ترجمته لوالده (الحسن) في كتابه: (خلاصة العسجد) ومما ذكره من شعر والده قوله في الحنين:

خليليَّ كم أخفي هوى لا أطيقه وأكتم حر البين بين ضلوعي
وحسبكما مما تجن جوانحي من الوجد أو مما تفيض دموعي

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر والصفحات السابقة.

[3] هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٢٢٢.

مبيتي على شـوك القتـاد مـسهدا   وماء عيـوني مـن دمٍ ونجيـع [1]

ومن شعر الحسن بن علي البهكلي في العتاب نقرأ له قوله الذي ضمّن فيه قـول الشاعر: يزيد بن مفرغ الحميري (... – ٦٩هـ):

عدس ما لعباد عليك إمارة   نجوتِ وهذا تحملين طليق

حيث يقول البهكلي:

صددت اعتماداً عن وصالي تجنيـاً   علـيَّ ومـا مثلـي بـذاك خليـق
ولو تدر ما عندي لمثلك لـم تـزل   تسير على الأحداق لـي وحقيـق
وهذا وداري حـول دارك ملـصقاً   فكيف إذا كـان المكـان سـحيق
ولو صدَّ عني من أُريـد صـدوده   لقلت لرحلـي حـين مـلَّ رفيـقُ
(عدس مـا لعبَّـاد عليـك إمـارة   نجوت وهذا تحملـين طليـق) [2]

وفي شعر الشكوى نقرأ لشاعرنا الحسن بن علي البهكلي قوله:

من جرَّب الدهر الخؤون وأهلـه   أضحى لجـيش الهـم فيـه مطـاردا
من لي بمن تشكو إليه جوانحي   لهبـاً فيرويهـا نقاخـاً بـاردا
ويرى الخليُّ بشاشتي وطلاقتـي   فـيظن أنـي للخطـوب مـساعدا [3]

والبيت الأخير يؤكد تقطع النفس الشعري وأن واو العطف في قولـه: (ويـرى) يكمل معنى تحدث عنه الشاعر في أبيات غير مذكورة هنا، وربما أتت بعد أبيـات تكمل المعنى المراد في تشكي شاعرنا من أهل زمانه!

ولشاعرنا الحسن البهكلي مطارحات شعرية تبادلها مع أقرانه وأشياخه، من ذلـك تلك الأبيات التي تطارح بها مع صديقه الشاعر اليمنـي: أحمـد بـن الحـسين

---

(1) خلاصة العسجد لعبد الرحمن بن الحسن البهكلي ص١٢٣.
(2) المصدر السابق ص١٢٤.
(3) المصدر نفسه.

الرقيحي[1] فقد ذكر صاحب خلاصة العسجد قصة هذه المطارحة قائلاً: (وعلى ذكر هذا الأديب (الرقيحي) ذكرت ما دار بينه وبين حي والدي العلامة ذي الفضل الجلي الحسن بن علي البهكلي أيام هجرته بصنعاء لطلب العلم الشريف وذلك أنه أصبح في بعض تلك الأيام وقد ثارت عليه حُمىّ صفراوية حرمته لذيذ المنام فتشوق إلى شيء من اللبن المخيض المسمى في عرف تهامة بـ (الرَّيْب) وهو اللبن الحامض الذي قد خلص منه الزبد .... فكتب الوالد أبياتاً هي:

من لجسم في ربا صنعاء طن ... كل لذات حوتها يتقيها
غمرته مرة ناريَّة ... فهو يشكو وينادي ساكنيها
يا عباد الله هل من شربةٍ ... من مخيضٍ؟ قيل لي: (لا ريب فيها)

قلت ولعل القارئ يلاحظ ما في البيت الأخير من تورية لطيفة: (قيل لي: لا ريب فيها) فاللبن الحامض يطلق عليه في (اليمن) مسمى: (رَيْب) لذلك ورّى شاعرنا بالآية الكريمة (لا ريب فيها) قال صاحب خلاصة العسجد: فلما اطلع على هذه الأبيات الأديب أحمد الرقيحي أجاب بلا تثريب فقال:

كم بصنعا من أديب ماجد ... كاد يعطي النفس حقاً سائليها
وبها ما يدفع الريب بها ... من معان تسلب الأرواح فيها

---

[1] أحمد بن الحسين الرقيحي الصنعاني: (١٠٨٦-١١٦٢هـ): أحد علماء وشعراء اليمن المشهورين في القرن الثاني عشر الهجري كان يتكسب في مهنة الصياغة، ولد ببلدة (رُقَيْح) من بلاد يحصب بريم سنة ١٠٨٦هـ وينتسب إلى قبيلة (حاشد) اليمنية المعروفة، وبيته بيت علم وأدب لذلك نشأ محباً للأدب، له شعر في مختلف الأغراض جمع في ديوان، وله إسهام في الشعر الملحون المعروف بالحميني، وله اشتغال باللطائف والألغاز والأحاجي، ومن شعره – غير ما تطارحه مع علمنا البهكلي – قوله: مدافعاً عن مهنة الصياغة الشريفة التي كان يعيش منها، راضياً بها:

المجد في العلم والكف المُسَوَّدِ مِنْ ... فَنّ الصياغة لا في صحبة الدول
فما سعيتُ إلى هذا وذاك معاً ... إلاّ لأجمع بين العلم، والعمل

انظر ترجمته في: الموسوعة اليمنية ج١ ص٥٣، و في الأعلام ج١ ص١١٨، وفي البدر الطالع ج١ ص٥٢، وفي نشر العرف ج١ ص١٢٥، وفي مصادر الفكر ص٣٤٦، وفي معجم المؤلفين ج١ ص٢٠٥، وفي الروض الأغن ج١ ص٤٠ وغيرها.

لــك عنــدي رائــب أربــى علــى لــبن الحــور وســائل قاطنيهــا[1]

ومع أن صاحب خلاصة العسجد لم يشبع نهمنا المعرفي حين قصر اختياراته من شعر والده العلامة الشاعر الحسن بن علي البهكلي على مقطوعات قصيرة فأمتعنا في أماكن مختلفة من كتابه بثلاث مقطوعات تمثل أغراضاً متنوعة ومــع أنهــا أبيات ثلاثة أو أربعة من كل مقطوعة إلا أنها مقطوعات شعرية عالية اللغة سامية البيان عميقة المعاني جيدة التراكيب تتسنم في جمالياتها ذروة البلاغــة وتؤكــد شاعرية الحسن بن علي البهكلي وإمساكه بناصية البيان .. وكم كنا سنكون أكثر استمتاعاً لو زادنا ابنه صاحب خلاصة العسجد جرعة من تلك الاختيارات الشعرية الجميلة من شعر والده الجميل ولكن القليل الجميل يدل على الكثير الأجمل الــذي نأمل أن يظهره الباحثون في قابل الأيام.

ولعلنا نختم هذه الاختيارات الراقية بهذا التسميط الــذي جعلــه صــاحب خلاصة العسجد مسك ختام اختياراته من شعر والده الحسن البهكلي حيــث قــال: (وله رحمه الله التمسيط البليغ على أبيات الشريف قتادة [2] بن إدريس مليك مكة المشرفة وقد استحسن نقلهما هنا لبلاغتهما:

يقولون في الترحال درّ كثيرة
ومجد أثيل أو خلال وخيرة
فقلت لهم والصدر فيه أزيزة
بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ـ ولو أنني أعرى بها وأجوع

---

[1] خلاصة العسجد للبهكلي ص١٨٣ ، ١٨٤.

[2] قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني أبو عزيز: هو جد الأشــراف بنــي قتــادة بمكــة (٥٢٧-٦١٧هــ) ولد في ينبع ونشأ بها شجاعاً عاقلاً، كان قاضياً محسناً في بدء أمره، ثم ترأس عشيرته واستولى علــى ينبع، والصفراء، ثم تولى إمارة مكة سنة ٥٩٨هــ واتسع ملكه إلى المدينة واليمن، وكان مهيباً وقوراً، وكان مــن أدهى وأشهر من ملك مكة، دام ملكه أكثر من عشرين عاماً، له أخبار كثيرة، وله شعر جيد، قيل بأن ابنه الحــسن خنقه وهو مريض وتوفي سنة ٦١٧هــ.انظر ترجمته في: الأعلام للزركلــي ج٥ ص١٨٩، وفــي العقــد الثمــين للفاسي ج٧ ص٣٩-٦١، وفي تاريخ مكة للسباعي ٢٢٤، ٢٢٥ وغيرها.

إذا رمت إدراك السماكين نلتها
أو الجدي والجوزاء يوماً لطلتها
وإن مقامي في العلو بمنتهـــى
ولي كفٌ ضرغام إذا ما بسطته   بها أشتري يوم الوغى وأبيع

تجود على العافين حيناً بوفرها
وحيناً على الأعدا تصول بضرها
لأن سديد الرأي لا يأمن البغــي
أأتركها تحت الرهان وأبتغي   خلاصاً لها إني إذا لرقيع

لقد فطنت نفسي الذي في ضميركم
فلـــو صرت منقاداً لقول مشيركم
لهنت علــــى مأموركم وأميركم
وما أنا إلا المسك في أرض غيركم   أضــوع وأما عندكم فأضيـــع

ومع أن عبد الرحمن البهكلي لم يضعنا أمام أبيات الشريف قتادة (...-٦١٧هـ) حتى يتعرف القارئ على شعر علمنا الحسن البهكلي ويتعرف على شعر الشريف قتادة إلا أننا استمتعنا بخليط من الشعر المخمس الجميل للبهكلي فيه نكهة لغوية خاصة جعلت القارئ يحس بأن القصيدة كلها نسيج شعري واحد دبجتــه براعــة شاعر فنان صاحب قضية صاغها بلغة شعرية حاولت أن تلامس تلــك القـضية ولما!! ولا بأس من أن نفرد أبيات الشريف قتادة بن إدريس التي خمسها شاعرنا الحسن البهكلي ومازجها بشعره حتى صارت نسيجاً شعرياً متكاملاً، لا بأس مــن أن نذكرها كما جاءت في كتاب تاريخ مكة للسباعي ضمن قصة طويلــة وقــارب منها أحمد بن أبي الرجال في مطلع البدور لكنه ذكر بأن (قتاده) لبى دعوة الخليفة في العراق وسار حتى قارب مدينة النجف فتلقاه أهل الكوفة وكان معهم جماعــة

يحفون بأسد قيدوه بسلاسل فرجع إلى مكة وهو يقول: لا أدخل بلاداً تُـذل بهـا الأسود [1]، أما أبيات الشريف قتاده فهي:

بلادي وإن جـارت علـي عزيـزة ... ولو أنني أعـرى بهـا وأجـوع [2]
ولـي كـف ضـرغام أذل ببسـطها ... وأشري بهـا عـز الـورى وأبيـع
تظل ملـوك الأرض تلـثم ظهرهـا ... وفـي بطنهـا للمجـدبين ربيـع
ألجعلها تحت (الرجا)[3] ثـم أبتغـي ... خلاصـاً لهـا، إنـي إذاً لوضـيع
وما أنا إلا المسك فـي كـل بقعـة ... يـضوع، وأمـا عنـدكم فيـضيع

ويلاحظ بعض الاختلاف البسيط في بعض المفردات التي لم تذهب بالمعنى المراد ولعل الرواة تناقلوها بروايات مختلفة أما مناسبتها أو قصتها كما رواهـا المؤرخ أحمد السباعي فهي: أن حكام بغداد لم يكونوا راضين عن تفرد الـشريف قتادة بحكم مكة بعد أن أجلى عنها ابن عمه مُكَثِراً في سنة ٥٩٧هـ فناصـبوه العداء وحصلت بعض مواقف بين حجاج العراق وبعض أقارب الشريف قتادة ثـم ندم الشريف قتادة على بعض التصرفات التي حصلت فأرسل ولده راجحاً وجماعة من أصحابه إلى بغداد ليعتذروا عما حدث فاستقبلتهم بغداد وقبلوا اعتذارهم ... ثم أرسل الخليفة في بغداد ببعض الهدايا إلى الشريف قتادة وطلب إليه الشخوص إلى بغداد فتوقع الشر لدعوة الخليفة وكتب إليه تلك القصيدة المبطنة بالتهديد والفخر والاعتزاز بالنفس والتي ذكر منها السباعي تلك الأبيات، فغضب الخليفة في بغداد وكتب إليه متوعداً بحربه وإخراجه من مكة[4]. هكذا كانت قصة تلك الأبيات التي قالها الشريف قتادة كما رواها السباعي رحم الله الجميع.

رحم الله شاعرنا البهكلي الذي نبش ذاكرة التاريخ حين خَمَّس هذه القصيدة مؤكداً ثقافته التاريخية وقدرته على الاندماج في أجواء ذلك النص بلغة شعرية قوية.

---

[1] مطلع البدور ج٤ ص٩٣.

[2] البيت الأول هذا غير موجود في كتاب تاريخ مكة الذي نقلنا عنه الأبيات الأربعة الباقية.

[3] ذكر صاحب العقد الثمين روايات مختلفة لهذه الكلمة فقد وردت: (الثرى) و (الرحى) و (الرهان).

[4] تاريخ مكة لأحمد السباعي ص٢٢٤ -٢٢٥ (بتصرف).

٣- العلامة الشاعر: علي بن عبد الرحمن بن الحسن البهكلي (١٠٧٣-١١١٤هـ):

طالب العلم الذي لا يكل ولا يمل، حيث ظل يطلب العلم حتى آخر لحظة من عمره، القاضي العلامة، الأديب الشاعر، المؤرخ الفذ، الذي (أدرك في كل فن حظاً وافراً) [١] والمبرز الذي نعته محقق (خلاصة العسجد) بقوله: (المجلّي من أسرة آل البهكلي الشهيرة في العلم والفقه والأدب) [٢] استمرَّ شغفه بطلب العلم حتى لقي ربه؛ وفي سيرته تأكيد ذلك؛ فقد تلقى تعليمه الأولي في بلدته (ضمد) ثم ارتحل إلى (صعده) باليمن ،وأخذ العلم على علمائها ثم عاد إلى بلدته ضمد ثم ما لبث أن عاد إلى اليمن لطلب العلم حيث قصد بلاد الشّرف وتلقى العلم على بعض علمائها كالعلامة الفقيه الحسين بن الناصر المهلا [*]، ثم عاد إلى بلاده فولي القضاء بصبيا، وما لبث أن تاقت نفسه للاستزادة من طلب العلم فترك القضاء في عام ١١١٣هـ ورحل عن بلاده مرة أخرى إلى صنعاء لطلب العلم على علمائها فأقام بها يطلب العلم عاماً واحداً فقط حيث وافته منيته بها عام ١١١٤هـ.

- ترجم لعلمنا (علي بن عبد الرحمن البهكلي) عدد من الباحثين وكتاب التراجم ومنهم: صاحب هجر العلم ومعاقله في اليمن الذي قال عنه: (علي بن عبد الرحمن بن الحسن البهكلي: عالم محقق في علوم العربية والأصولين، كانت دراسته في صعده وفي هجرة الشجعه [٣]).

---

[١] خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد لعبد الرحمن بن الحسن البهكلي ص٩١.

[٢] المصدر السابق ص٥٥.

[*] سبقت ترجمته في هامش الصفحتين: ٣١٥ ، ٣١٦ .

[٣] الشّجعة: بكسر الشين المشددة: قرية يمنية تقع غربي بلدة (المحابشة) الجبلية في بلاد الشرف الأعلى. انظر: المقتطف من تاريخ اليمن للجرافي ص٢٥٢.

مولده سنة ١٠٧٣هـ ووفاته سنة ١١١٤هـ [1] ثم تحدث بشيء من التفصيل عن مؤلفيه الشهيرين: (العقد المفصل بالعجائب والغرائب)، وكتابه: (شرح الكافية) في النحو.

وترجم له العقيلي في مقدمة تحقيق (العقد المفصل بالعجائب والغرائب للبهكلي نفسه) وفي كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) وفي كتابه: (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) نجتزئ منها قوله: (ولد علي بن عبد الرحمن البهكلي بضمد سنة ١٠٧٣هـ وقرأ بها مبادئ العلوم ثم ارتحل إلى صعده فكان موضع احتفاء شيوخ علمائها ثم عاد إلى بلدته ضمد فتتلمذ عليه عدد من أبنائها ثم ارتحل إلى الشّرف لطلب العلم ثم عاد إلى وطنه وفي هذه الأثناء ولي القضاء بمدينة صبيا وتزوج بها وأنجب وكان مع قيامه بمهام القضاء يقوم بالتدريس لطلابه حيث انثال على حلقته أبناء المنطقة وغيرهم وانتفع به كثيرون.

وفي (أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان) أضاف العقيلي في ترجمته لعلمنا البهكلي تفصيلات كثيرة وتحدث عن مؤلفاته وبعض محطات حياته[2].

- وقال عنه الزركلي: (علي بن عبد الرحمن البهكلي: مؤرخ من علماء المخلاف السليماني، ولد في ضَمَدْ، وتفقه وتأدب في (صعدة)، وتولى القضاء في (صبيا)، وتوفي بصنعاء سنة ١١١٤هـ، صنف كتاب: (العقد المفصل بالعجائب والغرائب)، وكتاب: (شرح الكافية)[3].

- أما صاحب (الروض الأغن) فقد ترجم للبهكلي بإيجاز فقال: (المؤرخ الأديب علي بن عبد الرحمن البهكلي: هو مؤرخ من علماء المخلاف السليماني في

---

(1) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٢٢٤.

(2) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٣٩٢،وانظر أضواء على الأدب والأدباء ص١١١-١١٣ ومقدمة العقد المفصل ص٢٣.

(3) الأعلام ج٤ ص٢٩٩.

عصره، كانت ولادته في سنة ثلاث وسبعين وألف في مدينة ضمد وتفقه وتـأدب في مدينة صعده، وتولى القضاء الشرعي في صبيا، وله مؤلفات منها:

١- العقد المفصل بالعجائب والغرائب .

٢- وله كتاب شرح الكافية.

وكانت وفاته بمدينة صنعاء سنة أربع عشرة ومائه وألف هجريـة رحمـه الله وإيانـا والمؤمنين) [١].

- وتحدث عن قريبه العلامة المؤرخ (عبد الرحمن بن الحسن البهكلـي) حـديثاً مطولاً فقد تحدث عنه وعن سيرته العطرة في كتابه (خلاصة العسجد) وتحدث عن مؤلفاته بإفاضة واستفاضة ومما قاله عنه: (القاضي العلامـة علـى الإطـلاق، الفهامة من غير شك ولا شقاق، المطلع على دقائق العلوم، المحـيط بـالمنطوق منها والمفهوم: علي بن عبد الرحمن الحسن البهكلي ولد سنة١٠٧٣هـ ببلـده هجرة ضمد المحروسة، وحفظ القرآن العظيم بها ثم ارتحل لطلب العلم إلى مدينة صعده فلقي بها أجلاء العلماء، وبرع في علوم العربية حتى صار فريـد الزمـان وقريع الأوان، شهد له المؤالف والمخالف ....

- صنف شرحاً (للكافية) لم يكن له في شروحها على كثرتها نظير، التزم فيـه ذكر الخلاف بين النحويين واختيار القول الشهير، وذكر الشاهد وقائله ومن قيـل فيه، وبعض القصيدة التي هو منها ...

- وحقق في الأصلين تحقيقاً عظيماً.

ثم عاد إلى وطنه هجرة ضمد فانتفع به أهل الجهة نفعاً لم يعهد، ثم ارتحل مـرة أخرى إلى بلاد الشرف (باليمن) يؤم علامة اليمن .... شيخ مـشائخ الإسـلام الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا [*] فظفر في حضرته بالقـدح المعلـى، وكان عين أعيان تلامذته، فانتشر صيته في ذلك المكان ..... وكاتبه العلماء من

---

[١] الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن لعبد الملك آل حميد الدين ج٢ ص١٢٤.

[*] الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا: سبقت ترجمته في هامش صفحتي ٣١٥ ، ٣١٦.

أهل عصره والأعيان، فألف ورصف، وأبدع وأتحف، وكان يأتي بكل معنى عجيب ويخترع كل فن غريب ......) ثم أورد له أبياتاً قالهـا علمنـا مهنئـاً لـشيخه (الحسين) حين أتم بناء داره بـ (الشجعة) حيث قال:

هذا الحسين النجل من ناصر قد سكن البيت وقد حلّهُ
فاكتست الدار به بهجة وقيل للحاسد يا ويله
وقالت: الحال لنا جهرة قد فرح الكيِّسُ، والأَبْلَهُ
فمن يرد تأريخه طالباً تحقيق ما أعني وتمثاله
فليحسبن تأريخه قائلاً ساعدها وقت وطابت له [1]

ولعل رحلته الثانية من بلدته (ضمد) كانت بسبب بعض المضايقات التي يتعرض لها أحيانا بعض المتفوقين من حسادهم الذين لم يدركوا شأوهم؛ لذلك وجدنا صاحب خلاصة العسجد بعد أن أشار إلى بعض محطات قريبه البهكلي ذكرله بيتين ربما اختارهما من إحدى قصائد شاعرنا (علي بن عبد الرحمن البهكلي) التي يُنفِّسُ بها عن ذاته ويروي فيها بعض معاناته من حسد الحساد ومضايقات بعض الأقران وقدم لهما بقوله: (ومما ينسب إليه رحمه الله بيتان يتعلقان بالهجرة الضمدية ولعله قالهما عند حصول بعض العوارض التي تعرض للعلماء ذوي الرتب العلية، وهما:

يا صاح عن ضمد ترحل إنها بلدٌ، تهان بها الكرام وتصفع
ما بين واديها وبين عروجها سود تغيب وألف سودا تطلع [2]

---

[1] خلاصة العسجد للبهكلي ص٩٢، وانظر: البيت الثالث في كتاب هجر العلم ومعاقله للأكوع ج٢ ص١٠٣٢.
[2] خلاصة العسجد للبهكلي ص٩٣.

وقد برر صاحب خلاصة العسجد هذا الهجوم من شاعرنا البهكلي على بلدته (موطن العلم ضمد) فقال: (لا غرو فهذا غير مستكثر جريانه على ألسنة الفضلاء عند وقوع بعض الأذى في الوطن .....) [١].

ثم أخذ يذكر مواقف مشابهة لعلماء وشعراء تعرضوا لبعض المضايقات فقالوا عن بلدانهم شعراً أشد قسوة وإيلاماً من شعر علمنا البهكلي ثم ساق قصصاً كثيرة بعد ذلك. [٢]

وقد ذكر محقق خلاصة العسجد أنه وجد في هامش إحدى صفحات المخطوطة أبياتاً لشاعر آخر لم يذكر اسمه يرد بها على شاعرنا علي بن عبد الرحمن البهكلي فقال: (وقد عارضها بعض علماء العصر حيث قال:

يا صاح في ضمد تحلل إنها بلد تصان بها الكرام وترفع

ما بين واديها وبين عروجها خضرا تغيب وألف خضرا تطلع[٣]

واستمر عبد الرحمن البهكلي في سرد سيرة قريبه الشاعر (علي بن عبد الرحمن البهكلي وذكر تفصيلات كثيرة ختمها بقصة ذلك اللغز الشعري الذي ورد لعلي بن عبد الرحمن البهكلي من الشاعر الجازاني المعاصر له الفقيه سراج الدين عمر بن محمد مكي بافضل الجازاني .... وهو في أسلوب سرده لقصة هذا اللغزشبيه بالمقامة أسلوباً وانتقاء مفردة وحسن استخدام للشواهد والاقتباسات وتوظيفا للسجع لنستمع إلى رواية صاحب خلاصة العسجد لذلك اللغز الأدبي الجميل حيث قال: (ومن تحفه التي كادت أن تنتشر بها الآذان جوابه على لغز ورد إليه من بعض أدباء عصره والأوان وهو الفقيه سراج الدين عمر بن محمد مكي با فضل الجازاني نسبة إلى بندر جازان في سنة ست ومائة وألف وهو في شجرة التنباك المعلومة بالوصف؛ ولفظ السؤال: (ما قولكم رضي الله عنكم – فيمن عجلت له

(١) المصدر والصفحة السابقين.

(٢) انظر الصفحات : (٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦) من المصدر نفسه.

(٣) انظر هامش ص ٩٣ من المصدر نفسه .

طيباته في هذه الدار وأسكن جنات من تحتها الأنهار، حتى إذا صالت عليه يد المنون، أُخرج من جنات وعيون، وحُق عليه العذاب، فما كان بأسرع من حشره بعد الذهاب، فحشر في مكان، وأقيم له الميزان فرجحت سيئاته بالحسنات، بسبب تعجيل الطيبات فصبَّ عليه بالحميم، وقال: (ذق إنك (أنت) العزيز الكريم) ثم ذهب به حتى جعله في أعلى طبقه وطبّق عليه بنار محرقة، فلما عاين الشيطان النار وهو لها نادى: (أن بورك من في النار ومن حولها) فاجتمع إليه الناس اجتماعهم على الخطباء، وعقدوا له الجثي، وصار من في النار لديهم معززاً مكرماً (فابتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء) ثم صار يدخل من باب ويخرج من أبواب فكل أمره وشأنه عجاب، نال الشقاء بعد السعادة، وصارت النار مهاده وزاده. أفتونا مأجورين).

فأجاب – عليه رحمة رب الأرباب – بما صورته: (سؤالك أيها الملغز بسؤاله، والمعمي لمراده في مقاله، عمن سارت به في الفيافي والقفار الركبان، ونال من الكرامة والعز ما لم ينله إنسان، وقبّلته أفواه الملوك كما لثمته ثغور الخرائد الحسان، ونزلوه كلهم منزلة الشفاء عند المريض المدنف، وعانقوه معانقة اللام للألف، ورفضوا من لم يكرمه وأبى، بعين مزورة غضبى، وجعلوا الخلوة معه بغير جليس قائمة مقام كل أنيس وعدُّوا من لم يخالطه ثقيلاً في المجالس، وعارياً وإن كان في هيئة اللابس، ورأوا أن إحراقه بالنار ليس لكونه من الأشرار، بل لما فيه من الإزالة للآلام والمضار ولأجل ما فيه من الفوائد عانده الدهر بالإحراق، كما هي عادته مع الكملة الحذّاق، فلسان حاله ينشد ودمعه مهراق:

لا غرو أن تجني عليَّ فضائلي   سبب احتراق المندليّ [1] نُخاتُه

[1] المندل: نوع من أجود أنواع الطيب الذي يُتطيب به على هيئة البخور، وينسب إلى إحدى مدن الهند المسماة بهذا الاسم.

فيا لله العجب من أمره وشأنه، ويا للمسلمين من نفاذ حكمه وقوة سلطانه. لقد ملك أزمة القلوب، وصار عندها مقدماً على كل محبوب، فكم عنفوا من عذلهم عن الدخول تحت أمره، ونهى من أطاعه واستمسك بتهويه ومكره، فدولته شبيهة بدولة الحاكم العبيدي في ملك الرقاب، مع ارتكاب الأمور الصعاب، حتى آذنت دولته بالانصرام وختم له في أعماله بأقبح ختام، وصار مثلاً سائراً مدى الليالي والأيام).

وأنهى صاحب خلاصة العسجد هذا النقل بقوله مثنياً على العلامة البهكلي: (فلله دره كم أبدع فيما أودع .... وما ذلك منه بكثير، فتيار فكره غزير) [1].

رحم الله العلامة المؤرخ عبد الرحمن البهكلي الذي سرد لنا في (خلاصته) تفصيلات كثيرة عن شيخه العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي حتى إذا وصل إلى قصة وفاته ختم تلك السيرة العطرة بقوله: (وقد طال المجال في هذا المقال بذكر هذا الفاضل الذي هو من نحارير الرجال:

وقد وجدت مجال القول ذا سعة ومن يجد سعة في القول فليقل [2]

والواقع أن تيار فكر العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي غزير جداً وخصوصاً في النثر والمطلع على كتابه: (العقد المفصل بالعجائب والغرائب) يجد فيه الغرائب والعجائب حقا وصدقا فهو سفر تاريخ وكتاب أدب وكتاب نحو وكتاب بلاغة موسوعة فنون متعددة وأسلوبه الأدبي فيه مشرق يخلب الألباب أما شعره فلم تصلنا منه إلا تلك الأبيات القليلة التي تجعل تطلعنا إلى مثيلاتها شديد.

---

[1] خلاصة العسجد ص٩٩-١٠١.

[2] المصدر السابق ص٩٠-١٠٣.

٤- العلامة الشاعر: محمد بن أحمد الحازمي

(.... - ١١٧٩هـ):

عالم غزير المعرفة في علم الأصول وفي الفنون العربية، وبخاصة في علم النحو الذي كان له القدح المعلى، وشاعر مقلّ، شغلته اهتماماته الكثيرة عن الشعر وعن تدوينه، فلم يصلنا من شعره إلا أقل القليل الذي يدل على وجود الكثير وإن حجبته عنا عوادي الأيام، فعلمنا الحازمي من رجال الإدارة والدراية (فقد كان حاكماً لزبيد) وكان مقصد طلاب العلم والفتيا فيها [1].

وهو من رجال المهمات الجسام فقد انتدب للوساطة بين الشريف محمد بن أحمد آل خيرات [2]، وعمه الشريف حوذان [3] أمراء المخلاف السليماني أثناء نزاعهما

---

[1] خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد لعبد الرحمن البهكلي ص٣٢٩.

[2] الشريف محمد بن أحمد آل خيرات: (....-١١٨٤هـ): ثاني أمراء أسرة آل خيرات بالمخلاف السليماني، فقد تولى إمارة المخلاف بعد وفاة والده المؤسس: أحمد بن محمد آل خيرات (....-١١٥٤هـ): الذي كان أول أمراء أسرة آل خيرات بالمخلاف، وقد استمر حكمه أربعة عشر عاماً، فهو مؤسس إمارة آل خيرات التي توارثها أبناؤه وأحفاده من بعده، وكان خلفه (علمنا) الشريف محمد بن أحمد بن محمد آل خيرات أميراً شجاعاً، حازماً، استطاع مقاومة الفتن، والقلاقل الداخلية والخارجية التي واجهته، وفي مقدمتها صراعه الطويل مع عمه الشريف (حوذان)، خصه العلامة: عبد الرحمن البهكلي بكتاب كامل رصد فيه سيرته، وأهم الأحداث والمعارك التي خاضهاأيام حكمه سماه: (خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد)، وقد صدر عن المركز الفرنسي للدراسات اليمنية. بتحقيق: ميشيل توشيرير وعدنان درويش، وصدر في دمشق عام ٢٠٠٠م. انظر ترجمته في: تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٣٨٨، ٤٠٨، وفي تاريخ مكة لأحمد السباعي هامش ص٣٨٠، وفي كتاب: خلاصة العسجد المذكور آنفاً.

[3] الشريف حوذان (....-١١٦٣هـ): هو: الشريف حوذان بن محمد بن أحمد آل خيرات، من ذوي الهمم العالية والطموحات السامية، تطلّع لإمارة المخلاف السليماني بعد وفاة أخيه الشريف أحمد بن محمد آل خيرات (....- ١١٥٤هـ)، فسبقه إليها ابن أخيه الأكبر الشريف محمد بن أحمد بن محمد آل خيرات (....-١١٨٤هـ)، حيث بادر بتصدر الإمارة بعد وفاة والده مباشرة وانقاد له العامة والخاصة، وحين علم الشريف حوذان بذلك همّ بمنازعته فلم يتمكن في بداية الأمر، لكنه مع ذلك لم يستسلم للأمر الحادث حيث لم يلبث أن دب بينه وبين ابن أخيه صراع على إمارة المخلاف السليماني طال أمده حتى استطاع أن يقصي ابن أخيه عن إمارة المخلاف ويتولاها لمدة عام كامل، لكن ابن أخيه ما لبث أن استرد الإمارة من عمه حوذان بعد معارك وملاحم طويلة فأقصى عمه عن الإمارة بالكلية، وظل الصراع بين الشريف (حوذان) وابن أخيه الشريف (محمد بن=

على السلطة؛ إذ إن العلامة الحازمي كما وصفه البهكلي (هو الخريت الماهر - في تلك الوساطة - لكونه من أهل الجهة الممارسين) [1]. وعلامتنا (الحازمي) كان أحد تلامذة العلامة الحسن بن علي البهكلي البارزين، عبّ من علمه وفضله ثم ترحل بعد ذلك لطلب العلم فتلقاه عن علماء أعلام حتى برز في علوم عدة، وكان بروزه سبباً في اشتعال قلوب الأقران في وطنه غيرة وحسداً؛ مما جعله يتعرض لما تعرض له شيخه (البهلكي) من مضايقات بعض أعيان وعلماء بلده حتى اضطر للرحيل عن وطنه طلباً لمزيد من العلم والفضل .. وهكذا ظل علمنا الحازمي ملازماً لطلب العلم طيلة حياته، وإلى جانب ذلك (لم يزل ملازماً للتدريس حتى استفاد عليه جماعة من أهل الجهة وغيرهم وفي مقدمتهم تلميذه كاتب هذه الترجمة العلامة عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي صاحب خلاصة العسجد نفسه) [2].

وكان الحازمي - رحمه الله تعالى - من أصحاب المكتبات الخاصة سواء أثناء إقامته في وطنه أو في مهاجره، ذكر صاحب خلاصة العسجد بأن شيخه الحازمي (أقام بمدينة زبيد - حاكماً - وخلال إقامته كانت خزائن علومه تزيد فهو يفيد ويستفيد) [3] كما ذكر بأنه : (على الرغم من كثرة القلاقل والمنغصات فقد خلّف الحازمي بعد وفاته عدة من الكتب النافعة في فنون عده) [4].

- تفرد بترجمة علمنا (الحازمي) تلميذه صاحب (خلاصة العسجد) العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي- كما أشرنا- وتناول بشيء من التفصيل جوانب من حياة شيخه العلمية والعملية، وعنه نقل صاحب كتاب: (النهضة الأدبية في اليمن) وأضاف ومما قاله عن علمنا الحازمي بعد أن نقل كثيراً عن البهكلي:

-أحمد) حتى انتهى الأمر بقتل الشريف حوذان غيلة بمدينة أبي عريش في عام ١١٦٣هـ. انظر تفاصيل ذلك الصراع في كتاب: خلاصة العسجد (للبهكلي) ص١١٧-٢٠٧، وانظر المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص٣٩٥.

[1] خلاصة العسجد ص١٦٦.

[2] المصدر السابق ص٣٣١.

[3] المصدر نفسه ٣٢٩.

[4] المصدر نفسه ص٣٣١.

(محمد بن أحمد الحازمي مصلح اجتماعي، فقد كان يتولى فصل الشجار بين الناس بحذق ونباهة وأقام على ذلك أعواماً) وقال عن مؤلفاته: (خلف عدة من الكتب النافعة) [1].

- ومما قاله عنه تلميذه البهكلي صاحب خلاصة العسجد: (العلامة الحبر المصقع الفهامة، المتضلع من علوم العربية والمطلع على المقاصد الأدبية، عز الملة والدين، البقية الباقية من الآل المطهرين: محمد بن أحمد الحازمي، ولد بقرية (صلهبه) موطن آبائه وأجداده وتعلم القرآن العظيم بها، ثم ارتحل لطلب العلم إلى مدينة صعده فلقي بها أجلاء المشائخ فلازمهم حتى أضحى له في العلم قدم راسخ، وتمكن من فني العربية والأصول، ثم عاد إلى وطنه، وأخذ على حيّ والدي العلامة الحسن بن علي البهكلي في العربية وكان - رحمه الله - الخرّيت الماهر بها في زمنه ووطنه ......) إلى أن قال: (واشتهر السيد الحازمي بمعرفة النحو فكان مقدماً على غيره ...)، ومضى العلامة البهكلي في الحديث عن علمنا الحازمي إلى أن قال: (تزوج (الحازمي) في مدينة صبيا وأولد، وكان يتولى فصل الشجار بها بحذق ونباهة، وأقام على ذلك أعواماً، ثم رأى عدم الملاءمة في الوطن، واحتقار العلماء به - كما هو شأن الأوطان - وقد لمح إلى هذا المعنى بعضهم فقال:

(فالمندل الرطب في أوطانه خشب)

وقبل أن يذكر البهكلي بأن علمنا (الحازمي) قد رحل عن وطنه بسبب ما تعرض له من حسد ومضايقات أقرانه من أبناء وطنه أخذ يسرد مواقف مشابهة لعلماء تركوا أوطانهم كالعلامة النضر بن شميل (١٢٢-٢٠٣) أحد الأئمة الأعلام وأحد

---

[1] النهضة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكم العثماني (١٠٤٥-١٣٣٣هـ) وبيوتات العلم في صنعاء وتهامة والمخلاف السليماني لعبد الله خادم العمري ج١ ص٥٠٨، من مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، صنعاء ١٤٢٥هـ.

رواة الحديث وواحد من الملمين بمعرفة أيام العرب وفقه اللغة، وكابن دقيق العيد[1] (٦٢٥-٧٠٢) وغيرهم ....).

وسرد بعض مواقف لأولئك العلماء مشابهة لما تعرض له علمنا وذكر مواقف لمعاصريهم ومواطنيهم كثيرة عبر عنها شعراً ونثراً خلال الصفحات ٣٢٢-٣٢٩ فمن الشعر الذي رواه عن ابن دقيق العيد في هذا المقام قوله:

عذيري من رفقةٍ بالعراق ... قلوبهم بالجفا قُلَّبُ
يرون العجيب كلام الغريب ... وأما القريب فلا يعجب
وعذرهمُ، عندَ توبيخهم ... مغنية الحي لا تطرب[2]

وخلاصة ذلك كله أن علمنا (محمد بن أحمد الحازمي) قد تعرض من علماء بلده وأبناء وطنه لمواقف ومضايقات شبيهة بما تعرض له شيخه (الحسن بن علي البهكلي) مما سبق ذكره في أثناء كلامنا عن شيخه نقلاً عن صاحب خلاصة العسجد نفسه..

شعره:

أشرنا في بداية حديثنا عن العلامة (الحازمي) إلى أنه (شاعر مُقِلّ) ونضيف هنا بأنه ربما عَدَتْ على شعره العوادي فذهبت به كما ذهبت بشعر آخرين وربما كانت اهتماماته العلمية من أسباب ضعف اهتمامه بتدوين شعره، فحتى الأبيات القليلة التي أثبتها له تلميذه صاحب خلاصة العسجد يمكن تصنيفها في شعر الإخوانيات فقد جاءت رداً على تلميذه البهكلي وجواباً على ما كاتبه به، بعد

---

[1] ابن دقيق العيد: (٦٢٥-٧٠٢هـ): هو: الإمام محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد، قاض مشهور من أكابر العلماء، تلقى العلم في دمشق والاسكندرية والقاهرة، له تصانيف كثيرة منها: (إحكام الأحكام) و (اقتناص السوانح) وغيرهما، وكان مع غزارة علمه ظريفاً وله أشعار، توفي سنة ٧٠٢هـ. انظر ترجمته في: الأعلام ج٧ ص١٧٤.

[2] خلاصة العسجد للبهكلي، ص٣٢٢، وانظر كتاب النهضة الأدبية في اليمن لعبد الله خادم العمري ج١ ص٥٠٨ وما بعدها.

استنناف القراءة عليه؛ حيث أشار البهكلي إلى نلك فقال: (ومما وقع بيني وبينه من المجاراة في ميدان الأدب أني كنت في أيام قراءتي عليه أحصل (شرح الأزهار) نسخاً، وكانت نسختي كراريس لم يحوها حبك فاتفق أن حصل على أهل مدينة زبيد قلقلة، فخرج من بها ووزعوا أثقالهم إلى المواضع التي يظنون أن بها حصول السلامة، ومن جملتهم شيخنا الحازمي المذكور فإنه أخرج كتبه وأثقاله إلى قرية الروية، وكانت كراريسي من جملة كتبه، وبعد ارتفاع الفئة الباغية ورجوعنا إلى المدينة استفتحنا في القراءة ففرغت الكراريس التي كانت عندي، واحتجت إلى غيرها للإملاء فكتبت إليه هذه الأبيات:

مولاي ما الحكم؟ إن لُمَّتْ كراريسي | وصرت في البيع من صنف المفاليس
فجد علينا بحسن الرأي في عجل | وقاك ذو العرش من شر الأباليس
ولا برحت بنور العلم في نعم | تجلو غياهب إشكال وتلبيس

فلما اطلع عليها أجاب شيخنا الحازمي بما لفظه:

وقيت يا نجل بدر الدين من دنس | ونلت فضلاً بلا كدٍّ وتتعيس
وفي غد نبعث المرسول في عجل | يأتي بما رمت من تلك الكراريس
فحقق الحدسَ، واحكم أين موضعها | ولازم الدرس في جوف الحناديس[1]

توفي علمنا (محمد بن أحمد الحازمي) بمدينة زبيد التي كان حاكماً بها وذلك في شهر ذي الحجة من عام ١١٧٩هـ فرحم الله علمنا (الحازمي) ورحم الله تلميذه العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي الذي تفرد بهذه السيرة العطرة لشيخه الحازمي وإن كنا نتمنى لو توسع قليلاً في ذكر بعض تفاصيل حياته العلمية مع ذكر المزيد من شعره الذي دلت هذه الأبيات القليلة جداً على نضج تجربته فيه.

---

[1] خلاصة العسجد ص٣٣٠-٣٣١.

الخاتمة

ظلَّ المخلاف السليمانيّ (جازان) منبعاً ثرًّا للإبداع والمبدعين على مر التأريخ، واستمرت مراكزه العلمية والفكرية والثقافية محاضن خصبة تنشأ فيها الأسر العلمية والأدبية العريقة التي تنجب الأدباء والشعراء والمفكرين، واستمرت تلك الأسر تتناوب في أدوارها الثقافية، وظلّ شعراؤها يملأون مسامع الزمان بشعر تتوارثه الأجيال، وفي هذه الأوراق حاولت رصد مسيرة الشعر في جازان الشاعرة خلال ثمانية قرون لم تكن سنيّها كلها عجافاً وإن كانت بعض فتراتها كذلك، حتى إن الباحث ليقع أحياناً في حرج شديد حين لا يجد في أوراق بعض القرون سوى شاعر واحد أو شاعرين يستدل عليه بالقصيدة الواحدة أو بأبيات متفرقة في بعض الأحيان، أما في بعض الفترات فإن سحائبها تتكاثف فتمطرُ عطاءً شعريًا كثيفاً كما حصل معنا في القرنين العاشر والحادي عشر اللذين وجدنا فيهما وفرة في أعداد الشعراء ذوي العطاء الشعري الغزير وهؤلاء الشعراء وأولئك تتفاوت مستوياتهم الشعرية فبعضهم من القمم الشعرية الشامخة، وبعضهم من شعراء العلماء، وبعضهم أطلقنا عليه لقب الشاعر تجوُّزاً.

على أنني في هذه الأوراق قد حصرتُ همّي في جمع ما وجدته من شعر هؤلاء وأولئك ولم أكلف أوراقي عناء تصنيفهم، ولم أجشمها وعثاء الدراسات النقدية المبوبة، ومع ذلك فقد خرج من بين ركام السنين أعلامٌ كبارٌ من أصحاب الدواوين الشعرية المطبوعة والمخطوطة ومن ذوي المقامات الرفيعة شعريًا الذين توارثت الأجيال أناشيدهم العذاب وأصبحوا من الأصوات الشعريّة المميزة عربيًا أمثال شاعر الجزيرة العربية ومؤرخها في القرن السادس الهجري: (عمارة بن علي بن زيدان الحكمي (٥١٥-٥٦٩هـ) صاحب الروائع الشعرية الخالدة، وشاعرها الكبير في القرن السابع بلا منازع: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي (... - ٦٩٦هـ)، وشاعر القرن الثامن (المغمور): (أحمد بن محمد بن قُلَيْتَة الحكمي (...-٧٣١هـ)، الذي سيكون لهذه الأوراق شرف التنقيب عن روائعه وإخراج بعضها للناس، وشاعرها في القرن العاشر: (الجراح بن شاجر الذروي

(...-٩٢٥هـ تقريباً)، ومفتي وشاعر القرن العاشر أيضاً: (عمر بن عبد القادر الحكمي (٩٢٣ - ٩٨١هـ) الذي اشتهر بأن له ديوان شعر مخطوط، وشاعر القرن الحادي عشر: (محمد بن علي بن حفظ الله النعمي (١٠٢٦ - ١٠٧٩هـ) الذي أكد على وجود ديوانه المخطوط أكثر من مصدر.

وإلى جانب هؤلاء الشعراء الكبار أصحاب الدواوين الشعرية هناك شعراء آخرون شاركوا أولئك في الإصطلاء بجمرة الشعر، وكانت لهم شهرتهم الواسعة وإن لم يوثق نتاجهم الشعري في دواوين شعرية أمثال: (القاسم بن علي الذروي (... - ٦٧٠هـ) صاحب القصيدة المشهورة ذات المطلع:

مــن لــصبٍّ هاجَــهُ نــشرُ الــصَّبا   لــم يــزِدهُ البــينُ إلا نَــصَبا

والعلامة الشاعر: (محمد بن علي بن عمر الضمدي(٨٨٣ - ٩٩٠هـ)) صاحب القصائد الطوال التي يتجاوز بعضها مئات الأبيات وصاحب القصيدة الاستسقائية المشهورة ذات المطلع:

إن مسَّنا الضُّرُّ أو ضاقَت بنا الحِيَلُ   فلَنْ يخيبَ لنا في ربِّنا أمَلُ

وغيرهم، وغيرهم أمثال مشاهير شعراء أسرة آل الأسدي، أو مشاهير شعراء أسرة آل النعمي، أو مشاهير شعراء أسرة آل البهكلي، أو مشاهير شعراء أسرة آل الحكمي، وكذلك مشاهير شعراء بقيّة أسر المخلاف السليماني التي تعاقب أبناؤها على المشهد الثقافي عامة والشعر على وجه الخصوص طيلة تلك القرون الثمانية وما زال أبناء بعض تلك الأسر وأحفادها يسهمون مع أبناء أسر أخرى جَدَّتْ في صياغة الوجه الحضاري المتجدّد لمنطقة العطاء (جازان).

نعم لم تكن كل سنينها عجافاً وإن ضنّتْ علينا بعضُ فتراتها بكثيرٍ من نتاج شعرائها الذين طواهم وطوى شعرَهم النسيانُ وتلكَ بعض العقبات التي اعترضت مسيرة محطات هذه الأوراق فلم تسعفنا المصادر خلال تلك الفترات إلا بشيء يسير من تلك الصفحات المطوية في غيابات الفقد والتواري مما ضاعف

مسؤوليات البحث الدائب عن المصادر؛ لذلك فإنني لا أجد ضيراً عليَّ إن أنا اعترفتُ بقصور أوراقي هذه عن تحقيق كل ما طمحَت إليه من بعثِ جُلٍّ ركام تراثنا الشعريّ الغائب الحاضر في هذه المنطقة خصوصاً ما كان منه في القرون الهجرية المتقدمة التي تخللتها كثيرٌ من القلاقل والأحداث الجسام، ربما بسبب ندرة المصادر التي لا شك في أنه قد فُقِدَ كثيرٌ منها وربما بسبب قلة الراصدين في بعض القرون أو انعدامهم في بعضها الآخر وربما لأسباب أخرى تحتاجُ إلى مزيد من البحث والتدقيق والتحرّي أقول هذا ليلتمس القارئ لهذه الأوراق شيئاً من العذر حين يجدُ بأن عدد شعراء المخلاف السليماني في القرنين العاشر والحادي عشر مع ما تخللهما من أحداث يفوق عدد شعرائه في القرون الخمسة التي سبقتهما، وكذلك ليلتمس لها العذر إن وجد بأن عدد شعراء القرن الثاني عشر لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ومع كل هذا لا بد أن أسجل أن المخلاف السليماني (جازان) كانَ ولا يزالُ منجماً غنيًا بالإبداع وأرباب الإبداع، وأن هذه الأوراق التي تناولت شيئاً من الشعر في تلك الفترات المتفاوتة – حتى وإن كانت قد استنفدت مني سنين طويلةً – إنما تمثّلُ بدايات لا أزعم لها الحصر الكامل، ولا أدعي لها الإحاطة والشمول؛ فهي لم تستقصِ إبداعَ كل المبدعين خلال تلك القرون الثمانية ولا تمثل سوى شواهد عليهم، ولكنها في ذات الوقت رصدت ما وجدَت وما أسعفتها به المصادر التي توفرت، وهي مع ذلك تفخر بأنها قد أضافت إلى المشهد الشعري في تلك العصور رصد مسيرة بعض الأعلام الذين يكتب عنهم وعن شعرهم في عصرنا لأول مرة حتى وإن كانوا قلة في عددهم وكلي أمل بأن تكشف لنا الأيام القادمة عن شعراء آخرين يؤكدون مالهذه المنطقة الشاعرة من غزارة إبداعية نسجها شعراؤها الذين طمرت إبداعاتهم غياهب النسيان، وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:

- ديوان الشاعر أحمد بن محمد بن فليتة الحكمي: (أحد شعراء القرن الثامن)، نسخة مصورة مأخوذة عن نسخة حاسوبية عن مخطوطة دار الكتب والوثائق القومية بمصر، برقم ٣٥/ أدب.

- ديوان الجراح بن شاجر الذروي: (أحد شعراء القرن العاشر)، نسخة مصورة عن نسخة ناقصة غير مرقمة الصفحات أصلها لدى الباحث الدكتور حسن الضايحي ببلدة (صَنْبة) بدون رقم.

- العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني/ لعبد الله بن علي النعمان الضمدي، نسخة مصورة لدى الباحث عن النسخة المخطوطة في مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجده برقم ١٤٣٣.

- خلاصة السُّلاف بأخبار صبيا والمخلاف/ لأحمد محمد النمازي/ نسخة مصورة عن نسخة مكتبة صنعاء الغربي برقم ١٥٢.

- إتحاف السادة الأشراف سكان قرى وهجر المخلاف/ للحسن بن أحمد عاكش، صورة لدى الباحث عن نسخة مصورة عن الأصل الموجود بجامع صنعاء وتاريخ نسخها ١٢٨٥هـ لا يوجد بالصورة رقم.

- الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف/ لمحمد حيدر القبي النعمي/ نسخة مصورة عن نسخة المؤلف الموجودة لدى أحفاده في بلدة الملحاء الواقعة شمال مدينة صبيا.

- عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر للحسن بن أحمد عاكش، صورة عن نسخة (حاسوبية) في مجلدين معدين للطبع/ تحقيق إسماعيل البشري. وتوجد لدى الباحث نسخة مصورة عن نسخة خطية بقلم المؤلف دون رقم.

وصورة عن مخطوطة دار الكتب بصنعاء المحفوظة لديهم برقم ١٤٥٥ خطها نسخي مقروء وعدد ورقاتها ٢٢٤، وكل ورقة تشتمل على صفحتين.

- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر ثلاثة مجلدات في كل مجلد أكثر من أربع مائة ورقة من القطع الكبير وكل ورقة تشتمل على صفحتين/ للعلامة مصطفى بن فتح الله الحموي/ نسخة مصورة عن نسخة مصورة لدى الدكتور عايض الردادي مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة المحفوظة برقم ١٠٩٣.

- نزهة الظريف في سيرة أولاد الشريف محمد بن أحمد: للعلامة عبد الرحمن البهكلي، جعلها تكملة لكتابه: (خلاصة العسجد) المطبوع وابتدأها من سنة ١١٨٥هـ، وتقع في مائتين واثنتين وعشرين ورقة، وتوجد لدى الباحث منها نسختان إحداهما تفضل بها عليّ الدكتور علي حسين الصميلي وهي نسخة مصورة عن نسخة كتبت بعدة خطوط أرخها ناسخها بعام ١٣٥٠هـ.

- مئوية (ابن عمر) قصيدة طويلة تبلغ أبياتها المائة للعلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي نسخة مصورة لدى الباحث مأخوذة عن نسخة الباحث (أحمد مشني) ببلدة الشقيري في محافظة ضمد.

ثانياً: المطبوعات:

- القرآن الكريم.

- صحيح البخاري – المكتبة الإسلامية في استامبول، توزيع مكتبة العلم في جده ١٤٠٢هـ.

إبراهيم بن أحمد المقحفي:

- معجم المدن والقبائل اليمنية/ منشورات دار الكلمة – صنعاء ١٩٨٥م.

- معجم البلدان اليمنية ط٢، دار الحكمة – بصنعاء، ١٤٠٦هـ.

إبراهيم بن علي الحصري:

- زهر الآداب وثمر الألباب/ دار الجيل ببيروت ط٤، دون ذكر سنة النشر.

ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف)

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ – ١٩٧٢م.

ابن فهد القرشي (عز الدين):

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام/ تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطابع دار المدني بجده ١٤٠٦هـ، وشركة مكة للطباعة ١٤٠٩هـ.

ابن العماد الحنبلي:

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٨م

ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

- الشعر والشعراء، أو طبقات الشعراء/ تحقيق الدكتور: مفيد قميحة، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.

أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين):

- الأغاني – دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون ذكر سنة النشر، وكتب على الغلاف الداخلي: (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب علم ١٣٤٦هـ).

أبو القاسم بن حوقل النصيبي:

- صورة الأرض (لابن حوقل)، منشورات مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٧٩م.

أبو بكر بن بهرام الدمشقي:

- جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير تحقيق الدكتور/ مُسْتَعْدْ الشامان، من منشورات مركز حمد الجاسر الثقافي ١٤٢٨هـ الرياض.

أحمد السباعي:

- تاريخ مكة ط٤، من منشورات نادي مكة الثقافي، طبع دار مكة للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ.

أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي:

- البلدان، من مطبوعات ليدن ١٨٩١م.

أحمد بن أحمد النعمي:

- حوليات النعمي التهامية، تحقيق الدكتور حسين العمري، دار الحكمة اليمانية – دار الفكر للترجمة بدمشق ١٤٠٧هـ، ودار الكتب بيروت ١٩٧٣م.

أحمد بن حسن عاكش:

- منحة الصمد في الميسور عن حديث (ضمد)، تحقيق محمد محسن الديباجي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ.

أحمد بن صالح بن أبي الرجال:

- مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبد الرقيب مطهر محمد حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات بصعده ١٤٢٥هـ.

أحمد بن عبد الله الأصفهاني (أبو نعيم)

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،دار الكتاب العربي بيروت،الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

- الدرر الكامنة بأعلام المائة الثامنة، منشورات دار الجيل بيروت، دون ذكر سنة النشر.

أحمد بن عمر الزيلعي:

- الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان في العصور الإسلامية الوسيطة، مطابع الفرزدق الرياض ١٤١٣هـ.

أحمد بن محمد (بن خلكان):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٦٩م.

أحمد محمد الشامي:

- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، منشورات العصر الحديث توزيع دار النفائس بيروت ١٤٠٧هـ.
- من الأدب اليمني، طبع دار الشروق، بيروت دون ذكر سنة النشر.
- رياح التغيير في اليمن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دون ذكر للدار الناشرة.

إسماعيل بن محمد الوشلي التهامي:

- نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء ١٤٢٤هـ.

إسماعيل بن علي الأكوع:

- هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٦هـ.

الحسن بن أحمد الهمداني:

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد، مراجعة محمد بن سعد بن حسين، ط٣، دار الجوهرة بالرياض ١٤١١هـ.
- الإكليل (الجزء العاشر) بتحقيق محب الدين الخطيب/ الدار اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء ١٤٠٧هـ.

الحسن بن أحمد عاكش:

- الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني، تحقيق إسماعيل البشري، طبع دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٣هـ.

- ديوان الحسن بن أحمد عاكش، تحقيق حسن بن أحمد النعمي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ.

الحسن بن علي البعكلي:

- المقامة الضمدية، تحقيق عبد الله بن محمد أبو داهش، مطابع الشريف بالرياض ١٤٠٢هـ.

الحسن بن هانئ (أبو نواس):

- ديوان الحسن بن هانئ... تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ.

العماد الأصفهاني الكاتب:

- خريدة القصر وجريدة العصر، نقّحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر ١٩٧٢م.

الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي):

- القاموس المحيط، دار العلم للملايين، ط٥ بيروت.

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي:

- ديوان القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، تحقيق عبد الولي الشميري، مؤسسة الإبداع للثقافة والنشر ١٩٩٧م، دون ذكر مكان النشر.

مختارات من شعر القاسم بن علي بن هتيمل لمحمد بن أحمد العقيلي ط٢، شركة العقيلي وشركاه ١٤١٠هـ.

المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجرموزي:

- تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار- دراسة وتحقيق عبد الحكيم بن عبد المجيد الهجري، من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية- صنعاء ١٤٢٣هـ.

- بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم (٩٩٠-١٠٥٤هـ)- تحقيق الدكتورة أمة الملك بنت إسماعيل قاسم الثور- من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء ١٤٢٩هـ.

أنور المعداوي:

– علي محمود طه الشاعر والإنسان/ من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

تقي الدين الفاسي (محمد بن أحمد):

– العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.

جمال بدوي

– الفاطمية دولة التفاريح والتباريح،ط٢ دار الشروق بالقاهرة٢٠٠٨م.

حجاب بن يحيى الحازمي:

– القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره/ ط٢، دار أشبيليا للطباعة والنشر الرياض ١٤٢٤هـ.

– نبذة تأريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير ٩٣٠–١٢٥٠هـ، ط٢، دار أشبيليا بالرياض ١٤٢٤هـ.

حسام الدين محسن أبو طالب:

– تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم التركي لحسام الدين محمد، تحقيق عبد الله الحبشي، مطابع المفضل، صنعاء ١٤١١هـ.

حسين بن أحمد العرشي:

– بلوغ المرام شرح مسك الختام فيمن ولي اليمن من ملك وإمام، تحقيق أنستاس الكرملي، مطبعة البرتيري القاهرة، ١٩٣٩م.

حسين بن عبد الله العمري:

– المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث،دار الفكر المعاصر بيروت،١٤٠٩هـ.

– مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دار المختار للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٠هـ.

خازن عبود

– المصلوبون في العصور العربية، دار الحرف العربي بيروت، ط١ ٢٠٠٤م.

خير الدين الزركلي:
- الأعلام الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٠م.
شوقي ضيف:
- عصر الدول والإمارات طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط٤، طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦٠هـ.
- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.
عايض بن بنيه الردادي:
- الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري،دار المدني جده، ١٤٠٤هـ.
- الجواهر الثمينة بمحاسن المدينة لمحمد كبريت، تحقيق عايض الردادي، مطبعة سفير ١٤١٨، الناشر هو المحقق.
عبد الرحمن الأنباري:
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الأردن الزرقاء، ط٣، ١٤٠٥هـ.
عبد الرحمن الشيباني الزبيدي:
- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء١٤٢٧هـ.
عبد الرحمن بن أحمد البهكلي:
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، طبع دارة الملك عبد العزيز الرياض، ١٤٠٢هـ.
عبد الرحمن بن الحسن البهكلي:
- خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشيرير، وعدنان درويش، منشورات المركز الفرنسي للدراسات اليمنية والعربية - صنعاء - دمشق ٢٠٠٠م.
عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي:
- تهامة في التاريخ، منشورات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق ٢٠٠٠م.

عبد الرحمن بن علي الديبع:

- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية – صنعاء، دار العودة بيروت ١٩٨٣م.

- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون – تحقيق محمد بن علي الأكوع – مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٧هـ.

عبد القادر بن شيخ العيدروس:

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دون ذكر الدار الناشرة ولا مكان الطبع ولا تاريخه.

عبد الله بعكر :

- كواكب يمنية في سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٠هـ، نشر مكتبة الشروق بصنعاء.

عبد الله خادم العمري:

- النهضة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكم العثماني (١٠٤٥-١٣٣٣هـ) وبيوتات العلم في صنعاء وتهامة والمخلاف السليماني، من مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة في اليمن – صنعاء ١٤٢٥هـ.

عبد الله بن المعتز:

- ديوان عبد الله بن المعتز، طبع دار صادر في بيروت، دون ذكر سنة النشر.

عبد الله بن علي العمودي:

- تحفة القارئ والسامع بمختصر اللامع، تحقيق عبد الله أبو داهش، مطابع الجنوب بأبها ١٤٢١هـ.

عبد الله بن علي الوزير:

- تاريخ اليمن المسمى (طبق الحلوى، وصحاف المن والسلوى)، تحقيق محمد إبراهيم حازم، دار المسيرة بيروت ١٤٠٥هـ.

عبد الله بن محمد أبو داهش:

- أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما في العصور الإسلامية الوسيطة، مطبعة العبيكان ١٤٢٠هـ.

- الحياة الأدبية والفكرية في جنوبي البلاد السعودية، ط٢، مطابع البتراء في الرياض ١٤١٣هـ.

- حوليات سوق حباشة (كتاب سنوي) في عشرة أعداد.

- لامية ابن عمر الضمدي، مطابع الثغر بجده ١٤١١هـ.

- بائية الذروي: (القاسم بن علي الذروي)، تحقيق عبد الله محمد أبو داهش مطابع دار العلم بجده ١٤١٣هـ.

عبد الله بن محمد الحبشي:

- الأدب اليمني، طبع الدار اليمنية بصنعاء١٤٠٦هـ،توزيع دار المنهل ببيروت.

- مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية صنعاء، دون ذكر سنة النشر.

عبد الله عبد الكريم الجرافي:

- المقتطف من تاريخ اليمن، من منشورات دار العصر الحديث، بيروت، دون ذكر سنة النشر.

عبد الله مرداد أبو الخير:

- المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق محمد سعيد العمودي، وأحمد علي، من منشورات نادي الطائف الأدبي، ط١ ١٣٩٨هـ، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

عبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين:

- الروض الأغن في معرفة المؤلفين في اليمن ومصنفاتهم في كل فن، مطابع الحارثي الطائف ١٤١٥هـ.

عبد الملك بن حسين العصامي الشافعي المكي:

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٠هـ

عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السّكسكي

- طبقات صلحاء اليمن المعروف (بتاريخ البريهي)، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

عبد الواسع بن يحيى الواسعي:

- فرجة الهموم والحزن من حوادث اليمن المسمى: (تاريخ اليمن)، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط٣، ١٤٠٢هـ.

عبد الولي الشميري:

- ديوان ابن هتيمل تحقيق عبد الولي الشميري، ثلاثة مجلدات، المجلد الأول دراسة عن الشاعر وشعره، ط١ مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب ١٩٩٧م

عثمان بن بشر:

- عنوان المجد في تاريخ نجد، من منشورات مكتبة عبد العزيز العامة بالرياض، ١٤٢٣هـ، مصورة عن المخطوطة.

عز الدين بن فهد القرشي:

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام/ تحقيق: فهيم محمد شلتوت، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، طبع دار المدني بجده ١٤٠٦ - ١٤١٩هـ.

علي بن الحسن التهامي:

- ديوان علي بن الحسن التهامي، تحقيق محمد عبد الرحمن الربيع، ط١، دار المعارف بالرياض ١٤٠٢هـ.

علي بن الحسن الخزرجي:

- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر ١٣٢٩هـ.

علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري:

- منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم تحقيق الدكتور: جميل عبد الله محمد المصري من منشورات مركز البحوث بجامعة أم القرى في مكة ١٤١٩هـ.

علي بن عبد الرحمن البهكلي:

- العقد المفصل بالعجايب والغرايب في دولة الشريف أحمد بن غالب، تحقيق محمد أحمد العقيلي، مطابع دار البلاد بجده، دون ذكر سنة النشر.

علي بن محمد أبو زيد الحازمي:

- من رجال العلم في ضمد في القرن العاشر محمد بن علي بن عمر، طبع دار البلاغ بجده ١٤١٣هـ.

عماره بن علي بن زيدان الحكمي:

- المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء ١٤٠٥هـ.

- تاريخ اليمن،تحقيق المستشرق البريطاني: هنري كاسل (كاي) ترجمة الدكتور/ حسن سليمان محمود، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٥هـ.

- ديوان عماره الحكمي، تحقيق، عبد الرحمن الإرياني، وأحمد المعلمي، طبع دار عكرمة، دمشق ٢٠٠٠م.

- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، مطبعة مدبولي بالقاهرة١٤١١هـ.

عمر بن أحمد الشماع:

- القبس الحاوي لغرر السخاوي،تحقيق حسن مروه،دار صادر بيروت ١٩٩٨م.

عمر بن يوسف بن رسول:

- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: (ك، و، سترستين) دار الآفاق العربية، مدينة نصر بالقاهرة ١٤٢٢هـ.

عمر رضا كحاله:

- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، دون ذكر سنة النشر.

عمر بن فهد الهاشمي المكي

- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،دراسة وتحقيق،عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤٢١هـ.

فؤاد عبد الوهاب الشامي:

- تاريخ المخلاف السليماني في ظل أسرة آل خيرات (مع تحقيق نفح العود للبهكلي) من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية – صنعاء ١٤٢٥هـ.

مجدي محمد الغواجي:

- الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن، من منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٢٦هـ.

محمد أمين المحبي:

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، دون ذكر سنة النشر.

نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق أحمد عنايه، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

محمد بن أبي بكر الشلي:

- السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٥هـ.

- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة تريم الحديثة بصنعاء، ومكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٤هـ.

محمد بن أحمد العجري:

- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء، ط٣، ١٤٢٥هـ.

محمد بن أحمد العقيلي:

- أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، من منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٠٠هـ.
- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان،من منشورات نادي جازان الأدبي١٤١١، ١٤١٣هـ.
- تاريخ المخلاف السليماني، ط٢، شركة العقيلي وشركاه ١٤١٠هـ.
- التصوف في تهامة، ط٢، مطابع دار البلاد بجده، دون ذكر سنة النشر.
- المعجم الجغرافي في منطقة جازان، ط١، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٣٩٨هـ.
- مختارات من ديوان الجراح بن شاجر الذروي/ مطابع الرياض ١٣٨٥هـ.

محمد بن إسماعيل الكبسي:

- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد أبي زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد بصنعاء ١٤٢٦هـ.

محمد بن خليل المرادي:

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق أكرم حسن الحلبي، طبع دار صادر بيروت ١٤٢٢هـ.

محمد بن علي الشوكاني:

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت، دون ذكر سنة النشر.

محمد بن محمد زبارة:

- ملحق البدر الطالع،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت، دون ذكر سنة النشر.
- نيل الحسنيين، الدار اليمنية للطباعة والنشر والتوزيع بصنعاء ١٤٠٥هـ.
- أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء طبع دار الآداب ببيروت ١٤٠٥هـ.

محمد بن مكرم بن منظور:

- لسان العرب / طبع دار صادر ببيروت دون ذكر سنة النشر.

محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي السكسكي:

- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط١، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية صنعاء ١٩٨٩م.

محمد عبد الرحمن السخاوي:

- الضوء اللامع بأهل القرن التاسع، من منشورات مكتبة الحياة بيروت، دون ذكر سنة النشر.

مصطفى الشكعه:

- الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

يحيى بن أبي بكر العامري:

- غربال الزمان في وفيات الأعيان، تصحيح وتعليق محمد ناجي العمر، إشراف عبد الرحمن الإرياني، دار الخير للنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠٥هـ.

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد:

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق يحيى سعيد عبد الفتاح عاشور، ومحمد مصطفى زناده، دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٨٨هـ.

- الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وتحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن تحقيق الدكتورة أمة الغفور بنت عبد الرحمن علي الأمير من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية صنعاء ١٤٢٩هـ.

ثالثا = الدوريات:

١- ملحق صحيفة المدينة: (الأربعاء) الصادر يوم٢٩رجب ١٤٢٧هـ.

٢- دورية كليات المعلمين بالمملكة المجلد الأول العدد الأول الصادر في صفر عام ١٤٢٨هـ.

٣- بعض أعداد من مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للنشر بالرياض، ومنها على سبيل المثال: عددا محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ وعددا رجب شعبان من عام ١٤٠٩هـ، وعددا رمضان وشوال من عام ١٤١٤هـ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :



المؤلف في سطور :

الاسم: حجاب بن يحيى موسى الحازمي، جازان – ضمد ص.ب : ٤٣ –.

ولد عام: ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥م بمدينة ضمد في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية –.

حصل على بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٣٨٩هـ –.

حصل على دبلوم الإدارة المدرسية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة في علم ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥هـ –.

رئيس نادي جازان الأدبي سابقاً - .عضو مجلس منطقة جازان سابقاً –.

عضو مجلس الأمناء في مؤسسة الشيخ حمد الجاسر (الخيرية) الثقافية - .

عضو مجلس إدارة جائزة الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز للتفوق، ورئيس لجنة المواهب الأدبية والإبداعية بها –.

مثل المملكة في مهرجان جرش لعام ١٤٠٧هـ –.

حصل على جائزة الشخصية الثقافية التي تمنحها جائزة الأمير محمد بن ناصر لأول مرة في علم ١٤٣٠هـ –.

كُرّم في إثنينية عبد المقصود خوجه علم ١٤٣٢هـ –.

حصل على جائزة الأمير سلمان بن عبد العزيز للتميز في بحوث ودراسات تاريخ الجزيرة العربية في علم ١٤٣٢هـ.

مؤلفاته الأدبية المطبوعة

١- وجوه من الريف (مجموعة قصصية) صدرت عن نادي جازان الأدبي علم ١٤٠١هـ.

٢- أبجديات في النقد والأدب، صدر عن نادي جازان الأدبي علم ١٤٠٥هـ الموافق١٩٨٥م

٣- نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير علم ١٣٥٠-٩٣٠هـ صدر عن نادي جازان الأدبي علم١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م.

٤- القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي (شاعر القرن السابع) قراءة في شعره المخطوط صدر عن نادي مكة الثقافي علم ١٤١٤هـ

٥- لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي صدر عن نادي جازان الأدبي علم ١٤٢٢هـ

٦- من حلل الشعراء وحليهم الفنية صدر عن المجلة العربية عدد شهر شوال من علم ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣م.

٧- الحركة الثقافية والأدبية في منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين صدر علم ١٤٢٣هـ وطبع في دار أشبيليا بالرياض

٨- الدور الأمني للمؤسسات الثقافية والتربوية صدر عن المجلة العربية بالرياض لعلم ١٤٢٤هـ.

٩- الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون صدر عن مطابع الحميضي بالرياض علم ١٤٢٩هـ.

١٠-جوانب من جهود الملك عبد العزيز في تحقيق الوحدة الوطنية، وطبع في دار كنوز أشبيليا بالرياض ١٤٣٢هـ.

١١- التواصل الثقافي بين السعودية واليمن – وطبع بمطابع الحميضي في الرياض علم ١٤٣٣هـ.

١٢- المجموعة الشعرية الأولى: (أغنيات للوطن) وطبع بدار كنوز أشبيليا بالرياض علم ١٤٣٣هـ.

١٣- جازان الشعر – وطبع بمطابع الحميضي في الرياض علم ١٤٣٤هـ.